حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية

العدد الثامن

١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ ميلادية

دولة قطر
جامعة قطر

حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

العدد الثامن
١٤٠٥ هجرية - ١٩٨٥ ميلادية

الجامعات الخليجية حاضرها ومستقبلها

الأستاذ الدكتور
محمد ابراهيم كاظم
مدير جامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة ـ بالضروة ـ ترتبط ببعد الزمن ، وتوالي الأحداث ، وتشابكها وتواكبها . وترتبط بكل البنيات التي يتكون منها كل الحاضر ، وكل الماضي ، وكل المستقبل . واذن فعندما نتحدث عن الجامعات ننظر إلى الزمن كصفحة ممتدة تتشابك كل أطرافها .

هذا هو موضوعنا ، والموضوع غاية في الاتساع ، ولا يغنى الأتساع البادي عن الاشارة إلى أبعاد هذا الأتساع . ولابد ـ مع ذلك ـ أن تكون هناك نقطة بدء ، ولتكن نقطة البدء : ما هي الجامعة ؟ لماذا الجامعة ؟ لماذا توجد الجامعة وتقوم في منطقة الخليج ، أو حتى لماذا تقوم الجامعة في أي مكان ؟

محاضرة ألقيت في ٦/٥/١٩٨٤م بدعوة من وزارة الأعلام بالدوحة ـ قطر

الجامعـــة كمفهـــوم :

الجامعة مفهوك كبير شامل الصفات والجوانب .

الجامعة معهد تعليمي ، الجامعة مدرسة : لأنها ملتقى طلاب العلم من الأساتذة والطلاب . وأرجو أن تلاحظوا أنني أقول : من الأساتذة والطلاب ، لأن كلا من الأساتذة والطلاب ـ بالضرورة ـ من طلاب العلم . غير أن الجامعة ليست مجرد مدرسة أو معهد تعليمي أو علمي ، ولا مجرد ملتقى لطلاب العلم ، ولا مجرد حوزة ، لأن الجامعة أكبر من هذا كثيراً .

الجامعة مجتمع : مجتمع يضم ويتضمن كل المقومات التي تؤدي إلى قيام مجتمع ، أي مجتمع ، فالمقومات الأساسية واحدة وعامة . أما ماذا يدور في هذا المجتمع ، وماهو اتجاه الافعال والتفاعلات التي تدور في هذا المجتمع ؟ وما نوعية هذه التفاعلات ؟ وما أبعادها ؟ وما آثارها ؟ فهذا موضوع يختلف فيه مجتمع عن مجتمع وفقاً للخصوصية . وبهذا الشكل فان الجامعة ليست محددة المقاصد ، وليست موضعية الأهداف .

ومما هو جدير بالملاحظة أنني حينما أقول : ليست محددة الأهداف لا أعني بذلك أننا لا نستطيع أن نتحدث عن أهداف محددة لها ، وعندما نقول : أنها ليست موضعية المقاصد ، فلا يعني ذلك أنها بدون مقاصد مباشرة ، ولكننا نريد أن نؤكد على أن أهدافها ومقاصدها ديناميكية تتسع وتضيق ، وتتضاءل وتعظم ، وتستطيل وتقصر . هذا مفهوم يحتاج إلى تأمل ، وأرجو ألا تأخذوا هذا المفهوم ببساطة ، ذلك أن أوجه الشبه والأرضيات المشتركة قد تطغي أحياناً على رؤية الأرضيات غير المشتركة .

ولكي يكون هذا الكلام أكثر وضوحاً أضع أمامكم الحقائق الآتية :ـ

١ ـ الجامعة قبل أن تكون بنيانا هي مؤسسة تعليمية ، ومركز بحثي ، ومنارة

للاشعاع تعكس مستوى حضارياً ، وتدعو لتقدمه ، كما تدعو إلى تحرك هذا المستوى الحضاري ، بحيث يكون مستوى حضارياً لا يسكن ولا يستكين ، بل يكون دائم الحركة ، دائب الفعل ، دائم النظر إلى ما هو أفضل ، دائم المحاولة لاحتلال مواقع جديدة ، ويدل على مواقع جديدة .

وهذا الكلام مع وضوحه ليس محدداً بل عاماً ، وليس موضعيا بل شاملاً ومتغيراً ونسبياً .

٢ ـ الجامعة نظام ديناميكي متحرك ، وكل متفاعل العناصر . نظام أو منظومة SYSTEM . والنظام هنا SYSTEM أقصد به كيانا من جزئيات متفاعلة ، أو كلا من جزئيات متفاعلة .

٣ ـ الجامعة مجتمع بشري تنطبق عليه قواعد التفاعل الاجتماعي التي تحكم السلوك والعلاقات في المجتمعات .

بهذا الشكل نرى أن الجامعة ـ وان كانت مجتمعاً ـ الا أنها أيضاً جزء من مجتمعات أكبر . وهذه المجتمعات الأكبر فاعلة في بعضها البعض ومتفاعلة فيما بينها أيضاً .

ولكي تزداد الرؤ ية لمفهوم المجتمع وضوحاً دعونى أبين ما أقصده بكلمة «مجتمع» فتحديد المفاهيم قضية أساسية ، وخصوصاً بالنسبة إلى المفاهيم التي نختلف في توجهاتنا بالنسبة إليها وفي تعريفها .

فالمجتمع منظومة أيضاً SYSTEM فهو «كل» متفاعل العناصر والمكونات . المجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد . ونحن من الرأي الذي يرى أن

المجتمع هو «التفاعل» ، وهذا التجريد ؛ هذا المجرد . المجتمع هو التفاعل بين هؤلاء الأفراد . وعندما ينشط التفاعل يكون المجتمع قوياً حياً . وعندما أقول مجتمعا قوياً أقصد مجتمعا مستقراً قادراً على شيئين : البقاء والعطاء .

والمجتمع الذي يصعب عليه العطاء ـ ناهيناً بالمجتمعات التي تجد الصعاب لمجرد أن تبقى ـ هى مجتمعات ضعيفة هشة .

ومن نفس المنطلق فالمجتمع الضعيف هو : المجتمع الذي يكون التفاعل بين أفراده تفاعلاً فاتراً ، تفاعلاً يجد من نشاطه كثير من المقاومة الداخلية . توجهات متناثرة أو غير صحية ، بحيث يهبط التفاعل بسببها إلى مستوى من بطء الحركة ، أن يمتلىء التفاعل بالحرارة والحدة وشيوع التناقض .

المجتمع الجامعي بهذا المفهوم جزء من المجتمع الذي يوجد فيه ، وعندما نقول : أن مجتمع جامعة قطر ، أو جامعة قطر كمجتمع موجودة في قطر ، فان هذا يعني أنها جزء من المجتمع القطري ، وهى ـ اذن ـ بعض العناصر التي تفعل في المجتمع القطري ، والتي تنفعل بالمجتمع القطري فهي بعض مكونات المجتمع القطري وبعض مقوماته .

وعندما نقول : أن قطر جزء من المجتمع الخليجي ، وأن المجتمع الخليجي جزء من الأمة العربية ، ومن الأمة الإسلامية ، ومن المجتمع الانساني المعاصر ، ومن المجتمع الانساني على تفاوت مراحله التاريخية في الماضي والحاضر والمستقبل . عندما نقول ذلك تتضح الصورة الدائبة الحركة الديناميكية باستمرار ، ويتضح ما نحن بصدده في اطار هذا الكل المتشابك بالغ التعقيد .

والجامعة مع أنها مؤسسة تعليمية ومركز بحثي ومنارة للاشعاع الثقافي

تعكس مستوى حضارياً وتدعو لتقدمه ، الا أنها ليست موضعية الأهداف محدودة المقاصد .

وهى نظام ديناميكي متحرك ، وكل متفاعل العناصر .

وهى مجتمع بشري تنطبق عليه قواعد التفاعل الاجتماعي التي تحكم السلوك والعلاقات في المجتمعات ، بما في ذلك نوعية حركتها وتوجه هذه الحركة وسرعتها .

مهـــام التعليـــم الجامعي

وعندما نتطرق إلى خصوصية التعليم الجامعي ومهامه نجد أن من مهام التعليم الجامعي :

(أ) قيادة التغير الاجتماعي .
(ب) تخريج القوى البشرية المتخصصة .
(ج) البحث العلمي .
(د) خدمة المجتمع .

هذه المهام الأربعة للجامعة نجدها في أي كتاب عن التعليم العالي والجامعي ، فالجامعة تخرج المدرس ، وتخرج الطبيب ، وتخرج المهندس والجامعة تقوم بالبحث العلمي ، كما أنه يفترض فيها أن تؤدي خدمات للمجتمع . بمعنى أنها يمكن أن تعمل كبيت للخبرة ، ويمكن أن تقوم بدور في الأرشاد الزراعي ، وفي الأرشاد الاجتماعي إلى آخر هذه الأمور .

دور الجامعة في قيادة التغير الاجتماعي :

وبالنسبة لدور الجامعة في قيادة التغير الاجتماعي أجدني أمام أمرين تقوم بهما الجامعة في هذا المجال ، هما :

أولا : المساهمة في تنشيط وتوجيه التفاعل الاجتماعي بما يؤدي إلى قيام البنية الاجتماعية المناسبة ، والصالحة للمجتمع العصري .

نقول «تنشيط» و «توجيه» لأن التفاعل الاجتماعي حادث ، وهو سابق لوجود الجامعة وقائم سواء وجدت الجامعة أم لم توجد . ولكن عندما توجد الجامعة فالمفروض أن يكون لها دورها ، بمعنى أنه إذا كان التفاعل فاتراً فأنه ينشط وإذا كان نشطا يدفع لكى يكون أكثر نشاطاً ولكي يصبح توجهه أكثر ايجابية . ويعني هذا بالتالي أنه لابد أن تكون هناك رؤ ية لهذا الاتجاه والتوجه ، وفعل لتحويل هذه الرؤ ية إلى هدف ، وهذا هو المقصود بتوجيه التفاعل الاجتماعي . ونتساءل هنا إلى أى شىء يؤدي هذا التنشيط ، وهذا التوجيه ؟ والاجابة البسيطة هى : إلى قيام بنية وهيكل اجتماعي يصلح لقيام المجتمع العصري . والمجتمع العصري مفهوم نسبي ، فالمجتمع العصري في القرن العشرين غير المجتمع العصري في القرن الخامس عشر .

وطالما نحن على مشارف القرن الحادي والعشرين ، فعندما نتحدث عن المجتمع نتحدث عن دور الجامعة في أن توجد بنية تستطيع أن تتحمل أعباء ما تتطلبه أحداث تحديات القرن الحادي والعشرين . بمعنى أنه مالم تقم هذه البنية ، فان احتمال تحمل المجتمع لتحديات أعباء هذا العصر الوافد انما تضع المجتمع في أعظم الأزمات .

وهنا أتساءل : ما هي الأزمة ؟ الأزمة هى مقابلة العجـز ، الأزمة

وأعراضها هي الشعور بالعجز ، هى الخلط بين الممكن والمستحيل . هى الخلط بين التمنيات والأهواء والتخطيط .

ودور الجامعة في قيادة التغير الاجتماعي هو أن تكون أحد المواقع ، وأحد الأماكن التي يوجد فيها الفكر الذي يستطيع أن يخاطب ويتعرض ويناقش ويستطلع ويستشرف ما نحن بصدده . الفكر الذي يستطيع أن يجيب عن الأسئلة . الفكر الذي يستطيع أن يقترح الحلول للمشكلات المستمرة . ومعنى ذلك . أنه مالم يوجد هذا الفكر ، وما لم توجد هذه المقترحات النابعة عن دراسة ـ وفي ضوء أن المجتمعات لا تتوقف ولا تقف ـ فان أى مسئول في موقع المسئولية عندما يجابه بموقف ، فانه يعطي قراراً ، وعندما يجابه بتساؤل ، فانه يعطي إجابة ، ولكن هناك فرقاً بين الاجابة التي تستند إلى البحث والتقصي والتبين وبين الاجابة التي تعطي نتيجة انطباع عفوى سريع ، ولا تستند إلى ما يجنب مواقع الزلل .

تلك هى القضية الخاصة بالنقطة الأولى : وهى قضية هذا النوع من الفكر ، الفكر الفارق والفاعل ليميز المجتمعات التي تستطيع أن تدعي فرصاً أكبر للبقاء واللحاق والتقدم للحياة العصرية عن غيرها . وإذا كنا نكرر «الحياة العصرية» فذلك لأنني أتحدث عن مفهوم ديناميكي متحرك متغير المحتوى ، وبالتالي فان التساؤلات متجددة باستمرار ، والحاجة إلى الاجابة عنها تحتاج إلى عملية خلق مستمر ، خلق فكري مستمر ، وقت مستمر ، انفتاح مستمر ، اجتهاد مستمر . وطبيعي أنني لا أشترط أن يكون اجتهاداً صحيحاً دائماً ، فمالم أفسح المجال للاجتهاد الخاطىء ، فلن يوجد الاجتهاد الصحيح .

ثانيا : تحقيق التوازن بين البنية الاجتماعية المتحركة إلى الأمام (التعليم العالى) في مجالات التخصص المختلفة ، وبين باقي القوى البشرية .

وأهمية هذه النقطة أنه إذا انفصلت الجامعة ، أو انفصلت أي مجموعة أو مجتمع داخل المجتمع الأكبر ، بفكر متقدم مثلاً ، ولم تستطع بقية القاعدة التي هى جزء منه أن تتحرك بسرعة متناسبة ، فلابد أن تنفصل هذه المواقع المتقدمة عن بقية الجسد . وحتى لو استطاعت هذه المواقع المتقدمة أن تكون لديها كل الاجابات ـ ولن تكون لديها كل الاجابات ـ فلن تكون هذه الاجابات في خدمة القاعدة بل أن مجرد انفصالها يحيلها إلى عبء على القاعدة العريضة . عبء يستنزف هذه القاعدة ويرهقها ويعجز أن يكون عوناً لها ، أو دافعها لها إلى التقدم .

ونحن عندما نتحدث عن الحركة ـ لا نتحدث عن حركة الأفراد ، ولا حركة الأقلية ، وانما نتحدث عن حركة جسد كامل زاحف نحو التقدم ، نحو الأفضل ، نحو النصر ، والنصر لا يرتبط بالضرورة بالمعارك الحربية ، فالمعارك الحربية لا تعدو أن تكون بعض صيغ الصراع ، والنصر الذي نتحدث عنه انما هو النصر في الصراع ، سواء أكان الصراع في ميدان المعركة الحربية أم في بقية الميادين التي تتكامل ، لتجعل للنصر أو للهزيمة في المعركة الحربية معنى أو جدوى أو دلالة .

النصر الذي أتحدث عنه يشير إلى التغيير الذي سبقت الاشارة اليه . يشير إلى نوعية التغير واتجاهه ، يشير إلى قضية التحدى . والتحديات التي تحدث في التفاعلات بين العناصر المتعددة طالما أنها ليست تحديات من طرف واحد ، فان التعبير الأصح عنها هو كلمة «الصراع» . فالتحدي من طرف عندما يقابله تحد من طرف آخر ، يصبح صراعاً بين طرفين أو بين أطراف . وهو شيء

انساني عادي ولا وجه للاعتراض عليه ولا وجه للخوف والوجل منه ، ولا وجه للهرب من أمامه ، ولا معالجته بالشكوى والضيق .

. الصراع قضية انسانية بدأت ببداية الحياة ، وهو مستمر مع الحياة . والقضية هى كيفية التعامل معه لتغليب أحد الأطراف على الأطراف الأخرى وهو ما يسمى بالنصر مع تعدد صيغة ومجالاته وما يترتب عليه . والنصر مفهوم ديناميكي يمثل تحقيق غلبة الارادة واحراز تغير مخطط له بوعي وتحديد وفكر واضح ورؤ ية شاملة نافذة .

وعندما أقول أن هذه بعض مسئوليات الجامعة باعتبارها تمثل الموقع الفكري المتقدم ، والقيادة التي تستطيع أن تتأنى لتقدم هذه المعطيات ، فان هذه المعطيات لا يمكن أن تتم إذا كانت الجامعة برجا عاجيا ، وانما هى ـ بالضرورة ـ عملية مرتبطة بتحقيق التوازن بين الكليات بعضها مع بعض . وهذا هو المدخل لكسب أى صراع . وعندما أقول كسب أى صراع ، فأنني لا أقصد ـ بالضرورة ـ محق القوى المجابهة ، ولكن أقصد أن يكون التعامل مع الصراع هو الوصول إلى صيغة نستطيع عن طريقها الاستفادة من هذه القوى التي لاح لوهلة أولى أنها قوى مدمرة . هذه القوى المدمرة ـ إذا استطعنا بصيغة إيجابية أن نحصل على العناصر الايجابية فيها ، واستطعنا أن نجعلها متفاعلة بما لدينا من عطاء حضاري ـ فربما تكون نتيجة الصراع الوصول إلى مستوى متطور من أصالتنا نحن .

هذه المعاني هى ما لخصناه في أن مهمة التعليم الجامعي في قيادة التغير الاجتماعي تقوم على عنصري تنشيط وتوجيه التفاعل الاجتماعي ، وتحقيق التوازن بين البنية الاجتماعية والمتحركة إلى الأمام والقيادات في مجالات التخصص .

دور الجامعة في تخريج القوى البشرية المتخصصة :

أما دور الجامعات في تخريج القوى البشرية فسوف أتحدث عنه بعد قليل ، لأنه أسهل القضايا ، إذ أن عملية حسابات المرحلة الحضارية التي تمر بها منطقة الخليج ، ومقومات هذه المرحلة واحتياجاتها من الأطباء ، ومن المهندسين ، ومن الاذاعيين ، ومن الاعلاميين ، ثم تخطيط أقسام وبرامج الجامعة لتحقيق هذه التخصصات ، ليست أعقد قضايا الحديث في هذا الموضوع ، بل ربما كانت أوضحها : أوضحها لأننا عندما نقول : أن خطة وزارة الاعلام في دولة قطر خلال السنوات الخمس المقبلة تحتاج إلى كذا مهندساً ، وكذا اعلامياً ، وكذا فنياً ، وكذا . . وكذا . . فان عملية التعامل كما وكيفا مع هذه المتطلبات تصبح واضحة .

دور الجامعة في البحث العلمي :

وبالنسبة لدور الجامعة في البحث العلمي ، فان البحث العلمي لابد أن يكون مرتبطاً بصيغة المجتمع ، وبظروفه وبمرحلته الحضارية . وهذه قضية يسهل فيها الوقوع في الزلل . لأننا في كثير من الأحايين عندما نتحدث عن البحث العلمي نتصور أن العلم لا وطن له ، وهذا ليس صحيحاً بالضرورة . ولعلكم تلاحظون أنني أقول : ليس صحيحاً بالضرورة ، لأنه قد يكون صحيحاً أحياناً . فعندما أقول : أن العلم لا وطن له ، وآخذ هذه العبارة بتعميم فاسد يمكن أن تؤدي إلى أن أنشغل بالبحث في قضايا ليست متوائمة بالنسبة إلى احتياجات مجتمع ما . فاحتياجات مجتمع ما ، وظروف مجتمع ما انما تملي أولويات معينة بالنسبة للبحث العلمي . والبحث العلمي الذي أتحدث عنه لا يفرق بين الأبحاث الأساسية والأبحاث التطبيقية ، لأننا نحتاج

إلى كل منهما . نحن لا نستطيع أن نتحرك دون أبحاث أساسية . ولا نستطيع أن نتحرك بداهة دون بحث حول التطبيق وفي مجالات التطبيق ، ولكن القضية : ما هى أولويات هذه الأبحاث الأساسية ؟ وماهى أوليات هذه الأبحاث التطبيقية ؟ ما هو الممكن ؟ وما هو المستحيل ؟ والممكن والمستحيل أيضاً مصطلحان ديناميكيان متحركان ، فما هو ممكن الآن قد يكون ضئيلاً للغاية غدا ، وما هو مستحيل الآن عما يتسع الاطار الذي نتحرك فيه قد يكون ممكنا غدا أيضاً ، ومع ذلك فمازالت هناك حدود لما نستطيعه وما لا نستطيعه .

البحث العلمي لابد أن يكون متوائما . أعني أن يكون مرتبطاً بتطور حركة المجتمع ، وبما يريده هذا المجتمع ، وبما يستطيعه هذا المجتمع .

الجامعة الحقيقية والجامعة الشكل :

وهذه الأمور الأربعة : البحث العلمي ، وخدمة المجتمع ، وتخريج القوى البشرية ، وقيادة التغير الاجتماعي ، هى العناصر التي تميز بين الجامعة الحقيقية ، والجامعة الشكل . وهنا في الخليج وفي كل مكان على الساحة العربية نحن في أشد الحاجة إلى الجامعة الحقيقية التي تؤدي وظائفها وتحقق الآمال فيها . وفي أشد الحاجة إلى التمييز بين الجامعة الحقيقية والجامعة الشكلية ضئيلة أو عديمة الجدوى . والجامعة حقيقية أو شكلية هى ملتقى من الأساتذة والطلاب يتحدثون ، ويتحاورون ، ويقرءون ، ويكتبون . ولذلك يجب أن تكون القضايا المميزه الفارقة مطروحة مثل : ما الذي يفعلونه بالنسبة للتغير الاجتماعي ؟ ما الذي يفعلونه بالنسبة لبحث علمي ذي بال ؟ ما الذي يفعلونه بالنسبة لدفع حركة الهيكل الاجتماعي بصيغة معينة ؟ فما لم تكن هذه

القضايا كلها مطروحة ، وما لم يكن هناك حديث وافر عنها ، فهذه جامعة شكل . شكل الجامعة : مبان ، صرح عال ، قد يكون هذا كله ، ولكن المضمون هو الذي يميز جامعة عن جامعة ويصنفها تحت أى النوعين .

والآن نجد السؤال الذي يطرح نفسه :

لماذا يتحتم انشاء جامعة أو جامعات في منطقة الخليج ؟

ويثور في النفس التساؤل الآتي : ألا تقوم المجتمعات بدون جامعات حتى في ضوء هذا الذي تحدثنا عنه ؟ والجواب : بلى تقوم مجتمعات بدون جامعات ، بل أن الجامعات الرديئة ـ كما لاحظتم ـ قد تكون عبئاً على المجتمع . وبمعنى أنها قد تستنزفه وترهقه ، وبمعنى أنها قد تستنزف موارد ثمينة دون أن تؤدي إلى عطاء ، أو قد تؤدي إلى عطاء يرهق كاهل المجتمع بعمالة غير منتجة ، بعمالة لا تؤدي وظيفة ، ولكن قد تستنزف المزيد من الموارد .

ما يميز أي شيء من ناحية حقيقيته هو ضروريته . وضرورية الشيء هى : أن يقوم بوظيفة لا تتحقق بدونه ، أولا تتحقق بدونه بنفس الكفاءة . فاذا كانت هناك وظيفة لا تتحقق بدون الجامعة ، أو لا تتحقق بدون الجامعة بالكفاءة نفسها . اذن فالجامعة ضرورية ، ومالم يكن هناك هذا المعيار فالجامعة ليست ضرورية . وإذا كانت الجامعة ضرورة وضروية ، فهى ضرورة وضرورية طالما أنها تؤدي هذه الوظائف . وعندما لا تؤديها بدرجة كافية تكون غير متوائمة وتكون عبئاً . وهذه هى الاجابة المنهجية على السؤال المطروح . أن الجامعة ضرورية في منطقة الخليج إذا قامت قادرة على تأدية وظائفها ومهامها . وهى ضرورية لأنها لابد أن تقوم إذا كان لهذه المجتمعات أن تمارس حياة ناهضة عصرية أصيلة .

نشـــأة الجامعـــات بالخليـــج :

ومن الطبيعي في مناقشة نشأة الجامعات الخليجية أن يتضمن ذلك هل نشأت الجامعات في الخليج باعتبارها ضرورة بالتفسير الذي عرضناه أو نشأت لاعتبارات أخرى ؟ لقد بدأت الجامعات في السعودية بجامعة الملك سعود ، فهى أقدمها ، ولقد احتفلنا في العام الماضي بمرور ربع قرن على انشائها . والجامعة التي تلت الجامعات السعودية تاريخياً هى جامعة الكويت ثم جامعة قطر ، ثم جامعة الامارات ، ثم الكلية الجامعية في البحرين . ونحن على وشك مشاهدة بزوغ جامعة جديدة في سلطنة عمان : هى جامعة السلطان قابوس . أضف إلى ذلك جامعة الخليج ، وهى الجامعة الاقليمية في الخليج . أما الجامعات العراقية ، فهى تمثل نظاماً خاصاً له تدرجه التاريخي الحضاري المتميز ويستحق أن يكون له حديث منفرد .

والتعليم الجامعي في الخليج ليس ظاهرة منقطعة عن التعليم الجامعي في الوطن العربي وفي مصر بالذات ، بل أن الحديث عن الثقافة والتعليم في أي بلد عربي يستحيل دون أرضية عن الوطن العربي كله ، وجامعة القاهرة الأم والجامعات المصرية مازالت تمثل الرصيد البشري الضخم للجامعات العربية التي أنشئت بعد ذلك من المحيط إلى الخليج . ويبدأ تاريخ جامعة القاهرة قبل سنة ١٩٠٨ بكثير ، بالرغم من أن جامعة القاهرة قد احتفلت هذا العام بمرور خمسة وسبعين عاماً على انشائها ، ولكن جامعة القاهرة في حقيقتها بدأت بمجموعة من الكليات : كلية الطب ، أومدرسة الطب ، ومدرسة المهندسخانة ، ومدرسة الألسن ، مع بدايات القرن التاسع عشر .

وقد درجنا على أن نقول أن جامعة القاهرة هى أولى الجامعات في الشرق العربي وأحياناً نقول أنها أول الجامعات الحديثة حتى لقد أصبح هذا التعبير اسما

أكثر منه صفة ، ولكن الحياة الثقافية والحضارة الاسلامية أفرزت الجامعات في المنطقة العربية الاسلامية قبل ذلك بكثير .

فمفهوم ملتقى ، أو مجتمع ، من طلاب العلم والباحثين مفهوم قديم ، مفهوم مجموعة من الناس تتجرد للفكر ، وتعطي ثمار فكرها للناس مفهوم قديم ، مفهوم مجموعة تعطي عمرها كله للبحث في دقائق الأمور وتجد اللذة والمجد والفوز في هذا النوع من الحياة الداخلية الجوانية مفهوم قديم . والفكر الانساني مترابط ومتشابك والجامعات كلها تاريخيا وفكرياً تقليد انساني تدرج في صيغ وصور متعددة .

وفي مناخ الحضارة الاسلامية قامت الجامعات ، قامت بصورة طبيعية وتدرج منطقي ، وقامت بمعنى أقرب ما يكون إلى المفهوم الحديث ، وانتشرت وسادت وتقدمت كأى مجتمع طبيعي مستقر . وهنا يفيدني جداً استخدام تعبير «مجتمع» بالنسبة للجامعة . وكأي مجتمع فهى قابلة للقوة والضعف قابلة للقيام والزوال قابلة للشحوب ، وقابلة لأن تصير شكلاً ، وقابلة لأن تنشط أو تنشط وتعود اليها الحياة ، وهذا ما حدث فعلاً للجامعات الاسلامية في المشرق والمغرب . أما ما الذي فعلته هذه الجامعات في الحضارة الانسانية فهذا حديث يطول وهو معروف على أية حال .

ما يعنينا الآن أنه في غيبة جامعة الفكر المتقدم لا يستطيع المجتمع الوفاء باحتياجاته وأن يظل صحيحاً قادراً على الحركة والبقاء والتقدم . فهو مجتمع لا يستطيع أن يتحمل مفاجآت الحضارة الحديثة التي توقفنا عن المشاركة فيها ، وتوقفنا عن بناء البنية القادرة على تحمل أعبائها ، وتوقفنا عن بناء نوعية الفرد ، ونوعية النظام الذي يستطيع أن يفوز في صراع مع القوى الأخرى .

ولا أقول أن هذا كله مسئولية الجامعات وحدها ولكني أركز على دور الجامعات لأن هذا موضوع الحديث في هذا المقام .

وهكذا لم تستطع جامعة الأزهر - ولنأخذها مثلاً باعتبارها أعرق وأبرز الجامعات التي كانت قائمة فيها قبل القرن العشرين - أن تقوم بالوفاء باحتياجات المجتمع عندما فوجيء بالحاجة إلى التعامل مع عنصر أسرع في حركته عما نستطيع التعامل معه .

وعندما أقرأ العبارة التالية في عمق وتأمل : «ومن عجيب أمر الفرنجة أنهم كانوا إذا قالوا لجنودهم : (مارشMarch) فانهم يمشون » أجدها عبارة بالغة الدلالة ، عظيمة الأهمية ، تختصر في هذه الكلمة القليلة مفهوم التحدي ، ومفهوم الصراع الذي لابد أننا تعرضنا له مع بداية القرن التاسع عشر . فقد رأى صاحب الملاحظة أن هذا الموقف ملفت للنظر وجدير بالتأمل . وجدير بالتأمل العميق أيضاً أن صاحب العبارة لم يذكر أننا أيضاً نصطف في عجلة عندما يؤذن المؤذن ، ونستطيع - ولو كنا بالألوف - أن نسجد وأن نركع وأن نقوم بكلمة من الأمام .

ونتيجة للصدمة الحضارية التي تعرضنا لها بلقائنا مع جحافل الغرب تبيناً أن الأمر مثلاً يحتاج إلى جيش حديث ، والجيش الحديث ليس محاربين فقط ، وانما يحتاج الأمر إلى أطباء ، وإلى مهندسين ، وإلى معلمين من حضارة أخرى لا نفهم ما يقولون . اذن يحتاج الأمر إلى مترجمين ، فنشأت مدرسة (المهندسخانة) ، ومدرسة الطب ، ومدرسة الألسن وتطورت الأمور عندما بدأنا نستوعب ، فبدأنا نكتب باللغة العربية* .

* تضم مكتبة جامعة قطر كتابا باللغة العربية ، ألفه أستاذ مصري في مدرسة المهندسخانة العليا بالقاهرة عن هندسة الطرق مطبوع في بداية القرن التاسع عشر ، وهو موجود ويمكن الاطلاع عليه .

لقد استطعنا استقدام الأساتذة ، كما استطعنا إيجاد البناء وتجهيزه وبقيت مشكلة الطلاب . وهى ليست مشكلة نوعية بقدر ما كانت مشكلة حضارة مجتمع . وأصبح من الضروري ـ وربما هذه حالة نادرة في التاريخ ـ أن نلجأ إلى تجهيز الطلاب فأنشئت مرحلة تعليمية تسبق هذا التعليم العالي عرفت باسم «المرحلة التجهيزية» ولكن التلاميذ المتاحين لهذه المرحلة لم تكن لديهم المتطلبات الكافية للنجاح في هذه المرحلة ، فاحتاج الأمر أن ننشىء مرحلة تسبق ذلك اسمها «المرحلة التحضيرية» نحضر التلاميذ ، ثم نجهزهم ، ثم نقدمهم لهذا التعليم ، وبالتالي نشأ سلم تعليمي كامل يقال له التعليم الحديث . وأنا هنا أتحفظ على كلمة : «تعليم حديث» لأنه ـ وان كان متوائماً مع صيغ التعليم المنقول من الغرب ـ بما في ذلك نظم المأكل والملبس والسلوك ـ في اشارة واضحة إلى علاقته بحضارة أجنبية وتميز واضح لعلاقته بحضارته الأصيلة ـ الا أنه فقد أعظم عناصره التي تستطيع أن تعطيه مضموناً حقيقياً يبرر وجوده ويضمن استمراره ونموه ، وتعطي اشباعاً لهذا المفهوم الذي تحدثنا عنه ، مفهوم الضرورة من ناحية الفعل ، لأنه فقد مفهوم المواءمة ، مع الحضارة والثقافة الأصلية . ارتبط هذا التعليم بمحاولة غرس اطار حضاري يتعارض أحياناً ، ويختلف في أغلب الأحايين عن القاعدة التي كان من المفروض أن يقوم عليها . وبالتالي بدأ التناقض والصراع الداخلي الذي يؤدي إلى مزيد من المقاومة الداخلية ، يؤدي إلى تقليل القدرة على العطاء الحضاري الذي نلمس آثارة بكل وضوح في الوقت الحاضر ، وخصوصاً عندما اتسعت قاعدة التغريب وانتشار التعليم فشملت العالم العربي والكثير من المجتمعات الاسلامية . وكان التأثير الفرنسي واضحاً في شمال افريقيا وفي سوريا ولبنان ، وكان التأثير الانجليزي واضحاً في مناطق أخرى . وترتب على ذلك

مراحل طويلة من الصراع السياسي ، والتغيرات الاقتصادية ، والمجتمعية التي ما زالت في حركتها وفعلها حتى الآن .

نشأة التعليم الجامعي بمنطقة الخليج وعلاقته ببعض المتغيرات :

حينما انتقلنا إلى مشارف العقد الخمسين ـ قبلها أو بعدها حسب الموقع ـ بدأت منطقة الخليج تتأثر بوضوح ببعض الأحداث والمتغيرات التي كان لها أثرها في نشأة التعليم الجامعي ، ومن أهمها :

١ ـ مرحلة الاستقلال السياسي :

اتسمت الخمسينات بأنها المرحلة التي حصل فيها عدد كبير من الدول على استقلاله السياسي . ولم يكن هذا من قبيل الصدفة ، فلقد توازنت قوتان عظميان : الكتلة الشرقية ، والكتلة الغربية بما تركا من منطقة تعادل ، وعندما تعطل وتحيد احدى القوتين قوى القوة الأخرى في منطقة التعادل ـ يصبح من الممكن سياسياً وقانونياً ـ ولندع قضية : «حضارياً» مؤقتاً ـ أن تحصل هذه الدول على استقلالها السياسي ، وأن تنتمي للأمم المتحدة . هذا ما حدث ، فقد اتسمت فترة الخمسينات بظاهرة ضخمة من الاستقلال السياسي وحروب التحرير والانتصار فيها . وتغيرات كبيرة في العلاقات الدولية بين الدول الصغرى وبعضها ، وبينها وبين الدول الكبرى ، كما تغيرت صيغ هذه العلاقات واتخذت مسارات غير تقليدية .

٢ ـ التغيـــرات الاقتصـــادية :

واتسمت هذه الفترة الزمنية بالنسبة لدول الخليج بالذات بتغيرات اقتصادية فذة ذات ملامح خاصة تمثل صيغة تاريخية غير عادية ، باكتشافاتها

البترولية الهامة التي تمثل قيمة استراتيجية كما تمثل دخولاً وعوائد مالية لم يسبق لها مثيل . وهذا الذي حدث ليس له مثيل في مناطق العالم الأخرى بهذا النمط أو الاتساع .

٣ ـ رصيد الخبراء والأساتذة على مستوى الأمة العربية :

وبالاضافة إلى كل ما سبق ، ونتيجة لاعتبارات كثيرة لا مثيل لها في مناطق العالم الأخرى ، ولأسباب تاريخية ودينية وحضارية وثقافية ـ أمكن ظهور وفرة من الخبراء ، والأساتذة على مستوى الأمة العربية ـ ومن مصر بالذات ـ يستطيعون أن يقيموا التعليم ، والتعليم الجامعي بأنواعه المختلفة في العراق ، وفي سورية ، وفي منطقة الخليج كلها بدءا بجامعة الملك سعود وما تلا ذلك .

هذه التفاعلات جميعها أدت إلى بروز الحاجة الملحة للجامعات . وبروز هذه الحاجة بوضوح ، ولهذا وجدنا أنفسنا مجابهة مع النقطة الأولى ، وهى :

أن الجامعات بمنطقة الخليج ، تنشأ لحاجة حقيقية بعد أن تهيأت معظم الظروف والمقومات التي أدت إلى ذلك . وليس مجرد استكمالاً للشكل .

ارتبطت نشأة التعليم الجامعي في الخليج بالعناصر التي أسلفنا ذكرها وهي : ـ

أ ـ مرحلة الاستقلال السياسي .

ب ـ التغيرات الاقتصادية وما صاحبها وارتبط بها .

ج ـ رصيد الخبراء والأساتذة على مستوى الأمة العربية .

وفي ضوء ملابسات قيام الجامعات وأسباب قيامها وما علق عليها من آمال يثار دائمًا التساؤل عما قدمت الجامعة وعما حققت ، وهل أجابت عن هذه الحاجات الحقيقية التي قامت من أجلها ؟ وبعض السائلين تصدر تساؤلاتهم عن رغبة حقيقية في المتابعة والتقييم والبعض الآخر يسأل من قبيل التشكيك وتصدر تساؤلاته عن يأس - من كل شيء - يريد تعميمه وضعف في الثقة بالنفس لا يريد التغلب عليه استمراء للتقاعس الذي ينبغي أن ننتبه إليه . أن هذا السؤال غير مصاغ بصورة سليمة . فالجامعات ما زالت قائمة فاعلة تحقق وتقصر معا ، تخطىء وتصيب ، مازال دورها في الصراع مستمراً والستار لم يسدل بعد . والصراع ليس موقفاً ولكنه سلسلة من الأحداث والمواقع والمواقف تستغرق الزمن العريض - ماض وحاضر ومستقبل - . وإلى أن تطوى الصفحة وهى لا تطوى في مثل هذه المجالات فالاجابة لا يمكن أن تكون بنعم أو لا . ولذلك فاني أقول : أن الاجابة عن السؤال ليست بحدث أو لم يحدث ، ولكن بما هو قدر الطاقة والوعي الذي ينبغي أن نضعها فيه لكى يحدث ، سواء أحدث بدرجة كافية فيما مضى ، أم يحتاج إلى أن يحدث في المستقبل . السؤال والأجابة توجيه للعاملين في حقل الجامعات للتأمل والبحث والتخطيط والتنفيذ بحيث تزيد كفاءة العمل الجامعي بقدر ما تستطيع وتتجنب مواقع الزلل والأخطاء والقصور وتتخطاها في جهد له صفة الدأب والاستمرار .

وبالنسبة لمنطقة الخليج وللاعتبارات الاقتصادية النادرة التي تحدثت عنها سابقاً . أعني «البترول» قامت برامج التنمية الشاهقة التي نعرفها والتي إتسمت بتسارع خاص ، وخصوصاً في مرحلة السبعينات ، وأدى ذلك إلى أن كل من الدولة والمجتمع بدأ ينظر إلى الجامعة ، وإلى غير الجامعة أيضاً عندما لم

تستطع الجامعة الوفاء بما هو مطلوب . فخطة التنمية وهى تريد قوى بشرية ، كما تريد خبرة معينة ، ما هو موجود قدمته الجامعة بقدر ما تستطيع ، وما لم تستطع قدمته مصادر أخرى . وهكذا عملت الدولة على أن تسد احتياجاتها من القوى البشرية عن طريق العمالة الوافدة بالاضافة إلى التعليم والتدريب .

تطـور الجامعات في منطقة الخليـج :

تطورت الدول الخليجية كما تطورت الجامعات في منطقة الخليج ، وأصبح الموقف بالنسبة لها وفقاً للاحصاءات في ١٩٨٠[1] :

السعـودية : قـدر عدد سكـان السعودية بحـوالي ٨ر١٠٠٠ر٠٠٠ في سنة ١٩٨٠م ، والمتوقع أن يصلوا إلى حوالي ١٤ر٣٠٠ر٠٠٠ سنة ٢٠٠٠ .

قطــر : قدر تعدادها حالياً بحوالي (١/٤) ربع المليون ، ومن المتوقع أن يصل إلى (١/٢) نصف المليون سنة ٢٠٠٠ بما في ذلك الوافدون .

عمـــان : قدر تعدادها بنحو ٥٨٠ر٠٠٠ (وهناك تقدير آخر بحوالي مليون ونصف) وقد تصل إلى ١ر٠٤٧ر٠٠٠ سنة ٢٠٠٠ (وهناك تقدير آخر بحوالي مليونين) .

الكويـت : قدر تعدادها بنحو ١ر١٤٠ر٠٠٠ وقد تصل سنة ٢٠٠٠ إلى حوالي المليونين .

---

(١) حسن الخياط ، الرصيد السكاني لدول الخليج العربية ، مركز البحوث والوثائق ، جامعة قطر ، ١٩٨٢م .

العــراق : قدر تعدادها بحوالي ١٣٫٠٠٠٫٠٠٠ وقد تصل سنة ٢٠٠٠ إلى حوالي ٢٤٫٢٢٥٫٠٠٠ .

البحـــرين : قدر تعدادها بنحو ٣٨٠٫٠٠٠ ، وقد تصل سنة ٢٠٠٠ إلى أكثر من ١/٢ نصف المليون .

الامـــارات : قدر تعدادها بحوالي ٨٠٠٫٠٠٠ وقد تصل إلى أكثر من ١٫٣٨٠٫٠٠٠ سنة ٢٠٠٠ .

هذا عن تعداد الســكان .

والجدول رقم (١) يبين عدد الجامعات بدول الخليج ، وعدد الطلاب بكل جامعة ذكوراً واناثاً .

******

جدول رقم (١)

بيان عدد الجامعات بدول الخليج ، وعدد الطلاب بكل جامعة موزعين حسب الجنس*

الدولة	عدد الجامعات	عدد الطلبة		
		ذكور	اناث	المجموع
السعودية	٨	٤٣٧٠٣	١٩٨٦٠	٦٣٥٦٣
الكويت	١	٦٦٣٢	٧٨٢٢	١٤٤٥٤
قطر	١	١٥٨٢	٢٤٨٣	٤٠٦٥
الامارات	١	٢٥٧٦	٢٤٧٢	٥٠٤٨
البحرين	٢	الكلية الجامعية كلية الخليج للتكنولوجيا		١٠٦٣ ٢٢٠٠
العراق	٦	٥٧١٩٠	٢٥٥٨٦	٨٢٧٧٦

* مكتب التربية العربي لدول الخليج ، دليل التعليم الجامعي في دول الخليج العربية ، الرياض ، ١٩٨٣م .

هذه الأرقام برغم كونها لا تمثل الواقع اليوم ـ بناء على كون الاحصاءات المنشورة متخلفة عن الحاضر بعض الشيء ـ الا أنها مهمة ، لأنها تعطي معنى ودلالة ، ولو لم نتحدث عن الكيف في هذه الأرقام .

وهؤلاء الطلاب يمثلون جميع الطلاب الموجودين فعلاً في الجامعات في وقت الاحصاء ، وهم حوالي ٦٣٫٠٠٠ طالباً وطالبة في السعودية ، وجامعة الكويت بها ١٤٫٠٠٠ طالباً وطالبة ، وجامعة قطر فيها ٤٠٦٥ طالباً وطالبة . وفي أول العام كانوا ٤٢٠٠ طالباً وطالبة ، ولاعتبارات معينة أصبحوا ٤٠٦٥ طالباً وطالبة بالاضافة إلى حوالي ٣٥٠ طالب وطالبة بالدراسات العليا سأتحدث عنهم بعد قليل .

والامارات فيها حوالي ٥٠٠٠ طالباً وطالبة ، والبحرين تضم حوالي ٣٢٠٠ طالب وطالبة ، باعتبار أن كليات البحرين تدخل في نطاق كونها الجامعة ، وهى على وشك ضم مجموعة الكليات فيها : الكلية الجامعية ، وكلية الخليج إلى عدد آخر لتكون جامعة البحرين . والعراق فيها حوالي ٨٣٫٠٠٠ طالب وطالبة .

الجامعــات السعودية .

وتشمل الجامعات بالمملكة العربية السعودية : الجامعة الأم : جامعة الملك سعود ، والجامعة الاسلامية ، وجامعة البترول والمعادن ، وجامعة الملك عبد العزيز ، وجامعة الامام محمد ، وجامعة الملك فيصل ، وجـامعة أم القرى ، ووكالة رئاسة البنات ، وهى النظام الجامعي للبنات في الجامعات السعودية .

وأما بيانات عدد الطلاب بها ذكـوراً واناثـاً على مسـتوى مرحلتى

* تضم جامعة قطر الآن ٤٦٥٨ طالباً وطالبه .

جدول رقم (٢)

بيان بعدد الطلاب بمرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا بجامعات المملكة العربية السعودية موزعين حسب الجنس*

الجامعات	مرحلة البكالوريوس			مرحلة الدراسات العليا		
	ذكور	إناث	مجموع	ذكور	إناث	مجموع
جامعة الملك سعود	١٠٩١٧	٢٨٧٧	١٣٧٩٤	٢٠٨	٤٠	٢٤٨
الجامعة الإسلامية	٢٥٥٨	–	٢٥٥٨	١٨١	–	١٨١
جامعة البترول والمعادن	٣٠٥٤	–	٣٠٥٤	١٣٤	–	١٣٤
جامعة الملك عبد العزيز	١٤٥٦٠	٦٥٤١	٢١١٠١	٧٤٨	٢٠٤	٩٥٢
جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية	٤١٠٧	٧٦٢	٤٨٦٩	١٠٠١	–	١٠٠١
جامعة الملك فيصل	١٠٩٦	٣٣٤	١٤٣٠	–	–	–
جامعة أم القرى	٤٠٨٢	٢٨٨٩	٦٩٧١	–	–	–
وكالة الرئاسة العامة لكليات البنات	–	٦٨٢٤	٦٨٢٤	–	٢٢٨	٢٢٨

* المملكة العربية السعودية ـ مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوي ـ قسم الاحصاء ، احصاءات التعليم في المملكة العربية السعودية ، العدد ١٥ ، ١٩٨١/١٩٨٢م .

البكالوريوس ، والدراسات العليا ، فيوضحها الجدول رقم (٢) .

وعندما ننظر إلى تجربة الجامعات السعودية نجد بوضوح محاولة للتعامل مع احتياجات المجتمع السعودي : ما بين الاحتياجات المرتبطة ببعد التغير الاجتماعي ، والاحتياجات المرتبطة بالقوى البشرية والقوى العاملة ، ولذلك نجد أن جامعة البترول والمعادن ليست بجامعة نمطية ، ومن الواضح توجهها التكنولوجي ومحاولتها التعامل مع دولة بترولية تعتمد اقتصادياً ـ وفيما يرتبط بهذا العنصر الاقتصادي من تطور اجتماعي ـ على قوى بشرية من نوع معين .

وجامعة الملك فيصل ـ وهى جامعة غير نمطية أيضاً ـ توجهها بالدرجة الأولى نحو تخريج قوى بشرية تشعر المملكة أنها في حاجة اليها ، ففيها كلية الزراعة ، وفيها كلية الطب ، وفيها تأكيد على الكليات العملية .

وجامعة الامام محمد . وجامعة المدينة المنورة جامعتان ربطتا بين استشعار موقف وموقع المملكة ومسئولياتها من الناحية العقائدية الاسلامية وعلاقتها بالدول الاسلامية في الخارج ، فهما يتميزان بهذا الجانب .

أما الجامعات الأخرى ، فهى أقرب ما تكون إلى الجامعة النمطية .

وإذا تناولت الجامعات السعودية بشيء أكثر من التفصيل ، فتحدثت عن أعداد الذكور والاناث وفقاً للجنسية السعودية وغير السعودية ، ثم تحدثت عن الهيئات التدريسية ، فأرجو أن نتنبه إلى الفرق بين جامعة الملك سعود وجامعة أخرى في نسبة أعضاء هيئة التدريس من المواطنين ، وأعضاء هيئة التدريس من غير المواطنين .

والجدول رقم (٣) يبين الكليات والطلبة وأعضاء هيئة التدريس بمختلف الجامعات بالمملكة العربية السعودية .

جـدول رقم (٣)

بيان بعدد الطلبة وأعضاء هيئة التدريس بجامعات المملكة العربية السعودية موزعين حسب الجنسية والجنس*

الجهة	الجامعات	الجنس	الكليات	الطلبة: سعودي	الطلبة: غير سعودي	الطلبة: جملة	الهيئة التدريسة: سعودي	الهيئة التدريسة: غير سعودي	الهيئة التدريسة: جملة
وزارة التعليم العالي	جامعة الملك «الرياض سابقاً»	ذكور	١٥	١١٣٩٠	٢٣٣٠	١٣٧٢٠	٤٩٧	١٠١٩	١٥١٦
		اناث	—	٢٨٧٩	٥٣٥	٣٤١٤	٨١	١٨٨	٢٦٩
	جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض	ذكور	١٢	٤٧٩٨	١٢٨٨	٦٠٨٦	٣٨٦	٣٧٢	٧٥٨
		اناث	—	٨٩١	١٦٦	١٠٥٧	—	٢	٢
	جامعة الملك عبد العزيز بجده	ذكور	٩	٩٦٩٤	٣٢٦٣	١٢٩٥٧	٣٤٠	٦٥٣	٩٩٣
		اناث	—	٣٩١٠	١١٦١	٥٠٧١	١١٨	١٤٦	٢٦٤
	جامعة الملك فيصل بالدمام	ذكور	٥	١٠٤٧	٢٢١	١٢٦٨	١٨٧	٢٨٦	٤٧٣
		اناث	—	٤٨٣	٦٣	٥٤٦	١٥	٥٦	٧١
	جامعة البترول والمعادن بالظهران	ذكور	٧	٢١٤٤	٦٩٧	٢٨٤١	٢٣٣	٣٦١	٥٩٤
		اناث	—	—	—	—	—	—	—
	الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة	ذكور	٦	٣٦٤	٢٩٠٧	٣٢٧١	١٥١	٢٢٨	٣٧٩
	جامعة ام القرى بمكة المكرمة	ذكور	٧	٢٠٧٥	١٤٨٥	٣٥٦٠	٣٣٢	٢٩٥	٦٢٧
		اناث	—	٢١٠٥	٦١٣	٢٧١٨	٩٩	٥٩	١٥٨
وكالةرئاسة كليات البنات		ذكور	—	—	—	—	—	٣٣	٣٣
		اناث	١٠	٦٠٥٣	١٠٠١	٧٠٥٤	٢٥٥	٥١٤	٧٦٩
المجموع العام		جملة	٧١	٤٧٨٣٣	١٥٧٣٠	٦٣٥٦٣	٢٦٩٤	٤٢١٢	٦٩٠٦
		ذكور	٦١	٣١٥١٢	١٢١٩١	٤٣٧٠٣	٢١٢٦	٣٢٤٧	٥٣٧٣
		اناث	١٠	١٦٣٢١	٣٥٣٩	١٩٨٦٠	٥٦٨	٩٦٥	١٥٣٣

* المملكة العربية السعودية ـ مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوي ـ قسم الاحصاء ، احصاءات التعليم في المملكة العربية السعودية ، العدد ١٥ ، ١٩٨١/١٩٨٢م .

وأما جامعة الكويت فنجد أنها قد أخذت توجها خاصاً بظروف الكويت باعتباره مجتمعاً يتسم بسمات خاصة في منطقة الخليج ، الا أن هذا التوجه يغلب عليه الطابع الذي يحاول أن يربط قضية التعليم الجامعي بالمعنى الليبرالى المعروف بالتزام الدولة بعمالة الخريجين ، وربما كانت هذه أحدى المشكلات التي لا مناص من أن نتحدث عنها حينما نتحدث عن جامعة قطر .

وبالنسبة للبحرين فان التوجه لقيام تعليم جامعي يهدف إلى أعداد قوى بشرية قضية بالغة الوضوح . وحتى هذه اللحظة لم تعلن البحرين عن قيام جامعتها ، وربما للدلالة على أهمية تخريج قوى بشرية تقنية . فكلية الخليج للتكنولوجيا توجهها نحو تخريج التكنولوجيين معروف ، وكذا كلية الفندقة ، والكلية الجامعية . فهذه كلها نشأت بداءة لتخريج قوى عاملة ، وهى الآن تستكمل عناصرها لاستكمال الأبعاد الحضارية ، ولم يعد هناك مجال الآن لأى جدل حول الدور الحضاري الذي لا يمكن أغفاله بالنسبة للجامعة ، سواء وجهنا الجامعة لهدف نريده ، أم لهدف تقوم هى بتحقيقه .

وجامعة قطر تستحق أن أتكلم عنها بوفاء أكثر ، وقد يكون من المفيد أن أشير إلى أنه في سنة ١٩٧٣م عندما قامت جامعة قطر بدأت ـ بعكس الكثير من جامعات العالم ـ بكلية التربية ، فغالبية الجامعات التقليدية المسماه بالحديثة قامت بها كليات التربية متأخرة ، ولكننا هنا بدأنا بكلية التربية ، لأن التحسس الذي كان موجوداً عندما بدأت جامعة قطر هو أن وزارة التربية والتعليم تحتاج إلى مدرسين قطريين . وشعور المجتمع القطري باحتياجه إلى الجامعة بدأ في نهاية الستينات . وقد جاءت مجموعة من اللجان والوفود لبحث هذا الموضوع ، وكان الرأى المطروح وقتذاك هو

انشاء كلية تكون مدة الدراسة بها سنتين ، لتخريج موظفين ، وتخريج فنيين في بعض المجالات بدلا من قيام الجامعة . وعلى أية حال ، تغلب التيار الذي يقول : أن قطر تحتاج ـ فعلاً ـ إلى قيام جامعة مستكملة كل عناصرها الحضارية . ونشأت الجامعة بكليتين للتربية أحداهما للبنين ، والأخرى للبنات . ثم قامت كلية العلوم وكلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية وكلية الهندسة وفقاً لخطة متكاملة عدلت عدة مرات ، وتكاملت في كل مرة .

ومن الناحية الواقعية فبدلاً من أن تستكمل جامعة قطر مسيرتها وفقاً لمخططها ، وتقوم فيها كلية كاملة للاعلام ، وكلية كاملة للادارة والاقتصاد وللاعتبارات التي تعرفونها وخصوصاً العنصر المكاني ، والمباني إلى آخره قامت في الجامعة شعبة للصحافة كتخصص فرعي ، وشعبة للمكتبات كتخصص فرعي كما قامت فيها ـ بالاضافة إلى هذا ـ شعبة الاقتصاد المنزلي ، وشعبة التربية الفنية وشعبة التربية الرياضية . ومعنى ذلك : أن جامعة قطر لم تغفل عنصر المجتمع ، وأنه في حاجة إلى قوى بشرية ، وتخصصات معينة .

وجامعة قطر في واقع الأمر جامعتان ، وللجامعتين نوعان من المشاكل ، ونوعان من الايجابيات ، فلدينا جامعة للبنين ، وجامعة للبنات .

فمن ناحية خريجي جامعة قطر من البنين لا توجد مشكلة اطلاقاً ، بل المشكلة هى اننا لا نستطيع كجامعة أن نوفي المجتمع القطري باحتياجاته حتى سنة ألفين . ولا أقصد بالاحتياجات احتياجات وزارة التربية والتعليم فقط . فكما هو واضح أن خريجي جامعة قطر من كلية التربية ، والذين قامت كلية التربية بتخريجهم كمدرسين ـ اتجهت الغالبية العظمى منهم إلى العمل في ميادين أخرى غير التدريس ، وغير وزارة التربية والتعليم . وبرغم كل الجهود

التي بذلت لمعالجة قضية العزوف عن العمل في التدريس ، فان المشكلة الأساسية أنه طالما أن هناك قوى جذب في المجتمع للخريجين ، وقدرة على المنافسة أكثر ، فسوف يستمر التسرب من خريجي كليات التربية إلى أماكن أخرى في الدولة ، وأنا لا أتصور أن هذا يمكن توقفه في وقت قريب .

وبالنسبة للبنات هناك مشكلة أخرى ، وهى أن غالبية جامعة قطر من الطالبات . ولو تأملنا الأرقام التالية ، لوجدنا أن كلية التربية في مرحلة البكالوريوس فيها ٦٠٠ طالباً ، و١٢٠٠ طالبة ، أى الضعف من البنين ، ونجد في كلية الانسانيات ٣٠٠ طالباً ، و ٣٠٠ طالبة . وفي كلية العلوم ١٦٠ طالبا ، و ٢٢٠ طالبة . وفي كلية الشريعة ١٠٠ طالب ، و ١٥٠ طالبة تقريباً أما كلية الهندسة ، فليست بها طالبات . وتضم جامعة قطر حوالي ٢٥٠٠ طالبة ، و ١٥٠٠ طالباً .

والجدول رقم (٤)يبين عدد الطلبة من الذكور والاناث في جامعة قطر في مرحلتى البكالوريوس ، والدراسات العليا .

جدول رقم (٤)

بيان بعدد طلاب جامعة قطر بمرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا موزعين حسب الجنس والكليات

الكليات	مرحلة البكالوريوس			مرحلة الدراسات العليا		
	ذكور	إناث	مجموع	ذكور	إناث	مجموع
التمهيدي	٣٠٧	٦٤٠	٩٤٧	–	–	–
كلية التربية	٥٩٠	١٢٠٠	١٧٩٠	١٤١	٦١	٢٠٢
كلية الانسانيات	٢٩٨	٢٨١	٥٧٩	٢١	٢٨	٤٩
كلية العلوم	١٦٢	٢١٩	٣٨١	٨	٣٣	٤١
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية	١٠٦	١٤٣	٢٤٩	٤	١٢	١٦
كلية الهندسة	١١٩	–	١١٩	٢	–	٢
المجموع الكلي	١٥٨٢	٢٤٨٣	٤٠٦٥	١٧٦	١٣٤	٣١٠

والسبب في قلة عدد الطلاب معروف ، وهو أن نسبة من خريجي الثانوية العامة يذهبون إلى حقل العمل مباشرة أو يذهبون للدراسة في الخارج ، وهو الشيء غير المتيسر بالنسبة للطالبات ، كما أن بعض التخصصات التي يقبل عليها الطلاب الذكور تخصصات متعددة وغير موجودة في جامعة قطر ، فجامعة قطر لا تضم كلية للطب ، ولا تضم ـ بعد ـ كلية للادارة والاقتصاد ، ولم تضم كلية للزراعة ، ولا تضم كلية الطب البيطري ، ولا تضم كليات عسكرية ، إلى آخر هذه الأشياء ، واذن فليست هناك غرابة في هذا الوضع .

وفي الوقت الذي يتقبل فيه المجتمع القطري ـ بكل رحابة صدر ، وبدون جدل ـ فتح أبواب التعليم الجامعي على مصراعيه للفتاة . في هذا الوقت نفسه فان المجتمع القطري لا يتقبل أن تعمل الفتاة القطرية الا في ميادين محدودة . ومعنى ذلك أنه سوف يكون هناك باستمرار فائض من الخريجات لا تستطيع أن تستوعبه مجالات العمل . تلك هى النقطة الأولى .

أما النقطة الثانية ، فهي أن العالم كله فيه نوعان من التوجهات بالنسبة للعلاقة بين سياسة القبول ، وسياسة العمل . فأما أن يكون الطالب حرا فيما يدرسه ، ولا تلتزم الدولة بايجاد العمل له ، وأما أن تلتزم الدولة بعمل الخريج ، وفي هذه الحالة فان الطالب يلتزم بتخطيط المجتمع ، وبتخطيط الدولة فيما يدرسه . يعني : أن الدولة ملتزمة بعمل الخريج إذا درس ما تريده . أما إذا درس الطالب كما يشاء ، فان الدولة غير ملتزمة بايجاد عمل له . هذان هما النظامان السائدان في بلاد العالم كله .

ونحن هنا لا نلزم الطالب الزاماً بتخصص معين ، ولكننا نستطيع أن

نوجهه ونرشده ، ولكن لا نلزمه الزاماً ، غير أننا ملتزمون ـ كمجتمع ـ في الوقت نفسه بتدبير العمل له .

هذه النقطة قد أوجدت الموقف الذي أتحدث عنه ، والذي أشير إليه بالنسبة للمستقبل من حتمية فتح مجالات العمل للخريجة القطرية ، بما لا يتعارض مع أي من القيم الأساسية للمجتمع القطري . ولكنني أستطيع أن أقول وأن أؤكد أنه في اطار هذه القيم ، وهذه الممارسات توجد أبواب عديدة لا نهاية لها من العمل تستطيع أن تستوعب الفتاة القطرية ، ولكنها ليست مفتوحة حتى الآن .

وهناك نقطة أخرى ، وهي أن الجامعة في محاولاتها لتخطيط برامجها المستقبلية تحتاج إلى معرفة الخطط التي تقوم عليها حركة الوزارات والمؤسسات والقطاع الخاص في دولة قطر . وهذه لا تتحقق بدرجة كافية في الوقت الحاضر .

لأتحدث عن دولة قطر بشيء من التفصيل ، فاذا تأملنا القطاع الخاص فيها حسب الحالة التعليمية والمهنية وجدنا أصحاب المهن الفنية والعلمية عددهم ٣٠٠٦ عاملاً يمثلون ٤٤ر٤٪ من جملة العاملين ، بينهم أمي واحد (٠٣ر٪) ، و١٠٨ يقرأ ويكتب (٥٩ر٣٪) ، و١٤٨٧ من حملة البكالوريوس (٦ر٤٩٪) ، و١٠٩٠ مؤهلاً متوسطاً (ثانوية عامة ، ودبلوم) ويمثلون ٢٥ر٣٨٪ من جملة أصحاب المهن الفنية والعلمية ، و٧٦ مؤهلات دون المتوسط (ابتدائية واعدادية) يمثلون ٥٢ر٢٪ من جملة أصحاب المهن الفنية العلمية ، و١٦٣ من حملة المؤهلات العليا (دبلوم عالي ، وماجستير ،

ودكتوراه) ويمثلون ٤ر٥٪ من حملة أصحاب المهن الفنية والعلمية ، و ٨١ غير مبينة مؤهلاتهم .

واذا تأملنا مديري الأعمال في قطر وجدنا أن عددهم ٢١٠٨ مديراً يمثلون ٣ر١١٪ من جملة العاملين في القطاع الخاص ، من بينهم ١٤٨ أمياً (٠٢ر٧٪) ، و ٤٥١ يقرأ ويكتب (٦٨ر١٩٪) ، و ٦٠١ بكالوريوساً (٥١ر٢٨٪) ، و ٥٨١ مؤهلاً متوسطاً يمثلون (٥٦ر٢٧٪) من المديرين ، و ١٦٦ مؤهلاً دون المتوسط (٨٧ر٧٪) ، و ١٤٩ مؤهلات عليا (٥٤ر٧٪) ، و ٣٨ غير مبينة مؤهلاتهم .

واذا تأملنا القائمين بالأعمال الكتابية وجدنا المجموع ٦٠٠٦ يمثلون ٨٦ر٨٪ من جملة العاملين في القطاع الخاص ، منهم ٣٨ أمياً (٦٣ر٪) ! ، و٧٢٢ يقرأ ويكتب (٠٢ر١٢٪) ، و٩٥٢ بكالوريوساً (٨٥ر١٥٪) ، و ٣٤٤٦ مؤهلاً متوسطاً (٣٧ر٥٧٪) ، و ٦٩١ مؤهلاً دون المتوسط (٥ر١١٪) ، و ٦٨ مؤهلاً عالياً (١٣ر١٪) ، و ٨٩ غير مبينة مؤهلاتهم .

وإذا تأملنا العاملين بأعمال البيع نجد عددهم ٧٠٥٣ يمثلون ٤ر١٠٪ من جملة العاملين في القطاع الخاص ، منهم ٨٤١ أمياً (٩٢ر١١٪) ، و ٢٥٨٠ يقرأ ويكتب (٥٨ر٣٦٪) ، و ٤٩٤ بكالوريوساً (٧٪) ، و ١٦٥٩ مؤهلاً متوسط (٥٢ر٢٣٪) ، و ١٣٨١ مؤهلاً دون المتوسط (٥٨ر١٩٪) ، و ٩٧ مؤهلاً عالياً (٩٤ر.٪) و ٣١ غير مبينة مؤهلاتهم .

وإذا تأملنا العاملين بالخدمات نجد عددهم ٥٦٢٩ يمثلون ٨ر٣١٪ من جملة العاملين في القطاع الخاص ، منهم ١٤٨٦ أمياً (٣٩ر٢٩٪) ، و ٢٠٠٢ يقرأ

ويكتب (٣٥٫٥٦٪) ، و ٦٠ بكالوريوساً (١٫٦٪) ، و ٦٨٨ مؤهلاً متوسطاً (١٢٫٢٢٪) ، ١٣٢٥ مؤهلاً دون المتوسط (٢٣٫٥٣٪) ، ٦ مؤهلاً عالياً (١ر٠٪) ، و ٦٢ غير مبينة مؤهلاتهم .

وإذا تأملنا العاملين بالحدائق وتربية الحيوانات وصيد البحر نجد عددهم ١٠٧ يمثلون ١٦ر٠٪ من جملة العاملين في القطاع الخاص ، منهم ٥١ أمياً (٤٧ر٦٦٪) ، و ١١ يقرأ ويكتب (١٠ر٢٨٪) ، ولا يوجد بينهم بكالوريوساً ، و ٣٠ مؤهلاً متوسطاً (٢٨ر٠٣٪) ، و ٩ مؤهلاً دون المتوسط (٩ر٣٤٪) ، و ٤ مؤهلاً عالياً (٣ر٧٣٪) ، و ٢ غير مبينة مؤهلاتهما .

أما عمال الانتاج وتشغيل وسائل النقل والعمال العاديين فبلغ عددهم ٤٣٨٣٥ ، يمثلون ٦٤ر٧٪ من جملة العاملين في القطاع الخاص ، منهم ١٢٧٩٤ أمياً (٢٩ر١٨٪) و ١٨١٩٧ يقرأون ويكتبون (٤١ر٥٪) ، و ١٥٣ بكالوريوساً (٣ر٤٪) ٤٥٨٧ مؤهلاً متوسط (١٠ر٤٦٪) ، و ٧٢١٩ مؤهلاً دون المتوسط (١٦ر٤٦٪) ، و ٣ مؤهلاً عالياً (٠٠٢ر٠٪) ، و ٨٨٢ غير مبينة مؤهلاتهم .

وبصفة عامة فان جملة العاملين في القطاع الخاص يبلغ عددهم ٦٧ ٧٥٨ عاملاً : ٢٢ر٦٧٪ منهم أميون ، و ٣٥ر٤٧٪ يقرأون ويكتبون ، و ٥ر٥٤٪ من حملة البكالوريوس ، ١٧ر٨٤٪ مؤهلات متوسطة ، ١٦ر٠٤٪ مؤهلات دون المتوسط ، ٠ر٦٩٪ مؤهلات عليا ، ١ر٦٪ غير مبينة مؤهلاتهم .

والجدول رقم (٥) وكذلك الشكل رقم (١) يوضحان العاملين في القطاع الخاص من الفئات المختلفة على حسب الحالة التعليمية والمهنة بدولة قطر .

جـدول رقم (٥)

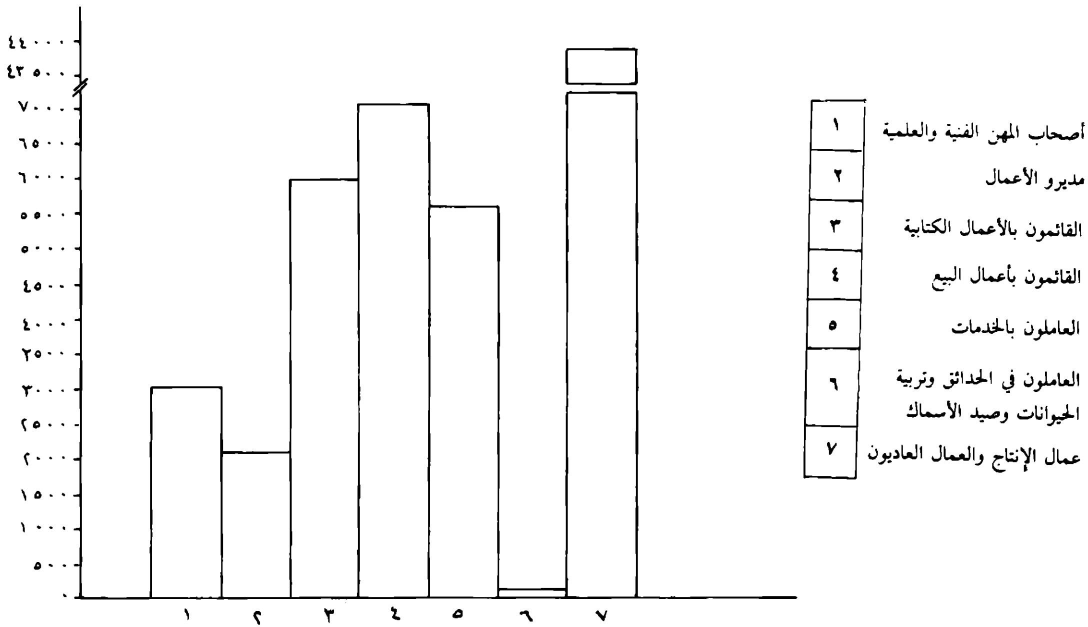
بيان بعدد العاملين في القطاع الخاص موزعين حسب الحالة التعليمية والمهنة والجنس حتى ٣١ يناير ١٩٨٣*

الحالة التعليمية / المهنة والجنس	أمي	يقرأ ويكتب	ابتدائية	إعدادية	ثانوية	دبلوم	بكالوريوس	دبلوم عالي	ماجستير	دكتوراه	غير مبين	المجموع
أصحاب المهن الفنية والعلمية	١	١٠٨	٢٥	٥١	٣٨٢	٧٠٨	١٤٨٧	١١٢	٤٣	٨	٨١	٣٠٠٦
مديرو الأعمال	١٤٨	٤١٥	٥٩	١٠٧	٣٥٢	٢٢٩	٦٠١	٧٦	٧٠	١٣	٣٨	٢١٠٨
القائمون بالأعمال الكتابية	٣٨	٧٢٢	١٥٦	٥٣٥	٢٥٧٢	٨٧٤	٩٥٢	٢٦	٤٢	—	٨٩	٦٠٠٦
القائمون بأعمال البيع	٨٤١	٢٥٨٠	٦٨٨	٦٩٣	١٤١٢	٢٤٧	٤٩٤	٣١	٣٦	—	٣١	٧٠٥٣
العاملون بالخدمات	١٤٨٦	٢٠٠٢	٨٥٤	٤٧١	٦٢٢	٦٦	٦٠	٤	٢	-	٦٢	٥٦٢٩
العاملون في الحدائق وتربية الحيوانات وصيد البحر .	٥١	١١	٨	١	٢٧	٣	—	٤	—	—	٢	١٠٧
عمال الإنتاج وعمال تشغيل وسائل النقل والعمال العاديون	١٢٧٩٤	١٨١٩٧	٤٦٤٣	٢٥٧٦	٣٥١٢	١٠٧٥	١٥٣	٣	—	—	٨٨٢	٤٣٨٣٥
غير مبين	—	—	٢	١	—	٤	٧	—	—	—	—	١٤
المجموع العام	١٥٣٥٩	٢٤٠٣٥	٦٤٣٥	٤٤٣٥	٨٨٧٩	٣٢٠٦	٣٧٥٤	٢٥٦	١٩٣	٢١	١٠٨٥	٦٧٧٥٨

* دولة قطر ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م .

شكل رقم (١)

العاملون في القطاع الخاص موزعين حسب المهنة حتى ٣١ يناير ١٩٨٣*



* دولة قطر ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ الجهاز المركزي للاحصاء ـ المجموعة الاحصائية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م

وعند النظر في الأرقام على محاور الجنسية نجد أنها أرقام في غاية الدلالة فمن بين الأميين يوجد حوالي ١٣ر٢٨٣ أجنبياً من ذكور وأناث يشكلون ٨ر٢٣٪ من جملة العمالة القطرية في القطاع الخاص ، و ١٨٣٣ عربياً ويمثلون ٩ر١٧٪ من جملة العمالة العربية في ذات القطاع وبذلك يصل مجموع الأميين الذين يعملون بالقطاع الخاص في دولة قطر من القطريين وغير القطريين ١٥٣٥٩ أمياً يمثلون ـ كما ذكرنا من قبل ـ ٦٦ر٢٢٪ من جملة العاملين في هذا القطاع .

واذا نظرنا للعاملين في القطاع الخاص من حملة الدكتوراه القطريين وغير القطريين لم نجد من بينهم أحداً من القطريين ، ونجد من غير القطريين العرب ١٥ من الذكور ، ومن غير القطريين الأجانب ٦ ذكوراً واناثاً .

والجدول رقم (٦) يبين العاملين في القطاع الخاص على حسب الجنسية والحالة التعليمية والجنس .

جدول رقم (٦)

بيان بعدد العاملين في القطاع الخاص موزعين حسب الجنسية والحالة التعليمية والجنس حتى ٣١ يناير ١٩٨٣م*

الجنسية والجنس / الحالة الاجتماعية	قطريون			غير قطريين - عرب			غير قطريين - اجانب			المجموع العام		
	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع	ذكور	إناث	المجموع
أمي	٢٤٣	–	٢٤٣	١٨٢٣	–	١٨٣٣	١٣٢٧٤	٩	١٣٢٨٣	١٥٣٥٠	٩	١٥٣٥٩
يقرا ويكتب	٨٧٤	–	٨٧٤	٣٢٩٣	٢	٣٢٩٥	١٩٨٥٨	٨	١٩٨٦٦	٢٤٠٢٥	١٠	٢٤٠٣٥
إبتدائية	٩٩	–	٩٩	٦٤١	–	٦٤١	٥٦٩٣	١	٥٦٩٤	٦٤٣٣	١	٦٤٣٤
إعدادية	١٢٣	–	١٢٣	٤٦٢	٣١	٤٩٣	٣٧٨٣	٣٦	٣٨١٩	٤٣٦٨	٦٧	٤٤٣٥
ثانوية	٢٧٦	–	٢٧٦	١٣٢٨	١٧٩	١٥٠٧	٦٧٩٥	٣٠٠	٧٠٩٥	٨٣٩٩	٤٧٩	٨٨٧٨
دبلوم	٥٩	–	٥٩	٨٧٩	٤٨	٩٢٧	٢١٤١	٧٩	٢٢٢٠	٣٠٧٩	١٢٧	٣٢٠٦
بكالوريوس	١٠٤	١	١٠٥	١٢٠٦	٧٣	١٢٧٩	١٢٧٧	٩٣	٢٣٧٠	٣٥٨٧	١٦٧	٣٧٥٤
دبلوم عالي	٧	–	٧	٥٨	–	٥٨	١٧٩	١٢	١٩١	٢٤٤	١٢	٢٥٦
ماجستير	٢	–	٢	٧٧	–	٧٧	١٠٦	٨	١٤	١٨٥	٨	١٩٣
دكتوراه	–	–	–	١٥	–	١٥	٥	١	٦	٢٠	١	٢١
اخرى	–	–	–	٢٧	–	٢٧	١١٣	٢	١١٥	١٤٠	٢	١٤٢
غير مبين	٢٤	–	٢٤	٨٦	١	٨٧	٩٢٦	٤	٩٣٠	١٠٣٦	٥	١٠٤١
المجموع	١٨١١	١	١٨١٢	٩٩٠٥	٣٣٤	١٠٢٣٩	٥٥١٥٠	٥٥٣	٥٥٧٠٣	٦٦٨٦٦	٨٨٨	٦٧٧٥٤

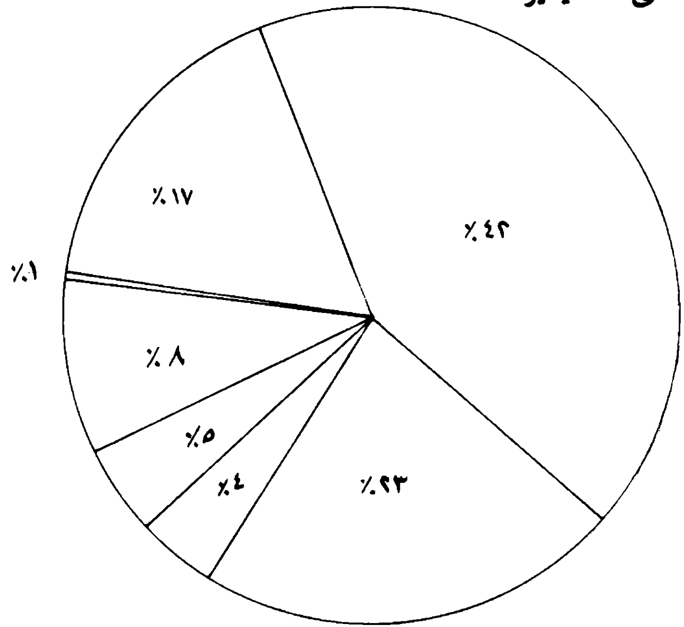
* دولة قطر - رائسة مجلس الوزراء - الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م .

وإذا تأملنا العاملين في القطاع الخاص حسب النشاط الاقتصادي وجدنا عمال التشييد والبناء يمثلون ٤٢٪ ، وتجار الجملة والتجزئة والمطاعم والفنادق ٢٣٪ ، والصناعات التحويلية ١٧٪ ، وخدمات المجتمع والخدمات الاجتماعية والشخصية ٨٪ ، والتمويل والتأمين والعقارات وخدمات الأعمال ٥٪ ، والنقل والتخزين ٤٪ ، واستخراج المعادن الأخرى والكسارات ١٪ .

والشكل رقم (٢) يبين العاملين في القطاع الخاص حسب النشاط الاقتصادي بدولة قطر .

شكل رقم (٢)

العاملون في القطاع الخاص حسب النشاط الاقتصادي حتى ٣١ يناير ١٩٨٣*



استخراج المعادن الاخرى "الكسارات"	٪١
الصناعات التحويلية	٪١٧
التشييد والبناء	٪٤٢
تجارة الجملة والتجزئة والمطاعم والفنادق	٪٢٣
النقل والتخزين	٪٤
التمويل والتأمين والعقارات وخدمات الأعمال	٪٥
خدمات المجتمع والخدمات الاجتماعية والشخصية	٪٨

* دولة قطر ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م

أما إذا نظرنا إلى العاملين في القطاع الحكومي موزعين حسب الجنسية والنوع والمهن فنجد أن عمال الانتاج والعمال العاديين هم الأكبر عدداً ، فقد بلغ عددهم ١١٠٥٣ موظفاً يمثلون ٥٨ر٣٦٪ من جملة عدد العاملين في القطاع الحكومي ، ومن بين هؤلاء ٤٨٢٢ موظفاً قطرياً (٦٢ر٤٣٪) ، و ١٢٤٦ موظفاً عربياً غير قطري (٢٧ر١١٪) ، و ٤٩٨٥ موظفاً أجنبياً (١ر٤٥٪) .

ويلي عمال الانتاج والعمال العاديين من حيث العدد أصحاب المهن التعليمية والفنية ، وعددهم ٩٨٤٩ موظفاً يمثلون ٥٩ر٣٢٪ من جملة عدد موظفي القطاع الحكومي ، ومن بين هؤلاء ٣١٠٧ موظفاً قطرياً (٥٥ر٣١٪) و ٥٤١٩ موظفاً عربياً غير قطري (٠٢ر٥٥٪) ، و ١٣٢٣ موظفاً أجنبياً (٤٣ر١٣٪) .

ويلي هؤلاء عدداً أصحاب المهن الكتابية . ويبلغ عددهم ٤٩٤٠ موظفاً يمثلون ٣٥ر١٦٪ من جملة عدد الموظفين بالقطاع الحكومي ، ومن بينهم ٢١٧٤ موظفاً قطرياً (٤٤٪) ، و ١٨١١ موظفاً عربيا غير قطري (٦٦ر٣٦٪) ، و ٩٥٥ موظفاً أجنبياً (٣٣ر١٩٪) .

يأتي بعد ذلك الموظفين في مجال الخدمات ، حيث يبلغ عددهم ٣٤٣٥ موظفاً يمثلون ٣٧ر١١٪ من جملة عدد الموظفين بالقطاع الحكومي ، منهم ١٩٠٧ موظفاً قطرياً (٥١ر٥٥٪) ، و٥١٨ موظفاً عـربياً غـير قطري (٠٨ر١٥٪) و ١٠١٠ موظفاً أجنبياً (٤ر٢٩٪) .

ثم يأتي أصحاب المهن الادارية فيبلغ عددهم ٦٧٤ موظفاً يمثلون ٢٣ر٢٪ من جملة عدد الموظفين بالقطاع الحكومي ، منهم ٥٢١ موظفاً قطرياً (٣ر٧٧٪)

١٣١ موظفاً عربياً غير قطري (٤٣ر١٩٪) ، و ٢٢ موظفاً أجنبياً (٢٦ر٣٪) .

وأخيراً يجيء أصحاب المهن الزراعية وتربية الحيوان وصيد البحر حيث يبلغ عددهم ٢٦٩ موظفاً يمثلون ٨٩ر٠٪ من جملة عدد الموظفين بالقطاع الحكومي ، منهم ٢١ موظفاً قطرياً (٨ر٧٪) ، ٢٠٢ موظفاً عربياً غير قطري (٠٩ر٧٥٪) ، و ٤٦ موظفاً أجنبياً (١ر١٧٪) .

ومن الملاحظ أن أكبر عدد من الموظفات القطريات بالقطاع الحكومي يعملن في قطاع المهن التعليمية والفنية حيث يبلغ عددهن ١٦٤٠ موظفة يمثلن ٢ر٧١٪ من جملة عدد الموظفات القطريات العاملات بالقطاع الحكومي ويشكلن ٧٨ر٥٢٪ من جملة القطريين العاملين في قطاع المهن التعليمية والفنية . ويلي موظفات المهن التعليمية والفنية القطريات ـ من حيث العدد تنازلياً ـ العاملات بقطاع الانتاج ثم العاملات بقطاع الخدمات .

هذا وسنورد بقية التفاصيل والاحصاءات الخاصة بالقوى العاملة في دولة قطر في ملحق هذه الدراسة .

والجدول رقم (٧) ، والشكل رقم (٣) يبينان عدد العاملين في القطاع الحكومي حسب الجنسية ، والنوع ، والمهن .

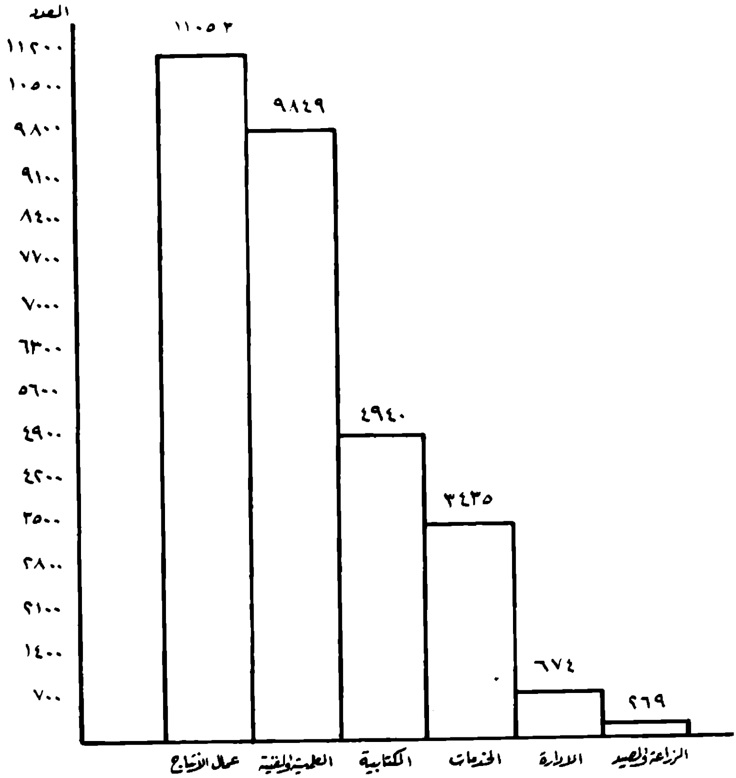
جـــدول رقم (٧)

بيان عدد العاملين في القطاع الحكومي بالمهن المختلفة موزعين حسب الجنسية والجنس حتى ١٤٠٣/٦/٣٠هـ*

الجنسية والنوع / المهن	قطري		مجموع القطريين	عربي		مجموع العرب	اجنبي		مجموع الأجانب	المجموع العام		
	ذكور	اناث		ذكور	اناث		ذكور	اناث		ذكور	اناث	المجموع
التعليمية والفنية	١٤٦٧	١٦٤٠	٣١٠٧	٣٧٩٦	١٦٢٣	٥٤١٩	١٠٧٦	٢٤٧	١٣٢٣	٦٣٣٩	٣٥١٠	٩٨٤٩
الادارية	٤٧٨	٤٣	٥٢١	١٢٣	٨	١٣١	٢٢	—	٢٢	٦٢٣	٥١	٦٧٤
الكتابية	٢٠٣٢	١٤٢	٢١٧٤	١٤٣٣	٣٧٨	١٨١١	٨٩١	٦٤	٩٥٥	٤٣٥٦	٥٨٤	٤٩٤٠
الخدمات	١٦٩٠	٢١٧	١٩٠٧	٤٥٩	٥٩	٥١٨	٩٦٢	٤٨	١٠١٠	٣١١١	٣٢٤	٣٤٣٥
الزراعة وتربية الحيوان وصيد البحر	٢١	—	٢١	٢٠١	١	٢٠٢	٤٦	—	٤٦	٢٦٨	١	٢٦٩
عمال الإنتاج والعمال العاديون	٤٥٦١	٢٦١	٤٨٢٢	١١٨٨	٥٨	١٢٤٦	٤٩٥٢	٣٣	٤٩٨٥	١٠٧٠١	٣٥٢	١٠٥٣
الاجمالي	١٠٢٤٩	٢٣٠٣	١٢٥٥٢	٧٢٠٠	٢١٢٧	٩٣٢٧	٧٩٤٩	٣٩٢	٨٣٤١	٢٥٣٩٨	٤٨٢٢	٣٠٢٢٠

* دولة قطر ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م .

شكل رقم (٣)
توزيع موظفي الدولة حسب المهن
حتى ٣٠/٦/١٤٠٣هـ*



* دولة قطر ، رائاسة مجلس الوزراء ، الجهاز المركزي للاحصاء المجموعة الاحصائية ، الدوحة ـ فبراير ١٩٨٤م .

ويتضح من هذا العرض أن بيت القصيد هو ايضاح العلاقة بين خطط التنمية السريعة وحتمية الاستعانة بقوى عاملة من غير المواطنين لمدد طويلة وفي كافة القطاعات الفنية وغير الفنية ، والقطاعات والمجالات التي تحتاج إلى مهارات ومواصفات خاصة والتي لا تحتاج لأكثر من قوى بشرية أمية خام . هذه القوى العاملة تحتاج إلى قوى بشرية من المواطنين بقدرات خاصة . وبذا ترتبط احتياجات المجتمع ارتباطاً عضوياً بنجاح الجامعة في تخريج قوى عاملة قادرة على التعامل مع القوى العاملة الوافدة وإدارة هذه القوى العاملة بحكمة ووعي لتحقيق المصلحة العامة . بالاضافة إلى الحاجة إلى دور حضاري كبير يجعل لخطة التنمية معنى ويقدم الدعم للمواطن لتولي القيادة في أمور وطنه عن غير طريق السلطة المجردة . وهو ما يسمى بالشرعية المعنوية التي تقوم عليها استقلالية الأوطان .

ملامـــح المســتقبل :

بداية ليس للجامعات الخليجية مستقبل مستقل عن مستقبل المنطقة . ولذلك فان ملامح المستقبل لابد أن ننظر إليها في ضوء :

١ ـ المتغيرات الاقتصادية بما فيها من متغيرات القدرة الانتاجية في المنطقة وتنوعها وأبعادها وتوجيهات الأنماط الاستهلاكية وما تؤدي إليه من تغيرات اجتماعية وتبدلات في الأطر القيمية للأفراد والمجتمع وما تخلقه من حاجات معنوية ومادية تفرض على الجامعات مسارها وتوجيهاتها . ولاشك أن الجامعات في هذا كله ليست مجرد منفعلة بما يجري مستقبله له بل هى مشاركة في صنع الأحداث بصيغ متعددة مباشرة وغير مباشرة .

٢ ـ المتغيرات في السياسة الدولية والعربية . ومسار الأحداث على الساحة العربية والدولية مرتبط ببعضه أشد الأرتباط ، ولا يعنى هذا ـ طبعاً ـ الاقلال من أهمية المتغيرات المحلية . ومسار الأحداث الذي نتحدث عنه هو «كل» ديناميكى بالغ التعقيد ، يدخل فيه إلى جانب المتغيرات الاقتصادية وعناصر التغير الحضاري بكافة مستوياته ومجالاته وصوره ، يدخل فيه إلى جانب ذلك ، كل المدخلات المؤثرة في صياغة السياسات من عناصر الصراع الانساني وصناعة القرارات وكيفية التعامل معها .

ولما كانت منطقة الخليج جزء من الأمة العربية ، والأمة الاسلامية والعالم المعاصر بشرقه وغربه وشماله وجنوبه . ولما كانت أحداثه ومتغيراته ذات آثار فاعلة في الحركة الديناميكية لهذه الدوائر كلها فان

الواقع والمنطق الديناميكى يجعل لكل متغيرات السياسة الدولية والعربية وحركة المستقبل في كل مكان تأثيراتها التي لابد من حسابها عند أية دراسة لمستقبل المنطقة ، وأثر ذلك على جامعاتها ليس في مجال البرامج والميزانيات وسياسات القبول والتخصصات ومستويات أعضاء هيئة التدريس ونوعية الأبحاث وما إلى ذلك فحسب ، بل من حيث مفهوم الجامعة نفسه ومفهوم دورها ومسئولياتها تجاه المجتمع : ما يتوقع منها وما تستطيع أن تقدمه .

٣ ـ توجهات التغير الثقافي والحضاري ، التغيرات الاقتصادية متفاعلة مع التغيرات السياسية ، وهذا كله متفاعل مع الثقافة ، وهو بعض عناصر التغير الثقافي ، ومن ثم ترتبط النظرة المستقبلية للتغير الثقافي بمستقبل الجامعات فعلاً وانفعالاً .

وفي ضوء هذه المعاني والعوامل التي نكتفي بمجرد الاشارة اليها نجد من المستحسن أن نعرض فيما يلي بعض البيانات الخاصة بالناتج القومي العام لبعض دول الخليج البترولية ، وبعض الدول النامية العربية وغير العربية ، وبعض الدول المتقدمة الكبرى والصغرى . ونهدف من هذه البيانات بما فيها من بعض المفارقات تصحيح الكثير من الانطباعات السائدة عن مفهوم «الثراء» و «البحبوحة» . والحاضر والمستقبل يعين الباحث على الرؤ ية الموضوعية . وبالتأكيد فان أي دخل قومي يقوم على بيع مواد خام حتى لو كانت البترول في مرحلة تاريخية خاصة لا يمكن أن يقارن بالدخول الناتجة عن الانتاج الصناعي المتجدد الناتج عن استخدام الآلة بمعناها المتطور الحديث .

أ ـ الناتج القومي العام للدول البترولية سنة ١٩٨٠م :

الناتج القومي للسعودية سنة ١٩٨٠م ـ وهى سنة ازدهار ـ كان ٩ر١٠٠ بليون دولاراً في السنة تقريباً . ويقدر الناتج القومي في الوقت الحاضر للسعودية في ضوء الظروف التي تعرفونها ، وتحديد حجم الانتاج لدول الأوبك والمملكة السعودية بما بين ٥٠ أو ٦٠ بليون دولاراً على فرض أن السعودية وصلت بانتاجها البترولي إلى حوالي خمسة ملايين برميل يومياً . ولو أخذنا هذا الرقم مجرداً يكون رقماً كبيراً ، ولكن إذا نظرنا إلى دولة مثل هولانده ، وقارناها بالسعودية ـ وهولاندة كما نعلم دولة صغيرة ـ نجد أن الناتج القومي لهولاندة سنة ١٩٨٠م كان ١٦١ بليون دولاراً ولكنه ازداد من سنة ١٩٨٠ إلى ١٩٨٤ بنحو ١٥٪ أي وصل إلى حوالي ١٨٠ بليون دولار ، أى أن دخل هولاندة يعادل دخل السعودية ثلاث مرات . ولاشك أن لهذه الأرقام دلالة ، حتى مع ادراكنا للفارق في الدلالة حيث يكون أساس الدخل في السعودية خامة واحدة تملكها الدولة .

وبالمقارنة كان دخل دولة الكويت ٣١ بليون دولاراً ، والامارات ٢٦ بليون دولاراً ، وقطر ستة بلايين دولاراً ، وليبيا ٧ر٢٥ بليون دولاراً ، ونيجيريا ٥ر٨٥ بليون دولاراً ، واندونيسيا ٧ر٦١ بليون دولاراً ، وفنزويلا ٢ر٥٤ بليون دولار .

والجدول رقم (٨) يوضح دخول الدول المختلفة :

جدول رقم (٨)

جدول دخول الدول المختلفة

الناتج القومي العام عام ١٩٨٠*

مليـار دولار

الدول	الدخل (مليار دولار)
(أ) دول بترولية :	
المملكة العربية السعودية	١٠٠ر٩
الكويت	٣١ر٠
الامارات العربية المتحدة	٢٦ر٨
قطـر	٦ر٠
سلطنة عمان	٤ر٠
البحرين	٢ر٣
الجزائر	٣٦ر٤
ليبيا	٢٥ر٧
نيجيريا	٨٥ر٥
أندونيسيا	٦١ر٧
فنزويلا	٥٤ر٢

تابع جدول رقم (٨)

الدول	الدخل (مليار دولار)
(ب) دول نامية عربية	
مصر	٢٣٫٢
المغرب	١٧٫٥
سوريا	١٢٫٠
السودان	٨٫٦
موريتانيا	٠٫٥
(جـ) دول نامية : غير عربية	
الصين	٢٨٣
البرازيل	٢٤٣
الهند	١٥٩
الأرجنتين	٦٦
بولندا	١٣٩٫٨
تشيكوسلوفاكيا	٨٩٫٣

تابع جدول رقم (٨)

الدول	الدخل (مليار دولار)
(د) الدول المتقدمة الكبرى	
الولايات المتحدة الأمريكية	٢٥٨٢
الاتحاد السوفيتي	١٢١٢
اليابان	١١٥٢
المانيا الغربية	٨٢٨
فرنسا	٦٢٧
بريطانيا	٤٤٢
ايطاليا	٣٦٨
كندا	٢٤٢
(هـ) الدول المتقدمة الصغرى	
أسبانيا	٢٠٠
هولندا	١٦١
بلجيكا	١٢٠
السويد	١١٢
سويسرا	١٠٦
النمسا	٧٦

* البنك الدولي ١٩٨٢م .

(ب) الناتج القومي العام للدول النامية العربية سنة ١٩٨٠م .

مصر كان نتاجها القومي سنة ١٩٨٠م ٢٣ر٢ بليون دولاراً ، واليوم أصبح ٣٠ بليون دولاراً ، والمغرب ١٧ر٥٠٠ بليون دولاراً ، وسوريا ١٢ بليون دولاراً والسودان ٨ر٦ بليون دولاراً ، وموريتانيا ٥٠٠ مليون دولاراً .

(جـ) الناتج القومي العام للدول النامية غير العربية سنة ١٩٨٠ :

الصين ٢٨٣ بليون دولاراً ، والبرازيل ٢٤٣ بليون دولاراً ، والهند ١٥٩ بليون دولاراً ، والأرجنتين ٦٦ بليون دولاراً ، وبولندة ١٣٩ر٨ بليون دولاراً ، وتشيكوسلوفاكيا ٨٩ر٣ بليون دولاراً .

(د) الناتج القومي العام للدول المتقدمة الكبرى سنة ١٩٨٠ :

الولايات المتحدة الأمريكية ٢٥٨٢ بليون دولاراً ، والاتحاد السوفييتي ١٢١٢ بليون دولاراً ، واليابان ١١٥٢ بليون دولاراً ، وألمانيا الغربية ٨٢٨ بليون دولاراً ، وفرنسا ٦٢٧ بليون دولاراً ، وبريطانيا ٤٤٢ بليون دولاراً ، وايطاليا ٣٦٨ بليون دولاراً ، وكندا ٢٤٢ بليون دولاراً .

(هـ) الناتج القومي العام للدول المتقدمة الصغرى سنة ١٩٨١ :

أسبانيا ٢٠٠ بليون دولاراً ، وهولاندة ١٦١ بليون دولاراً ، وبلجيكا ١٢٠ بليون دولاراً ، والسويد ١١٢ بليون دولاراً ، وسويسرة ١٠٦ بليون دولاراً ، ويتوقع أن تكون قد بلغت ١٢٠ بليون دولاراً في الوقت الحاضر ، والنمسا ٧٦ بليون دولاراً .

وتتضح أهمية البيانات والأرقام السابقة في أنها تبين لنا كيفية التعامل مع المستقبل ، وأنه لا ينبغي أن نخضع أنفسنا للانطباعات ، لأن الانطباعات غير المقارنة تقودنا إلى تصورات وتوجهات غير واقعية .

وقد تنبهت دول الخليج إلى حتمية صيغة تعاونية في مجتمع معاصر يحتاج إلى تكتلات ضخمة ، وخصوصاً وقد رأيتم حضراتكم أن الثروات التي نتصور أنها كبيرة ـ ليست بالضرورة كبيرة ، فهي كبيرة بالنسبة لنا ، ولكنها ليست كبيرة بالنسبة للعالم العصري . هي كبيرة بالنسبة للسنغال وتشاد وغيرهما من الدول قليلة الدخل ولكنها ليست كبيرة بالنسبة للعالم العصري . .

مجالات التعامل والتعاون الخليجي حتى سنة ٢٠٠٠ :

ان التعاون الخليجي الذي نتوقعه في المستقبل وحتى سنة ٢٠٠٠ ـ بناء على استقراء وحساب ـ له عدة مجالات . ففي المجال السياسي فان الأرجح هو قيام تعاون سياسي . وبالنسبة للعنصر الاقتصادي فالأرجح هو قيام تعاون اقتصادي ، وبالنسبة للعنصر الاعلامي ، فالأرجح هو قيام تعاون اعلامي ، وبالنسبة للعنصر العسكري فمن المحتمل قيام قيادة موحدة ، وبالنسبة للعنصر الثقافي ، فانه من المحتمل ومن الممكن ـ بناء على درجة التوجه الذي لا توجد عوائق حادة أمامها ـ قيام وحدة ثقافية . وملامح الوحدة الثقافية الممكنة بالنسبة لمستوى التعليم العالي بما يؤدي إلى خفض النفقة ، وزيادة الفعالية هو تحويل الجامعات الخليجية إلى Gulf University System ويعني «منظومة الجامعات الخليجية» ، بحيث يستطيع مجلس التعليم العالي لدول الخليج ـ وهو هيكل قائم حالياً ـ أن يقوم بدور مجلس أعلى للجامعات

الخليجية ، يتحول بعد ذلك إلى منظومة قريبة في صيغها من صيغة المنظومات الكبيرة التي تضم مجموعة من «الحرم» الجامعية في سياق متسق بديلاً لمجموعة من الجامعات المستقلة عن بعضها البعض . وكما هو واضح أننا لا نضع تصوراتنا على هيئة تنبؤات ولكن على هيئة توقعات موضوعية هادفة وقابلة لوضع الخطط الواقعية لتحقيقها .

وبهذه المناسبة أتحدث حول جامعة الخليج التي أقيمت في البحرين . جامعة الخليج هذه من الممكن أن تكون جامعة أخرى في الخليج ، وقد سبق أن قلت منذ البداية أنه بالنسبة للقضايا غير المنتهية لا معنى لأن أقول : حدث أو لم يحدث ، لأننا مازلنا فاعلين ، ما أقوله : أنه ينبغي أن يحدث ، لأننا نستطيع أن نفعل ذلك .

جامعة الخليج يضم مجلس أمنائها ممثلين لجامعات المنطقة ، وتتولى الانفاق عليها دول المنطقة كلها . وجامعة الخليج هى بالدرجة الأولى محاولة وحدوية . وأما أن جامعة الخليج سوف تقدم برامج لا تستطيعها بقية الجامعات الخليجية الأخرى - في ضوء ما نقوله من أنها لا تكرر ولا تناقش - فان هذا ليس هو العطاء الذي نستطيع أن نتوقعه من جامعة الخليج . ما نستطيع أن نتوقعه من حامعة الخليج هو تصور حضاري ، هو شحذ لعملية الصراع الفكري بين جامعات المنطقة يؤدي بجامعات الخليج وبكل جامعات المنطقة إلى تغليب عنصر الكيف والتغلب على بعض الصعوبات المجتمعية التي تعوق حركة الجامعات نحو مزيد من كفاءة الفعل ، ومزيد من الانطلاق إلى تحقيق كم أوفى بالغرض ولو على حساب عدد أقل - يعني تعديلاً جذرياً في سياسات القبول . التنافس الذي سوف نقبل عليه - أو من المحتمل والأرجح أن نقبل عليه -

تنافس في الكيف . وتنافس الكيف لا يؤدي إلى تحسين طرق التدريس فحسب ، وتحسين الامكانات المادية فحسب ، وتحسين الحوافز فحسب ، ولكنه يستدعي أيضاً التدقيق في اختيار الطالب ، ويعني التدقيق في سياسة القبول وهذا يتضمن تعديلاً في مفهوم الجامعة ونظرتنا اليها لتصبح أكثر اتساقاً مع قدرتها على تقديم ما نتوقعه منها .

وقد تنبهت جامعة قطر إلى هذا حينما استشعرت هذه المشكلة ، فأنشأت البرنامج التمهيدي . فإذا كان لابد أن تقبل الجامعة خريجي الثانوية العامة فليكن هناك برنامج تمهيدي ، تتأكد منه الجامعة أنه لا يدخل برنامجها النظامي الا الذي يستطيع أن يستوفي متطلبات دراسة جامعية جادة . ويبقى على جامعة قطر أن تتحمل هي وقيادتها مسئولية أن يكون البرنامج التمهيدي برنامجاً حقيقياً ، وليس مجرد شكل .

الجامعات والأمن الاجتماعي . .

وبالنسبة للمستقبل لابد أننا ـ كجامعات ـ نتوجه إلى دور الجامعة في تحقيق عناصر الأمن بالمعنى الديناميكي الشامل . وعناصر الأمن تتضمن النواحي المعروفة ، وبالاضافة إلى ذلك تتضمن تحويل العوائد البترولية إلى اقتصاد قوي ومستقر . ولا يتحقق ذلك بمجرد اقامة مشاريع ، ولكن يتحقق ذلك بنوعية الخريج ، ونوعية اشاعة الفكر ذي المضمون الاجتماعي الذي يستطيع أن يساهم في تكوين بنية حضارية تؤكد قيام عملية انتاج حقيقي . أعود مرة أخرى إلى الاشارة إلى هولاندة ، لأن هولندة كانت دولة استعمارية استعمرت أندونيسيا سنوات طويلة ، وكنا نتصور أن هولاندة تحيا على دماء الأندونيسيين

ولا شك أن هذا كان صحيحاً . ولكن عندما خرجت هولاندة من أندونيسيا تصور الكثيرون أن هولاندة سوف يهوى مستوى المعيشة فيها ، ولكن هولاندة استطاعت في الفترة التي أتيح لها فيها أن تستغل غيرها أن تحيل هذا الظرف التاريخي الطارىء إلى عنصر استقرار اقتصادي . وقد حققت هولاندة مستوى معيشتها الحالي دون الاستعانة بالمستعمرات . ولست أتحدث الآن عن مستعمرات ، ولكني أتحدث عن ظرف تاريخي خاص بنا هو البترول . وهذا الظرف التاريخي الخاص الفذ ـ لن يستمر إلى الأبد ولا يجدي فيه أن نتصور أننا نستطيع أن نضع فوائضنا النقدية على هيئة استثمارات في العالم الأول أو العالم الثاني أو العالم العاشر ، لن يتحمل نظام اجتماعي عالمي ، ولم يحدث في التاريخ أنك تستطيع أن تضع المال في مكان ما يستثمره الآخرون ، وتعيش على أرباح بدون عمل أو دور من عندك . وإنما نحن في حاجة إلى قوى بشرية تعلم أن الاستهلاك الرفيع فقط من حق القادر على الأنتاج ، وعلينا أن نستفيد من هذه المرحلة التاريخية بحيث يكون لدينا القوى البشرية ، والنظام الذي يسمح بقوة انتاجية تؤدي إلى استمرارية عملية الاستهلاك الرفيع ، والاستمتاع بالطيبات من الرزق .

هذا تعبير عام ، ولكنه يشير ـ ضمن ما يشير ـ إلى قضية الأمن الغذائي التي يكثر الحديث حولها ، والتي أحب أن أقول لحضراتكم : انه بالرغم من الأموال الطائلة التي تنفق على عمليات الزراعة في منطقة الخليج ، فان الناتج الزراعي لا يزيد ـ في أحسن ظروفه في منطقة الخليج في الوقت الحاضر على ١٪ ، ولا يحتمل أن يزيد خلال الخمس عشرة سنة القادمة على١٥٪ .

والنقطة الأخيرة التي أريد أن أؤ كد عليها هى أن في منطقة الخليج جامعات

ومجتمعات لا تستطيع ، ولن تكون كياناً مستقلاً عن العالم العربي ، وانما هى جزء من العالم العربي ماضياً وحاضراً ، وأكثر من ذلك بالنسبة للمستقبل .

العالم العربي وحدة حضارية ، ومستقبل حضاري ، وخطة التنمية في منطقة الخليج على مستوى الجامعات ، وعلى مستوى البرامج ـ لابد أن ترتبط بواقع العالم العربي . ولعلكم تلاحظون أنني لا أقول : برامج التنمية في العالم العربي ، ولكني أقول : واقع العالم العربي ، ذلك لأني لست في حاجة إلى أن أشير إلى تعدد ، وتعدد توجهات ، بل أشير إلى مضامين برامج التنمية في العالم العربي . وهذا على أية حال هذا جزء من واقع العالم العربي .

الرصيد البشري العربي يستطيع أن يحقق الكثير ، ولكنه يستطيع أن يحقق ما هو أكثر إذا استمر توجهه إلى أن يكون رصيداً بشرياً عربياً ، وليس مجموعة من الأرصدة البشرية العربية ـ أنني أستغنى بهذا التلخيص الحاسم عن الاستفاضة في هذا الموضوع .

المجتمع الخليجي وبقية عناصر المجتمع العربي تتطور في ضوء تعرضها لعناصر تغيير الهوية المستقرة إلى هويات غير مستقرة متنوعة العمق ولابد من أن نلجأ إلى عاصم من ذلك . والعاصم من ذلك هو تبين عناصر الهوية الحقيقية ، دون أن يطغى على ذلك ضباب أو غبار أو مفاهيم هلامية .

نحن عرب ومسلمون ، ومن الضروري أن نفهم أن المسلم صاحب العقيدة الملتزم بعقيدة الاسلام ، والواعي لمفهوم الاسلام ـ لابد أن يفهم أن مبرر وجوده الحضاري هو أن يكون مسلمًا . بمعنى أنه عندما يتخلى عن الالتزام بالاسلام يفقد الكثير من مبررات وجوده ، لا أقول أنه سوف يندثر كأفراد ،

ولكن أقول أن ما هو معرض للاخطار هو الهوية ، وهو الكيان الحضاري ، أما الأفراد فسوف يحيا القادرون منهم ، وسوف يندثر من هم غير ذلك .

أننا الآن في مرحلة الخلط بين التغريب والتعصير : أنلتحق بالعصر ، أم نلتحق بالصيغة الغربية المعاصرة . وهذان التوجهان مختلفان جذرياً . وأنا من أنصار أن يزداد الغربيون غربية ولكن العربي المسلم لا يستطيع أن يكون غربياً ولا ينبغي له . وذلك من منطلقات عديدة ، ربما كان أوضحها عجز غير الغربي عن أن يكون غربياً ، ولدينا تجربة تركيا وكثير من التجارب القريبة والبعيدة ، ولابد من التعامل مع التغريب لا من منطلق رفض ما هو عصري ، بل من منطلق رفض ما هو غير متوائم معنا فيه ، وفرز ما هو غربي عما هو عصري ، سواء أكان غربياً أم غير ذلك . والتوجه نحو تعميق عناصر الأصالة ، وتأكيد منابع الهوية والانطلاق ، لكيلا تكون هوية تاريخية ، وتراثاً ماضياً ، وإنما هوية معاصرة قادرة على التفاعل مع حضارات العالم المعاصر .

الشهادة الجامعية ـ اذن ـ لابد أن تتضمن هذا كله . ولذلك فنحن نقول أن الشهادة الجامعية ليست مجرد شهادة أكاديمية ، وليست مجرد شهادة تقول أن من يحملها يعرف جغرافية ، أو يعرف شريعة ، أو يعرف كيمياء ، ولكن الشهادة الجامعية لها بعدها الأكاديمي ، كما أن لها بعدها الحضاري . والبعد الحضاري هنا بعد المعاصرة ، وبعد الهوية ، وبعد الانتماء للمجتمع ، وإدراك عناصر ومقومات هذا المجتمع ، والقدرة على التعامل مع تحدياته ، والقدرة على المشاركة الفاعلة الايجابية في الصراع القائم والذي سوف يستمر .

هذا هو تصورنا المستقبلي للأوضاع الجامعية في الخليج والملامح المتوقعة لحركة التعليم العالي به . وهو ليس تصور بقدر ما هو محاولة لحمل هذا التصور على توجيه المستقبل والمشاركة الفعالة في صياغته طالما أن صياغة المستقبل عملية ديناميكية مستمرة .

حاولنا في هذه العجالة أن نلقي عليه بعض الأضواء . أضواء الحاضر ، وبعض الأضواء التي تأتي من ماضي هذه المنطقة وجذور هذه الأمة .

أمة لها مستقبلها الباهر ولكن بعمل أبنائها وتهيئة عقولهم ونفوسهم وتنمية قدراتهم ، فبالايمان والعمل الصادق تصدق الآمال وتتحقق المنى . وهذه كلها مسئوليات جامعية .

المراجـــع

(١) مكتب التربية العربي لدول الخليج ، دليل التعليم الجامعي في دول الخليج العربية ، الرياض ، ١٩٨٣م .

(٢) المملكة العربية السعودية ـ مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوي ـ قسم الاحصاء ، العدد ١٥ ، ١٩٨١/١٩٨٢م .

(٣) دولة قطر ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م .

(٤) حسن الخياط ، الرصيد السكاني لدول الخليج العربية ، مركز البحوث والوثائق ، جامعة قطر ، ١٩٨٢ .

(٥) Der Fischer Welt Almanch — 1984, Frank Furt

(٦) خضير عباس محمد علي ، التنمية الزراعية في بعض أوطان الخليج العربي .

ملحـــق رقـم (١)

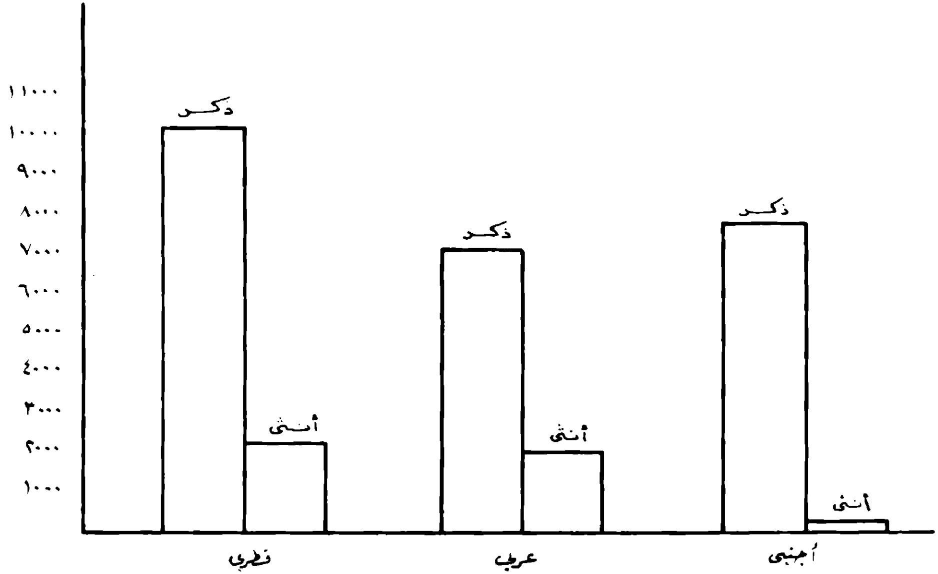
بيان بأعداد موظفي دولة قطر موزعين حسب الحالة التعليمية والجنسية* نسبة٪

الجنسية / الحالة التعليمية	قطري				اجنبي		الاجمالي	
	عدد		عدد	نسبة٪	عدد	نسبة٪	عدد	نسبة٪
بدون مؤهل	٧٠٩٣	٥٣ر٦	١٨٥٨	١٤ر٠	٤٢٨٤	٣٢ر٤	١٣٢٣٥	١٠٠ر٠
إبتـــدائية	٦٦٠	٦٥ر٧	٩٤	٩ر٣	٢٥١	٢٥ر٠	١٠٠٥	١٠٠ر٠
اعداديـــة	٦٩١	٥٠ر٦	٢٢٨	١٦ر٧	٤٤٦	٣٢ر٧	١٣٦٥	١٠٠ر٠
ثانويـــة	١١٧٢	٢٨ر٨	١٣٤٩	٣٣ر٢	١٥٤٨	٣٨ر٠	٤٠٦٩	١٠٠ر٠
دبلـــوم	١٠٣٩	٢٩ر٦	١٥٢١	٤٣ر٥	٩٤٠	٢٦ر٩	٣٥٠٠	١٠٠ر٠
بكالوريوس وليسانس	١٤٣٤	٢٦ر٥	٣٣٨٦	٦٢ر٧	٥٨٢	١٠ر٨	٥٤٠٠	١٠٠ر٠
دبلوم عالي	٣٩	٩ر٠	٣٥١	٨١ر١	٤٣	٩ر٩	٤٣٣	١٠٠ر٠
ماجستير	٣٨	١٨ر٤	١٢٠	٥٨ر٣	٤٨	٢٣ر٣	٢٠٦	١٠٠ر٠
دكتوراه	٩	٣ر٤	٢٣١	٨٨ر٦	٢١	٨ر٠	٢٦١	١٠٠ر٠
اخرى	٣٧٧	٥٠ر٧	١٨٩	٢٥ر٤	١٧٨	٢٣ر٩	٧٤٤	١٠٠ر٠
الإجمالي	١٢٥٥٢	٤١ر٥	٩٣٢٧	٣٠ر٩	٨٣٤١	٢٧ر٦	٣٠٢٢٠	١٠٠ر٠

* دولة قطر ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م .

ملحـــق رقم (٢)

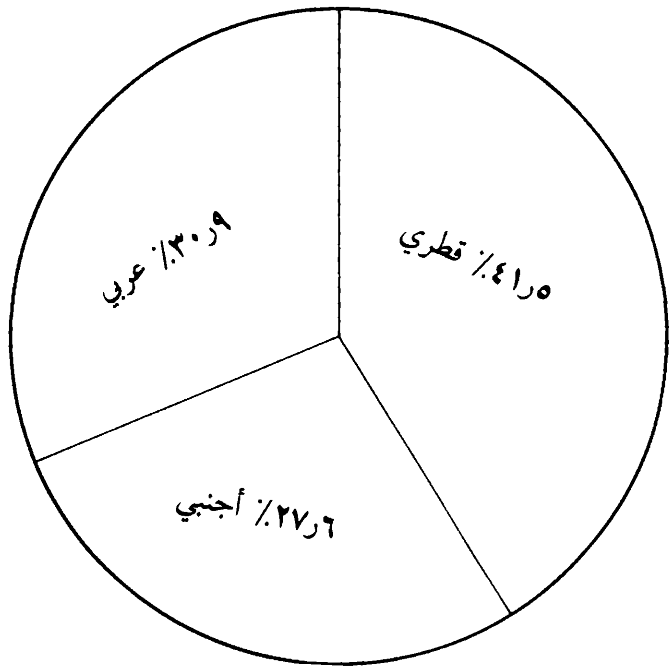
شكل يوضح أعداد موظفي دولة قطر موزعين حسب الجنسية والجنس حتى ١٤٠٣/٦/٣٠هـ*



* دولة قطر ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ الجهاز المركزي للاحصاء ـ المجموعة الاحصائية السنوية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م .

ملحــق رقم (٣)

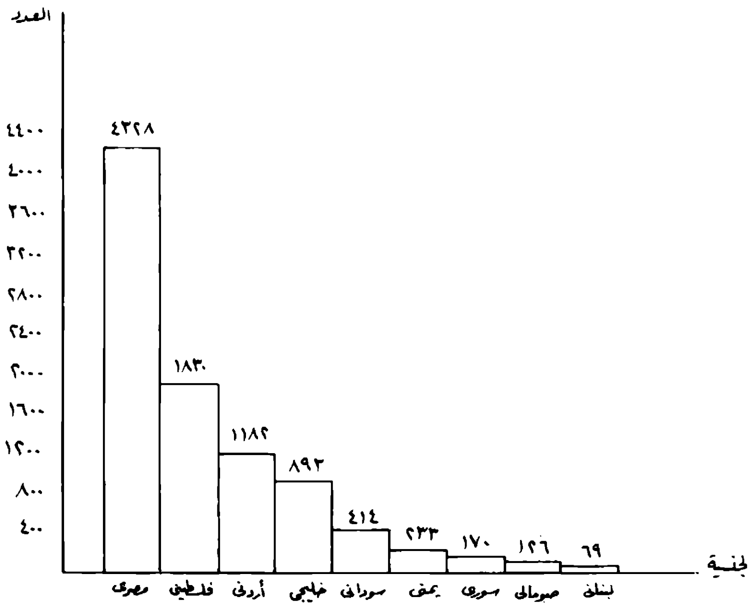
شكل توزيع موظفي الدولة حسب الجنسيات
حتى ١٤٠٣/٦/٣٠هـ*



* دولة قطر ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، الدوحة ـ فبراير ١٩٨٤م .

ملحق رقم (٤)

شكل يوضح أعداد الموظفين العرب (غير القطريين) بدولة قطر موزعين حسب الجنسية حتى ١٤٠٣/٦/٣٠هـ*



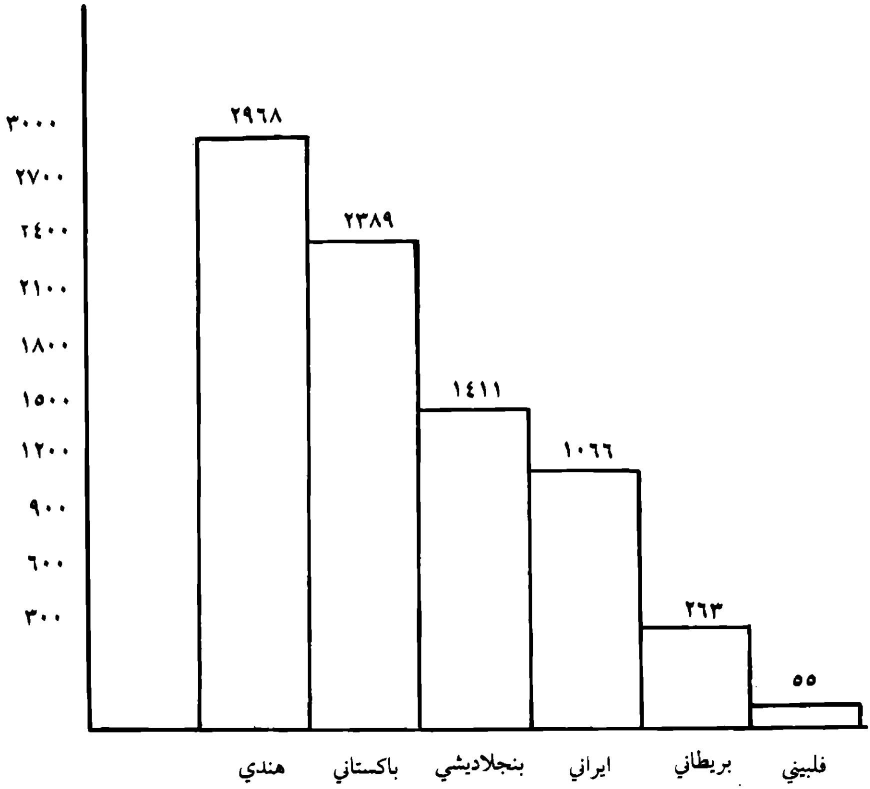
---

* دولة قطر - رئاسة مجلس الوزراء - الجهاز المركزي للاحصاء المجموعة الاحصائية السنوية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م .

ملحق رقم (٥)

شكل يوضح اعداد الموظفين الأجانب بدولة قطر

موزعين حسب الجنسية حتى ٣٠/ ٦/ ١٤٠٣هـ*



* دولة قطر - رئاسة مجلس الوزراء - الجهاز المركزي للاحصاء المجموعة الاحصائية السنوية ، الدوحة ، فبراير ١٩٨٤م .

فكر محمد حسين
بين الأصالة والمعاصرة

الأستاذ الدكتور
ماهر حسن فهمي
أستاذ بقسم اللغة العربية

الذي يقرأ البدايات الأولى لثقافة الدكتور محمد محمد حسين ـ أستاذ الأدب العربي بجامعة الاسكندرية ـ قبل أن يتوفاه الله في ديسمبر ١٩٨٢ ـ يحس أنه تعمق الدراسات الأدبية في التراث ، من خلال كتابه عن الهجاء والهجائين في الجاهلية وصدر الاسلام عام ١٩٤٨ وبحثه عن الوليد بن يزيد عام ١٩٤٩ وتحقيقه لديوان الأعشى الكبير ١٩٥٤ وبحثه عن أساليب الصناعة في شعر الخمر والناقة عند الجاهليين عام ١٩٥٩ .

ولكن مرحلة التحول كانت عندما بدأ يؤلف كتابه « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » عام ١٩٥٤ فقد وجد مادة ضخمة عرض أكثرها في كتابه بجزأيه ووجد تيارات عديدة تتلاطم ، ومن هنا بدأ يدرك أن الحاضر يحتاج إلى وقفة ومراجعة . وكان أخطر ماكتبه بعد ذلك هو « حصوننا مهددة من داخلها » وقد نشره أولاً على هيئة مقالات بمجلة الأزهر عام ١٩٥٦ ثم أعاد طبعها مجموعة في كتاب طبع أكثر من مرة وكان له صداه في أرجاء العالم الاسلامي .

كنت قريباً من الرجل ثلث قرن ، فقد تتلمذت على يديه طالبا بقسم اللغة العربية ثم صاحبته خلال دراستي للماجستير والدكتوراه ، فقد كان رحمه الله مشرفاً عليهما . وهو بحكم نشأته في صعيد مصر ، ثم نزوحه إلى القاهرة ثم الاسكندرية ، كان يحس بالفارق الكبير بين بيئتين . وكان كلما ازداد دراسة لأعلام العصر ومفكريه ازداد احساساً بالفارق بين الواقع والمثال ، مثال براق وواقع انساني به الكثير من نقاط الضعف البشري ، حتى وصل في النهاية الى ما يشبه الاحساس بالفجيعة ، ومن ثم شرع قلمه ليشرح من ناحية ويوجه من ناحية أخرى ، وتجلى ذلك فيما أصدره من دراسات بعد ذلك مثل « اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر » عام ١٩٦١ و « الاسلام والحضارة الغربية » عام ١٩٦٩ و « فقه اللغة العربية بين الأصالة والتغريب » عام ١٩٨١ . ولكن بقى كتاب « الاتجاهات الوطنية » ومقالاته المجموعة « حصوننا مهددة من داخلها » أقوى ما كتب وأكثرها دلالة على فكره ، وفي الوقت نفسه أكثرها تأثيراً في الناس فقد رأيت عشرات الخطابات التي كانت تصله من أرجاء العالم الاسلامي تحمد له وقفته من أجل كشف واقعنا ومحاولة توجيهه الى الطريق السوى .

وقدر له أن يزور الكويت وليبيا ولبنان والمملكة العربية السعودية أستاذا مقيمًا أو أستاذاً زائراً فاتسعت دائرة رؤ يته واتسع اطار تأثيره حتى كان في السنوات الأخيرة من حياته علما من أعلام الفكر الاسلامي ، له مريدوه في كثير من البلاد .

وعندما نريد أن ندرس الخط الفكري لمحمد حسين لابد لنا أن نبدأ من حيث بدأ ، نبدأ منذ القرن الماضي ونسير معه إلى عصرنا هذا . ثم نرى كيف امتحن يوم تصدى لبحث تقدمت به صاحبته للحصول على درجة الماجستير في

القراءات القرآنية ، ورأى فيه جهلاً نتيجة عدم الاختصاص ، أخرج صاحبته عن الجادة ، ودفعها الى اصدار أحكام خاطئة كلها تهدم أركان العقيدة .

ومن الغريب أن الذين هاجموه في الصحف أو حاولوا اصابته في رزقه عن طريق الخطابات المجهولة والمعلومة للمسئولين أخذوا يتزايدون ويتباكون على حرية البحث العلمي ، ويرددون كلام بعضهم كأنهم على اتفاق ، وكأن هذه الرسالة أول أو آخر رسالة ترفض لسبب أو لآخر ، أو كأن اصابة العقيدة والطعن فيها أهون من أن يلتفت إليه حتى لو كان نتيجة الجهل وعدم الاختصاص ، مما أقنعنا أن هناك تجمعات تضع مصالحها الشخصية قبل كل شيء وفوق كل شيء . وصمد الرجل وحده ، وهدأت المعركة بعد حين ، وخرج هو أكثر صلابة ، عازماً على أن يقول كلمته في كل موقف محاولاً تتبع الحركة الفكرية وكشف أبعادها ، والوقوف عند الزوايا المظلمة على وجه الخصوص .

والواقع أنه قد بدأت الدعوة لتطوير المجتمع الإسلامي ببداية هذا القرن في أعقاب الاحتلال الأجنبي للأمة الإسلامية . وهي قد كانت من قبل دعوة للتطور في أعقاب الاحتلال الفرنسي . والتطور حركة طبيعية في الاتجاه الصحيح ، بينما التطوير حركة قسرية أشبه بالقفزات التي لايؤمن معها العثرات . كان محمد على قد قام بفتح المدارس العليا في الطب والهندسة والتمريض والحربية وأرسل البعثات واستقدم الأساتذة الأجانب في هذه التخصصات ، بينما يقوم التراجمة بترجمة دروسهم ، وبذلك يثرون اللغة على الرغم من ارجاء مشكلة المصطلح بلا حلول في أكثر الأحيان .

وتأثر أعضاء البعثات بما شاهدوه في المجتمع الأوربي واضح فيما كتبوه أثناء

اقامتهم في أوربا أو بعد عودتهم منها . ونستطيع أن نلمس ذلك على سبيل المثال في عضوين من الجيل الأول لهؤلاء المبعوثين ، أحدهما مصري أقام بباريس خمس سنوات (١٨٢٦ ـ ١٨٣١) وهو رفاعة الطهطاوي والآخر تونسي أقام بباريس أربع سنوات (١٨٥٢ ـ ١٨٥٦) وهو خير الدين التونسي . ونجد فيما كتبه كل منهما آراء مشتركة ، هي صدى لتفكير القرن الثامن عشر في أوربا ، وفي فرنسا الثائرة بوجه خاص ، وهي آراء تظهر للمرة الأولى في المجتمع الاسلامي وربما ردداها عن حسن قصد دون أن يسبرا أغوارها البعيدة أو يتعمقا حقائقها ، ولكنهما على كل حال قد وضعا البذور التي تعهدها من جاء بعدهم بالسقي والرعاية حتى نمت وضربت جذورها في الأرض . وربما عرضت بعض هذه الآراء عرضا سريعا عاجلا قد يبدو ضئيل الخطر ، ولكن أهمية الطهطاوي وخير الدين ترجع إلى أنهما قد جلبا هذه البذور الغربية وألقياها في التربة الإسلامية . « وللمرة الأولى في البيئة الاسلامية نجد كلاما عن الوطن والوطنية وحب الوطن بالمعنى القومي الحديث في أوربا ، الذي يقوم على التعصب لمساحة محدودة من الأرض ، يراد اتخاذها وحدة وجودية ، يرتبط تاريخها القديم بتاريخها المعاصر ، ليكونا وحدة متكاملة ، ذات شخصية مستقلة ، تميزها عن غيرها من بلاد المسلمين وغير المسلمين ، وللمرة الأولى نجد اهتماما بالتاريخ القديم يوجه لتدعيم هذا المفهوم الوطني الجديد ، وللمرة الأولى نجد عند كل من الطهطاوي وخير الدين كلاماً عن الحرية بوصفها حجر الزاوية في نهضة أمة وفي تقدمها . ولأول مرة نجد دعوة الى وضع مدونة فقهية واضحة محددة في صورة مواد قانونية ، على نمط المدونات القانونية الأوربية . ولأول مرة تنقل الى المسلمين النظريات الثورية التي تريد أن تناقش الحكام الحساب فيما عليهم من واجبات ، وتبصر الشعوب بما هم

من حقوق ، ولأول مرة نرى عرضا للنظم الاقتصادية الغربية التي تقوم على المصارف والشركات ، عرضا يبدو مجردا من التعليق في بعض الأحيان ، ومشوبا بالاعجاب والتساؤل عن امكان تطبيقه بين المسلمين في أحيان أخرى . ونرى بعد ذلك كلاما كثيراً عن المرأة لاشك أنه من وحي الحياة الاجتماعية الأوربية مثل تعدد الزوجات وتعليم الفتيات وتحديد الطلاق واختلاط الجنسين . ويبدو كل ذلك في كتاب الطهطاوي (تخليص الابريز في تلخيص باريز) الذي كتبه أثناء اقامته في فرنسا وعرضه على أستاذه جومار قبل أن ينشره بعد عودته وفي كتابيه اللذين ألفهما بعد ذلك في عصر إسماعيل (مناهج الألباب المصرية) و (المرشد الأمين للبنات والبنين) وهما كتابان تعليميان ألفهما لكي يوضعا بين أيدي الناشئة الذين تزايد فيهم عدد البنات كما هو واضح من عنوان الكتاب الثاني ، وكذلك الكتاب الوحيد الذي ألفه خير الدين التونسي (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) ومن مقدمته على وجه الخصوص . . . . والتجاوب بين الرجلين واضح من اشادة كل منهما بصاحبه »[1] .

ويلاحظ الدكتور محمد حسين أن هذه الآراء لم تكن تشق طريقها في سهولة ويسر خلال المرحلة الأول من مراحل اتصال الاسلام بالحضارة الغربية ، برغم أنها بدأت بعيدة عن أن تمس الاسلام ، بل ان المبادىء الإسلامية في هذا الطور كانت الميزان الذي يوزن به مايراد استحداثه فيقبل أو يرفض ، وكانت دوافع الحكام والمفكرين على النسواء في هذه المرحلة هي طلب القوة للمجتمع

---

(١) الاسلام والحضارة الغربية د . محمد حسين - بيروت ١٩٦٩ ص ١٨ / ٢٠ .

الإسلامي ، وابتغاء الوسيلة الى أسباب النهضة ، التي تخلص المجتمع من ضعفه وجهله وفقره[٢] .

ولم ينته القرن التاسع عشر إلا وقد عظم شأن الاستعمـار الغربي واستفحل ، وأصبح جل العالم الإسلامي في قبضة الغرب ، وبذلك دخلت صلات الاسلام والمسلمين بالحضارة الغربية في طور جديد . ولم يكن هدف الاستعمار من محاولة نشر حضارته هو تمدين البلاد التي استعمرها ، ولكنه كان يقصد بذلك ازالة الحواجز التي تقوم بينه وبين هذه الشعوب وهي حواجز تهدد مصالحة الاقتصادية وتجعل مهمة حراستها والمحافظة عليها صعبة غير مأمونة العواقب . كانت هذه الحواجز الناشئة عن الاختلاف في الدين وفي اللغة وفي التقاليد والعادات سببا في احساس الوطنيين بالنفور من الأجنبي المحتل وفي احساس المستعمر بالغربة ، بل الشعور بالخطر الذي يحيط به ، لأن الاسلام لم يكن مجموعة من الطقوس ، ولكنه كان حضارة كاملة . وكان يزيد من الشعور بالغربة وبالخطر أن تاريخ الاسلام والغرب حافل بالصراع منذ ظهور الاسلام . ومن هنا كان التغريب ـ والتبشير فرع منه ـ هو الحل الأمثل ، كما لاحظ اللورد لويد ، وهو يتلخص في تطوير الاسلام نفسه واعادة تفسيره ، بحيث يبدو متفقا مع الحضارة الغربية أو قريبا منها ، أو غير متعارض معها على الأقل[٣] . ومنذ بداية القرن تحول اهتمام المستشرقين عن الدراسات الاسلامية القديمة الى الدراسات الاسلامية الحديثة التي تتابع تطور الفكر الاسلامي والمجتمعات الاسلامية في مختلف بلاد المسلمين ، وهي دراسات موجهة هادفة ، وذلك واضح في كلام H.A.R.Gibb الذي قدم به مجموعة البحوث التي

---

(٢) الاسلام والحضارة الغربية ص ٥٠

(٣) الاسلام والحضارة الغربية ص ٥٧ وما بعدها .

قام بها عدد من المستشرقين تحت عنوان « وجهة الاسلام » سنة ١٩٣٢ . يقول الدكتور محمد حسين : « وتغريب المجتمعات الاسلامية وتطوير الفكر الاسلامي لاترجع أهميته من وجهة نظر الاستعمار إلى ايجاد التواصل وانشاء علاقات مستقرة أساسها الود والتفاهم وحسب ، ولكنه يرجع من ناحية أخرى إلى مايحاولة الاستعمار من تفتيت الوحدة الاسلامية وما يقدره من أن هذا التطور سوف يأخذ أشكالاً متعددة بحسب ظروف كل بلد . . . فأي صلة سوف تربط المسلم بالمسلم والعربي بالعربي ؟ إن مصدر الخطر أن يفقد الناس الاحساس بالفرق بين ما هو اسلامي وما هو غربي . ان فقدان هذا الاحساس هو النذير بالخطر ، لأنه يعني فقدان الاحساس بالذات . فالجماعات البشرية انما تدرك ذاتها عن طريقين معا : طريق وحدتها التي تكونها المفاهيم والتقاليد المشتركة ، وطريق مخالفتها للآخرين التي تنشأ عن المغايرة والمفارقات ـ ولذلك كان الخطر الذي يتهدد هذه الوحدة يأتيها من طريقين : الشعوبية التي تفتتها ، والعالمية التي تميعها ، فزوال الاحساس بالمغايرة والمفارقة هو هدم لأحد الركنين اللذين تقوم عليهما الشخصية . نريد أن يظل التمييز بين ما هو اسلامي وبين ما هو طارىء مستجلب ـ شرقيا كان أو غربيا ـ حيا في نفوس الأجيال »[٤] .

ولكل فعل رد فعل مساو له في القوة ومضاد في الاتجاه ، فإذا كان الاستعمار البريطاني قد أنبت حزب الأمة أو حزب أصحاب المصالح الحقيقية كما كانوا يسمون أنفسهم وهم طائفة من الملاك ومن المثقفين أمثال لطفي السيد قد رأوا مهادنة الاستعمار والاستفادة من حضارته في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية ، فقد كان الحزب الوطني وعلى رأسه زعيمه الشاب مصطفى كامل

---

(٤) الاسلام والحضارة الغربية ص ١١٩

يرى الوطنية والاسلام شيئاً واحداً ومن ثم كان يرتبط بدولة الخلافة ارتباطاً عاطفياً ، ويقيم توازنا مع الاتجاه الآخر فتسير حركة الحياة في طريق الوسطية .

كانت « الجريدة » تهاجم فكرة الجامعة الاسلامية وتسفه الداعين الى هذا الاتجاه الذي لاسبيل إلى تحقيقه حسب زعمها وهي صحيفة حزب الأمة ، فهي على حد قول الدكتور محمد حسين تنزع عن الوطن صفة القداسة التي يحاول مصطفى كامل أن يغرسها في قلوب الناشئة والمواطنين ، ورجال الحزب ينزعون عن المواطنين صفة الأخوة في الدم أو الدين ، وينظرون الى الوطن نظرة مادية خالصة ، فالمواطنون مجموعة من الناس جمعتهم هذه السوق التي تسمى وطنا وعليهم ان يحرصوا على أن تظل هذه السوق قائمة لاتركد ولا تكسد وعليهم ان يتجنبوا النزاع العنيف ، حتى لايفزعوا البائع والمشتري على السواء ، فتقف سوقهم ، وتبور تجارتهم ويكل ربحهم . . .

وقد دافع مصطفى كامل عن دعوته إلى الجامعة الإسلامية والربط بين الوطنية والاسلام بأن الدين والوطنية توأمان لايفترقان ، وبأن من الخطأ أن يتصور انسان انه لايكون وطنياً إلا اذا تخلى عن الدين ، متسائلا : لماذا يكون الانجليزي وطنياً وبروتستنتينيا في آن واحد ، ولا يكون المصري المسلم وطنياً ومسلمًا ؟ وقد عمل الانجليز على اخماد جذوة العاطفة الدينية الاسلامية حين أيقنوا أنها مصدر خطر محقق ، وأنها المعين الذي لاينضب الفياض ببغضهم والدعوة الى قتالهم . وظلوا يتهمون المصريين بالتعصب الديني ، ويكررون هذه التهمة في كل مناسبة وفي غير مناسبة حتى توهم المصريون أن التعلق بالدين عيب ذميم يجب أن يبرأوا منه وظلت صحفهم وكتابهم يتحدثون عن التسامح وعن الانسانية حتى توهم بعض السذج أن من سمو الخلق وسعة الأفق ورحابة الصدر أن تحب الناس جميعاً حتى المعتدين منهم ، وحتى

المغتصبين الذين يحتلون ديارهم بغير حق ، ولم يزالوا يحدثون المصريين عن المصلحة لينزلوا بالوطنية عن مرتبة العقيدة إلى درجة مادية تزيل عنها كل قداسة ، وتجعلها سعياً وراء القوت ، ومحاولة لتحسين الحال .

وكان من أبرز ما صنعه الاستعمار في الوطن العربي لتمزيق عرى العصبية الدينية وتقطيع أوصال المسلمين في مستعمراتهم حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحداً واحداً ، محاولة اثارة النعرات الاقليمية ، فالمصريون أحفاد الفراعنة ، واللبنانيون أحفاد الفينيقيين والعراقيون أحفاد البابليين والآشويين ، والحجازيون أحفاد العرب وأحق الناس بالقيام على خلافة الاسلام بدلاً من الأتراك ، وكانت العثمانية في ذلك الوقت مع كل ما ابتليت به قوة روحية ، قادرة على جمع كلمة هذه الشعوب باسم الاسلام ضد بريطانيا وضد الدول الاستعمارية ، التي تدرك ما تنطوي عليه تعاليم الاسلام من الحث على الجهاد واعلاء مرتبة المجاهدين في سبيل الله ، والدعوة إلى الأخذ بأسباب القوة . وقد نجح الاستعمار البريطاني في فرض لغته في الهند بينما أخفق في فرضها في الوطن العربي الذي يربط العربية بالقرآن الكريم(٥) .

ولكن توالى الأحداث في الشرق الاسلامي كان سريع الخطى ، فقد انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء ، واذا بالكماليين في تركيا يلغون الخلافة بعد أن كانوا قد خلعوا الخليفة . ولأول مرة يرى المسلمون أنفسهم بلا خليفة .

وكان أخطر واجرأ ما ظهر فيها كتب عن الخلافة مما كان صدى لما تلا الحرب من تطورات في تركيا كتاب « الإسلام وأصول الحكم » لعلي عبد الرازق . ولا

---

(٥) الاتجاهات الوطنية الجزء الأول ص ٩٥ وما بعدها .

ترجع خطورته لدقة في البحث ، فالكتاب يمتاز بجمال أسلوبه ـ كما يقول الدكتور محمد حسين ـ أكثر من امتيازه بالتزامه المنهج العلمي . فهو يعتمد على المستشرقين فيما لا يوثق بهم فيه ، بينما يفرط تفريطاً ظاهرا في الرجوع الى المصادر العربية الأصلية على كثرتها وأهميتها وتوافرها . « ولايكاد القارىء يظفر بفكرة جديدة ، فهو يدور حول اثبات ان الخلافة نظام تعارف عليه المسلمون وليس في أصول الشريعة مايلزم به ، وذلك ما تصدى لبيانه . . . دون أن يقدم الأدلة القوية الواضحة »[٦] .

وانتهت هذه الظروف بمؤلف الكتاب الى المحاكمة . . أما هيئة كبار العلماء ، فأصدرت حكمها في ٢٢ المحرم سنة ١٣٤٤هـ (١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥) وهو يقضي باخراج الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية ومؤلف كتاب (الاسلام وأصول الحكم) من زمرة العلماء . وزاد الأمور تعقيداً أن مؤلف الكتاب ينتمي إلى أسرة كانت تعتبر من أركان حزب الأحرار الدستوريين ـ امتداد حزب الأمة ـ الذين كانوا مشتركين في الحكم وقتذاك مع حزب الاتحاد الذي انشأه القصر . وكان يترتب على قرار علماء الأزهر الذي أخرج مؤلف الكتاب من زمرة علمائه أن يفصل من وظيفته ، لأنه يقوم بالقضاء الشرعي بوصفه من علماء الدين ، وقد انتفت عنه هذه الصبغة بذلك الحكم . وكان وزير العدل آنذاك من الدستوريين وهو عبد العزيز فهمي فرفض تنفيذ الحكم ، وعند ذلك عزله الملك ، فاستقال وزراء الدستوريين من الوزارة احتجاجاً على عزله وتضامنا معه .

---

(٦) الاتجاهات الوطنية الجزء الثاني ص ٨٦ .

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب في كل باب منها ثلاثة فصول . الباب الأول في الخلافة والاسلام ويتناول فيه :

أ ـ الخلافة وطبيعتها ب ـ حكم الخلافة جـ ـ الخلافة والوجهة الاجتماعية

الباب الثاني في الحكومة والاسلام ويتناول فيه :

أ ـ نظام الحكم في عهد النبوة ب ـ الرسالة والحكم
جـ ـ رسالة لا حكم ، دين لا دولة .

الباب الثالث في الخلافة والحكومة في التاريخ ويتناول فيه :
أ ـ الوحدة الدينية والعرب ب ـ الدولة العربية جـ ـ الخلافة الاسلامية

ويدور الكتاب كله حول هدم فكرة الخلافة كنظام اسلامي في الحكم ليصل الى النتيجة التي ختم بها كتابه حين أنكر أن تكون الخلافة أو القضاء أو وظائف الحكم ومراكز الدولة جميعاً من الدين في شي ، ووصفها بأنها خطط دنيوية صرفه لا شأن للدين بها ، فهو لم يعرفها ولم ينكرها ، ولا أمر بها ولا نهى عنها ، وانما تركها لنا لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمم وقواعد السياسة وقد حاول المؤلف أن يصل إلى هذه النتيجة من كل طريق . فالباب الأول يحاول أن يهدم فكرة الخلافة ويبين قلة جدواها ، فيرد على ما ذهب إليه الفقهاء من اقامة الخليفة واثم المسلمين كلهم بتركه ، زاعمًا إنه لم يجد عليه دليلاً من كتاب الله أو سنة رسوله . ويرمى الفقهاء بأنهم يحملون الألفاظ أكثر مما تحتمل فيما استندوا إليه من نصوص . ثم هو يقر أن الخلافة قامت على القهر والغلبة . ويناقش المؤلف ما يحتج به المحتجون للخلافة من اقامة الشعائر الدينية ـ

وصلاح الرعية متوقف عليها ـ فيقول إن أمور أي جماعة تستقيم بقيام حكومة فيها من أي نوع كانت فشعائر الله تعالى ومظاهر دينه الكريم لا تتوقف على ذلك النوع من الحكومة الذي يسميه الفقهاء خلافة[٧] .

ويعرض في الباب الثاني لطبيعة الرسالة التي تستلزم للرسول نوعاً من الزعامة في قومه وأنّ مقام الرسالة يقتضي سلطاناً يختلف عن سلطان الملوك . فولاية المرسل ولاية روحية وولاية الحاكم ولاية مادية وشتان بينهما .

أما في الباب الثالث فهو يعرض فيه الخلافة الاسلامية والحكومة الاسلامية خلال العصور . ويرى المؤلف أن رياسة الرسول كانت دينية جاءت عن طريق الرسالة ، فلما انتهت الرسالة بموته انتهت الزعامة ـ فبيعة أبي بكر في رأيه بيعة سياسية عليها كل طابع الدولة المحدثة . ويرى أن الصديق رضي الله عنه كان يتحرى أن يحذو حذو الرسول وبذلك أفاض على الدولة مظهراً خيّل للناس من خلاله أن الخلافة مركز ديني .

وليس معنى ذلك أنه لم تظهر في هذه الفترة دراسات غير هذا الكتاب ولم يرد عليه أحد ، فالواقع أن محمد رشيد رضا صاحب المنار قد ألف كتاب « الخلافة أو الامامة العظمى » وأن شيخ الاسلام مصطفى صبري قد ألف كتابه « النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة » ، ويرى الدكتور محمد حسين أن كتاب الشيخ محمد الخضر حسين من أقوى ما ألف في الرد على كتاب عبد الرازق . ولكن عرض كتاب (الاسلام وأصول الحكم) في فكرته الأساسية يوضح نقاط الانطلاق التي كانت تصدم عواطف الأمة ومفاهيمها .

---

(٧) الاتجاهات الوطنية الجزء الثاني ص ٨٩ .

في المرحلة نفسها يصدر سلامة موسى كتابه (اليوم والغد) وهو مقالات نشرت خلال سنوات ١٩٢٥/١٩٢٧ وهدف المؤلف واضح فهو يقول في مقدمته كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي فهي تتلخص في أنه يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوربا ، فإني كلما ازدادت معرفتي بالشرق ازدادت كراهيتي له وشعوري بانه غريب عني . وكلما زادت معرفتي بأوربا زاد حبي لها وتعلقي بها وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها . وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سرا وجهرا فأنا كافر بالشرق ، مؤمن بالغرب . ويضرب الكاتب في هذه المقدمة أمثالا لهدفه فهو يريد حرية المرأة كما يفهما الأوربي ، وهو يريد من الأدب أن يكون أدبا أوربيا ، ثم هو يريد أن تكون ثقافتنا أوربية لكي نغرس في أنفسنا حب الحرية والتفكير الجرىء . وهو يهاجم الدين في المقدمة وفي أكثر من موضع - فهو يريد من التعليم أن يكون أوربيا لا سلطان للدين عليه ولا دخول له فيه ، وهو يريد أن يبطل شريعة الاسلام في تعدد الأزواج بحيث يعاقب بالسجن كل من يتزوج أكثر من امرأة ، وهو يريد أن يقتلع من أدبنا كل طابع شرقي مما يسميه « آثار العبودية والذل والتوكل » .

وهو يهاجم العروبة لأنه يقول في صراحة ان لنا من العرب ألفاظهم فقط ولا أقول لغتهم ، بل لا أقول كل ألفاظهم ، فاننا ورثنا عنهم هذه اللغة ، وهي لغة بدوية لاتكاد تكفل الأداء اذا تعرضت لحالة مدنية راقية كتلك التي نعيش بين ظهرانيها الآن .

وفي مقابل هذا السخط على كل مايمت للاسلام والعروبة نجد ثناء على الغرب لاتحفظ فيه ، ودعوة صريحة الى الاندماج والذوبان فيهم ، فهو يدعونا إلى الارتباط بأوربا ارتباطا قوياً ، نتزوج من ابنائها وبناتها وننظر للحياة

نظرها ، ونتطور تطورها الاجتماعي ، ونجعل أدبنا يجري وفق أدبها بعيداً عن منهج العرب ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها . ويهاجم وزارة الأوقاف والمحاكم الشرعية والأزهر وكل أثر له صلة بالاسلام حتى ملابس علماء الدين وحتى الثقافة العربية نفسها .

« والكتاب كما ترى من هذا خليق أن يثير الناس على صاحبه ويصرفهم عن كل مايقوله . ومن هنا كان الكتاب ـ على خطورة آرائه ـ هين الأثر ـ لأنه يتولى بنفسه مهمة التنفير من نفسه ، هذا إلى أن مهاجمة المؤلف ـ وهو مسيحي ـ للاسلام وللثقافة العربية تدعو القارىء الى أن يشك في قصده ونيته »[^٨] .

وإذا كانت الحياة السياسية قد شهدت هذا التوجيه الذي طرحه علي عبد الرازق والحياة الاجتماعية قد شهدت تلك التوجيهات التي طرحها سلامة موسى ، فان الحياة الأدبية قد شهدت في الوقت نفسه في الشعر الجاهلي لطه حسين الذي صدر عام ١٩٢٦ وأثار ضجة هائلة في الصحف وفي المجلس النيابي وتناولت السلطات القضائية مؤلفه بالتحقيق وجمعت نسخه من الأسواق .

وفي يوم ٣٠ مايو سنة ١٩٢٦ تقدم الشيخ حسنين بالقسم العالي بالأزهر ببلاغ للنائب العام يتهم فيه الدكتور طه حسين بأنه ألف كتاباً أسماه « في الشعر الجاهلي » طعن فيه بدين الدولة الرسمي وأتى بما يخل بالنظم العامة وطلب تقديمه للمحاكمة . وبتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٦ تقدم بلاغ آخر للنائب العام من عضو مجلس النواب عبد الحميد البنان يتضمن المعنى نفسه .

---

(٨) الاتجاهات الوطنية الجزء الثاني ص ٢٢٨ .

واتضح من أقوال المبلغين أنهم ينسبون للمؤلف أنه طعن على الاسلام في مواضع أربعة من كتابه :

الأول : أن المؤلف ينكر ما جاء بالقرآن الكريم عن ابراهيم واسماعيل حيث يقول : « للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لاثبات وجودهما التاريخي فضلا عن اثبات هذه القصة التي تحدثت بهجرة إسماعيل بن إبراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة فيها ، ونحن مضطرون الى أن نرى في هذه القصة نوعا من الحيلة في اثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة أخرى » .

الثاني : ما تعرض له المؤلف في شأن القراءات السبع المجمع عليها والثابتة لدى المسلمين وأنه في كلامه عنها يزعم عدم انزالها من عند الله .

الثالث : ينسبون للمؤلف أنه طعن في كتابه على الرسول الكريم من حيث نسبه حيث يقول : « ونوع آخر من تأثير الدين في انتحال الشعر واضافته إلى الجاهليين وهو ما يتصل بتعظيم شأن النبي من ناحية أسرته ونسبه في قريش . فلأمر ما اقتنع الناس أن النبي يجب أن يكون من صفوة بني هاشم ، وأن يكون بنو هاشم صفوة بني عبد مناف وأن يكون بنوعبد مناف صفوة بني قصى وأن تكون قصى صفوة قريش وقريش صفوة مضر ومضر صفوة عدنان وعدنان صفوة العرب والعرب صفوة الانسانية كلها » .

لايرتاب في وجود إبراهيم وإسماعيل وما يتصل بهما مما جاء في القرآن ، ولكنه كعالم مضطر الى أن يذعن لمناهج البحث فلا يسلم بشيء دون دليل علمي فهو يجرد من نفسه شخصيتين ومن ذلك يكون القصد الجنائي غير متوفر(٩) .

وتوالت المقالات في نقد الكتاب ومهاجمة مؤلفه وأرسلت برقيات للحكومة يطالب فيها مرسلوها بطرد مؤلفه من الجامعة ثم لم يلبث الأمر أن تفاقم حين اشترك المجلس النيابي في المعركة فأخذ بعض أعضائه يستجوب وزير المعارف وشغل الكتاب الرأي العام والصحافة والقضاء وممثلي الشعب والبيئات المثقفة كما لم يشغلها كتاب آخر في العصر الحديث ، وتخلف عن هذه المعركة سبعة

كتب ستة منها في الرد على الكتاب ونقد ما جاء فيه وهي « المعركة بين القديم والجديد أو تحت راية القرآن » لمصطفى صادق الرافعي و « نقد كتاب الشعر الجاهلي » لمحمد فريد وجدي ، و « نقض كتاب في الشعر الجاهلي » لمحمد الخضر حسين ، و « النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي » لمحمد أحمد الغمراوي ، و « الشهاب الراصد » لمحمد لطفي جمعه و « محاضرات في بيان الأخطاء العلمية التاريخية التي اشتمل عليها كتاب في الشعر الجاهلي » للشيخ محمد الخضري والسابع في الرد على مطاعن أخرى للمؤلف ألقاها على طلبته بعد ذلك وهو « نقض مطاعن في القرآن الكريم » لمحمد أحمد عرفه .

وأما كتاب الرافعي فقد كان أسبق هذه الكتب في الظهور ، وجمع فيه ماكتب من مقالات نشرها في الصحف عقب ظهور كتاب في الشعر الجاهلي ولذلك فهو ـ كما يرى الدكتور محمد حسين ـ أصدق هذه الكتب وأدقها في

---

(٩) راجع محاكمة طه حسين تحقيق وتعليق خيري شلبي بيروت ـ الجزء الأول ١٩٧٢ ص ٧٠ .

الرابع : أن المؤلف أنكر أن للاسلام أولية في بلاد العرب وأنه دين إبراهيم .

وهكذا يتضح أن موقف طه حسين في حقيقة الأمر كان جزءا من حركة كاملة لعبت دورها في كافة المجالات . يقول النائب عن نقطة الاتهام الأولى بعد بحثها وعرضها : « ونحن لانفهم كيف أباح المؤلف لنفسه أن يخلط بين الدين وبين العلم وهو القائل بأن الدين يجب أن يكون بمعزل عن هذا النوع من البحث الذي هو بطبيعته قابل للتغير والنقص والشك والانكار . وتطرق المؤلف في بحثه الى الكلام عن مسائل في غاية الخطورة صدم بها الأمة الاسلامية في اعز ما لديها من الشعور ولوث نفسه بما تناوله من البحث في هذا السبيل ولم يوفق الى الاجابة والذي نريد أن نشير إليه انما هو الخطأ الذي اعتاد ان يرتكبه المؤلف في أبحاثه حيث يبدأ بافتراض يتخيله ثم ينتهي بأن يرتب عليه قواعد كأنها حقائق ثابتة كما فعل في أمر الاختلافات بين لغة حمير وبين لغة عدنان ثم في مسألة ابراهيم واسماعيل وهجرتهما إلى مكة وبناء الكعبة اذ بدأ فيها باظهار الشك ، ثم انتهى باليقين . وكل ما استند إليه من الأدلة هو :

١ ـ فليس ببعيد أن يكون .

٢ ـ فما الذي يمنع .

٣ ـ ونحن نعتقد .

٤ ـ واذن فليس ما يمنع قريشا من أن تقبل هذه الأسطورة .

٥ ـ واذن فنستطيع أن نقول !!!

الأمر الثـــاني : من حيث أن المبلغين ينسبون للمؤلف أنه يزعم « عدم انزال القراءات السبع المجمع عليها والثابتة لدى المسلمين » ويقول ان هذه

القراءات » إنما قرأتها العرب حسب ما استطاعت لا كما أوصى الله بها نبيه .

وقد قال الحافظ أبو حاتم ابن حيان البستي : اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة في خمسة وثلاثين قولا (راجع كتاب البيان لطاهر بن صالح الجزائري طبع القاهرة ص ٥٩) . والمؤلف لم يتعرض لمسألة القراءات من حيث هي منزلة أو غير منزلة وإنما قال كثرت القراءات . . وما ذكره المؤلف في هذه المسألة هو بحث علمي لاتعارض بينه وبين الدين .

الأمر الثـــالث : وهو الطعن على الرسول من حيث نسبه ، وكل ما نلاحظه عليه أنه تكلم فيما يختص بأسرة النبي ﷺ ونسبه في قريش بعبارة خالية من الاحترام ، ولا يوجد في بحثه ما يدعوه لايراد العبارة على هذا النحو .

الأمر الرابــع : يقول حضرات المبلغين ان المؤلف أنكر أن للاسلام أولية في بلاد العرب وأنه دين إبراهيم . وقد قرر المؤلف في التحقيق أنه لم ينكر أن الاسلام دين إبراهيم ولا أن له أولية في العرب وأن شأن ما ذكره في هذه المسألة كشأن ما ذكره في مسألة النسب : رأى القصاص اقتناع المسلمين بأن للاسلام أوليه وبأنه دين إبراهيم فاستغلوا هذا الاقتناع وأنشأوا حول هذه المسألة من الشعر والأخبار مثل ما أنشأوا حول مسألة النسب . ونحن لانرى اعتراضاً على أن يكون مراده بما كتب في هذه المسألة هو ما ذكر ولكننا نرى أنه كان سيىء التعبير جداً في بعض عباراته .

ويجب لمعاقبة المؤلف أن يقدم الدليل على توفر القصد الجنائي لديه ، أي يجب أن يثبت أنه انما أراد بما كتبه أن يتعدى على الدين الاسلامي . وقد أنكر المؤلف في التحقيقات أنه يريد الطعن على الدين الاسلامي ، وأنه كمسلم

تصوير المعركة التي تلت ظهور الكتاب وما جرت به من أطوار وما تخللها من أحداث . والميزة الثانية هي أنه أكثر هذه الكتب حدة وأعنفها في مهاجمة طه حسين لأنه كتب خلال المعركة ولم يكتب بعدها ، كما هو الشأن في الكتب الأخرى[١٠] .

وشملت المعركة بين القديم والجديد كل نواحي الحياة . « وكانت المرأة أبرز هذه الموضوعات وأكثرها اثارة للجدل ، وذلك لسعة الخلاف بين المسلمين ـ والشرقيين عامة ـ وبين الغربيين ، فيما يتصل بها من عادات وتقاليد ، مما لايرجى معه اتفاق الا بفناء أحد المذهبين في الآخر . على أن المعركة لم تكن جديدة فهي استئناف للمسألة التي فتح قاسم أمين بابها في مستهل هذا القرن ، ولكن الناس قد خطوا الى أبعد مما نادى به قاسم أمين . فقد كان الرجل صريحاً في أنه يريد أن يقف بالحجاب عندما أمر الله به ، وأنه يدعو الى أن لا يجور الناس بتجاوز حدود الله ، وستر ما لم ينزل الدين بأنه عورة ، وبحرمان المرأة من العلم وقصرها في البيوت . ولم يدع قاسم قط الى اختلاط المرأة بالرجال ، ولم يدع قط إلى أن تتجاوز كشف النقاب الى الكشف عن الأذرع والسوق والصدور والظهور .

ولكن قاسم أمين وان لم يدع إلى شيء من ذلك ، هو الذي فتح الباب لمثل هذه الدعوات . . . فقد أخذت الأمور تتطور تطوراً سريعاً ، حتى أصبحت دعوة قاسم أمين وقد استنفدت في وقت وجيز كل أغراضها ، فقد خلعت المرأة النقاب ثم استبدلت المعطف الأسود بالحبرة ، ثم لم تلبث أن نبذت المعطف وخرجت بالثياب الملونة ، ثم أخذ المقص يتحيف هذه الثياب في الذيول وفي

(١٠) الاتجاهات الوطنية الجزء الثاني ص ٣٠٢ .

الأكمام والجيوب ، ثم لم يزل يجور عليها فيضيقها حتى أصبحت على صاحبتها كبعض جلدها . ثم إنها تجاوزت ذلك كله إلى الظهور على شاطىء البحر في المصايف بما لايكاد يستر شيئاً . ولم تعد عصمة النساء في أيدي أزواجهن ولكنها أصبحت في أيدي صانعي الأزياء في باريس . وقطعت المرأة التعليم الابتدائي والثانوي واقتحمت الجامعة ، مزاحمة فيما يلائمها وفيما لايلائمها من ثقافات وصناعات وشاركت في الوظائف العامة . ثم لم تقف مطالبها عند حد في الجري وراء ما أسماه أنصارها (حقوق المرأة أو مساواتها بالرجل) . . وكان تيار الحياة يكتسح المعارضين أنفسهم اذ يصبحون وقد أحاط بهم ما يكرهون وما يحاربون في أشخاص بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم ، حتى بدا التناقض واضحا بين ما يقولون وما يجري في بيوتهم . . .[11] .

وهكذا انقسم زعماء الاصلاح الى فريقين : فريق ينظر إلى قديم المسلمين والعرب يمجده ويستوحيه ـ وفريق آخر ينظر إلى ما حقق الغرب في حاضره من تفوق يزينه للمسلمين ويدعوهم إلى احتذائه والسير على خطاه . وسرى هذان الأسلوبان في كل شئون الحياة ، فأصبحنا أمام فريقين متقابلين : فريق يدعو الناس الى الثورة على الماضي ، ويدفعهم إلى الجديد دفعا لا رفق فيه ولا هوادة ، ويحملهم عليه حملا لا تدرج فيه .

وفريق آخر يقول : ان علة تأخرنا هي موت ضمائرنا وفتور عزائمنا ، وذلك مالا سبيل إلى احيائه الا بالاسلام الذي يعلم المسلم أن حمل أعباء الحياة أمانة وأن الجهاد لاعزاز المسلمين وتحريرهم فريضة . وكان المعتدلون من دعاة الحضارة الغربية لا يعارضون في تنقيتها وتهذيبها واستبعاد ما يتعارض

(١١) راجع الاتجاهات الوطنية الجزء الثاني ص ٢٤٨ وما بعدها .

منها مع ديننا وتقاليدنا . وكان المعتدلون من دعاة الاسلام لا يعارضون في اصلاح عاداتنا وتقاليدنا واستبعاد الضار منها مما أقحم على الاسلام وليس منه ، ويرون أن التمسك بالدين لا يتعارض مع الأخذ بالنافع من المخترعات والجديد من الدراسات التجريبية والتطبيقية التي تلزم النشء لكي يساير النهضة الصناعية . ولكنهم يفرقون بين ذلك وبين الحضارة والثقافة التي تتصل بالعقائد ولعادات والتقاليد والأذواق وآداب المجتمع وأساليب الحياة وأنماط العيش . فيعارضون أشد المعارضة في أن تكون حضارتنا وثقافتنا صورة من حضارة الغرب وثقافته أو امتداداً له . ولكن المتطرفين من الفريقين كانوا يبلغون في تطرفهم الشطط في كثير من الأحيان . على أن المعركة بين الفريقين هي على كل حال صورة من مظاهر الحركة والحياة في المجتمعات الانسانية والعنصران كلاهما لازمان للمجتمع[١٢] .

ولايكاد يهدأ الصراع بين القديم والجديد في حياتنا حتى يعود من جديد أكثر حدة ، فالمتطرفون من دعاة التجديد والتغريب يهاجمون بقسوة أحياناً ، ويندفعون في سيرهم اندفاعا ، حتى يقف لهم نفر من المحافظين ، ومن ثم يعتدل المسير ويبين الطريق ، وكما كان موقف الرافعي من دعاة التغريب في العقد الثالث من هذا القرن كان موقف « محمد حسين » منهم في الجيل التالي . وقد وضحت أقوى صور هذا الموقف في كتابه « حصوننا مهددة من داخلها » .

يقول في مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩ : « هذه كلمات كنت قد نشرتها في مجلة الأزهر خلال الأعوام الثلاثة الأخيرة . . . وقد كان الذي دعاني الى كتابة هذه السلسلة من المقالات ، أني رأيت الالحاد والانحلال في هذه الأيام

---

(١٢) الاتجاهات الوطنية الجزء الثاني ص ٢٠٩ .

يشتعل ويسرى سريان النار في يابس الحطب ، ورأيت دعاته يستفحل أمرهم في كل مكان ، ورأيت الناس مشغولين بالجدل والنقاش حول ما يثيرونه من موضوعات يسترون مآربهم الهدامة من ورائها تحت أسماء خلابة كالنهضة والتحرر والتطور ومتابعة ركب الحياة . وهي موضوعات منوعة تشمل الحياة في شتى نواحيها ، يخترعونها ثم يهولون من شأنها حتى يلفتوا اليها أنظار الناس ، وحتى ينشأ جيل جديد مرنت أذنه منذ وعي على سماع المناقشات حول هذه الموضوعات فيتوهم أنها مشكلات حقيقية لابد لها من حل ، ويتجه في أغلب الاحيان الى أنصاف الحلول التي ترضى الطرفين المتخاصمين حسب وهمهم والخاسر في حقيقة الأمر هو صاحب الحق ، والربح كله للباطل وأصحابه . . . والجدير في أمر هؤلاء الدعاة أن شرهم لم يعد مقصوراً في هذه الأيام على الكلام . فقد انتقلوا من مرحلة الكلام الى مرحلة العمل بعد أن نجحوا في التسرب الى الحصون التي تحمي قيمنا ، وأصبح كثير منهم في مناصب تمكنهم من أن يدسوا برامجهم وخططهم . . . من أجل ذلك كتبت هذه الكلمات لمجلة الأزهر ، ثم أعدت نشر مجموعة من هذه الصفحات . كتبتها لألقى الأضواء على الذين يعملون في الظلام ، وأكشف الستر عما يدبرون في الخفاء . ولأفضح دسائسهم التي يلقون عليها حجبا كثيفة من الرياء والنفاق ، حين يندسون بين صفوف العاملين على بعث معالم شخصيتنا واحياء شعائرنا ، يتظاهرون بالغيرة على اسلامنا وعلى عروبتنا ، حين تنطوي ضمائرهم على فساد العقيدة . . .

كتبت هذه الصفحات حين كتبتها لكي أفضح هذا النفر من المفسدين وأنبه الى ما انكشف لي من أهدافهم وأساليبهم التي خدعت بها أنا نفسي حينا من الزمان مع المخدوعين . وقد كان مصابي هذا في نفسي وفي تفكيري مما جعلني

أقوى الناس أحساسا بالكارثة التي يتردى فيها ضحايا هؤلاء المفسدين .

ومن الواضح أن هذه الصفحات لا تستقصى نشاط الهدامين ولاتستوعب كل ميادينهم ولا تحصيها عدداً . ولكنها تقدم نماذج منها تكشف عن أساليبهم في الدس والتزييف والهدم والتخريب ، وهي أساليب لا يقتصر شرها على بلد دون بلد ، فهي تعم بلاد العرب ، بل بلاد المسلمين ، بل الشرق كله ، يسقونه السم على حين نهضة حتى لا تصح له نهضة ، وليقودوه إلى الهاوية التي يوشك الغرب كله - شرقية وغربية - أن يتردى فيها . وسيعلم القارىء أن أصبع الصهيونية العالمية الهدامة التي تطمع في أن ترث الأرض وتستعبد كل من عليها لليهود من وراء هذه الدعايات والدعوات . ولذلك لم يكن من قصدي في هذه الصفحات أن أقنع الذين أنبه الى خطورتهم ، فأكثر هؤلاء دعاة وليسوا طلاب حق ، ولايخرجهم من ضلالهم الا أن يرزقهم الله الهداية ويشرح صدورهم للايمان . ولكن أكثر قصدي في هذه الكلمات كان الى الشباب خاصة ، أنبههم إلى ما قد يخفى عليهم . . . ولست أبالي أن يكون المنتفعون بهذه الكلمات والذين يعونها حق الوعي قلة من الناس »[١٣] .

وبعد هذا المدخل يقسم كتابه الى مجموعة من البحوث « في الدراسات النفسية والاجتماعية » ثم « في الفن والثقافة » و « في التنظيم الاجتماعي » و « في جامعة الدول العربية » (في الكتب المترجمة - في المؤتمرات) ثم « في مناهج اللغة والدين في التعليم العام » و « في الجامعة » و « حول الدراسات اللغوية » و « حول بحث جامعي في قراءات القرآن » وأخيراً في « الدراسات الاسلامية » فيتناول « الشرق الأدنى ، مجتمع وثقافة » ثم « الاسلام في

(١٣) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ص ١٠ وما بعدها - بيروت - ١٩٧١ .

العصر » . وبذلك يكون قد غطى جوانب عديدة من الفكر المعاصر في اتجاهاته المختلفة .

ويبدأ بحثه الأول بتمهيد يذكر فيه أن الدول لاتسود ولا تعلو بالحديد والنار ولا بالمال ما لم يكن وراء ذلك كله رابط متين يجمع أهل البلاد ويشد بعضهم إلى بعض . وأعلى هذه الروابط وأدومها أثراً وأعمقها جذوراً هو الدين الذي يوحد العادات والأمزجة على ألوان معينة من غذاء النفوس . واللغة هي الوعاء الذي يشمل كل ذلك ، لذلك كانت المعاهد والمؤسسات التي تقوم على صيانة الدين واللغة هي بمثابة الحصون والمعاقل التي تسهر على حمايتنا وسلامتنا . وكانت العناية بأمرها خليقة أن تنال من اهتمامنا مثل ما تناله العناية باعداد العدة الحربية والصناعية بل أشد .

ثم ينتقل الى كتاب أصدرته الجامعة الأمريكية ـ بيروت في يوليو ١٩٥٦ يحتوي على محاضرات في نظام التربية هي تسجيل لما دار في مؤتمر دعت إليه تلك الجامعة واشترك فيه جماعة من كبار المسئولين عن التربية في مصر وسوريا والعراق والأردن ولبنان وقد لفت نظره أن هؤلاء المدعوين قد ظلوا في ضيافة المؤتمر أربعة شهور كاملة ، ويعجب القارىء للسخاء الذي أنفقت به الأموال على هذا المؤتمر وأمثاله خاصة اذا عرف أن مؤسسة روكفلر هي التي قامت بكل النفقات (وجد هذه الأسرة جوهان روكفلر ـ يهودي ألماني . وكل أفرادها يمولون المنظمات اليهودية المختلفة في أمريكا) . وهو يطيل الحديث في أهداف هذه المؤسسات التي تسعى إلى توثيق الصلات بذوى النفوذ ومن ثم السيطرة على توجيه المجتمع . ثم يربط بين هذه المؤسسة ومؤسسة فرانكلين ، ويضرب مثلا بكتاب واحد من كتب مؤسسة فرانلكين وهو العدد الثاني عشر

من سلسلة دراسات سيكولوجية التي أشرف عليها الدكتور عبد العزيز القوصي وهو بعنوان (الطفل والأمور الجنسية) وجاء في ص ٤٦ منه : « ان الكثير من الآباء اليوم لايكترثون للظهور مجردين من الثياب أما أطفالهم » ثم يعلن قائلا : « أرأيت الى الذين يريدون أن يعودوا بنا إلى الهمجية الأولى والجاهلية الجهلاء ، هل ترى فرقاً كبيراً بين مذهبهم هذا وبين مذهب الذين يمارسون العرى في مدن العراة[١٤] ؟ » وجاء في ص ٧٨ من الكتاب نفسه : « ان خروج الفتيات في صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها ـ في الوقت المناسب على أي حال ـ باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمي للمراهق » . ويستطرد الكتاب الى أبعد من ذلك بكثير فيما يتصل بالعلاقة بين الجنسين والحديث عن الحاجات الانسانية سواء أكانت عضوية أم اجتماعية .

ثم يعلق الدكتور محمد حسين قائلاً : « وبعد فهذه الدعوات وأمثالها مما تنزعج له لأنه ينافي الدين والخلق القويم ومما نسميه نحن بذاء أو فجوراً ويسميه أصحابه علما ويضعونه تحت عنوان جميل اسمه علم النفس ويغوون الناس باسم العلم فيما فشل فيه التبشير والدعوات الهدامة طوال قرن من الزمان ـ نعم ، هذا البذاء وهذه الدعوة السافرة إلى هدم الخلق ونقضه والقضاء على الحياء الذي لايقوم بغيره مجتمع ولاخلق ولا دين ، واشاعة الفاحشة بين خلق الله تسمى عندهم علما . . . والتجارب والاحصاءات ليست هي الوسيلة الصحيحة لتقرير الحقيقة في مذاهب الناس وسلوكهم ، لأنها محدودة بحدود الزمان والمكان والحواس ولذلك لم يكن هناك مندوحة من الأستناد في التنظيم الاجتماعي والتقنين التربوي الخلقي الى الشرائع

(١٤) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ص ٤١ .

السماوية ، لأن موضوعها هو هذا التنظيم وجمع الناس عليه ، أما العقل فميدانه المسائل المادية الخالصة كالهندسة والكيمياء ، وكل ما اصطلح الغربيون في هذا العصر على تسميته بالـ Science . . . جمع الدين الناس على قيم الخير ومثله ، وهي قيم موحدة متفق عليها ، ثم جاء هؤلاء الباحثون باسم علم النفس والاجتماع ففرقوا الناس ومزقوا وحدتهم وشككوهم في قيمهم ، ثم لم يستطع واحد منهم أن يجمعهم على مذهبه . . . وليس يفهم من ذلك كله أننا ندعو إلى مصادرة البحوث النفسية والاجتماعية والأخلاقية ، فذلك مالا يدعو إليه عاقل يؤمن بنعمة العقل والتفكير ، ولكن الذي ندعو إليه هو أن ندرك حق الادراك مدى طاقتنا العقلية والفكرية فنقيد أنفسنا في هذه البحوث بقيود الدين . فنحن اذن لا نعطل العقل ولكننا نحفظه من الضلال ونلزمه أصولاً وقواعد هي كالسور الذي يعصم السالك في الظلام من التردي في الهاوية وهي مثل قوانين المنطق التي لا يعتبر التزامها حداً للتفكير ولكنه عصمة له ، وهي مثل الدستور الذي لا يعتبر تقيد المشرعين به في كل ما يشرعون حداً من سلطتهم ولكنه ضمان لهذه السلطة أن لا تزيغ عن القصد .

ونحن ان احتجنا إلى الاستفادة من خبرة الغرب وتفوقه في الصناعات الآلية التي كانت سبباً في مجده وسيادته ، فمن المؤكد أننا في غير حاجة إلى استيراد قواعد السلوك والتربية والأخلاق »[١٥] .

وإذا كان طه حسين فيما سبق قد حاول في مقدمة لكتاب « في الشعر الجاهلي » أن ينسلخ من كل موقف ديني أو خلقي أو وطني قبل أن يبدأ بحثه من أجل الوصول للحقيقة المطلقة ، فقد رأى محمد حسين بعد جيل أن هذا

(١٥) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ـ ص ٤٦ ـ وما بعدها .

الانسلاخ في الأبحاث التي تتصل بالقيم والأعراف قد يقود إلى مزالق شديدة وقد يوجه توجيهاً سيئاً تحت ستار أو آخر ، ولذلك رأى أن الحقائق في هذه البحوث الانسانية ليست مطلقة ولكنها محكومة باطار الزمان والمكان والقيم والمثل والدين ، وهذه القيم هي الدستور الذي يقي الباحث فيها من أخطر المزالق .

ويتناول في مقالة تالية بعنوان « في التنظيم الاجتماعي » موضوع الاختلاط . ويرى أن هذا الاتجاه جزء من اتجاه أكبر يراد به فرنجة المرأة الشرقية وحملها على أساليب الغرب في شتى شئونها : في الزواج وفي الطلاق وفي المشاركة في العمل وفي الزي وفي المحافل والمراقص . وهذا الاتجاه بدوره جزء من اتجاه أكبر يراد به سلخنا من آدابنا الاسلامية وتشريعاتنا الاسلامية والحاقنا بالغرب في الموسيقى والرسم والأدب والتشريع .

والقرآن (سورة النساء آية ٢٥ ـ ٢٧) ينهى عن عقد الصلات بين الرجال والنساء واتخاذهن صديقات على نحو ما يحلو لبعض الناس في هذه الأيام أن يسميهن تقليداً للغربيين (Girl Friend) . ويقول تبارك وتعالى ان « الصبر خير » بينما يسمى الفرويديون الصبر وضبط النفس والتحكم في الرغائب والشهوات كبتا .

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون جميع خلقه من ذكر وأنثى . تجد ذلك في الحيوان وفي النبات وفي الظواهر الطبيعية كالكهرباء والمغناطيس . ومن طبيعة الأزواج في كل هذا الخلق أن تتجاذب وهو جزء من قانون عام لاسبيل إلى تجنبه وليس من المطلوب اضعافه . واطلاق الأمر في تجاور الرجل والمرأة واختلاطهما لايخلو من أحد أمرين : أما أن يؤدي إلى اثارة الرغبات في الجنسين وزيادة حدتها أو يؤدي إلى أضعافها وكسر حدتها . فإذا أدى إلى زيادة

الحدة ولم تكن هناك حدود ونظام تحول الأمر إلى فوضى وعند ذلك يشيع الأذى بين الناس بشيوع الأمراض وتتكاثر الأحقاد بين الذين أوذوا والذين آذوا الأعراض ، وبين المتنازعين والمتنازعات على الرجل أو المرأة ، وذلك كله مما لاتسعى إليه جماعة تنشد الوحدة والسلام . أما الفرض الآخر فيترتب على أن الف النفس للشيء وتكرار اعتيادها اياه يضعف أثره فيها . أليس هذا هو ما يسمى بالبرود ؟ ثم أليس البرود مرضاً يسعون به إلى الأطباء . وهو غير الحالات المرضية الشديدة التي تعرض النوع البشري للفناء بانقطاع النسل يستتبع ضعف النسل وتخلفه . ومما يتفق مع هذا المذهب في النتيجة ـ وان اختلف معه في التعليل ـ ما يذهب إليه علماء الوراثة من التنبيه إلى خطر زواج الأقارب ثم يعقب قائلاً : « وأنا أعلم أن كثيراً من الناس لايقع منهم الدليل موقع الاقناع الا اذا نسب إلى الغرب . وإلى هؤلاء أسوق عن الاستاذ بيتريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفارد في كتاب له صدر أخيراً بعنوان (الثورة الجنسية) حيث يقرر أن أمريكا سائرة بسرعة الى كارثة في الفوضوية الجنسية كما يقرر أنها متجهة إلى الاتجاه نفسه الذي أدى إلى سقوط الامبراطورية الاغريقية ثم الرومانية . . »[١٦] .

وينتقل إلى الترجمة بجامعة الدول العربية ، فيرى أن الجامعة قد حادت عن طريقها حين اختارت مالا فائدة منه بل انها اختارت ما يضر لاما ينفع وأنفقت أموال العرب انفاقا أقرب إلى الاتلاف . فيتوقف عند « قصة الحضارة » لديورانت الذي ترجمته الادارة الثقافية . وقبل أن يتناول الكتاب يؤكد أن العرب لم يغلبوا من ضعف في الفلسفة ولا الآداب ولا التاريخ . ولكنهم غلبوا وضربت عليهم الذلة لأنهم متخلفون في العلوم التجريبية المادية بكل فروعها

---

(١٦) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ـ ص ٨٦ وما بعدها .

الكيميائية والطبيعية والميكانيكية ، النظرية منها والتطبيقية . ولايبلغ العرب درجة الأستاذية في هذه العلوم التي أذلهم عدوهم بتفوقه عليهم فيها إلا اذا أصبحت ملكا لهم . وهم لايملكون هذه العلوم ولا يحسون أنها علوم عربية الا اذا قرأوها بالعربية وكتبوها بالعربية . وسيظلوّن يحسون أنهم غرباء عليها متطفلون على أصحابها حتى يقوموا بتعريبها والاضافة اليها .

وينتقل الى الكتاب (الجزء الحادي عشر ص ٢٠٢ ـ ٢٠٥) أثناء حديثه عن المسيح ، فيرى المؤلف يتساءل ان كان قد وجد حقاً ، ويشكك في نسبه وينكر كل معجزاته ، ثم يعقب الدكتور محمد حسين قائلاً : « وأكثر هذه المفتريات التي حشدها ذلك الصهيوني الهدام في كتابه مروية عن المؤرخ اليهودي يوسيفوس »[١٧] .

وبمثل هذا الأسلوب الالحادي عالج المؤلف حياة نبينا عليه السلام في الجزء الثالث عشر ففيه أخبث أساليب الكيد والدس وهو لايلجأ إلى الأسلوب البذيء الصريح الذي فعله مع شخص المسيح ، ولكنه يتظاهر بالانصاف ، مع أنه لايروي عن الرسول الا الغرائب يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو لغير الخبير بالتاريخ الاسلامي في صورة تثير السخط وتدعو الى الاشمئزاز ، كالذي يصف المجرم وهو يساق إلى القتل ويخفى ما اجترم من مفاسد . تجد ذلك في كلامه عن قتل امرأة وعن قتل شيخ ، ومثل ذلك عن ضم صفية ـ وهي فتاة يهودية في السابعة عشرة من عمرها كانت مخطوبة ـ إلى نساء النبي (ص ٣٩) . فمثل هذه الألغام ـ كما يقول الدكتور محمد حسين ـ التي يدسها الرجل في أثناء سطوره تترك أسوأ الأثر في نفوس القراء الغربيين وضعاف النفوس من المسلمين ، هل هذا تاريخ ؟ أم أنه تشنيع في صورة خطيرة لأن

---

(١٧) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ص ١٩٠ .

صاحبه يتظاهر بالاتزان والانصاف . ومن أمثله الأسلوب الخبيث وصفه الرسول بأنه كان يعني بمظهره ويقضي في تلك العناية كثيراً من الوقت يتعطر ويكتحل ويصبغ شعره ويصفه بأنه كان قلقا عصبي المزاج ـ ويرى الدكتور محمد حسين أن هذا الأسلوب المسموم في التصوير انما يريد أن يصور الرسول في صورة المتصابي وفي صورة المضطرب الأعصاب . ويكمل ديورانت حديثه (هاجرت الى المدينة مائتا أسرة من مكة فنشأت فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفي أهلها من الطعام ، وحل محمد هذه المشكلة كما يحلها كل الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أني وجد . ومن ذلك أنه أمر أتباعه بالاغارة على القوافل المارة بالمدينة) ويحاول المؤلف أن يلبس حديثه ثوب العلم . ويعلق الدكتور محمد حسين قائلا : (أترى إلى هذا الكلام المسموم الذي يصور المسلمين الأولين في صورة عصابات اللصوص وقطاع الطرق ، فينقلب ذلك النفر الكريم من المجاهدين الأولين في نشر كلمة الله ، الذين لم يكونوا يبالون بحياتهم الدنيا في سبيل ما أعده الله لهم من ثواب الجهاد في نشر دينه إلى هذا المستوى)[١٨] .

أما البحث التالي من البحوث التي تناولت جامعة الدول العربية فهو خاص بالمؤتمرات في اطار التعاون بينها وبين الهيئات الثقافية الدولية ويتوقف عند المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية الذي عقد بدمشق ١٩٦٥ ويتوقف عند دعوة أحمد حسن الزيات الى دراسة عاميات الأقطار العربية المختلفة لاقرار ماهو مشترك فيها سواء صح في معاجم اللغة وكتبها أو لم يصح واقتراح احمد عبد السلام مندوب حكومة تونس الخاص بأن تؤلف المجامع اللغوية لكل قطر

(١٨) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ص ١٩٥ .

معجما صغيراً لايتضمن الا الألفاظ العربية الفصيحة التي بقيت مستعملة بمعناها الأصلي في لغة ذلك القطر وتوصيه معلمي الأحداث والعامة بالاقتصار عليها قدر المستطاع . ويؤيد أن يشتغل عدد من علمائنا باللغات العامية وأن يدرسوها دراسة دقيقة .

ويعقب الدكتور محمد حسين قائلاً : « وأول مايلفت النظر في هذه الكلمات والمقترحات ما انحدرت اليه مجامع اللغة العربية من ترويج الدعوات المريبة إلى تطوير اللغة وقواعدها ورسمها . . . ولكنهم في كل الأحوال وعلى أختلاف الأسماء يعنون شيئاً واحداً هو التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرناً أو يزيد فضمنت لجيلنا وللأجيال المقبلة أن تسرح بفكرها وأن تمرح في معارض فنون القول وآثار العبقريات الفنية والعقلية لاتحس قيود الزمان ولا المكان ، فكأنما القرآن قد أنزل فينا اليوم وكأنما شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكتابها وأطباؤها وورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها على اختلاف أزمانهم قد كتبوا ماكتبوا وألفوا ما ألفوا في الأمس القريب ، وكأنما المتنبي أو البحتري يخاطب جيلنا لا تمييز بينه وبين شاعر معاصر كالبارودي أو شوقي أو حافظ وكأنما الرصافي يكتب شعره للقاهريين ، وكأنما الشابي يكتب شعره للشاميين وكأنما شوقي يخاطب بشعره أهل المغرب ، وهذه ميزة من الله بها علينا ولم تحظ بمثلها أمة من الأمم ، فإذا تحللنا من القوانين والأصول التي صانت لغتنا خلال هذه القرون المتطاولة تبلبلت الألسن وأضاف كل يوم تطلع على الناس شمسه مسافة جديدة توسع الخلف بين المختلفين حتى يصبح بين الشامي والمغربي مثل مابين الايطالي والأسباني . . . وتصبح قراءة القرآن والتراث العربي الاسلامي كله متعذرة على غير المتخصصين من دارسي الآثار ومفسري الطلاسم ، وعند ذلك يصبح كل

جهد سياسي أو حربي أو أدبي مما يبذل اليوم في جمع شمل العرب عبثاً لاطائل تحته . . .

« أما مازعمه على حسن عوده في المؤتمر من أن هدفنا هو توحيد العامية والفصحى وجعلهما لغة واحدة فهو خطأ أساسي في تصور الموضوع ، فليس مطلوبا أن تصبح لغة الحديث والأسواق والتعامل بين الناس هي نفسها لغة الشعر والأدب والعلم والفلسفة ، لأن التعامل يحتاج إلى لغة سريعة الوفاء بالغرض ، ولكنه لايحتاج إلى لغة دقيقة كحاجة العلم اليها ، ولا يحتاج إلى لغة جميلة مؤثرة كحاجة الشعر والأدب عموماً اليها . اذ يكفي في لغة التعامل أن يفهم بعض الناس عن بعض من أقرب طريق وأخصره . وقد يستعين المتعاملون على اتمام مافي العامية من قصور باشارات اليدين وبتلوين نغمة الكلام وتنويعها ، وبالتعبير بقسمات الوجه . ومن الواضح أن لغة الأسواق لاتناسبها لغة راقية معقدة التركيب ، لأن قواعد اللغة الراقية تضيع وقت المتعاملين الذين لايحتاجون للدقة أو الجمال حاجتهم إلى السرعة . فاستعمالهم الفصحى في التعامل يشبه استعمال الموازين الدقيقة التي يوزن بها الذهب والأحجار الكريمة في وزن الخبز والملح . . . وقواعد اللغة الفصحى تجعل تطورها بطيئاً ، بينما لغة التعامل والأسواق تسد حاجات متغيرة يطرأ عليها كل يوم جديد لم يكن بالأمس . أما لغة الأدب فهي سجل لحالات عقلية ونفسية ثابتة متصلة ، من الخير أن نحرص فيها على صلة الخلف بالسف ، لكي ينتفع بتجاربه . فنحن نقرأ ما كتب في الأدب منذ آلاف السنين فنجد فيه صورة من تفكيرنا الراهن لذلك فالأدب محتاج إلى لغة أكثر استقراراً لتحقيق هذه الصلات بين القديم والجديد . . . ومع ذلك كله فالأدب بطبعه متعة

عقلية وروحية ، وليست المشكلة مشكلة ألفاظ فحسب ، ولكنها مشكلة الأفكار والأخيلة التي تحتاج إلى مستوى ثقافي معين . .

« المهم هو أن يحرص العرب على استعمال لغتهم العربية في كل الميادين ، فتحرص الأذاعات والصحف ومنابر العلم عامة والجامعات خاصة والقضاء والمؤتمرات على اللغة الفصحى ، هذا هو السبيل الطبيعي للتطور . . . فالحوشى يموت بطبعه كما يذهب كل باطل وكل ثقيل وكل مستهجن غير صالح ، لأن الأدباء والشعراء والعلماء ينفرون من استعماله . وهؤلاء هم في الحقيقة صناع اللغة ، وهم الذين يقومون بمهمة التصفية . ومن ورائهم الذوق العربي العام الممثل في جمهور القراء والرواة . . وإذا كان هناك من يوهمون الناس بأن هناك خطراً على العربية الفصحى أن يهجرها الناس الى العامية اذا لم تخضع لما يريدونه في تطور . . . فالذي ينقض هذا الزعم الباطل هو الواقع المشاهد الذي أثبت أن العربية قد عاشت جنبا إلى جنب مع هذه اللهجات المحلية أكثر من ألف عام حتى الآن .

وهذه الدعوة لم تنشأ الا في ظل استعباد الغرب لبلاد العرب والمسلمين وفي حضانة التبشير ، ويكفي أن أذكر على سبيل المثال أسماء سبتا W.Sbitta وفولارز K.Vollers وباول S.Powell وفيلوت D.C.Plillott وبوريان M.Bouriant وما سبيرو M.Mospero الذين قادروا هذه الدعوة »[١٩] .

ثم ينتقل إلى بحث في قراءات أعد ليكون رسالة للماجستير بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، وهو بحث أشرف عليه وناقشه ثلاثة من أساتذة اللغة العربية ، اثنان من أعضاء المجمع ، والثلاثة بدأوا حياتهم بالدراسة في الأزهر

---

(١٩) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ص ٢١٢ وما بعدها .

وان لم يتموا دراستهم فيه فأحدهم أكمل دراسته بكلية الآداب والآخر بالقضاء الشرعي والثالث بكلية دار العلوم . وقد أقرت اللجنة منح الدرجة العلمية للطالبة واشترطت الا يطبع الا بعد تعديل بعض اجزائه . وقد تقدم الدكتور محمد حسين بمذكرة إلى عميد الكلية وإلى مدير الجامعة يطلب فيها التوقف عن منح الدرجة فاستجابت الجامعة وتوقفت عن منح الدرجة . عند ذلك ظهرت المقالات التي تهاجم الدكتور محمد حسين وتغرى به الدولة وتتهمه بالرجعية وبعداوة الثورة والتقدمية وكانت لأكثر من أربعة عشر أستاذاً جامعياً وقانونياً بعضهم ممن صور له الأمر على أنه توريط لصاحبة البحث في تهمة الالحاد بقصد ايذائها وبعضهم ممن تربطهم صلات بأعضاء اللجنة مانحة الدرجة وبعضهم ممن تورطوا فيما لاعلم له به وبعضهم من محبي الظهور .

والمذكرة الأولى التي رفعها الدكتور محمد حسين للجامعة تقوم على اعتراضين أساسيين : أولهما : أن قسم اللغة العربية ليس مختصاً باعداد بحوث تتصل بالقرآن جملة وبالتجويد القرآني على وجه الخصوص لأن تلاميذ القسم وأساتذته على السواء غير مزودين بالأدوات التي تسمح بتوجيه البحث أو تناوله على مستوى الدراسات العليا . والثاني : هو أن الطالبة نتيجة للاعتراض الأول ، قد وقعت في أخطاء فادحة نتيجة للجهل والتعرض لما لاتعرفه وهي أخطاء تمس العقيدة وذلك بما زعمته وأكدته في أكثر من موضع من أن القرآن الذي يتعبد به المسلمون ليس منزلاً من عند الله ، أو هو منزل من عند الله بمعناه لا بلفظه وهو مالم يجرء أحد من المسلمين على القول به ، بل لم يجرء الملاحدة على الجهر به في وطن إسلامي . . والتعديل الذي تزعمه الطالبة بوضع كلمة مكان كلمة هو تعديل في الصياغة وهو بالتالي تعديل في

المعنى يترتب عليه تعديل في التشريع وفي العقيدة نفسها وهو في الوقت نفسه تعديل في الصفة البلاغية .

ومع ذلك كله فالبحث يقوم على المجازفة المنافية للمنهج العلمي وهي مجازفة لاتحمل الا على الجهل أو سوء القصد ، فالقضايا العلمية لاتقوم على مجرد التوهم ولا سيما اذا كانت تتصل بدين الدولة وبمقدسات الأمة . ان القضية ليست حرية البحث كما يزعم الذين يحتمون بهذا الاسم فحرية البحث مكفولة في الحدود التي لايتعرض معها المجتمع للخطر باثارة الفتن والتشكيك في الدين ومصادره وفي الحدود التي لاتتحول عندها إلى عدوان على حقوق المؤمنين ، ولكن القضية في حقيقتها هي قضية عدم اختصاص[٢٠] .

وآخر بحوث الكتاب في الدراسات الإسلامية ـ وهو يتوقف أمام كتابين كل منهما حصيلة مؤتمر شارك فيه عدد من الباحثين المسلمين مع عدد من الغربيين المهتمين بالدراسات الاسلامية . والأول عنوانه « الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة » نشرته مؤسسة فرانكلين وهو مجموعة البحوث التي ألقيت في مؤتمر دعت إليه جامعة برنستون ومكتبة الكونجرس . وقد شارك في هذا المؤتمر بالاضافة إلى الباحثين المسلمين من كل البلاد عدد من القسس الأمريكان الذين يحترفون التبشير مثل . ميلر بروز ـ أستاذ الفقه الديني الانجيلي بجامعة بيل ود . هارولد سمث ـ أستاذ ونائب رئيس قسم الديانات بكلية ووستر بولاية أوهايو كما شارك فيه بعض مستشاري وزارة الخارجية الأمريكية مثل د . روفائيل باتاي الذي كان مستشارراً في شئون الشرق الأوسط ، ود . نبيه فارس الذي كان رئيساً للقسم العربي بادارة المخابرات الحربية بمدينة يورك وغيرهم .

---

(٢٠) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ص ٢٩٨ وما بعدها .

ومن الواضح أن أهداف الامبريالية العالمية هو اخضاع الاسلام للتطوير بحيث يصبح أداة لتبرير القيم الغربية ، وهذا التطوير لابد أن يحدث بأيدي المسلمين أنفسهم . أما الدعاوي الهدامة التي يقصد بها اضعاف الثقة في الاسلام فتجدها في مثل مقالة القسيس ميلر بروز حين يطالب بوضع « تجربة الدين وتجربة النبوة والمعجزات والحياة الآخرة » موضع بحث في اطار علم النفس وفي ضوء مفهوم الحدس . وهو بذلك يجعل التدين مسألة ذوقية . ونجدها كذلك في مثل ما يزعمه القسيس هارولد سمث من أن جميع الصياغات اللفظية نسبية ولذلك فهي غير معصومة ويجب تعديلها بين حين وآخر .

أما محاصرة الدين لتضييق دائرة نفوذه وقصرها على شئون العبادات فهي موجودة في مثل عرض القسيس هارولد سمث لما يسميه (نظرية ضياكوك ألب في فصل الدين عن الدولة) وضياكوك ألب هو واضع الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة . ومن الواضح أنه إذا سمح لقسيس بأن يقترح مواضيع البحث الاسلامي وطرائقه فمعنى ذلك أن توجيه الفكر الاسلامي قد أصبح في يد القسس . ومن أساليبهم في هذا التطوير ـ كما يقول الدكتور محمد حسين ـ أن يستدرجوا المسلمين للكلام في نقاط معينة من نظم الشريعة التي تخالف ما استقر عليه عرف الغربيين ، وذلك لكي يلجئوهم إلى تحريف نصوص القرآن ، وأكثر ما نجد ذلك في المرأة وما يتصل بشئونها مثل ما نجده في مقال د . منير القاضي عميد كلية الحقوق ببغداد الذي يزعم أن الاسلام قد أسس للمرأة حقوقا في الحكم فلم يفرق بينهما وبين الرجل في سائر الأحكام ومنح النساء حق المبايعة لرئيس الدولة كالرجال . ويستشهد لذلك بآية من القرآن الكريم يوردها مبتورة : « يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك فبايعهن »

وتمام الآية : « يا أيها النبي اذا جاء المؤمنات يبايعنك على ألا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينكم في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم » ـ الممتحنة ١٢ وواضح من الآية أنّ البيعة هنا هي عهد من النساء بالتزام الطريق المستقيم . وفساد قول الباحث واضح لأن رئاسة النبي لم تكن قائمة على هذه البيعة ولا هي مستندة الى انتخاب البشر .

وجهود الغربيين في محاولة تطوير الشريعة الإسلامية وبالتالي تطوير المسلمين واضحة في هذا المؤتمر في مثل بحث د . فضل الرحمن الهندي الذي قسم الاسلام إلى اسلام كلاسيكي واسلام حديث . والدكتور آصف فيظي سفير الهند السابق بمصر الذي يرى ان قوانين الشريعة يجب أن تخضع لأساليب التقنين الحديث والاصلاح المعاصر الذي يستفيد من الفلسفة ، وعلم النفس ، بل والفكر المسيحي واليهودي . والدكتور صبحي محمصاني المحامي اللبناني يدور كل بحثه حول الدعوة لتطوير الشريعة الاسلامية وتجنب المزج بين الدين ومعايش الدنيا ، ويسلك لذلك سبلا مختلفة ، فهو تارة يشكك في أهمية الحديث الشريف وتارة أخرى يحقر التراث الفقهي ، وطوراً آخر يسفه المحافظين ويتهمهم بأنهم يقفون في وجه الأخوة الانسانية . أما الدكتور أمين فارس فهو ينادي بأن الدراسات الاسلامية يجب أن تسير على نمط دراسات المستشرقين فيما يسميه المنهج العلمي ـ والذي يقرر هذا الوجوب لاصلة له بالأسلام . والدكتور محمد كفراوي السكرتير العام لوزارة الشئون الدينية في أندونيسيا يقرر أن وزارة الشئون الدينية وضع أستحدثته أندونيسيا ليكون وسطا بين فكرتين متعارضتين : هما النظام الاسلامي والنظام العلماني ، كما يصرح بأن الحكومة تعين المساجد والكنائس على قدم المساواة وتحمي النشاط

التبشيري الأجنبي منه والأندونيسي . هذه نماذج من البحوث الاسلامية التي تؤكد أن الغرب جاد في فرنجة الاسلام عن طريق الذين يحتلون مراكز القيادة والتوجيه في العالم الاسلامي[٢١] .

هذه هي الخطوط العريضة لاتجاهات الفكر الاسلامي كما رسمها وعبر عنها الدكتور محمد حسين ، وهي تتعدد من خلال تعدد مراكز الرؤية ، فهي مرة تتناول بعض الشخصيات مثل جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وقاسم أمين وطه حسين ولطفي السيد وغيرهم كما تمثل ذلك في « الاتجاهات الوطنية » وهو يحاول أن يلقى الأضواء الكاشفة التي توضح موقف هؤلاء المفكرين من الثقافة الغربية والتراث الإسلامي ، ومحاولتهم وغيرهم عرض الفكر الغربي عرضاً جذاباً حينا مثل قاسم أمين أو التهجم على الأصول الإسلامية حيناً آخر مثلما فعل طه حسين ، أو التوفيق بين الحضارتين مثلما نرى عند الأفغاني ومحمد عبده ، وكما صور لنا الدكتور محمد حسين .

ومن أهم الاتجاهات التي وقف عندها مفكرنا الإسلامي هو موقفه من الغزو الفكري الذي خصص له كتابه « حصوننا مهددة من داخلها » فأوضح مافي المؤتمرات والكتب المؤلفة والمترجمة من سم رآه في الدسم ، وحاول جاهداً أن يذود عنا وأن يحصننا ضد هذه السموم - وهو في موقفه هذا يقف وقفة صلبة من كل خطر يشمه من بعيد .

على أن الرأي الآخر يمكن أن يلقى الأضواء على أبعاد الموقف ، فالكاتب الاسلامي - أحمد بهجت - يرى أن الذين يهاجمون الأفغاني ويلقون الظلال على نسبه - وهو يعني هنا في المقام الأول لويس عوض في مقالاته التي نشرها

(٢١) حصوننا مهددة من داخلها د . محمد حسين ص ٣٣٠ وما بعدها .

بالأهرام - إنما يستهدفون تحطيم النماذج الشامخة الثائرة عند المسلمين ، حتى تكون أثداء أوربا هي المكان الوحيد الذي يرضع منه المسلمون[٢٢] وهكذا تغيم الرؤ ية عن عيوننا برهة نرى فيها رأيين مختلفين لشخصية اسلامية واحدة وتحليلين مختلفين إلى حد التناقض . وننتقل إلى شخصية أخرى وهي شخصية طه حسين ، فنرى الدكتور أحمد هيكل عميد كلية دار العلوم - وهو من الباحثين المحايدين الذين لهم جهود في الفكر الإسلامي - يقول ان طه حسين اراد أن يقول ان الكتب السماوية ليست عند الجميع مصادر تاريخية ، أي أنها مصادر تاريخية عند من يؤمنون بها . وهذا حق ولكنه لم يقل هذه الحقيقة بطريقة مقبوله ، ولكنه قالها باندفاع غير محسوب وعدم توثيق - وهو يقصد مقولته في كتاب الشعر الجاهلي - ولعله أراد أن يحرك الركود في الفكر آنذاك ، فلكي يسلم الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين بحقيقة تاريخية ينبغي أن تقدم اليهم وثائق تقنعهم جميعاً[٢٣] .

ولعل مقولة الأستاذ الشيخ محمد الغزالي في هذا الشأن تلقى ضوءاً أكبر ، فهو صديق للدكتور محمد حسين وهو معجب به وهو مفكر اسلامي معروف ، ولكنه يختلف معه ، وفي ذلك يقول « أذكر أنه جمعتني أيام طيبة بالمغفور له الدكتور محمد محمد حسين ، وهو رجل خبير بالتيارات الأدبية الحديثة ، وله غيرة مشكورة على الاسلام ، وأكن له في نفسي احتراماً كثيراً ، سمعت منه كلاما لم أتجاوب معه . قال : ان شعار الحرية والأخاء والمساواة اختراع يهودي ، وان اليهود هم صانعو الثورة الفرنسية عن طريق محافلهم الماسونية وان النظام الجمهوري نفسه يكاد يكون من صنع اليهود ، وهؤلاء اليهود

(٢٢) مجلة المجلة ١٩ نوفمبر ١٩٨٣ .
(٢٣) الهلال ديسمبر ١٩٨٣ .

المكرة من وراء الثورة الشيوعية في روسيا سنة ١٩١٧ . قلت في نفسي : ولعلهم كذلك صانعو هيئة الأمم المتحدة ، ما أحقهم بالحياة اذا كانوا ـ مع قلتهم ـ بهذا الحجم الضخم وبذلك الأثر العميق . واستطرد الحديث ليتناول مبدأ الأمة مصدر السلطة وكيف أنه مبدأ غير اسلامي ، وتحدث الرجل عن جمال الدين ومحمد عبده حديثاً مليئاً بالسخط والزراية وقال : انهما ماسونيان . قلت : أحب أن أرجىء الحديث عن الأشخاص وأكترث بالحديث عن المبادىء . ليكن فلان شيطاناً رجيماً أو ملاكاً كريماً فذاك يعنيه عند ربه ، وما تنفعه شهادتي له ان كنت مخدوعاً فيه . اذا كان شعار الحرية والإخاء والمساواة من صنع عباد الشيطان ، فماذا صنع عباد الرحمن ؟ وإلى أين تتجه الطبقات التي تشعر بالعبودية والنبذ والظلم ؟ يا صديقي ان الشعار عظيم ، قل : اليهود يتاجرون به . وقضية ان الأمة مصدر السلطان لا تعني أكثر من وضع حد للحق الالهي في الحكم الذي زعمه ملوك أوربا لأنفسهم ، أي أنه لاحق لأبي بكر في الخلافة لو لم تختره الأمة اختياراً عبر عن رغبتها الحرة »[٢٤] . وما يقوله الغزالي هو ما كان يدعو إليه جمال الدين ومحمد عبده وهو علة ما لاقيا من عنت .

وتحت عنوان « شبح أسم الغزو الثقافي » يحكي زكي نجيب محمود قصة رمزية سمعها تحكي عن سلطان جزيرة يقيم وحده في برج مغلق عليه ، وعلى الرغم من ذلك فقد رأى أو خيل إليه أنه رأى شبحا لرجل مفزع الصورة ضخم الجثة وقف ليقول للسلطان ان غزوة وشيكة سوف تقلب نعاسكم يقظة وغفلتكم صحوة . فلما سأله السلطان مرعوباً : من أنت ؟ وماذا تريد أن تقول ؟

قال : ما ينفعك من أكون ؟ سل عراف المعبد ينبئك الخبر اليقين .

(٢٤) الدوحة ـ يناير ١٩٨٤ ص ١٥ .

وسأل السلطان عراف المعبد ، فقال له العراف : أعرف ياسيدي ، فهو آت من بلد بعيد . هو في الأصل اسمه ثقافة ولكنكم أطلقتم عليه اسم الغزو الثقافي فقبل التحدي . ثم يفسر لنا هذه الرموز فيقول : أما الجزيرة الصغيرة فترمز للعزلة التي نحيا اليوم في ظلمتها ، فباستثناء الصفوة الذين يتابعون تيارات الفكر في العالم الذي شاء له الله أن يكون مبدع الحضارة ، فإن أصحاب الصوت المسموع لجماهير الشعب في واد والعالم المتقدم في واد آخر . أما سلطان الجزيرة فيرمز لأولئك الذين أمسكوا بزمام الجماهير . وأما الشبح المخيف الذي هاجم السلطان فهو موجود في أوهام السلطان ومريديه ، لأنه خطر عليهم بما يحمله من العلم مالا يعلمون ومن الأدب مالا يتذوقون . انها حالة تنتاب الرؤوس في مراحل الضعف لكنها تختفي في مراحل القوة ، انظر الى العرب الأوائل ، لقد فتحوا ثغورهم جميعاً لكل ثقافة تأتي من خارج حدودهم أيا كان مصدرها ، وهي ان لم تأتهم أتوا بها لأنهم كانوا أصحاء . وأما عراف المعبد فهو يرمز إلى الفئة المباركة التي تعرف الأمر على حقيقته وهي في المعبد ، تعرفه وهي مؤمنة بربها وبنفسها تعرفه وهي على صلة بخالقها وباريها(٢٥) .

وهكذا يتضح أن التطرف من جانب لايقابل الا بالتطرف من الجانب الآخر ـ فلكل فعل رد فعل مساوله في القوة ومضاد في الاتجاه ـ ومن خلال هذا الصراع الذي يأخذ مداه يظهر تيار الاعتدال الذي يعيد التوازن الى حياتنا ، وكما قال المرحوم الدكتور محمد حسين : لاخطر في الصراع ، ولكن الخطر الحقيقي في زوال الصراع . لقد كان موقفه الفكري نابعاً من احساسه بالخلخلة الثقافية في حياتنا بين القمة والقاعدة ، فأراد أن يلفت النظر وأن يعيد التلاحم بين رأس الأمة وجسدها لتنبعث من جديد ممتلئة صحة وعافية .

(٢٥) الأهرام ١٩٨٣/١٠/٣١ .

نظم علوم البلاغة

الأستاذ الدكتور
جلال شوقي
أستاذ بكلية الهندسة

هذه دراسة وثائقية تستند إلى المصادر الأولى ـ وهى النسخ الخطّية للتصانيف العربية ـ لموضوع لا هو بالسَّهل المألوف ، ولا هو بالمطروق الميسور ، ألا وهو موضوع البلاغة في لساننا العربي ، ولعلَّنا نزيد الأمر تحديداً ، فنقول إنَّ هذا البحث يتناول بالدراسة ما نُظم ـ في فترة سيادة الحضارة الإسلامية ـ من مفاهيم علوم البلاغة وأقسامها وعلاقاتها وقواعدها ومعاييرها ، فنعرض لِسَبْع وأربعين منظومة في علوم البلاغة مع شروحها وحواشيها ، مُبيِّنين السِّمات العامة لمخطوطاتها وأماكن وجودها .

ويقتضينا التسلسل المنطقي أن نعرض بشىء من البيان لتطوُّر مفهوم البلاغة حتى هُيِّىء لها أن تنتظم في علوم ثلاثة هى المعاني والبيان والبديع ، وأن نشير إشارة سريعة إلى رُوَّاد الدراسات البلاغية ، وأن نُحدِث ذكْراً لأهم مصنفاتهم .

ولمَّا كان كتاب أبي يعقوب السكَّاكي (ت : ٦٢٦هـ = ١٢٢٨م) الموسوم «مفتاح العلوم» يُعَدُّ ـ بغير شك ـ من المعالم الرئيسية في تطوُّر علوم البلاغة ، حيث حدَّد معالمها وأرسى قواعدها ، ومن ثمَّ تقاطرت عليه الشروح والملخَّصات ، وأنشئت على هداه عدة منظومات هامة في البلاغة كألفية جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ = ١٥٠٥م) من قبيل المثال ، من هنا كان لزاماً علينا أن نتناوله ببعض التفصيل قبل أن نعرج إلى بيان المنظومات التي صُنِّفت في الفترة الممتدة من القرن السادس حتى القرن الرابع عشر للهجرة ، ولقد حرصنا أشد الحرص على تسجيل النسخ الخطيَّة التي وردت فيها هذه المخطوطات .

تطـوُّر مفهوم البلاغة

لَعلَّ من أوضح التعاريف المعاصرة وأوجزها ذلك القول بأن البلاغة هي تلك المجموعة من القيم الجمالية والمعايير الفنِّية التي يمكن بها الحكم على سُمُوِّ النص الأدبي وتميُّزه ، أو تخلُّفه وتردِّيه .

ولقد وردت في تعريف البلاغة أقوال كثيرة ، تنوعت حسب المفاهيم ، وتطوَّرت عبر القرون ، وقد يكون من المناسب أن نسوق هنا بعض ما قيل في تعريفها . يقول الجاحظ (القرن ٣هـ) مثلا في كتابه «البيان والتَّبيين»[1] :

« البلاغة هى الإيجازُ في غير عَجْز ، والإطنابُ في غيْر خَطَل . »

ويقول الجاحظ في موضع ثان من نفس الكتاب[2] :

---

(١) الجزء الأول ، ص : ٩٧ (الطبـعة الثانية ـ تحقيق عبد السلام هارون) .

(٢) الجزء الأول ، ص : ١١٥ .

« لا يكون الكلامُ يستحق اسم البلاغةِ حتَّى يُسابق مَعْناهُ لَفْظَه ، ولَفْظُه مَعْنَاه ، فلا يكونُ لَفْظُه إلى سمعِك أسْبَقَ منْ مَعْنَاه إلى قَلْبِك . »

أما أبو هلال العسكري (القرن ٤ هـ) ، فيقول في مقدمة كتابه «الصناعتين» :

« قد عَلِمْنَا أنَّ الإنسانَ إذَا أغْفَل علم البلاغةِ ، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خَصَّه الله به من حُسْنِ التأليف ، وبراعةِ التركيب ، وما شحنهُ به من الإيجازِ . . . »

ولقد اتخذت البلاغة أصولاً تقوم على القياس بضوابط محددَّة طبقاً لقواعد معينة ، وعلى يد الإمام السَّكاكَّي صُنِّفت البلاغة إلى ثلاثة علوم هى المعاني والبيان والبديع ، وذلك في صدر القرن السابع الهجري ، ومن هنا تبرز أهمية كتاب السَّكاكي «مفتاح العلوم» ، وعلى وجه الخصوص القسم الثالث منه وهو الخاص بالبلاغة ، وقد حظى باهتمام ودراسة الكثيرين شرحاً وتلخيصاً ونظماً ، الأمر الذي دعانا لأن نفرد له جانباً من دراستنا الحالية ، بقصد إلقاء بعض الضوء عليه باعتباره مصدراً هاماً لمنظومات علوم البلاغة .

هذا ويسوق أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده (٩٠١ ـ ٩٦٨هـ) = (١٤٩٥ ـ ١٥٦١م) في كتابه «مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم»[1] تعريفات لعلوم البلاغة الثلاثة نوردها فيما يلي :

---

(١) طبعة دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، بتحقيق كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، الجزء الأول ، الصفحات : ٢٠٠ ـ ٢٠٢ .

علـــم المعاني

وهو تتبع خواص تراكيب الكلام ، ومعرفة تفاوت المقامات ، حتى يتمكن من الاحتراز عن الخطأ في تطبيق الأول على الثاني ، وذلك لأن للتراكيب خواص مناسبة لها يعرفها البلغاء ، إما بسليقتهم أو بممارسة علم البلاغة .

وتلك الخواص ، بعضُها ذوقيَّة ، وبعضها استحسانية ، وبعضها توابع ولوازم ، له معاني الأصلية ، لكن لزوماً معتبراً في عُرف البلغاء ، والا لما اختص فهمها بصاحب الفطرة السليمة . وكذا مقامات الكلام متفاوتة . . .

وكيفية تطبيق الخواص على المقامات ، تُستفاد من علم المعاني ، ومدارُه على الاستحسانات العُرفية » .

علـــم البيـان

وهو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة . وموضوعه : اللفظ العربي من حيث وضوح الدلالة على المعنى المراد . وغرضه : تحصيل مَلَكة الإفادة بالدلالة العقلية ، وفَهْم مدلولاتها ليختار الأوضح منها مع فصاحة المفردات » .

علـم البديـع

وهو علم باحث عن التراكيب العربية ، من حيث وجوه تحسين الكلام بالحسن العرضي ، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، ووضوح الدلالة على المرام .

وموضوعه : اللفظ العربي من حيث التحسين والتزيين العرضيين ، بعد تكميله دائرتى الفصاحة والبلاغة .

وغرضه : تحصيل مَلَكة تَحْلِيَة الكلام بالمُحسِّنات العرضيَّة » .

رُوَّاد الدراســات البلاغية وأهم تصانيفهم

القرن الثاني الهجـري

مُعَمَّر بن المثنى ، أبو عبيدة **(ت : ٢١٣هـ = ٨٢٨م)**

صاحب كتاب «مجاز القرآن»(١) .

القـرن الثالث

الجاحـظ

عمرو بن بحر بن محبوب الكناني البصري ، **(ت : ٢٥٥هـ = ٨٦٩م)**

أبو عثمان ، الشهير بالجاحظ

صاحب كتاب «البيان والتَّبيين» ،

وكتاب «سحر البيان» .

عبد الله بن المُعْتَز العباسي **(ت : ٢٩٦هـ = ٩٠٨م)**

صاحب كتاب «البديع»(٢) .

---

(١) تحقيق فؤاد سزكين ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م .

(٢) تحقيق كراتشكوفسكى ـ منشورات دار الحكمة بدمشق .

القـــرن الرابـع

أبو هلال العسكري (ت : ٣٩٥هـ = ١٠٠٤م)

صاحب كتاب «الصناعتين»[1] .

الشريف الرضى (ت : ٤٠٦هـ = ١٠١٥م)

صاحب كتاب «تلخيص البيان في مجازات القرآن»[2] .

القرن الخامـس

ابن رشيق القيرواني (ت : ٤٥٨هـ = ١٠٦٥م)

صاحب كتاب «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده»[3] .

ابن سنان الخفاجي (ت : ٤٦٦هـ = ١٠٧٣م)

صاحب كتاب «سرّ الفصاحة»[4] .

عبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧٤/١هـ = ١٠٨١/٧٨م)

الإمام أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن

---

(١) حققه على محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، سنة ١٩٧١م .

(٢) تحقيق محمد عبد الغني حسن ، طبع البابى الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٥م .

(٣) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، نشر المكتبة التجارية االكبرى بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٦٣م .

(٤) تحقيق على فوده ، نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٣٢م .

الجرجاني النحوي .
صاحب كتاب «دلائل الإعجاز» ، وكتاب
« أسرار البلاغة» في علمى المعاني والبيان .

القــرن الســـادس

أسامه بن منقذ **(ت : ٥٨٤هـ = ١١٨٨م)**
صاحب كتاب «البديع في نقد الشعر»[١] .

المطرِّزي **(ت : ٦١٠هـ = ١٢١٣م)**
صاحب كتاب «زهر الربيع» في علم البديع .
وصاحب نَظْم «الغُرر» .

القرن الســـابع

أبو يعقوب السكَّاكي **(ت : ٦٢٦هـ = ١٢٢٨م)**
سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر
ابن محمد بن علي السكَّاكى .
صاحب كتاب «مفتاح العلوم»[٢]

وقد كتُبت على هذا الكتاب (لا سيما القسم الثالث منه) مجموعة من المختصرات والشروح والمنظومات نذكر منها على سبيل المثال :

---

(١) تحقيق أحمد أحمد بدوي ، وحامد عبد المجيد ، طبع البابي الحلبي بمصر ، سنة ١٩٦٠م .

(٢) طبع البابى الحلبي بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٣٧م .

- بدر الدين ابن مالك (ابن الناظم) : «المصباح في اختصار المفتاح» .
- جلال الدين الخطيب القزوينى : «تلخيص المفتاح» .
- سعد الدين التفتازاني : شرحاً «المطوَّل» و «المُخْتصر» على كتاب التلخيص للقزويني .
- جلال الدين السيوطي : ألفيَّة «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» .
- زكريا الأنصاري السنيكى ، أبو يحيى زكريا بن محمد ابن أحمد : «أقصى الأماني» ، وشرحه عليه المُسمى «فتح مُنْزل المثاني بشرح أقصى الأماني» .
- السيد الشريف الجرجاني ، على بن محمد بن علي الحنفي : «المصباح في شرح المفتاح» .

ابن الأثير الجزري (ت : ٦٣٧هـ = ١٢٣٩م)

صاحب كتاب «الجامع الكبير» في علم البيان ،
وكتاب «المثل السائر في أدب
الكاتب والشاعر»[١] .

ابن أبي الإصبع المصري (ت : ٦٥٤هـ = ١٢٥٦م)

صاحب كتاب «تحرير التحبير»[٢] ،
وكتاب «بديع القرآن» .

---

(١) تحقيق أحمد الحوفى وبدوي طبانه ، نشر مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩م .

(٢) تحقيق حفنى شرف ، القاهرة سنة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م .

القــرن الثامن

صلاح الدين الصفدى (ت : ٧٦٤هـ = ١٣٦٢م)

صاحب كتاب «نُصرة الثائر على المثل السائر»[1] .

القرن التـاسع

ابن حجة الحموى (ت : ٨٣٧هـ = ١٤٣٣م)

أبو بكر على المعروف بابن حجة الحموي
صاحب كتاب «خزانة الأدب وغاية الأرب»[2] .

كتاب «مفتاح العلوم» للسكّاكي (٥٥٥ ـ ٦٢٦هـ)

أقسامه ومختصراته ـ شروحه ومنظوماته

كتاب «مفتاح العلوم» من تأليف أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد ابن علي السكاكى (٥٥٥ ـ ٦٢٦هـ) = (١١٦٠ ـ ١٢٢٨م) ، يقول في أوله أنه أودع فيه علم الصرف بتمامه ، وألحق به علم الاشتقاق بأنواعه ، وعلم النحو ، وعلمى المعاني والبيان ، والمنطق ، والعروض والقافية ، وقد رتّب السكّاكي كتابه على ثلاثة أقسام هى :

القسم الأول : في علم الصرف والاشتقاق ،

---

(١) تحقيق محمد علي سلطاني ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، سنة ١٩٧٢م .

(٢) طبع المطبعة الخيرية بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م .

والقسم الثاني : في علم النحو ،

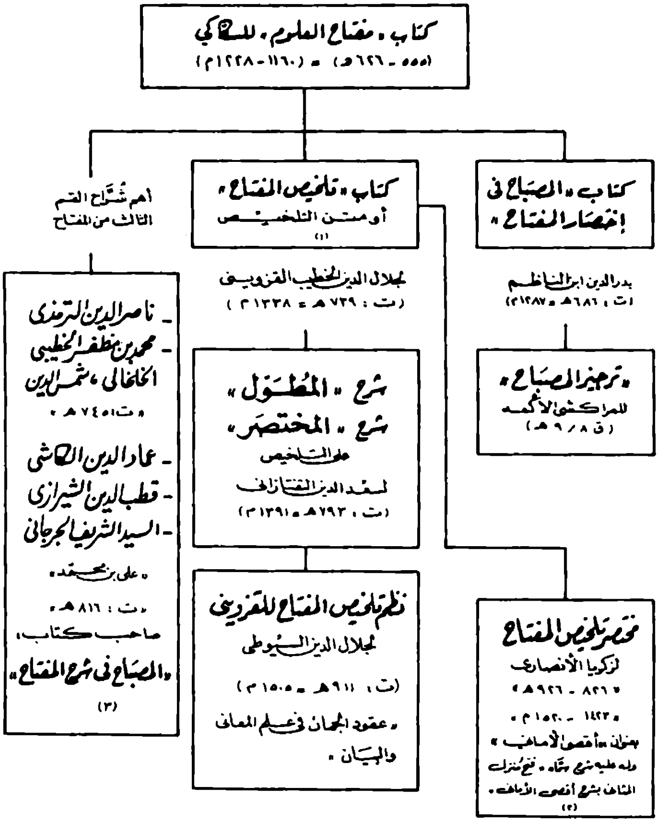
والقسم الثالث : في علمى البلاغة وما ألحق بهما من العروض والقافية .

ويهمنا في بحثنا هذا القِسمُ الثالث بالذات ، وقد قام بتلخيصه الإمام جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القزوينى الشافعي خطيب دمشق (المتوفى سنة ٧٣٩هـ = ١٣٣٨م) ، ويعرف هذا الكتاب «بتلخيص المفتاح في المعاني والبيان» أو «بتلخيص المفتاح» ، وقد شرحه سعد الدين مسعود بن عمر عبد الله التفتازاني (٧١٢ ـ ٧٩٣هـ) = (١٣١٢ـ ١٣٩١م) شرحين أحدهما «المطول» والآخر «المختصر» .

هذا وقد قام بنظم «تلخيص المفتاح» للقزويني أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) = (١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م) في ألفِيَّةٍ سمَّاها : «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» .

كذلك صنَّف بدر الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني (ابن الناظم المتوفى سنة ٦٨٦هـ = ١٢٨٧م) كتاب «المصباح في اختصار المفتاح» ، وقد قام بترجيزه محمد بن عبد الرحمن المراكشي الأكمه من علماء نهاية القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري .

ولما كانت هذه الكتب هي الدعامات التي قامت عليها منظومات هامة في علم البلاغة ، لذلك رأينا ـ استكمالاً للبناء والتوثيق ـ أن نسوق أمثلة من النسخ الخطيَّة الخاصة بهذه الكتب .



(١) القسم الثالث فقط الخاص بالبلاغة .

(٢) مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق - رقم : ٣٥٥٣ في ٩٣ ورقة ، مؤرخ سنة ٩٢٢هـ = ١٥٨٤م ، نسخة مقابلة ومصححة على نسخة المؤلف المؤرخة سنة ٩١٣هـ = ١٥٠٧م .

(٣) مخطوطا دار الكتب الوطنية بتونس - رقما : ٣٥٣٢ مؤرخ سنة ٨٤٠هـ = ١٤٣٦م ، ٣٥٨١ مؤرخ سنة ٩٢٧هـ = ١٥٢٠م .

من مخطوطات «مفتاح العلوم» للسكَّاكي

١ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٢٥٩ ، ويقع في ٣١٧ ورقة ، فُرغ من نسخه سنة ٦٨٠هـ = ١٢٨١م بدمشق .

٢ ـ مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس ـ رقم : ٣٥١٥ ، ويشتمل على ١٧٨ ورقة ، كُتب بخط مشرقي بيد حسن بن يوسف سنة ٧٩٣هـ = ١٣٩٠م .

٣ ـ مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : بلاغة ـ ٢٥١ ، كِتب بخط مشرقي ، ويقع في ١٤١ ورقة ، ويرجع تاريخ نسخه إلى سنة ٩٣٥هـ = ١٥٢٨م .

٤/٧ ـ مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ الأرقام : ٣٥٥٢ ، ٣٥٦٥ ، ٥٠٠٠ ، ٦٨٩٢ ، ويقع في ٣٥٠ ورقة .


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله على ما أنعم وعلّم من البيان ما لم نعلم والصلوة على
سيدنا محمد خير من نطق بالصواب وأفضل من أوتي [illegible]
وفصل الخطاب وعلى آله الأطهار [illegible] الأخيار
أما بعد فلما كان علم البلاغة [illegible] من أجل
العلوم قدراً وأدقها سراً إذ به يعرف [illegible]
وأسراره ويكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن
أستارها وكان القسم الثالث من مفتاح العلوم
الذي صنفه الفاضل العلامة [illegible] يوسف
السكاكي أعظم ما صنف فيه من الكتب المشهورة

شكل (١) ـ الصفحة الأولى من كتاب «تلخيص المفتاح» لجلال الدين القزويني (مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم ٤٦١ ، فُرغ من نسخه سنة ٩٠٠هـ = ١٤٩٤م ، ويقع في ٢١١صفحة) .

وتوجد عدة طبعات لكتاب «مفتاح العلوم» منها طبعة دار الكتب العلمية ببيروت على سبيل المثال .

من مخطوطات «تلخيص المفتاح» للقزويني

٧/١ ـ مخطوطات مكتبة الإسكوريال بأسبانيا :

١ ـ رقم : بلاغة ـ ٢٢٧ (١) ، الكتاب الأول ضمن مجموع ، الأوراق : ١ ـ ٧٤ ، كتب بخط مشرقي ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٩٩٤هـ = ١٥٨٥م .

٢ ـ رقم : بلاغة ـ ٢٣٢ (٢) ، الكتاب الثاني ضمن مجموع ، الأوراق : ٤٨ ـ ٧٥ ، كُتب بخط مشرقي ، وهو مؤرخ سنة ٧٥٧هـ = ١٣٥٦م .

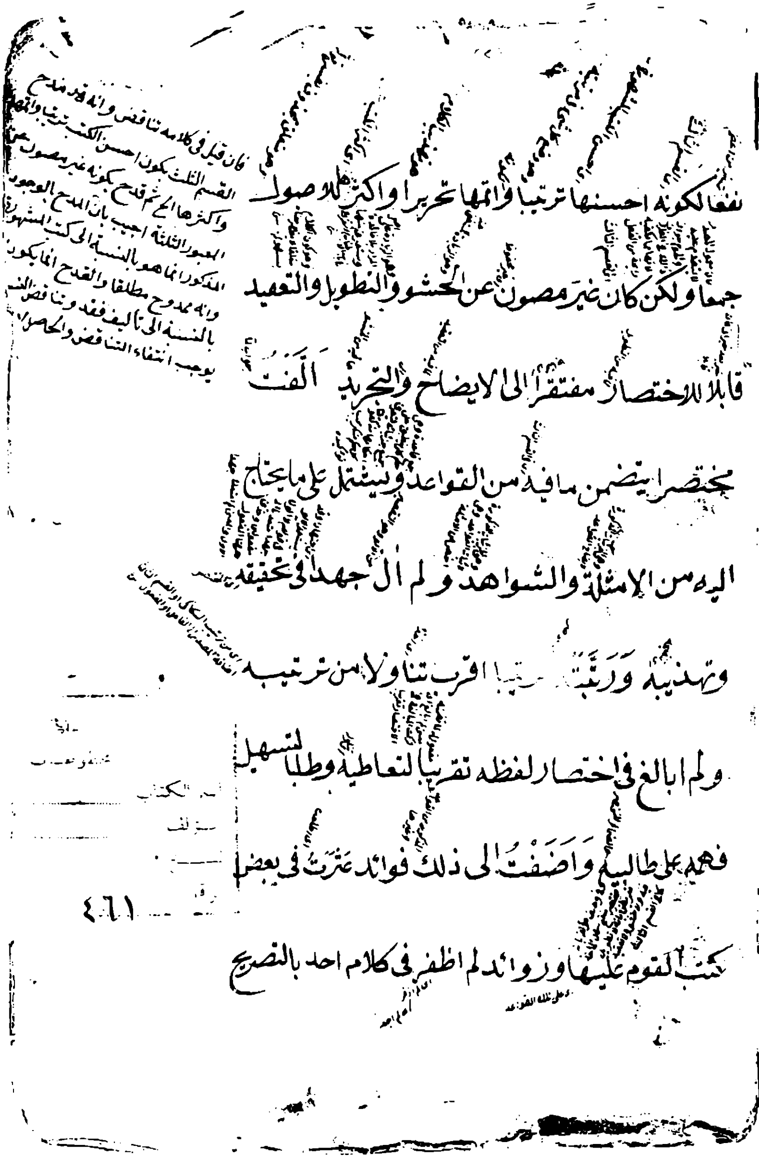
٣ ـ رقم : بلاغة ـ ٢٤٨ (١٣) ، الكتاب الثالث عشر ضمن مجموع ، الأوراق : ٣٢٧ ـ ٣٦٨ ، كتب بخط مغربي ، دون ذكر لتاريخ النسخ .

٤ ـ رقم : ٤٢٠ (٣) ، الكتاب الثالث ضمن مجموع ، الصفحات : ١١٨ ـ ١٥٦ ، كتب بخط مشرقي ، بدون تاريخ .

٥ ـ رقم : ٦٣٦ (٣) ، الكتاب الثالث ضمن مجموع ، الصفحات : ٣٩/أ ـ ٦٩/أ ، كتب بخط مغربي ، بدون تاريخ .

٦ ـ رقم : ٧٨٨ (٥) ، الكتاب الخامس ضمن مجموع ، الأوراق : ١١٨ ـ ١٣٤ ، كتب بخط مغربي ، والمخطوط غير مؤرخ .

٧ ـ رقم : ٩٦٤ (١٨) ، الصفحات : ٢٧٧/ب حتى ٣١٧ ، كتب بخط مغربي ، بدون بيان تاريخ الكتابة .



نفعا لكونه احسنها ترتيبا واتمها تحريرا واكثرها للاصول
جمعا ولكن كان غير مصون عن الحشو والتطويل والتعقيد
قابلا للاختصار مفتقرا الى الايضاح والتجريد الفت
مختصرا يتضمن ما فيه من القواعد ويشتمل على ما يحتاج
اليه من الامثلة والشواهد ولم آل جهدا في تحقيقه
وتهذيبه ورتبته ترتيبا اقرب تناولا من ترتيبه
ولم ابالغ في اختصار لفظه تقريبا لتعاطيه وطلبا لتسهيل
فهمه على طالبيه واضفت الى ذلك فوائد عثرت في بعض
كتب القوم عليها وزوائد لم اظفر في كلام احد بالتصريح

٤٦١

شكل (٢) ـ الصفحة الثانية من كتاب «تلخيص المفتاح» للقزويني (مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم ٤٦١) .

هذا ويوجد «متن التلخيص» في علم البلاغة مطبوعاً ، من ذلك طبعة مطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه ، في ١٢٨ صفحة ، وطبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة .

من مخطوطات شرحي التفتازاني

أولاً : «المطـوَّل»

وهو شرح مُطوَّل لكتاب «تلخيص المفتـاح في المعاني والبيـان» للقزويني ، يذكر سعد الدين التفتازاني (ت : ٧٩٣هـ = ١٣٩١م) في مقدمته أهمية هذا العلم لا سيما في تبيان دلائل الإعجاز .

١ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ٣٥٤٠ ، ويقع في ٢١٨ ورقة ، كتبه عبد القادر بن عمر الحموي ، وفرغ منه سنة ١١٧٩هـ = ١٧٦٥م .

٢ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ٦٧٥٤ ، ويقع في ٢٦٦ ورقة ، تمت كتابته سنة ١١٠٥هـ = ١٦٩٣م .

٣ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ٣٥٤٢ ، ويشتمل على ٤٥٨ ورقة ، ولم يُذكر تاريخ النسخ .

٤/١٤ ـ مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ الأرقام : ٥٣٥٩ في ١٨٤ورقة ، ٣٥٤٣ في ٣٢٩ ورقة ، ٧٣٠٨ في ١٧٠ ورقة تم نسخها سنة ١٠٧٧هـ = ١٦٦٦م ، ٣٥٤٨ في ٤٤٤ ورقة ، فُرِغَ من نسخها سنة ٩٩٨هـ = ١٥٨٩م ، ٥٤٢٦ في ١٨٤ ورقة تم نسخها سنة ٨٣٥هـ = ١٤٣١م ، ٦٩٦٥ في ٣٥٦ ورقة ، ٣٥٧٢ في ٢٠٨ ورقة فُرغ من نسخها سنة ١١٠٠هـ = ١٦٨٨م ، ٨٣٢٠


الدموع لتجمدا فان الانتقال من جمود العين الى بخلها بالدموع
لا الى ما قصده من السرور قيل ومن كثرة التكرار وتتابع
الاضافات كقوله سبوح لها منها عليها شواهد وقوله
حمامة جرعى حومة الجندل اسجعي وفيه نظر وفي المتكلم
ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح والبلاغة
في الكلام مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف
فان مقامات الكلام متفاوتة فمقام كل من التنكير والاطلاق
والتقديم والذكر يباين مقام خلافه ومقام الفصل يباين
مقام الوصل ومقام الايجاز يباين مقام خلافه وكذا خطاب
الزكي

شكل (٣) ـ الصفحة الخامسة من كتاب «تلخيص المفتاح» لجلال الدين القزويني (مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم ٤٦١) .

في ٢٤٢ ورقة تم نسخها سنة ٨٥٩هـ = ١٤٥٤م ، ٦١٤٧ في ١٩١ ورقة ، ٥٠٠٥ في ٢١٤ ورقة فُرغ من نسخها سنة ١٠٣٥هـ = ١٦٢٥م ، ٣٥٤١ في ٨٤ ورقة كتُبب بخطوط متفاوتة .

ثانياً : «المختصر»

وهو شرح مختصر على كتاب «تلخيص المفتاح» للقزوينى ، والشرح لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت : ٧٩١هـ = ١٣٨٩م) .

١ ـ مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : ٦٣٦ (٤) ، الصفحات : ٦٩/ب حتى ١٣٤/أ ، كتب بخط مغربي ، وهو مؤرخ سنة ٩٤٤هـ = ١٥٣٧م .

٢/٦ ـ مخطوطات دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة :

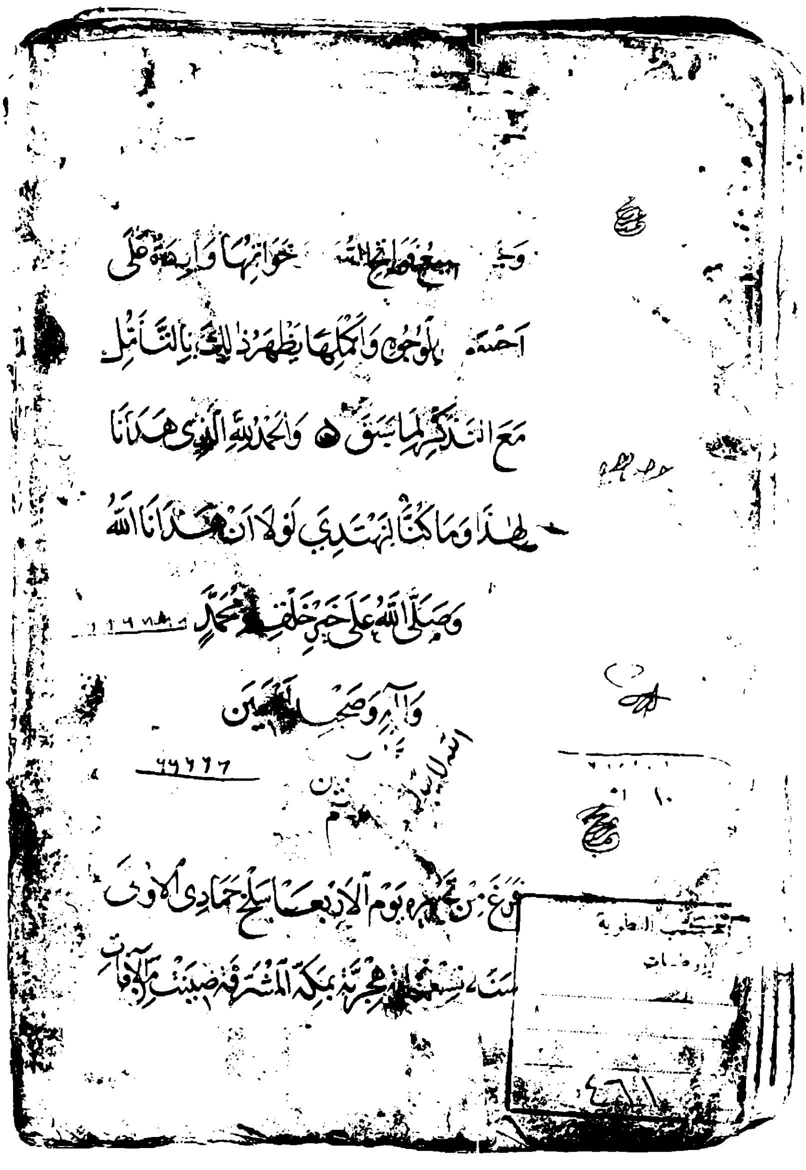
٢ ـ رقم : ٦٥٢ ـ فهرس الجزء الرابع ، مؤرخ سنة ١٠٠٥هـ = ١٥٩٦م .

٣ ـ رقم : ٥١٥٢هـ ـ فهرس الكتاب الثالث ، ويقع في ٢٠٧ ورقة ، فرغ من نسخه سنة ١١٤٣هـ = ١٧٣٠م .

٤ ـ رقم : ٥٧٩٩هـ ـ فهرس الكتاب الثالث ، ويشتمل على ٢٧٤ ورقة ، وهو مؤرخ سنة ١١٨٥هـ = ١٧٧١م .

٥ ـ رقم : ٥١٥٦هـ ـ فهرس الكتاب الثالث ، كتب بخط نسخ فارسي في ١٨٥ ورقة .

٦ ـ رقم : ٥١٦٩هـ ـ فهرس الكتاب الثالث ، نسخة ناقصة الأول ، تقع في ٢٢٩ ورقة ، كُتبت بقلم تعليق .


أحسن الوجوه وأكملها يظهر ذلك بالتأمل
مع التذكر لما سبق والحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وصلى الله على خير خلقه محمد
وآله وصحبه الطيبين

شكل (٤) ـ الصفحة الأخيرة من كتاب «تلخيص المفتاح» لجلال الدين القزويني .
(مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم ٤٦١) .

من مخطوطات «المصباح في شرح المفتاح»

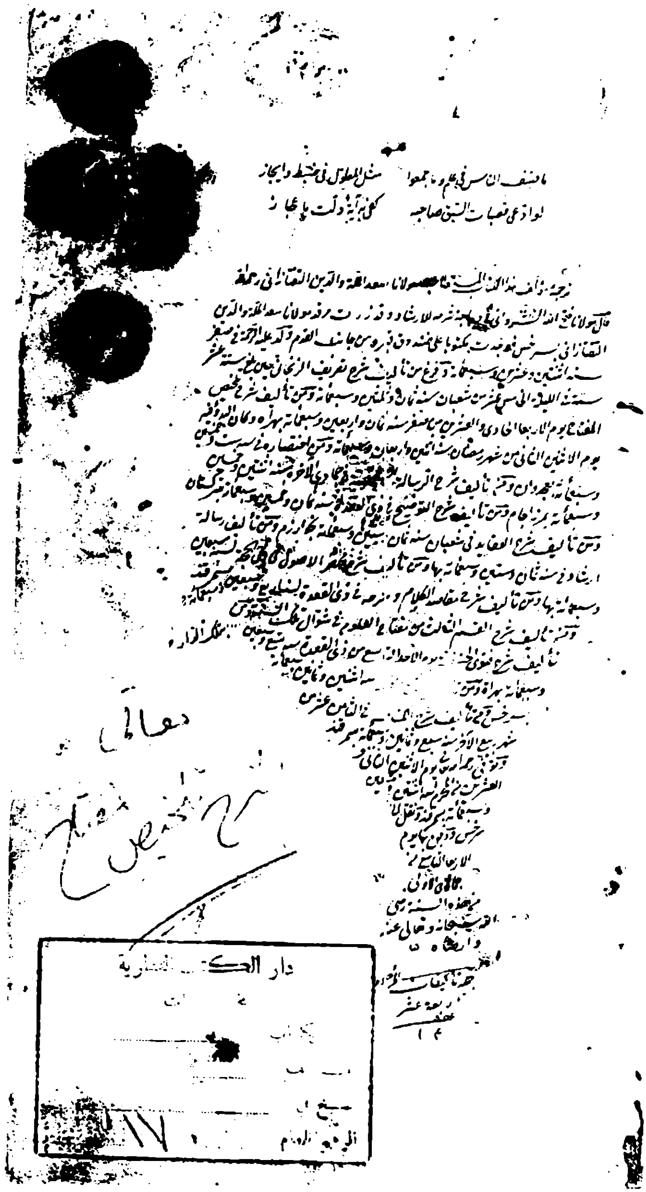
وهو شرح لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني الحسيني الحنفي ، المعروف بالسيد الشريف (٧٤٠ـ ٨١٦هـ) = (١٣٣٩ ـ ١٤١٣م) على القسم الثالث من كتاب «مفتاح العلوم» للسكّاكى ، وهو القسم الخاص بالمعاني والبيان ، وقد فرغ من شرحه هذا سنة ٨٠٤هـ = ١٤٠١م بسمرقند .

١/٣ ـ مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق :

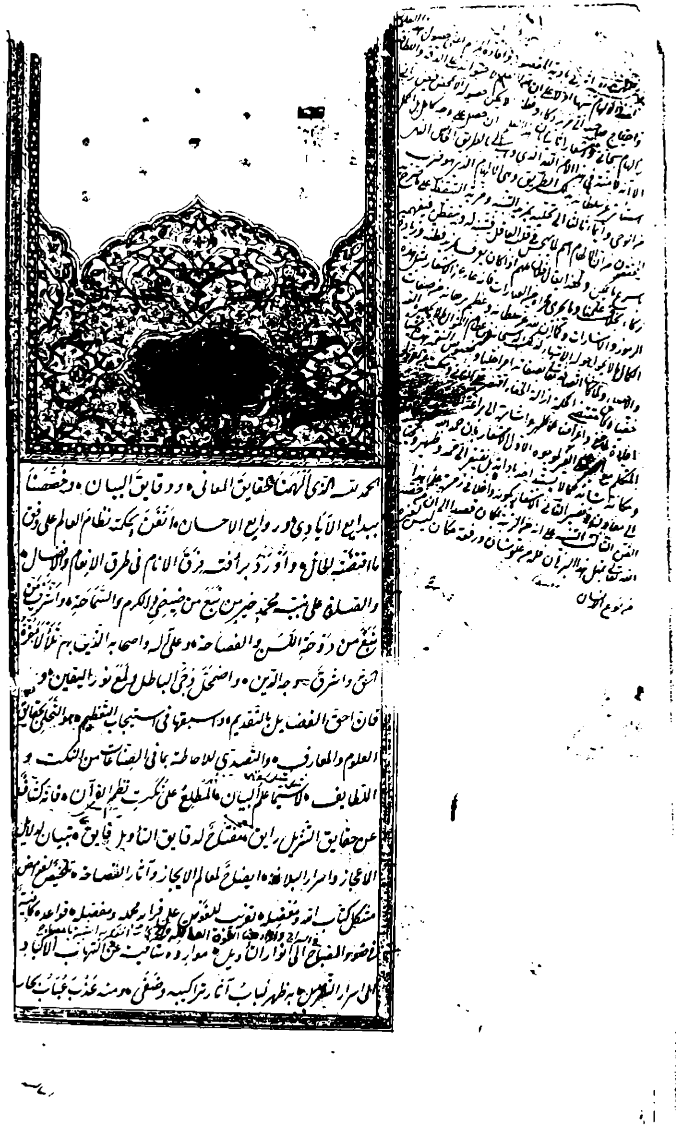
١ ـ رقم : ١٣٤ ، ويقع في ٢٦٢ ورقة .
٢ ـ رقم : ٨٢٢٩ ، ويقع في ٢١٩ ورقة ، فُرغ من نسخه سنة ٨٣٠هـ = ١٤٢٦م .
٣ ـ رقم : ٧٧٢٦ ، ويشتمل على ٢٠٢ ورقة .

٤/ ٥ ـ مخطوطاً دار الكتب الوطنية بتونس :

٤ ـ رقم : ٣٥٣٢ ، ويقع في ١٥٧ ورقة ، وقد كتب بخط مشرقى ، بقلم خليل بن يوسف بن خليل ، الذي فرغ من نسخه سنة ٨٤٠هـ = ١٤٣٦م .
٥ ـ رقم : ٣٥٨١ ، ويقع في ١٧٥ ورقة ، وقد كتب بخط مشرقى ، وتم نسخه سنة ٩٢٧هـ = ١٥٢٠م .



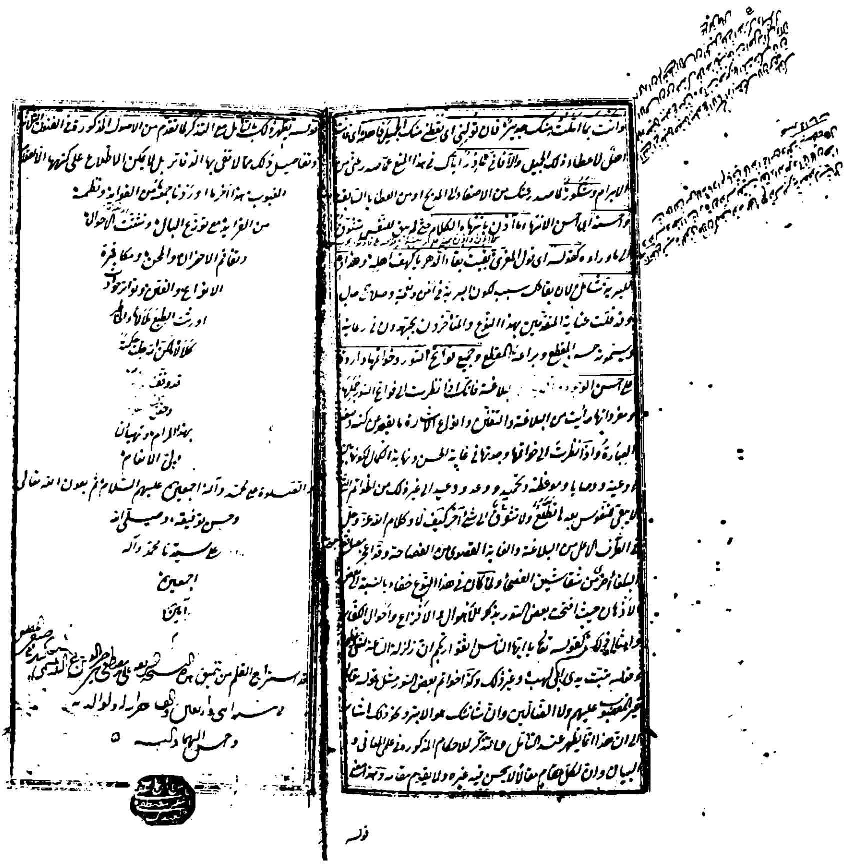
شكل (٥) ـ صفحة الغلاف لكتاب «المُطوَّل شرح تلخيص المفتاح» لسعد الدين التفتازاني (مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم : ١٧٠) .



شكل (٦) ـ الصفحة الأولى من كتاب «المطول شرح تلخيص المفتاح» لسعد الدين التفتازاني (مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم : ١٧٠ ، ويقع في ٢٩٢ ورقة ، وقد تم نسخه سنة ١٤٠٢هـ = ١٦٣٢م) .



شكل (٧) ـ الصفحة الثانية من كتاب «المُطوَّل شرح تلخيص المفتاح» لسعد الدين التفتازاني (مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم : ١٧٠) .



شكل (٨) ـ الصفحتان الأخيرتان من كتاب «المطوَّل شرح تلخيص المفتاح» لسعد الدين التفتازاني (مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم : ١٧٠ ، ويرجع تاريخ نسخه إلى سنة ١٠٤٢هـ = ١٦٣٢م) .

القــرن السادس الهجــري

١ ـ نَظْمُ «الغُرَر»

للمطرِّزى (المتوفى سنة ٦١٠هـ = ١٢١٣م)

والنظم من بحر البسيط ، ومطلعه :

« الـحَـمْـدُ لِـلَّه رَبِّ الـنُّـورِ والـنَّـارِ
وَخَـالِـقِ الـمُـلْكِ طَـوْراً بَـعْـدَ أَطْـوَارِ»

وقد سمىَّ المطرِّزي نظمه «بالغُرَرَ» كما يتضح ذلك من البيت الثالث من نهاية النظم حيث يقول :

«فَـالَـحَـمْـدُ لِـلَّهِ رَبِّ الـعَـالَـمِـيـن عَـلَى
أنْ قَـدْ أَعَـانَ عَـلى إِتْـمَـامِـي الـغُـرَرَا»

ـ مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : بلاغة ـ ٢٦١ (٢) ، الكتاب الثاني ضمن مجموع ، الأوراق : ١٦٤ ـ ١٨٣ ، كُتب بخط مشرقي ، دون ذكر لتاريخ النسخ .

القـــرن الســابع

٢ ـ «البديع في صناعة الشعر»

منظومة للشيخ الإمام زين الدين يحيى بن معطي بن عبد النور المغربي الزواوي (٥٦٤ ـ ٦٢٨هـ) = (١١٦٨ ـ ١٢٣١م) ، وفيها جمع ابن معطى أنواع البديع ، وساق لكل نوع منها شواهد من أشعار المبرزين من

الشعراء ، ومطلع المنظومة بعد البسملة :

يَقُولُ ابن مُعْطٍ قُلْتُ لاَ مُتَعَاطِياً
مَقَالَةَ من يَرْجُو الرِّضَى والتَّعاطِيا »

وآخرها :

وَلِلَّهِ حَمْدُ دَائِمٌ أَسْتَزِيده
وحسبي مَدْعُواً إليه أُنِيبُ

ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ٨٧٦١ ، ويقع في ٩ ورقات من مجموع يشتمل على ٢٧ ورقة ، الأوراق : ٦/ب إلى ١٤/أ ، ولم يبيِّن لا اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

القـــرن الثامن

٣ ـ «خلاصة التبيان في المعاني والبيان»

أرجوزة للشيخ أثير الدين أبي حيَّان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفي سنة ٧٤٥هـ = ١٣٤٤م) ، لم يكملها .

(كشف الظنون ـ ٢ : ٧١٧) .

(٤) ـ «مَنْظُومة في البَديعيَّات»

للشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن على ابن جابر الهوادي الأندلسي المالكي (٦٩٨ ـ ٧٨٠هـ) = (١٢٩٨ ـ ١٣٧٨م) ، رتَّبها على أربعة أقسام هى :

الأول : في ألقاب البديع .
الثاني : في المعاني .
الثالث : في التورية المبنيَّة .
والرابع : في التورية المُهيئة .

- مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد - رقم : ٩٦٦ ، ويقع في ١٨ صفحة .

- طبع المطبعة السلفية بالقاهرة ، سنة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م (دار الكتب المصرية - ٢ : ١٧٩) .

نَظْم كتاب «المصباح في اختصار المفتاح»

كتاب المصباح من تصنيف بدر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجيانى ، وهو ابن الناظم ، أى نجل ابن مالك صاحب الألفية الشهيرة في النحو ، وقد توفى ابن الناظم - صاحب كتاب المصباح - سنة ٦٨٦هـ = ١٢٨٧م ، وكتاب المصباح هو مختصر لكتاب «مفتاح العلوم» لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكى (٥٥٥ - ٦٢٦هـ) = (١١٦٠ - ١٢٢٨م) ، وتوجد من كتاب «المصباح» نسخ خطيَّة متعددة نذكر منها على سبيل المثال :

- مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا - رقم : بلاغة - ٢٥٠ ، ويقع في مائة ورقة ، وقد كتب بخط مغربي ، ويرجع تاريخ كتابته إلى سنة ٧٣٧هـ = ١٣٣٦م .

٥ ـ ترجيز المصباح

نظم لكتاب المصباح في المعاني والبيان والبديع لابن الناظم ، وصاحب الترجيز هو محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن حسن المراكشي الأكمه ، وقد عاش في نهاية القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري .

ـ مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : بلاغة ـ ٢١٩ (١) ، الكتاب الأول ضمن مجموع ، الأوراق : ١ ـ ٧٥ ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٨١٣هـ = ١٤١٠م ، وهو مكتوب بخط مشرقى ، وأول الترجيز :

«يقول رَاجِي ربِّه ذي[1] الرَّحْمه   مُحمَّـدُ الـمـراكِشِـي الأكمـه»

هذا ويوجد «كتاب المصباح في علم المعاني والبيان والبديع» تصنيف الإمام بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك الأندلسى الطائي (ت : ٦٨٦هـ = ١٢٨٧م) ، نقول يوجد مطبوعاً بالمطبعة الخيرية في القاهرة ، سنة ١٣٤١هـ = ١٩٢٢م ، ويقع في ١٣٠صفحة + ٦ صفحات للفهرس والتصويبات .

---

(١) في المخطوط (ذو) ، وهو تصحيف ظاهر .

٦ ـ «أرجوزة البيان» أو «المنظومة البيانية المُحِبِّية»

لأبي الوليد محمد بن الشِّحنة الحنفي (المتوفى سنة ٨١٥هـ = ١٤١٢م) ، وهى منظومة في المعاني والبيان والبديع ، وتشتمل على ١٠١ بيتاً ، وعلى هذه الأرجوزة شرح منظوم لنجم الدين محمد بن محمد ابن الرِّضيّ الغزيّ (المتوفى في حدود سنة ١٠٠٠هـ = ١٥٩١م) ، كما أن عليها شرح لمحبِّ الدين أبي الفضل محمد بن أبي بكر بن داود الحموي الحنفي (المتوفي سنة ١٠١٦هـ = ١٦٠٨م) .

وقد ظهرت الأرجوزة في طبعات مختلفة لعلَّ أحدثها ما جاء بكتاب «مجموع المتون في مختلف الفنون» ، طبعة دولة قطر ، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م ، الصفحات : ٣١٢ ـ ٣١٨ ، وتبدأ الأرجوزة بالأبيات الآتية :

«الحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ ... عَلَى رَسُولِهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ
(مُحَمَّدٍ) وَآلِهِ وَسَلَّمَا ... وَبَعْدُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنِّي أَنْظِمَا
في عِلْمَى البَيَانِ وَالمَعَانِي ... أُرْجُوزَةً لَطِيفَةَ المَعَانِي
أَبياتُها عَنْ مَائَةٍ لَمْ تَزِدِ ... فَقُلْتُ غَيْرَ آمنٍ مِنْ حَسَدِ
فَصَاحَةُ المُفْرِدِ فِي سَلاَمَتِهْ ... مِنْ نُفْرَةٍ فيهِ وَمِنْ غَرَابَتِهْ»

ويُعرِّف ابن الشحنة علم البيان ، فيقول :

---

(١) هو أبو الوليد محب الدين محمد بن محمد بن محمود بن غازي بن أيوب الحلبي ، الشهير بابن الشحنة (٧٤٩ ـ ٨١٥هـ) = (١٣٤٨ ـ ١٤١٢م) .

(علـم البيـان)

«عِلْمُ البَيَـانِ مَـا بِـهِ يُعَـرَّفُ إيـرادُ مَـا طُـرُقُـهُ تـخْتَـلِفُ
فِي كَـوْنِهَا وَاضِحَـةَ الـدِّلَالَـهْ فِيمـا بِـهِ لَازِمُ مَـا وُضِـعَ لَـهْ
إمَّـا مَـجَـازٌ مِنْـهُ اسْـتِعَـارَةُ تُنْبِي عَنِ التَّشْبِيـهِ أوكِنَـايَـةُ»

كذلك يعرج ابن الشحنة في أرجوزته إلى علم البديع ، فيقول :

عِلْمُ البَدِيعِ وَهْوَ تَحسينُ الكَلَامْ بَعْـدَ رِعَايَةِ الـوُضُـوحِ وَالمَقَـامْ
ضَـرْبَـان لَفْـظِيٌّ كتجنيسٍ وَرَدْ وَسَجْـعٍ أوْ قَلْبٍ وتَشْـرِيـعٍ وَرَدْ
وَالمَعْـنَـوِيُّ وَهْـوَ كـالتَّسهـيم والجَمْـعِ والتفـرِيطِ والتَّقْسيمِ
والقَـوْلِ بـالمُـوجَبِ والتَّجـريـد والجِـدِّ وَالـطِّبـاقِ والتَّـأكيـد
والعَكْسِ والـرُّجُـوعِ والإيهَـامِ واللَّفِّ والنَّشْـرِ والاستـخْـدَامِ
والسَّـوْقِ والتَّـوجيـهِ والتَّـوفيق وَالبَحـثِ والتَّـعْليـلِ والـتَّعْـلِيقِ»

ويختم ابن الشحنة أرجوزته بالإشارة إلى السرقات الشعرية حيث يقول :

(الخاتمـة : في السرقات الشِّعرية)

السَّـرقَـاتُ ظَـاهِـرٌ فـالنَّسـخُ يُـذَمُّ لَا إن اسْتُـطِيـعَ المَسْـخُ
وَالـسَّلْخُ مِثْلُهُ وَغَـيْـرُ ظَـاهِـرِ كَـوَضْعِ مَعْنى في مَحَـلٍّ آخَـرِ
أوْ يَـتَشَـابَـهَـان أوْ ذا أشْمَـلُ وَمِنْـهُ قَلْبٌ واقـتبـاسٌ يُـنْقَـلُ
وَمِنْـهُ تَضمينٌ وَتَلْميـحٌ وَحَـلْ وَمِنْـهُ عَقْـدٌ والتـأنُّقُ إن تَسَـلْ
بَـرَاعَـةُ اسِـتهْـلالِ وانْـتِقَـالِ حُسْنُ الخِتَـامِ مُنْتَهى المَقَـالِ»

من مخطوطات منظومة ابن الشِّحنة

١ ـ مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم : ٩٦٦ ، ويقع في ست صفحات ، كتبه عبد الرزَّاق بن عطية البدراوي سنة ١٠٧٨هـ = ١٦٦٧م .

٢ ـ مخطوط المكتبة البريطانية بلندن ـ رقم : CCCCXXI-16 ، أي رقم : ٤٢١ (١٦) ، الكتاب السادس عشر ضمن مجموع ، الصفحات : ١٣٦ ـ ١٣٩ ، حيث تجيء بآخر الأرجوزة العبارة الآتية : «تمَّت المايه المتعلقة بالمعاني والبيان والبديع» .

٣ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ١٠٥٤٨ ، ويقع في أربع ورقات ، وقد كتب المخطوط بخط نسخ حسن مُعجم مشكول ، ولكنه لا يحمل تاريخاً لكتابته ، وقد كتبت العناوين بالحمرة .

٤ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ٤٦٠٨ ، ضمن مجموع مُكوَّن من تسع ورقات ، الصفحات : ١/ب إلى ٦/أ ، كتُب بقلم نسخي حسن ، وكتبت العناوين بالمداد الأحمر ، وعلى المخطوط ثلاثة قيود تملُّك .

٥ ـ مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ الكتاب الأول ضمن المجموع رقم ٣٩٣ .

٦ ـ مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس ـ رقم : ٤١٠٩ ، ضمن مجموع من أربع رسائل ، يقع في ٧٧ ورقة ، وقد كتُب المخطوط بخط مغربي .

٧ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٢٢٣ ، فهرس الكتاب الثاني .

هذا وقد طُبعت المنظومة أكثر من مرة (سركيس في معجمه : ١٣٦) .

من شروح «الأرجوزة البَيَانِيَّة»

(أ) شرح منظوم لنجم الدين محمد بن محمد بن الرضيّ الغزّي (المتوفي في حدود سنة ١٠٠٠هـ = ١٥٩١م) يأتي بيانه في منظومات القرن العاشر .

(ب) شرح لمحب الدين أبي الفضل محمد بن تقيٍّ الدين أبي بكر بن مُحبِّ الدين بن داود بن عبد الرحمن الحموي الدِّمشقي المحبِّي (٩١٥ ـ ١٠١٠هـ)[1] = (١٥٤٤ ـ ١٦٠٢م) .

١ ـ مخطوط مكتبة شستربيتى بدبلن ـ رقم : ٤٨١٧ (٣) ، الكتاب الثالث ضمن مجموع ، الصفحات : ٣٩ ـ ٨٤ ، وهذه النسخة هى نسخة الشارح الفاضل نفسه[2] ، وهى مؤرخة في سنة ٩٨٢هـ = ١٥٧٥/٤م .

٢ ـ مخطوط مكتبة شستر بيتى بدبلن ـ رقم : ٤٧٩٦ (١) ، الكتاب الأول ضمن مجموع ، الصفحات : ١ إلى ٤٠/أ ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٩٨٤هـ = ١٥٧٧م ، وقد كُتب بمعرَّة النعمان بالقرب من حلب .

---

(١) في رواية أخرى تُذكر سنة وفاته : ١٠١٦هـ = ١٦٠٨م .

(٢) كما جاء بفهرس المكتبة ـ راجع مخطوط الظاهرية فيما يخص تاريخ الفراغ من تأليف الشرح .

٣ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ٥٨٦٢ ، ويقع في ٦٨ ورقة ، وعلى المخطوط ثلاثة قيود تملُّك .

وهذه النسخة نسخة جيِّدة مُصحَّحة ، وتجيء في آخرها العبارة الآتية :

« ... قال المؤلف : وكان الفراغ من تأليفه في ١٧ شعبان سنة ٩٦٩هـ (= ١٥٦١م) »

أما تاريخ الفراغ من نسخ هذا الشرح فهو الأربعاء ٦ ربيع الأول سنة ١١٣٧هـ = ١٧٢٤م .

وقد كتُب المخطوط بخط نسخ حسن غير مشكول ، كما كتبت العناوين بالمداد الأحمر ، وبهامش هذه النسخة شروح وتعليقات وتصويبات .

القــــرن التاســع

٧ ـ «ضياء الأرواح المُقْتبس من المِصْبَاح»

أرجوزة للشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن المراكشي (كان حيًّا في سنة ٨٣٧هـ = ١٤٣٣م) .

(كشف الظنون ـ ٢ : ١٠٩٠)

٨ ـ منظومة في البديـع

لتقي الدين أبي بكر بن علي بن محمد المعروف بابن حجَّة الحموي (المتوفي سنة ٨٣٧هـ = ١٤٣٣م) ، مطلعها :

« لي فِي ابْتِـدَا مَـدْحِكم يـا عـرب ذي سَلَم
بـراعـة تـستـهـل الـدَّمْـعَ فـي الـعـلم»

بدأها المؤلف في براعة المطلق ، والجناس المطلق والمركَّب .

ـ مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم : ١٧٢٨ ، ويقع في ١٥ صفحة ، كتبه عبد الجليل بن ملاجميل البغدادي سنة ١١٣٠هـ = ١٧١٧م .

٩ ـ «الألفيَّة في المعاني والبيان»

للشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد القباقبي الحلبي (المتوفى في حدود سنة ٨٥٠هـ = ١٤٤٦م) ، وله عليها شرح .

(كشف الظنون ـ ١ : ١٥٧) .

١٠ ـ «النَّفْحَة المِسكِيَّة والتُّحفة المكيَّة في العروض والمعاني والبديع والتاريخ والعربية .

لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١هـ = ١٥٠٥م) ، جعلها في ١٦٦بيتاً ، وقد فرغ منها في سنة ٨٦٩هـ = ١٤٦٤م .

ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٣٨٩٠ج ، ويقع في ١٢ ورقة ، كُتب بقلم معتاد بخط أحمد بن محمد الزروى دون بيان تاريخ الكتابة .

١١ ـ «عقُود الجُمان في علم المعاني والبيان»
أو ألفيَّة السيوطي في المعاني والبيان

أرجوزة في ألف بيت لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ابن محمد بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) = (١٤٤٥ ـ ١٥٠٥م) ، نظم فيها كتاب «تلخيص المفتاح» للقزويني ، وقد أتم السيوطي أرجوزته سنة ٨٧٢هـ = ١٤٦٧م[1] أو في سنة ٨٧٥هـ = ١٤٧٠م[2] ، ومطلع النظم :

« قَالَ الفقيرُ عَابِدُ الرَّحْمن   الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى البَيَان
وأَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام   عَلى نبي أَفْصَح الأَنَام»

وآخره :

« وتم ذا النظم بتيسير الأحد   سلخ جمادى الثاني في يوم الأحد
من عام ثنتين وسبعين التي   بعد ثمانماية للهجرتى»[2]

وللسيوطي على ألفيَّته هذه شرح بعنوان :

«حلّ عقود الجمان في المعاني والبيان»

---

(١) حسب ما جاء بكشف الظنون ـ ٢ : ١١٥٤ ، ١١٥٥ .
(٢) حسب ما جاء بمخطوطة المكتبة البريطانية بلندن ـ رقم ٥٥٧ (١) .

من مخطوطات الألفيـة

١ ـ مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : ١٧٩٢ (٢) ، الكتاب الثاني ضمن مجموع ، الصفحات : ٣٣/أ إلى ٥٧/ب ، كتب بخط مشرقي ، والمخطوط مؤرخ سنة ٩٠٣هـ = ١٤٩٧م ، أي في حياة المؤلف .

٢ ـ مخطوط المكتبة البريطانية بلندن ـ رقم : DLVII-1 أي رقم : ٥٥٧ (١) ، الكتاب الأول ضمن مجموع ، الصفحات : ١ إلى ١١٧ ، ويرجع تاريخ نسخه إلى سنة ٩٧٦هـ = ١٥٦٨م .

٣ ـ مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : بلاغة ـ ٢١٨ (٣) ، الكتاب الثالث ضمن مجموع ، الأوراق : ٨٦ ـ ١٥٥ ، ويعود تاريخ نسخه إلى سنة ٩٨٢هـ = ١٥٧٤م ، وقد كُتب بخط مشرقي .

٤ ـ مخطوط مكتبة الأوقاف العامة في الموصل بالعراق ، ضمن المجموع رقم ٢٢/٢٣ : الكتاب الأول ، ويرجع تاريخ نسخه إلى سنـة ١١١٤هـ = ١٧٠٢م .

٥ ـ مخطوط مكتبة الأوقاف العامة ببغداد ـ الرقم القديم ١٦٤ ، والرقم الجديد ١٦٤٩ ، وقد جاء في آخره :

«آخر شرح الألفيَّة في المعاني والبيان . . .
وفَرغَ منه مؤلِّفُه عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي ، عفا الله عنه ، يوم الأحد خامس ربيع الأول ، سنة خمس وسبعين وثمانمائة (= ١٤٧٠م) »

٦ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ، رقم : ٣٥٧٣ ، ويقع في ٣٣ ورقة ، وقد كتب بخط نسخ معجم مشكول ، كما كتبت العناوين

ورؤوس العبارات الهامة بالمداد الأحمر ، ويجيء آخر الألفية في هذا المخطوط على النحو التالي :

«وأَحْـمَـدُ اللَّه عـلى الإتْمـامِ حمْـداً يفوق البَـدْرَ في التَّمـام
مُصَلِّيـاً عَـلَى نَبِّـي قَـدْ علتْ أوْصَـافُـه بين الـورى وكَمُلتْ»

ولم يذكر تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ ولا مكان النسخ .

٧ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٦٥٤٨هـ فهرس الكتاب الثاني ، كتب بقلم معتاد في ٣٦ ورقة ، وبهامش المخطوط تقييدات ، ولم يُبيَّن تاريخ النسخ .

٨ ـ مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم : ٣٦٢٨ ، ويقع في ٢٨٠ صفحة .

هذا وقد طُبعت الألفيَّة في بولاق سنة ١٢٩٣هـ = ١٨٧٦م .
(سركيس في معجمه ـ ١ : ١٠٨٢) .

من شـروح الألفيـة

(أ) شرح للناظم نفسه جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي بعنوان :

«حلّ عُقُود الجُمَان في المَعَانِي والبَيَان»

١ ـ مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس ـ رقم : ٤٣٣٥ ، ويقع في ٢٠٣ ورقة ، وقد كُتب بخط مشرقي بيد عبد الرحمن بن عيسى العمري سنة ١١٣٤هـ = ١٧٢١م .

٢ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ١٠٠٠٤ ، ويشتمل على

١٢٨ ورقة ، فُرغ من نسخها في رمضان سنة ١١٢٣هـ = ١٧١١م بيد سليمان تابع العنبري ، وقد قوبل المخطوط على الأصل وقرىء على الملاّ إلياس سنة ١١٣٨هـ = ١٧٢٥م .

٣ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ٣٥٧٦ ، ويقع في ١٧٠ ورقة ، تَمَّ نسخه على يد علي بن سالم الأرتيري في ربيع الثاني سنة ١١٨٦هـ = ١٧٧٢م ، كتبه بخط نسخي معتاد فيه بعض الشكل ، وكُتبت رؤوس الأبيات والشروح بالمداد الأحمر .

٤ ـ مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم : ١٢٧٩ ، ويضم ٣٩٠ صفحة ، كتبه محمد بن أحمد الحكيم سنة ١٢٩٩هـ = ١٨٨١م .

٥ ـ مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : بلاغة ـ ٢٤٧ ، ويقع في ١٤٤ ورقة ، وقد كتب بخط مشرقي ، وهو غير مؤرخ .

٦ ـ مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس ـ رقم : ٤١٢٩ ، ويقع في ٢١١ ورقة ، وقد كُتب بخط مغربي دون بيان تاريخ الكتابة .

هذا وقد طُبع الشرح مع الألفيَّة بمطبعة شرف بالقاهرة ، سنة ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م ، وسنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م في ١٥٩ صفحة ، وطُبع بهامشه «حِلْية اللبّ المصون» للشيخ أحمد الدمنهوري على «الجوهر المكنون» للأخضري . (سركيس في معجمه ـ ١ : ١٠٨١) .

(ب) شرح عقود الجمان (شرح المرشدي)

وهو شرح على ألفيَّة السيوطي في المعاني والبيان ، تصنيف الشيخ عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد أبي الوجاهة العمري الحنفي ، المعروف

بالمرشدي ، مفتي الحرم الملكي (٩٧٥ ـ ١٠٣٧هـ) = (١٥٦٧ ـ ١٦٢٧م) .

ـ مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم : ١٢٣٣ ، ويقع في ٥٨٧ صفحة ، كتبه علي بن محمد بن سالم سنة ١٣٠١هـ = ١٨٨٣م .

ـ طبع المطبعة الميمنية ، سنة ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م ، وبهامشه شرح السيوطي على منظومته ، ويقع الكتاب في جزءين .
(سركيس في معجمه ـ ٢ : ١٧٣٤) .

ـ طبع مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ، سنة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م ، وعلى هامش الكتاب شرح السيوطي على ألفيَّته هذه : عقود الجمان ، والكتاب في جزءين : ٢٥٢ ، ٢٣٥ صفحة على التوالي ، وهو في حجم الربع .

القرن العاشر

١٢ ـ «الجَوْهَرُ المكْنون في الثلاثة فنون»

تأليف عبد الرحمن بن محمد بن عامر الأخضري المالكي (من علماء القرن ١٠هـ = ١٦م)[1] ، وهي منظومة في المعاني والبيان والبديع ، وتشتمل على ٢٩١ بيتاً ، وقد تمَّ نَظْمها سنة ٩٥٠هـ = ١٥٤٣م ، ومطلعها[2] :

---

(١) (٩١٨ ـ ٩٨٣هـ) = (١٥١٢ ـ ١٥٧٥م) .

(٢) كتاب «مجموع المتون في مختلف الفنون» ، طبعة دولة قطر ، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م ، الصفحات : ٤١٧ ـ ٤٣٦ .

«(الحمدُ لِلَّه) البَدِيعِ الهَادِي إِلَى بَيَانِ مَهْيَعِ الرَّشَادِ
أمدَّ أَرْبَابَ النُّهى وَرَسم شَمْس البيانِ في صُدُورِ العُلمَا»

وبعد الخطبة والمقدمة يدلف الناظم إلى الفن الأول ، فيقول :

(الفن الأول : علم المعاني)

«عِلْمٌ بِهِ لِمُقْتَضى الحَالِ يُرَى لَفْظاً مُطَابِقاً وَفِيهِ ذكرا
إسْنَادُ مُسْنَدٍ إليه مُسنَدُ وَمُتَعَلِّقَاتُ فِعْلٍ تُوُرَدُ
قَصْرٌ وإنشَاءٌ وفَصْلٌ وَصْلٌ أوْ إيجَازُ اطْنَابٌ مُسَاوَاةٌ رَأَوْا»

ويستطرد الناظم في هذا الفن حيث يعرض لأبواب ثمانية ، ثم يعرج على الفن الثاني ، حيث يقول :

(الفنُّ الثاني : عِلْمُ البيان)

«فَنُّ البَيَان عِلْمٌ مابِه عُرِفْ تأْدِيَةُ المَعْنَى بِطُرْقٍ مُخْتَلِفْ
وُضُوحُها واحْصُرهُ في ثلاثة تَشْبيهٍ أو مجازٍ أو كِنَايَةٍ»

ويقسم الناظم الحديث في هذا الفنّ ثلاثة أبواب ، ثم يتناول الفن الثالث بادئاً بالبيتين :

(الفن الثالث : علْمُ البديع)

«عِلْمٌ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الكَلَامْ يُعْرَفُ بَعْدَ رَعْيِ سَابِقِ المَرامْ
ثُمَّ وُجُوهُ حُسْنِهِ ضَرْبَانِ بِحَسبِ الألْفَاظِ وَالمَعَانِي»

ويذكر الناظم في آخر بيت من منظومته تاريخ إتمامها ، حيث يقول :

«ثُمَّ بِشَهْــرِ الحجَّــةِ الْميمُــون تَتْمِيمُ نِصْفِ عـاشِـرِ القَــرُون»

من مخطوطات نظم «الجوهر المكنون»

١ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٧٦٣ ـ بلاغة ، ويقع في ١٢ ورقة ، كُتب بقلم معتاد بخط عبد الرحمن علي ، فرغ منه في سنة ١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م .

٢ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٧٨٦ ـ بلاغة ، كُتب بخط مغربي في ٧ ورقات ، وبه تقطيع .

٣ ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط ـ رقم : 1779 (D 568) ، ضمن مجموع ، الصفحات : ٢٢٤/أ حتى ٢٣١/ب .

٤ ـ مخطوط المكتبة البريطانية بلندن ـ رقم : CCCCXXI-20 ، أى رقم : ٤٢١ (٢٠) ، ضمن مجموع ، الأوراق : ١٤٩ ـ ١٥٧ ، وفيه يلقَّب الناظم بالبنطيوسي المغربي .

من طبعات نظم «الجوهر المكنون»

١ ـ طبع المطبعة العثمانية بالقاهرة ، في ٢٠ صفحة ، في حجم الثمن . (دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقما : ٦٩٨ ، ٦٩٩ ـ بلاغة .)

٢ ـ طبع حجر بمطبعة المعارف بمصر ، سنة ١٢٩٠هـ = ١٨٧٣م .

٣ ـ طبع مطبعة محمد أبي زيد ، سنة ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م .

٤ ـ طبع المطبعة الخيرية ، سنة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م .

٥ ـ طبع المطبعة الشرفية ، سنة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٨م .

٦ ـ طبع المطبعة الحميدية المصرية ، سنة ١٣٢٣هـ = ١٩٠٥م .

٧ ـ طبع مطبعة أبي الذهب ، سنة ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م .

(راجع سركيس في معجمه ـ ١ : ٤٠٧) .

من شروح «الجوهر المكنون»

(أ) شرح بعنوان :

«حلبة اللُّب المصون بشرح الجوهر المكنون في الثلاثة فنون»

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري (١١٠١ ـ ١١٩٢هـ) = (١٦٨٩ ـ ١٧٧٨م) .

ـ مخطوط بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

ـ طبع حجر بمطبعة شاهين بمصر[1] ، سنة ١٢٨٨هـ = ١٨٧١م .

(ب) شرح بعنوان :

«مُوَضِّح السرِّ المكمون على الجوهر المكنون»

تأليف محمد بن محمد بن علي بن موسى الثغري الجزائري .

ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٥٦٦٥هـ ، فهرس الكتاب الثالث ، ويقع في ٢١٧ ورقة ، كُتب بقلم نسخ بخط عبد السلام بن محمد عليش ، فرغ منه سنة ١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م .

---

(١) طُبع بهامش «عقود الجمان في علم المعاني والبيان» لجلال الدين السيوطي .

١٣ ـ شرح منظوم على نظم لابن الشِّحنة

الشرح المنظوم من إنشاء الشيخ نجم الدين بن رضى الدين العامري الغزِّي الشافعي (من علماء القرن ١٠هـ = ١٦م) .

وهو شرح على منظومة في علمي البيان والبديع للشيخ الإمام أبي الوليد محمد ابن الشحنة (كان حيًّا سنة ٨٨٣هـ = ١٤٧٨م) .

ـ مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ المجموع ٣٩٣ : الكتاب الأول ، الأوراق : ٢/أ ـ ٢٨/أ ، وقد تمَّ نسخه سنة ٩٩١هـ = ١٥٨٣م على يد حفيد الشارح .

ويبدأ الشرح المنظوم بالأبيات الآتية :

«حَمْـداً لـربٍّ خلقَ الإنْســانَـا عَــلَّمـه بِفَـضْـلِهِ الـبَـيَـانَـا
سُبْحَانَـه مَـوْلى بـديعاً كَـرَمُـه عَمَّتْ عَـطَايَـاهُ وجَمَّت نِعَمـهُ
ثُـمَّ صـلاَةً وسـلاَمـاً أبـدَا عَلَى النَّبي الـعَـرَبي أَحْـمَـداَ
والآلِ والصَّحْب النجوم الزاهِره مَـا كَانَ بَعْثُ أوجهـة مَنَـاظِـره
وَبَعْـدُ فَـالغَـزِيُّ نجمُ الـدِّين العــامـري ابنُ رضـيِّ الــدِّين
يَقُـولُ طَـالِبـاً مِنَ الـرَّحْمَـن إمْتَـاعَـه بِـالعَفْـوِ والغُـفْـران
إنَّ الإلَـه قَـسَّـم الأَنْـعَـامَـا عَلَى جَميـع خَلْقِـه أقسـامـاً
فَـمِنْـهُم مَـنْ خَـصَّـه وَمـنْـهـم منْ عَمَّــه وَمـنْهـمُ من يَـحْـرِم
فَلَيْس مِنْ مُعْطٍ لمنْ قَدْ حَرَمـا أو مَـانـعٍ لمنْ عليـه أَنْعَمـا
فكيْفَ فَعَـل حَاسِـدٌ إذا حَسـدَ بِمَنْ يَخُصُّـه الآلَـه بـالمـدَدَ
فـإنَّ مَـع ارتكـاب مَـا ارتكب مَـا نَـالَـهُ مِنْ فِعْلِه إلَّا التَّعَبْ
كبعْض أهْـلِ العَصْر لمـا فتحـا عَلَيَّ رَبِّي إذْ حَبَـاني المنَحـا

بِنَظم شَرْحي العجيب الجامع ... الجيِّدِ النَّظْم النَّفيس النَّافِع
عَلى كِتَابِ وَالِدي العلاَّمه ... الأَوْحَدِ المُحققِ الفَهامة
مُحَمَّدٍ بدرِ العلي والدين ... العامري الغزي ذي التمكين
وهو الَّذي وَسَمه باللمحه ... مُلَخصا فيه كتاب المُلْحَه
نَظمه أرجوزة في نحو ... مائة بيتٍ فُصِّلَت في النَّحْو
وجَاء شرحى البَديعُ النظم ... والحمد للَّهِ كبَحْر عِلْم
حَسَدني عَلَيْه ثُم قالها ... إذْ هُوَ لَمْ يَجِدْ لَهُ مِثَالاً
كأنَّ أبي هُوَ الذَّي قَدْ نَظَمَه ... وَهُوَ الَّذي جَهَّزَهُ وأَحْكَمه
وأنَّني إلىَّ قَدْ نَسبْتُه ... وَمِنْ كلاَمِ وَالدي نَقَلْتُه
وأنَّني كذبتُ في ذي الدَّعْوىَ ... والكَذب شيطانٌ عظيمُ البَلْوىَ
لِظَنِّه بأنَّ مَا تَقَوَّلَه ... يُنقص مَنْ خَالِقُه قَدْ فَضَّله
والفَضْلُ لاَ يَنْقُص أصلاً بالحسد ... وَلَو جرَى كالدَّمِ مِنْه في الجَسد»

يشير الشارح الناظم نجم الدين بن رضى الدين العامرى الغزِّي إلى شرحٍ منظوم له على كتاب لوالده ، لخَّص فيه كتابَ «المُلحة» في النحو ، وسمَّى مُلخصه «اللمحة» ، وهو أرجوزة في نحو مائة بيت ، ويقول نجم الدين إن حُسَّادَه تَقَولوا عليه مُدَّعين أن الشرح المنظوم هو من عمل والده ، وأن نجم الدين نَسَبه لنفسه ، وهو ـ في هذه المقدمة ـ يدفع عن نفسه هذه التهمة .

ويستطرد الناظم الفاضل مبيِّناً مقصده من نظمه حيث يقول :

«وَكَانَ هَذَا سَبب التَرقِّي ... في رتُبِ الفَضْلِ بأَمْر الحقِّ
فَجازَلي رَبِّي في تنْضيد ... نَظْمٍ عجِيبٍ حَسَنٍ مَجِيد


بسم الله الرحمن الرحيم

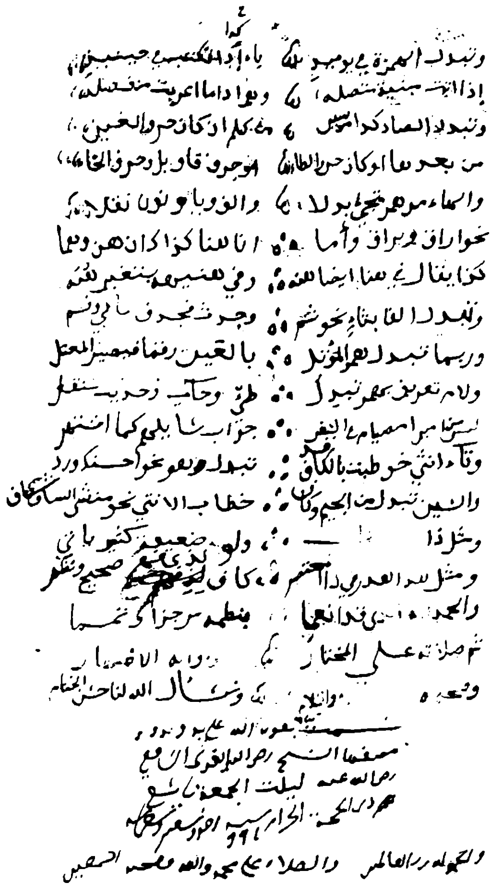
شكل (٩) ـ الصفحتان الأولى والثانية من مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة رقم : ٥/١/٣٩٣ (شرح منظوم على منظومة ابن الشحنة في علمي البيان والمعاني . صاحب الشرح المنظوم هو نجم الدين بن رضي الدين العامري الغزّي) .

مُـجَهَّـزِ الألْـفَـاظِ والمَـبـانـي في عِلْمى البَيـانِ والمَعـانِي
شـرحـاً عَلى مَنْـظُومـة الإمـام الـعَـالمِ الـمُـحَـررّ الـعـلَّامِ
مُحَمَّـد قـاضي القُضَـاةِ الحَلَبيِّ الفَـاضِلي الحَنَفِي الـمـذْهَب
وَهُوَ الَّذي عُـرِفَ بابن الشحْنة أَسْكَنَـهُ الـلَّهُ فَسيـحَ الجَـنَّـه
لأَنَّـهـا مَـعَ كَـوْنـهـا قَـليله قَـدْ جَـمَعَـتْ فَـوَايِـد جَليـله
نـظْمـاً لشَـرْح شَيْخَنَـا الإمَـام أَقضَى القُضَاةِ المُرْتَضى الهُمـامَ
مَنْ انْتَهتَ رئَـاسَةُ العَصْـرِ إليـه واعتَمـدت دَقـايِقُ العِلْم عَلَيْـه
أبي الفَضَـايـلِ مُحِبٍّ الـدِّين ابـن المكـمـل رضـي الـدِّين
الـحَـمَـوِي بَـلَداً الـحـنَـفـيِ شَـمِلَهُ الـلَّهُ بِـفَـضْـلِهِ الـوفـي
فـإنَّـه شـرحٌ نـفـيسٌ جِـدًّا وَبَحْـرُ عِلْمٍ بـالكمـال مـدّا»

وآخر الشرح المنظوم :

«والحَمْـدُ لِلَّهِ الَّذي قَـدْ أنْعَمَـا بِـنَـظْمِـهِ مـرجـزاً وتَـمَّـمـا
ثـمَّ صَـلاَتُـه عَلى الـمختـار مُـحَـمَّـد وآلـهِ الأطـهـارِ
وصَحْبِـهِ المتحبِّبيـن والسـلام ونسـألُ الله لنَـا حُسنَ الخِتَـامَ»

ويجيء بنهاية المخطوط أن الناسخ هو «وَلَدُ وَلَدِ مُصنِّفها الشيخ رضي الدين الغَزِّي الشافعي» ، فَرغ منه ليلة الجمعة تاسع ذي الحجة الحرام سنة ٩٩١هـ = ١٥٨٣م .



شكل (١٠) ـ الصفحة الأخيرة من مخطوط دار الكتب القطرية بالدوحة ـ رقم : ٥/١/٣٩٣ (شرح منظوم على منظومة ابن الشِّحنة في علمى البيان والمعاني ـ الشارح نجم الدين بن رضيِّ الدين العامري الغزِّي) .

ويبينُ لنا من متن النظم ما يلي :

١ ـ صاحب المنظومة الأصلية في علمي البيان والمعاني هو قاضي القضاه محمد ابن الشِّحنه الحلبي الحنفي .

٢ ـ قام بشرح هذه المنظومة الشيخ رضّي الدين الغَزِّي الشافعي .

٣ ـ نَظم هذا الشرح الشيخ نجم الدين بن رضى الدين الغزي ، وهو النظم الذي أوردنا جانباً منه في هذه الدراسة .

٤ ـ قام بنسخ نظم الشرح حفيد الشارح رضىِّ الدين الغزِّي الشافعي .

١٤ ـ قصيدة في أنواع علاقات المجـاز

لأبي عبد الله محمد بن أبي الفضل ابن الصبَّاغ المكناسي ، والقصيدة من بحر الكامل ، وأولها :

«يَا سَائلاً حَصْر العـلاقاتِ التي وَضْعُ المجازِ بِها يَسُوغُ وَيجْمُلُ»

وعليها شرح(١) لأبي العباس أحمد بن على المُنجوز الفاسي (المتوفي سنة ٩٩٥هـ = ١٥٨٧م) .

١ ـ مخطوط(٢) مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : بلاغة ـ ٢٦٧ ، كُتب بخط مغربي في ٣٤ ورقة ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٩٨٤هـ = ١٥٧٦م .

---

(١) تم تأليف الشرح في فاتح ربيع الثاني سنة ٩٨٤هـ = ١٥٧٦م حسب ما جاء بمخطوط الرباط .

(٢) لعلَّ هذه النسخة هى نسخة الشارح .

٢ ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط ـ رقم : 1777 (D 1032) ، ضمن مجموع ، الصفحات : ١/ب إلى ٣٤/ب ، كُتب بخط مغربي جميل .

١٥ ـ منظومة «البهجة الجديدة والنهجة الرشيدة»

لعمر بن محمد بن أبي بكر الفارسكورى (المتوفى سنة ١٠٠٨هـ = ١٥٩٩م) ، وقد أتمها نظما سنة ٩٩٠هـ (١٥٨٢م) ، وتوجد مخطوطة نسخة المؤلف بمكتبة الأوقاف العامة في الموصل ـ ضمن المجموع رقم ٢٢/٣٦ : الكتاب الأول ، ومطلع المنظومة :

«قَالَ فقيرُ عَفْوِ ربِّه عُمَر حمداً لِمَنْ بوابِلِ العِلْم غَمَر»

القرن الحادي عشر

١٦ ـ منظومة في الاستعارات

للشيخ منصور سِبْط ناصر الدين محمد بن سالم الطبلاوي[1] (المتوفي سنة ١٠١٤هـ = ١٦٠٥م) ، وتقع المنظومة في ٥١ بيتاً ، وأولها :

«يَقُولُ سِبْطُ النَّاصِرِ الطَّبْلَاوِي مَنْصُورُ الرَّاجي الجِنَانِ الثَّاوِي
الحمْدُ للهِ عَلَى التَّوفِيقِ الكَامِلِ البَيَانِ والتَّحقيق
وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ والسَّلَامِ عَلَى النَّبي المبْدإ الخِتَامِ

(١) فقيه شافعي مصري ، من محافظة المنوفية بمصر (الأعلام للزركلى ـ ٨ : ٢٣٩) . وللشيخ الطبلاوي نظمٌ آخر هو «نظْم عقيدة السلفي» .

وَالآلِ والصَّحْبِ ذَوِي الخَفَارهْ   هَذَا وَقَدْ نَظَمْتُ الاسْتِعَارَةَ
مُلَخِّصاً أقسَامَها وَحُكْمَها   فِي هذه الأبيْاتِ فاحفظ نَظْمَهَا»

وفي هذه المنظومة يتكلم الطبلاوي على المجاز المفرد، والمجاز المركَّب، ويعرض لتحقيق الاستعارة بالكناية، كذا لأقسام الاستعارة الأخرى.

ويختم الطبلاوي نظمه بالبيتين:

« وَجَازَ جَعْلُهُ لِتَخْيِيلِيَّهْ   مُرَشَّحاً كَذَا لِتَحْقِيقيَّهْ
هذَا خِتَامُ مَا قصْدنَا نَظْمَهْ   وَالحَمْدُ للَّهِ وَلِيِّ النِّعْمَهْ»

من مخطوطات المنظومة

١ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم: ٥٦٦١، ضمن مجموع مُكوَّن من ١٧٤ ورقة، ويشغل النظم الصفحات من ١٦٠/أ حتى ١٦١/ب، كُتب بخط نسخي حسن معجم غير مشكول، وكتبت الأبواب بالمداد الأحمر، والمخطوط غير مؤرخ.

٢ ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم: ٦٠٧٣، ضمن مجموع مُكوَّن من ١٨ ورقة، الصفحات: ٧/ب إلى ٨/ب، كُتب بخط نسخي فيه بعض الشكل، وهو غير مؤرخ.

٣ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم: ٧٣٠ مجاميع ـ بلاغة، ضمن مجموع في ٦٦ ورقة، كُتبَ بقلم معتاد، والمخطوط في حجم الثُّمن، ولا يحمل تاريخاً لنسخه.

٤ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم: ٣٤٧٤ج، فهرس

الكتاب الثالث ، ضمن مجموع ، الأوراق : ٣٣ ـ ٣٧ ، كُتب بقلم معتاد ، ولم يُبيَّن تاريخ كتابته .

٥ ـ مخطوط مكتبة جامعة ليْدن بهولندا ـ رقم (4) Or.6333 ، أي رقم : شرقى ٦٣٣٣ (٤) ، الكتاب الرابع ضمن مجموع ، الأوراق : ٤٧/أ حتى ٤٨/أ ، والمخطوط من مخطوطات القرن ١٣هـ = القرن ١٩م .

هذا وقد طُبعت المنظومة ، ولعل من أحدث طبعاتها ما ظهر في كتاب «مجموع المتون في مختلف الفنون» ، والصادر عن إدارة الشئون الدينية بدولة قطر ، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م ، الصفحات : ٣٠٣ ـ ٣٠٦ .

القــرن الثانــي عشــر

١٧ ـ «أنْوَار الرَّبيع في أنواع البديع»

لابن معصوم (المتوفى سنة ١١٢٠هـ = ١٧٠٨م) شرح فيه بديعيته شرحاً وافياً .

ـ طبع الهند سنة ١٣٠٤هـ = ١٨٨٦م في ٨٢٧ صفحة .

١٨ ـ منظومة السُّجاعي في الاستعارات

للشيخ أحمد بن محمد بن محمد السُّجاعي (المتوفي سنة ١١٩٧هـ = ١٧٨٢م) ، وهى منظومة تقع في ٢٧ بيتاً في المجاز والاستعارة ، مطلعها :

«حَمْـداً لِـربِّي خَـالِقِ الحَقِيقَـة كَـذَا المَجَـازِ مُنْـزِلِ الشَّـريعَـةِ
ثُمَّ صَـلاَةً لِلرَّسُـولِ الـهَـادِي وَآلِـهِ وَصَـحْـبِـهِ الأَمْـجَـادِ

وَبَعْــدُ فَــالَمجــازُ فنٌّ مُعْتَبَــرْ   مِنْ أَجْلِ ذَا نَظَمْتُ شيئاً مُخْتَصَرْ
إنَّ المَجَــازَ كَـلِمَــةٌ مُسْتَعْـمَلهْ   فِي غَيْـرِ مَوْضُـوعٍ لَـهُ مُفَصَّلهْ»

وآخــــــرها :

«وَالَحمْدُ لِلَّه على مَا قَـدْ هَدَى   مَـعَ السَّــلامِ للنَّبِيِّ أَحْـمَـدَا
وَآلِــهِ وَصَــحْـبِــهِ الأئِــمَّــهْ   وَمَنْ قَفَـاهُمْ مِنْ جَمِيعِ الأُمَّـهْ»

من مخطوطات منظومة السُّجاعي في المجاز والاستعارة

- مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - رقم : ٥٦٨٦هـ ، فهرس الكتاب الثالث ، ويقع في ورقتين ، كتب بقلم معتاد بدون تاريخ .

من طبعـات المنظـومة

١ - طُبعت في «مجموع من مهمات الفنون» بمصر ، سنة ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م ، سنة ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م . (سركيس - ١ : ١٠٠٧) .

٢ - طُبعت في «مجموع المتون في مختلف الفنون» بإدارة الشئون الدينية ، دولة قطر ، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م ، الصفحتان : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

من شــروح المنظومة

(أ) شرح بعنوان : **«مسلك الساعي شرح لمنظومة العلامة السُّجاعي»** تأليف الشيخ محمد عبد الرحمن عيد المحلاوي الحنفي (من علماء القرن ١٣هـ = القرن ١٩م) ، فَرَغَ من تأليفه سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م .

- مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - رقم : ٧٦١ - بلاغة ، ويقع

في ٤٦ صفحة ، قال الشارح في آخره إنَّه الشرح الثاني له على هذه المنظومة ، والمخطوط في حجم الثُّمن .

- طبع حجر بمصر ، سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م .

(سركيس في معجمه - ٢ : ١٦٢٢) .

(ب) شرح على المنظومة لم يُعرف مؤلفه

- مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - رقم : ٥٦٨٧هـ ، فهرس الكتاب الثاني ، والموجود من الشرح شرح البيت الأول فحسب ، ويبدو أن هذه النسخة مسوّدة المؤلف في أربع ورقات .

١٩ - «منظــومة في البيـان»

تأليف الشيخ أحمـد بن محمد بن محمـد السُّجاعي المتقـدم (ت : ١١٩٧هـ = ١٧٨٢م) .

- مخطوط دار الكتب البلدية بطنطا بمصر (القائمة : رقم ٦ ضمن مجموع - الكتاب الأول) ، كُتِبَ بخط حسن البردي .

٢٠ - «الأحراز في أنواع المجاز»

منظومة في أنواع المجاز للشيخ أحمد السُّجاعي المتقدِّم .

- مخطوط دار الكتب بالزقازيق بمصـر - رقم : ٢٩١٤ ، كُتِبَ سنة ١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م ، بخط على مطر الأزهري .

شــرح «الأحراز في أنواع المجاز»

النظم للشيخ أحمد السُّجاعي المتقدِّم ، ولعلَّ الشرح له أيضاً .

ـ مخطوط دار الكتب بالمنصورة بمصر ـ رقم : ٩٩ ، كُتب سنة ١٢٨٥هـ = ١٨٦٨م بخط محمود نجم الشافعي .

٢١ ـ «الحذاقة في أنواع العلاقة»

للشيخ أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري ، شيخ الجامع الأزهر على عصره (١١٠١ ـ ١١٩٢هـ) = (١٦٩٠ ـ ١٧٧٨م) شرح فيها بيتيه اللذين جمع فيهما علاقات المجاز ، وهما :

«جاور وحل ال وَزِدْ احْذفَنْ
حَرْفاً مُضَافاً أطْلقَن أبدلَن
وعم وَشَابِه اعتبر علق سببْ
كل لزوم آلة ضدُّ وجبْ»

وزاد في رسالته هذه على أنواع المجاز حتى استوفاها خمسة وعشرين نوعاً .

٣/١ ـ مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق :

١ ـ رقم : ١٠٤٨٥ ، ويقع في ثلاث ورقات كُتِبت بقلم معتاد ، كما كُتبت رؤوس العبارات بالمداد الأحمر .

٢ ـ رقم : ٦٠٨٨ ، ضمن مجموع من ٢٠ ورقة ، الصفحات : ٥/أ إلى ٦/أ .

٣ ـ رقم : ١٠٦٠٩ ، نسخة تامة من الرسالة تقع في ورقتين ، كُتبت بخط نسخي جيد معجم غير مشكول ، بيد عبد القادر السقطي ، سنة ١١٥٣هـ = ١٧٤٠م .

القــرن الثالـث عشـر

٢٢ ـ «منظومة في المجاز والاستعارة»

للشيخ محمد الطيب ابن كيران ، وعليها شرح لمحمد التهامي بن محمد البوري (المتوفي سنة ١٢٤٣هـ = ١٨٢٧م) ، ومطلع المنظومة :

«حَمْــداً لِمَنْ أَلْهَمَنــا بَيَــانَــاً   يُبَيِّنُ عَنْ أَغْــرَاضِنَــا تبْيــانــاً»

- مخطوط الخزانة العامة بالرباط ـ رقم : 1775 (D 921) ، يحتوي على ١٤ ورقة ، كُتب بخط مغربي ، وفُرغ من كتابتـه سنة ١٢٤١هـ = ١٨٢٥م ، أى في حياة الشارح الفاضل .
- طبع فاس ، سنة ١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م ، وعلى الشرح حاشية لمحمد المهدي بن محمد بن محمد بن الخضر الشريف الحسني العمراني الوزاني .

(سركيس في معجمه ـ ٢ : ١٩١٦) .

٢٣ ـ « تحرير البلاغــــة »

لمحمد بن معروف بن مصطفى بن أحمد النودهي البرزنجي (المتوفي سنة ١٢٥٤هـ = ١٨٣٨م) ، وهى منظومة في البلاغة ، أولها :

«قال أسيرُ ذَنْبِهِ مَعْرُوفُ عَنْهُ عَفَا بِفَضْلِهِ الرؤوفُ»

ـ مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم : ٢٤٨٩ (٢) ، ويقع في ٧٧ صفحة ، ولا يحمل تاريخ كتابته .

٢٤ ـ « عقد الدر »

لمحمد بن معروف النودهي البرزنجي المتقدِّم (ت : ١٢٥٤هـ = ١٨٣٨م) ، منظومة في البلاغة مطلعها :

«يَقُولُ أَفْقَرُ الوَرَى مَعْرُوفُ عَامَلَهُ بِلُطْفِهِ الرَّؤُوفُ»

ـ مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم : ٢٤٨٩ (٣) ، ويقع في سبع صفحات .

٢٥ ـ «نَظْمُ تحفة الإخوان المشهورة بالرسالة البيانية للدردير[1] »

نظمها عبد الغني الرافعي ، وأولها بعد البسملة :

«حمداً لمانح حزب العُرْب فَضْل عُلا . . .

ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٥٧٦٢هـ ، فهرس الكتاب الثالث ، كُتب بقلم معتاد في ٤ ورقات ، بخط الشيخ محمد محمد عليش ، فرغ منه سنة ١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م .

(١) هو أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري الخلوتي الشهير بالدردير (١١٢٧ ـ ١٢٠١هـ) = (١٧١٥ ـ ١٧٨٦م) .

٢٦ ـ «نظم تُحْفَة الإخوان في علم البيان للدردير»

نظمها الصويلح بن محمد بن عيسى الأنصاري الخزرجي ، أولها بعد البسملة :

«الحَمْـدُ لِلَّهِ الَّـذي قَـدْ مَنَحَـا بَـرَاعَـةَ البَيـانِ خَيْـرَ الفُصَحَـا»

ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٥٧٦٧هـ ، فهرس الكتاب الثالث ، كُتب بقلم معتاد في ٦ ورقات ، سنة ١٢٧٨هـ = ١٨٦١م ، بخط محمد بن أحمد هاشم التجاني .

٢٧ ـ منظومة «حديقة البيـان»

تأليف السيد عبد الهادي نجا بن رضوان نجا الإبياري الشافعي الأزهري[1] (المتوفي سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م) ، وله عليها شرح ، وله على شرحه مختصر ، والمختصر والشرح سمَّاهما :

«ثمرة المجاز والحقيقة في شرح أبيات الحديقة»

فَرَغَ من تأليفه سنة ١٢٧١هـ = ١٨٥٤م .

١ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٥١٤٣هـ ، فهرس الكتاب الأول ، كُتب بقلم معتاد بخط زين بن أحمد بن زين المرصفي ، ويقع في ١٠٥ ورقة ، وقد فُرغ من كتابته سنة ١٢٩٩هـ = ١٨٨١م .

٢ ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٧٩٦ ـ بلاغة ، ويقع في ٧٠ ورقة ، كتبت بقلم معتاد بخط زين بن أحمد بن زين

(١) (١٢٣٦ ـ ١٣٠٥هـ) = (١٨٢٠ ـ ١٨٨٧م) .

المرصفى الصيَّاد الشافعي ، فرغ من كتابتها سنة ١٢٧٥هـ = ١٨٥٨م ، والمخطوط في حجم الربع .

٣ ـ وبعنوان : **«الأزهار الأنيقة في شرح الحديقة»**

ويحتوي على شرح للإبياري على منظومته في علم البيان التي سمَّاها الحديقة . مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم ٧٩٥ ـ بلاغة ، كُتب بقلم معتاد بخطوط مختلفة آخرها بخط المؤلف ، فرغ من كتابتها سنة ١٢٧٦هـ= ١٨٥٩م ، ويقع المخطوط في ٩٤ ورقة ، وهو بحجم الثُّمن وبه خروم من الأثناء .

٢٨ ـ «طرفة الربيع في نظم أنواع البديع»

للسيد عبد الهادي نجا بن رضوان نجا الابياري الشافعي الأزهري المتقدم (ت : ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م) .

ـ طبع حجر بمصر ، سنة ١٢٧٦هـ = ١٨٥٩م ، مع كتاب «نفحة الأكمام في مثلثات الكلام» ، وكتاب «حسن البيان في نظم مشترك القرآن» وكلاهما للابياري أيضاً (دار الكتب المصرية رقم ٦٨٦ من فهرس اللغة العربية)

(سركيس في معجمه ـ ١ : ٣٦٠)

٢٩ ـ «منظومة في البيـــان»

تأليف محمد عيَّاد بن سعد بن سليمان بن عيَّاد المرحومي الطنطاوي (١٢٢٥ ـ ١٢٧٨هـ) = (١٨١٠ ـ ١٨٦١م)

(الأعلام لخير الدين الزركلي ـ ٧ : ٢١٢) .

٣٠ ـ «مُلْحةُ البَيَان»

للشيخ زَيْن المرصفّى ، وقد أتمها نظماً بالقسطنطينية سنة ١٢٨٠هـ = ١٨٦٣م ، وتقع في ١٣١ بيتاً ، ومطلعها[1] :

«قال الفقيرُ (المَرْصَفِيُّ زَيْنُ) قَرَّتْ بِنَيْلِ القَصْدِ مِنْهُ العَيْنُ
حَمْداً لِمَنْ عَلَّمَنَا البَيَانَا وعَنْ مَجَازِ الحقِّ قد أبانَا
وأَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ على النَّبِيِّ المُرْسَلِ التُّهامِي
وَآلِهِ وصَحْبِهِ الَّذينَا شَادوا بِصدْق العَزمْ هذا الدِّينَا
وَبَعْدُ فالبيان جَلَّ وَقْعَا وَعَمَّ فِي كُلِّ العُلُومَ نَفْعَا
وهذِهِ أُرجُوزَةٌ وَجِيزَهْ فيه حَوَتْ أُصُولَهُ العَزِيزَهْ
سَمَّيْتُها (بِمُلْحَةِ البيَانِ) أرجو بها انتفاعَ كُلِّ عَانِ

مُقَدِّمَةٌ

(عِلْمُ البَيَان) حَدُّهُ للقاصد عِلْمٌ بِهِ إيرادُ مَعْنى وَاحِدِ
بِطرقٍ كثيرةٍ مُخْتَلِفَهْ فِي وَاضِحِ الدِّلالَةِ المُؤتَلِفَهْ»

ويعرض الناظم ـ بعد مقدمته ـ لعدَّة أبواب هى : باب الحقيقة والمجاز ، وباب المجاز المُرْسَل ، وباب الاستعارة ، وباب الاستعارة

(١) كتاب «مجموع المتون في مختلف الفنون» ، طبعة دولة قطر ، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م ، الصفحات : ٢٩٥ ـ ٣٠٣ .

المكنية ، وباب قرينتها ، وباب تقسيم الاستعارة باعتبارات مختلفة ، وباب تقسيمها باعتبار الملائم ، وباب المجاز المركب ، ويُنْهِي المرصفى منظومته بخاتمة آخرها البيتان :

«فَـالحَمْـدُ لِلَّهِ على الـتَّمَـامِ وأَفْـضَـلُ الـصَّـلَاة والـسَّـلَامِ
عَلَى النَّبيِّ الـمُصْـطَفى والآلِ وَصَـحْـبِـهِ أهـلَّةِ الـكَـمَـالِ»

من شروح « مُلْحـة البيـان »

شرح بعنوان : «الهِداية المحمدية عَلى المُلْحَة البَيَانِيَّة»

تأليف السيد محمد الطيب بن محمد الطاهر التواتي الحسيني التونسي ، فرغ منه بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م .

- مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٦٦٣ ، فهرس الجزء الرابع ، كتبه حمزة بن الحاج العربي سنة ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م ، وعلى المخطوط تصحيحات بخط المؤلف ، تليها جملة تقريظات .

٣١ ـ « الطراز المعلم »

أرجوزة مختصرة في علم البيان للشيخ أبي حبيب ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط بن سعد اليازجي البيروتي (١٢١٥ ـ ١٢٨٨هـ) = (١٨٠٠ ـ ١٨٧١م) ، وله عليها شرح ـ طبع بيروت .

(سركيس في معجمه ـ ٢ : ١٩٣٧) .

٣٢ ـ «منظومة ضابط الاستعارات»

لعمر بن محمد بركات البقاعي الشامي ، وله عليها شرح ، وحاشية على شرحه هذا ، وقد فرغ البقاعي من شرحه سنة ١٢٩٠هـ = ١٨٧٣م ، ومن الحاشية سنة ١٢٩٥هـ = ١٨٧٨م .

ـ طبع المطبعة الوهبية ، سنة ١٢٩٨هـ = ١٨٨٠م .

(سركيس في معجمه ـ ١ : ٥٥٢)

٣٣ ـ «غُنْيَةُ النَّبيه في معرفة التَّشْبِيه »

أرجوزة من ٥٩ بيتاً في التشبيه ، من نَظْمَ أبي الحسن عبد الفتاح ابن مصطفى الأديب المحمودي الخلوتي اللاَّذقي (المولود سنة ١٢٥٨هـ = ١٨٤٢م) ، مطلعها بعد البسملة :

«قَـالَ الفَقِير عَـابِدُ الفَتَّـاحِ الحمـدُ لِلَّهِ العَـفُـوِّ المَـاحـى

. . . .

وبـعـد هَـذى غُنْيَـة النَّبِيـه نَـظَمـتُهـا لِـطَالـبِ التَّـشْبـيـهِ
قَـدْ جَرَّنِي في نَـظْمِها انْبِعَـاثِي للوضْـع في ثـلاثـةِ أبحـاثِ»

ويورد الناظم هذه الأبحاث الثلاثة على النحو الآتى :

البحث الأول : في التشبيه ، وفي أركانه ومراتبه .

البحث الثاني : في الغرض من التشبيه .

البحث الثالث : في أقسام التشبيه .

وللناظم شرح على منظومته .

ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ١٠٣١٤ ، وهو ضمن مجموع من ٢٠ ورقة ، تقع الأرجوزة في ثلاث ورقات منها ، الصفحات : ١/أ إلى ٣/أ ، وقد كُتب المخطوط بخط نسخي جيد معجم مشكول ، كما كُتبت العناوين والعبارات الهامة بالمداد الأحمر ، وهذه النسخة هى نسخة الناظم ، وهى غير مؤرخة .

من شروح «غُنية النَّبيه في مَعْرِفَة التَّشْبِيه»

شرح بعنوان : «بُغْيَة التَّنْبِيه في حَلِّ غُنية النَّبيه»

لأبي الحسن عبد الفتاح بن مصطفى بن محمد المحمودي اللاَّذقي العطار الأشعري الخلوتى (١٢٥٨ ـ بعد ١٣١٨هـ) = (١٨٤٢ ـ بعد ١٩٠٠م) ، وهو ناظم «غُنْية النَّبيه» .

ـ مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق ـ رقم : ١٠٣١٤ ، وهو بخط الناظم الشارح ، كتبه سنة ١٣١٨هـ = ١٩٠٠م ، ويقع هذا الشرح في ١٧ ورقة (من صفحة ٣/ب إلى صفحة ٢٠/أ) ، من مجموع يتكوَّن من ٢٠ ورقة ، وقد كُتبت نسخة المؤلف هذه بخط نسخي حسن واضح معجم غير مشكول ، وكُتب النظم بالمداد الأحمر ومتْن الشرح بالمداد الأسود .

٣٤ ـ «منظومة في المجاز»

لم يُعلم ناظمها ، وإن كانت قد نُظمت استجابة لطلب الشيخ زين بن أحمد بن زين المرصفي الصيَّاد الشافعي (المتوفي سنة ١٣٠٠هـ =

١٨٨٢م) كما جاء بآخر المخطوط ، وأول المنظومة :

«حَمْداً لِمَنْ وَضَعَ المَجازَ المُرْسلاَ وَصَلاَةً أُهْدِيهَا النَّبِيَ المُرْسَلاَ»

ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٨٤٤ ـ لغة ، ضمن مجموعة مُصورة عن مُسوَّدة المؤلف بخطه سنة ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م في ٢٣٦ لوحة ذات شطرين بأثنائها طيارات تعدو المائة ، وبهامشها تقييدات كثيرة .

٣٥ ـ «منظـــومة المزني»

للشيخ سليمان المزني

وهي في علاقات المجاز ، وتقع في خمسين بيتاً ، ومطلعها(١) :

«الحمدُ للَّه ذِي الأَحكامِ وَالحكَمِ وَبَاعِثِ الخَلْقِ بَعْدَ الموْتِ وَالعَدَمِ
ثمَّ الصَّلاَةُ عَلَى المُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ خَيْـرِ النَّبِيِّين وَالأمْـلاكِ كُـلِّهِمِ
وَالآلِ والصَّحْبِ والأتْباعِ قَاطِبـةً وَمنْ حَذَا حَذْوَهُم في كُلِّ مُغْتَرَمِ
وَبَعْدُ فاعْلَمْ حَماكَ الله مِنْ زَلَلٍ مَـدَى البَيَانِ إذَا مَـا خُطَّ بِالقَلَمِ
بأنَّني رُمْتُ نَظْمـاً ما سُبِقْتُ بِـه وَأنَّ آتي كَلامِ القَوْمِ كَا لعَلَمِ»

وآخرهــا :

«ثُمَّ الصَّلاَةُ كَذَا التَّسْليم يَصْحَبُها عَلى الَّذي فاق كُلَّ الخَلْقِ في الكَرَمِ
والآلِ وَالصَّحْبِ ما غَنَّتْ مُطَوَّقَـةٌ عَلى الغُصُونِ وَمَا ابْتَلَّتْ مِنَ النِّعَمِ»

---

(١) كتاب «مجموع المتون في مختلف الفنون» ، طبعة إدارة الشئون الدينية ، دولة قطر ، سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨١م ، الصفحات : ٣٠٨ ـ ٣١٢ .

ويُحدِّد الناظم علاقات المجاز في ٢٥ نوضاً حيث يقول :

«إنَّ العَلاَقاتِ خَمْسٌ ثُمَّ يَتْبَعُها عشْرون نَوْضاً فَكُنْ يَا صاحِ ذَا حِكَم
وقَدْ سَبَرنا فُنُون القَـوْمِ أجْمَعَها فَمَا رأَيْنَا سِوَاها قطّ في الكَلِمِ»

٣٦ ـ «منظومة في البلاغـة»

نَظْم أخوند مُلَّا محمد علي في علمي البيان والمعاني ، ومطلع المنظومة :

«الـحَـمْـدُ لِـلَّهِ وَصَـلىَّ الـلَّه عَلَى رسُـولِـهِ الَّـذي اصْـطَفـاه»

ويقع النظم في مائة بيت .

- مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٣٣٠٢ج ، فهرس الكتاب الثالث ، ضمن مجموعة ، الصفحات : ٨١ ـ ٨٤ ، كُتب بقلم نسخ فارسي معتاد ، فُرغ من كتابته سنة ١٣٠٥هـ = ١٨٨٧م .

القــرن الرابـع عشـر

٣٧ ـ «رَشْفُ المُدَام في الجِناسِ التَّام»

للأديب عبد الله فريج افندي ، جمع فيه ألفاً ونيفاً من الأبيات في أنواع البديع ، ورتَّبه وأهداه إلى سمو الأمير ابراهيم باشا حليم ، وقد فرغ من نظمه سنة ١٣١٢هـ = ١٨٩٤م .

- طبـع مطبعـة المعارف بـالقاهـرة ، سنـة ١٣٣١هـ = ١٩١٢م في

٦٤ صفحة ، والكتاب في حجم الثمن (دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٦٧٧٩ ـ فهرس الجزء السابع) .

٣٨ ـ «منظومة التِّبيان في البيان»

نَظْم محمد (بك) فهمي الرشيدي ، وعليها شرح بعنوان : «إنسان عين التبيان» للشيخ حسن أحمد قاسم الأبي .

ـ طبع مطبعة التوفيق ، سنة ١٣١٣هـ = ١٨٩٥م .
(سركيس في معجمه ـ ١ : ٧٥٥) .

٣٩ ـ منظومة في الاستعارة

لعبد الغني بن الحاج المدني بنيس ، تقع في ١٤٧ بيتاً ، ومطلعها :

«يَقُولُ عَبْدُ الغَنِي المُهَيْمن   مُبَسْمِلاً مُعْتَرِفاً بِالمِنَن
الحمْدُ للَّهِ الَّذي أرْشَدَنا   لِفَهْمِ أَسْرَارِ المجَازِ فَافْطِنَا»

وللناظم شرح على منظومته بعنوان :

«إيضاح المسالك والبرهان في التوصُّل لفهم دقائق علم البيان»

فَرَغَ من تأليفه سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م .

ـ مخطوط الخزانة العامة بالرباط ـ رقم : 1780 (D1036) ، وبه ١٥٩ ورقة ، وهو مكتوب بخط مغربي وسط ، ولم يُبيِّن تاريخ كتابته .

٤٠ ـ «نَيْلُ النَّجَاحِ والفَلَاحِ في عِلْم مَا بِهِ القُرآن لاَح»

منظومة لمولاى عبد الحفيظ سلطان المغرب ، ضمَّنها المعاني والبيان والبديع ، فَرَغَ من نَظْمها سنة ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م ، ومطلعها :

مَهْمَا خَـلاَ المفْـردُ مِنْ ثَـلاثَـة   لَـهُ الفَصَـاحَـةُ أَتَـتْ وِرَاثَـة»

ـ طبع المطبعة المولوية بفاس ، سنة ١٣٢٧هـ = ١٩٠٩م ، ويقع في ١٠٤ صفحة ، والكتاب في حجم الثُّمن (دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٧٥٠ ـ فهرس البلاغة) .

منظومات لم تُحـدَّد تواريخها

٤١ ـ نَظم في البلاغـة

لأبي اسحاق ابراهيم بن أبي بكر التلمساني ، أوله :

«الحَمْـدُ لِلَّه القَـدِيم البَـاقـي   الـخَـالِقِ الـمُقْـتَـدِرِ الـرَزَّاق»

ـ مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا ـ رقم : بلاغـة ـ ٢٤٨ (١٢) ، الكتاب الثاني عشر ضمن مجموع ، الأوراق : ٣٠٤ ـ ٣٢٦ ، كُتب بخط مغربي ، دون بيان لتاريخ كتابته .

ألفيـة نظم مختصر المغْني

نَظْم في البلاغة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الهيدون ؟ نَظَم فيه مختصر «كتاب المُغْني» في جزءين لابن هشام ، وأول الألفيَّة :

«هَذَا بِحَمْدِ اللَّهِ نَظْمٌ سهل . . .»

- مخطوط مكتبة الإسكوريال بأسبانيا - رقم : بلاغة - ٢٤٤ (٢) ، الكتاب الثاني ضمن مجموع ، الأوراق : ١٩٦ - ٢١٥ ، كُتب بخط مغربي ، ولم يُبين تاريخ الكتابة .

٤٣ - «المنظومــة البديعـة»

لزين العابدين بن ولي حاجي .

- مخطوط مكتبة جامعة لَيْدن بهولاندا - رقم : شرقى ٢٦٢٣ ، ويقع في ١٢ صفحة .

٤٤ - نَظْم السمرقندية في علم البيان المُسمى «نتيجة الأفكار في حاصل اللفظ باختصار»

لم يُبيَّن مؤلِّفه ، وأول النظم :

«حمــداً لِـرَبٍّ مَــانِـحِ البَيَــانِ وَوَاضِــعِ الأَلفَــاظِ للمَعــاني»

- مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة - رقم : ٥٦٢١هـ ، فهرس الكتاب الثالث ، كُتب بقلم معتاد ضمن مجموع ، الأوراق : ٥ - ٨ .

٤٥ - عُقُــود الدُّرر

منظومة في البلاغة للشيخ عبد العزيز بن عبد الواحد المالكي المدني . (كشف الظنون - ٢ : ١١٥٦).

مَنْظُومات لَمْ يُعْلَمُ مؤلِّفوها

٤٦ ـ «المَنْظُومَة المُزْدَوجة البَدِيعة»

لم يُعلم ناظمها ، ومطلعها :

«أَحْمَـدُ مَنْ قَـد أطلَع الجَمَـالَا ... بَدْراً عَلَى عَرشِ البَهَـاء تَعَالَى»

ـ مخطوط دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ـ رقم : ٩٠٩٩ ، ضمن مجموع يقع في ١٠٨ ورقة ، الأوراق : ٥٠ ـ ٥٥ ، كُتب بقلم معتاد مضبوط الشكل بخط عبد الأحد كرجى ، والمخطوط في حجم الثُّمن .

٤٧ ـ منظومة في فن البّيان

لم يُعلم ناظمها ، وتقع هذه الأرجوزة في ١٦٢ بيتاً وأولها :

«عِلْمُ البَيَـانِ مَابِـهِ جَزْمـاً عُرِفْ ... إيـرادُ معَنى بضُـروبٍ تخْتَلِفْ»

ـ مخطوط مكتبة المتحف العراقي ببغداد ـ رقم : ٨٨٣ ، وتشغل الأرجوزة ١٢ صفحة .

* * *

لَعلَّنا ـ في هذه الدراسة المقتضبة ـ نكون قد وُفِّقْنَا إلى بيان أهم المنظومات التي صُنِّفت في علوم البلاغة الثلاثة ، المعاني والبيان والبديع ، وهي قوالب شعرية صِيغت فيها أصول هذه العلوم حسب ما جاء بأمهات كتب البلاغة ، ولا شك أن الجانب الأكبر من هذه المنظومات قد قُصد به نظماً تعليميًّا يرمى إلى تيسير حفظ قسمات هذه العلوم وقواعدها ، ونحن في

رسمنا لهذه الصورة العامة لا ندَّعي كمالاً أو استقصاءً ، وإنَّما هي لبنة نُضيفها إلى دراسة شاملة لمنظومات التراث العربي الإسلامي في كافة أصوله وفروعه ، علَّ هذه اللَّبنة تشحذ الهمم وتقوي العزائم على مزيد من الدراسات الجادَّة المتعمقة في تراثنا العظيم ، والله نسأل التوفيق ، عليه توكلنا ، نعم المولى ونعم المُعين .

إعتبارات تخطيط المدن في المناطق السكنية
في المـــــدن الجديـــدة

الدكتور عبد الحميد عبد الواحد
مدرس بقسم الجغرافية

مقــــــدمة :

تعتبر الطرق واحدة من العناصر الهامة التي تحدد نوعية البيئة في المناطق السكنية فالطرق ليست مجرد محاور تجرى على طولها السيارات بما فيها من ركاب لاشباع رغبة الوصول من مصدر إلى غاية ، أو مجرد شريط من الأسفلت ـ أو أي مادة أخرى ـ يبنى لخدمة السيارة في الحركة أو السكون . وأنما هى ـ وبالأضافة إلى ذلك ـ مكان ممتد يتفاعل فيه الناس مع البيئة المحيطة . وأعتماد على كفاءة تصميم محتويات الطريق يشعر الانسان فيه بالأرتباط وتكامل الأماكن التي يمر بها في آمان وسهولة خلال رحلة ممتعة لهؤلاء الذين يستخدمون السيارة أو الدراجة أو يقطعونه سيراً على الأقدام .

ومن هذا المنطلق أصبح تخطيط الطرق بالمناطق السكنية محور اهتمام كثير من التخصصات سواء بشكل مباشر أو غير مباشر . ومن المؤكد أن لكل تخصص من هذه التخصصات مفهومه الخاص الذي يبلور مجموعة من

الأهداف الناتجة عن خلفيته العلمية والعملية ، فبينما نجد من يهتم بكثافة السكان وتخصيص المناطق ، نجد آخر يهتم بأنواع المباني وطريقة تجميعها ، ونجد ثالث يهتم بكفاءة الحركة على المحاور . . وهكذا .

ومن أجل تذليل صعوبة إدراك أو مشاركة كل الأطراف في مناقشة شبكة الطرق واتخاذ القرارات المناسبة في شأنها فانه من الضروري أن تتوافر لكل أفراد فريق العمل بعض المعرفة في التخصصات المختلفة ذات العلاقة حتى يسهل عليهم جميعاً أن يدركوا الأهداف العامة والمبادىء التي يجب تطبيقها والحرص عليها حتى يكون الطريق جزء من البيئة السكنية يعمل من جهة على تكاملها وأدراكها ، ومن جهة أخرى على استعمالها بأمان وسهولة وبهجة وبالتالي تلافي المشاكل الناتجة عن الطرق في المناطق السكنية بالمدن القديمة والتي أدخلت فيها السيارة بغض النظر عن التأثير السلبي الذي تحدثه .

وهذا البحث يسلط الأضواء على مجموعة من الأعتبارات ذات المغزى في تخطيط المناطق السكنية بالمدن الجديدة باعتبار أن واحد من أهم مفاتيح التحكم في نوعية البيئة يرقد في تخطيط الطرق بها . ويمكن تلخيص أهداف هذا البحث فيما يلي :

١ ـ تحديد الاعتبارات التصميمية لتخطيط الطرق بالمناطق السكنية بالمدن الجديدة .

٢ ـ التعرف على بدائل تخطيط الطرق بالمناطق السكنية وتقيمها وصولاً إلى زيادة أمان الأفراد مع توفير إمكانية الوصول السهل الممتع إلى عناصر المنطقة السكنية .

٣ ـ خلق لغة بيئية حضرية تتعلق بتخطيط الطرق في المناطق السكنية .

وتعتمد المادة العلمية لهذا البحث على المراجع الأجنبية ، وتحليل بعض

المناطق السكنية بالمدن الجديدة ، بالأضافة للخبرة المكتسبة للباحث في مجال تخطيط المناطق السكنية بمدينة السادات ، ومدينة السادس من أكتوبر بجمهورية مصر العربية .

ويتضمن هذا البحث بالاضافة للمقدمة والخلاصة على الموضوعات الرئيسية التاليـة :

أولا : تصنيف الطرق بالمناطق السكنية .

ثانيا : تخطيط الطرق وتكاملها مع البيئة .

ثالثا : التخطيط الأفقي للطريق بالمنطقة السكنية .

أولاً : تصنيف الطـرق بالمناطق السكنية :

نظراً للأحتياج المستمر وزيادة معدل ملكية السيارة وتطور تصنيعها من حيث السرعة والامكانيات فلقد أصبح من الضروري أن يتبلور تصنيف للطرق بالمناطق السكنية في شكل يؤكد الاختلاف والحساسية الكبيرة لاستيعاب وتوزيع الحركة عليها . ويمكن تصنيف الطرق بالمنطقة السكنية من عدة وجوه نذكر منها ما يلي :

١ ـ كمية ونوع حركة المرور التي تستخدم الطريق .

٢ ـ وظيفة الطريق(١) .

٣ ـ عرض ونوع ورصف القطاع العرضي للطريق .

■ وتبدأ أولى خطوات تصنيف الطريق حسب حجم الحركة بالتنبوء بحالة

---

(١) يمكن تصنيف الطرق عموماً إلى نوعين الأول يتضمن الطرق التي تقوم بوظيفة نقل الحركة من مكان إلى آخر . والنوع الثاني هى الطرق التي تخدم الاستعمالات المقامة عليها . والطرق السكنية أحد أمثلة النوع الثاني (المصدر رقم ١٦ ص ٣٠٦) .

الحركة المتوقعة حيث يتم تقدير عدد الرحلات المتولدة من التجمعات السكنية وتصنيفها حسب غرض الرحلة (Trip Generation) . بعد ذلك يدرس التنبوء بتوزيع الرحلات على المناطق الجاذبة سواء داخل المنطقة السكنية كرحلات تعليم وشراء ، أوخارج المنطقة السكنية كرحلات العمل والترويح وغيره (Trip Distribution) . وتعتبر عملية تحديد وسيلة النقل (Mode Choic) هى الخطوة الثالثة التي يتم من خلالها تحديد عدد الرحلات التي ستتم في المنطقة السكنية بالسيارات الخاصة أو غيرها . والخطوة الرابعة هى تحديد الطرق التي سيتم من خلالها توزيع الحركة المنتجة وبالتالي يتم فيها التعرف على الطرق كأتجاه حركة وعرض رصف[1] .

ويعتبر متوسط عدد الرحلات الكلية التي تعبر طريق في يوم نمطي هى العامل الأساسي في تصميم الطريق وبالتالي تحديد رتبته بالنسبة للطرق الأخرى .

ولقد أتفق على تصنيف الطرق بالمنطقة السكنية من وجهة نظر كمية ونوع الحركة عليها إلى أربعة درجات هى[2] مكان Place ، حارة مرور Lane ، مجمع فرعي Subcollecter ، مجمع. Collector وقد حدد هذا التصنيف مقياس المدى اليومي العادي لحركة المرور كما هو موضح بالجدول رقم (١) .

وبالرغم من أن البعض يعتبر هذا التصنيف أفضل من غيره[3] الا أن له

---

(١) المصدر رقم (٨) ص ١٧٧ ـ ١٧٨

(٢) المصدر رقم (٢) ص ٢٥

(٣) المصدر رقم (٢) ص ٢٥

عيوب أساسية تقلل من كفاءة أستخدامه في تخطيط الطرق بالمناطق السكنية نذكر منها :

(١) المدى المنخفض لكثافة الحركة الشائعة على كثير من أطوال الطرق بالمناطق السكنية ، (٢) اختلاف تتابع السرعات وسلوكيات السائقين في المناطق السكنية عن سواها ، و (٣) المتوسط اليومي لحركة المرور على الطرق القائمة في مدننا الحالية يعتبر أعلى بشكل مميز عن الحدود العليا الموضحة بالجدول التالي ومع هذا فان الطرق تخدم بدون مشاكل ناتجة عن حجم الحركة مما يؤكد أن استعمال المتوسط اليومي لحركة المرور كقاعدة أساسية لتصنيف الطرق بالمناطق السكنية بمفرده يعتبر غير فعال .

■ ويعتمد التصنيف الوظيفي للطرق بالمناطق السكنية على الدور الذي يلعبه الطريق داخل الشبكة . وفي ضوء هذا التصنيف يمكن تحديد أربعة وظائف للطرق هي :

جدول رقم (١) : التصنيف العام للطرق بالمنطقة السكنية وعلاقته بالمدى اليومي لحركة المرور

الرتبة (١)	المدى اليومي العادي لحركة المرور
مكان	صفر ـ ١٠٠
حارة	٧٥ ـ ٣٥٠
مجمع فرعي	٢٠٠ ـ ١٠٠٠
مجمع	٨٠٠ ـ ٣٠٠٠

١ ـ **مكان** : هو عبارة عن طريق قصير سواء كان في شكل طريق ذو نهاية مغلقة Cul-De-Sac أو حوش Court . الغرض الوظيفي منه هو توصيل الحركة الآلية من وإلى الوحدات السكنية/القادمة من أو الذاهبة إلى الطرق الأخرى داخل شبكة الطرق بالمنطقة السكنية . ولا يسمح المكان بالمرور الطوالي ويسمح بانتظار السيارات .

٢ ـ **شارع خدمة** : وهو عبارة عن طريق قصير ذو نهاية مغلقة أو حوش يصل أحياناً بين مكانين أو أكثر . وظيفته الأصلية توفير الوصول إلى قطع الأراضي الواقعة عليه ، وتوفير مساحة لتركيب خطوط المرافق العامة .

٣ ـ **المجمع الفرعي** : يوفر محاور اتصال بشوارع الخدمة ويوجه الحركة إلى مركز الأنشطة أو إلى الدرجة الأعلى من شبكة الطرق بالمنطقة السكنية .

وقد يؤدي وظيفة الخدمة للمساكن التي تطل عليه لكنها وظيفة ثانوية وقد تكون الطرق المجمعة الفرعية على شكل طريق منحنى Loop يصل ما بين نقطتين واقعتين على الطريق المجمع .

٤ ـ **المجمع** : ويقوم بنقل الحركة من الطرق المجمعة الفرعية إلى الطرق الشريانية أو العكس . أي أنه يربط ما بين المنطقة السكنية ككل والمناطق الأخرى عبر الطرق الشريانية ، هذا النوع من الطرق يصرف عدد كبير نسبياً من حركة المرور اليومية .

الا أن هذا التصنيف ينقصه تحديد حجم الحركة المتوقعة على الطرق ، والسرعات التصميمية التي تتناسب مع المناطق السكنية .

■ أما التصنيف الثالث فيعطي أهمية كبيرة لتحقيق التكامل البيئي بين الطريق والمساحات السكنية التي يخدمها بأعتبار أن الطريق يشكل جزاء من المسطح

الأفقي الذي يكونه الفراغ الخارجي Outdoor space الذي يتخلل الوحدات المبنية .

ويمكن أن يعتمد هذا التصنيف على ثلاثة موضوعات رئيسية يعمل كل منها على تخفيض سرعة السيارة والحد من خِطورتها في المنطقة السكنية . هذه الموضوعات هى :

(أ) مواد رصف الطريق والتي تتفاوت من حيث درجة التحمل (احتكاك ، حركة ، وزن) ، الملمس ، التشكيل ، الألوان .

(ب) التتابع البصري للمرئيات والذي يتحكم فيه مبادىء التصميم الحضري وخصوصاً وأن الطريق في المنطقة السكنية يعتبر المسار الذي يرى منه التشكيل البصري للمنطقة .

(ج) تصميم القطاع النمطي للطريق وعلاقته بعناصر اللاندسكيب .

في ضوء هذا التصنيف يمكن اقتراح ثلاثة درجات من الطرق بالمناطق السكنية في المدن الجديدة هى :

١ ـ **المكان** : منطقة متسعة من الأرض تطل عليها مجموعة من الوحدات السكنية يتم رصفها بمواد خشنة الملمس متنوعة الأشكال والألوان مثل الطوب أو الحجر أو بلاطات أسمنتية . ويمكن استخدام عناصر اللاندسكيب لتميزها إلى أماكن فرعية تؤدي وظائف متنوعة مثل مكان لحركة السيارات ، وآخر للجلوس بأغراضه المختلفة ، وثالث لحركة المشاه وهكذا .

٢ ـ **مسار** : ويتراوح عرض القطاع النمطي له من ١٠ إلى ٢٠ م . ويصمم كجزء من التشكيل الحضري للمنطقة حيث يراعى في تصميمه الكتلة ، النسب ، التفاصيل ، التضاد ، التغير ، قفل المنظور ، السرعة وزمن

التعريض . . الخ من جهة أخرى فان مواد الرصف المستخدمة ضروري أن تكون من النوع خشن الملمس مع التغير في التشكيل والتلوين من حين إلى آخر في ضوء قواعد تصميم البيئة العامة .

٣ ـ **الشارع المحيط** : ويتراوح عرض الرصف من ٢٠ ـ ٣٠م . ويجب أن يراعى عند تصميم مثل هذا النوع من الطرق أن حجم الحركة وسرعتها ستكون أعلى من الدرجتين السابقتين وبالتالي يجب أن يراعى ذلك عند اختيار مواد الرصف وتصميم عناصر اللاندسكيب وتوزيعها . من جهة أخرى يجب أن يعطى تصميم النسيج العمراني المطل عليها الأحساس بحدود المنطقة السكنية . ويمكن الحصول على درجات فرعية من هذا الطريق كالمحيط بالمجاورة السكنية والمحيط بالمنطقة .

وبتدعيم هذا التصنيف الأخير بمميزات كل من التصنيفين السابقين يمكن الوصول إلى تصنيف جيد يحترم البيئة السكنية داخل المنطقة السكنية ويؤكدها ، لا يشجع على المرور العابر أو الطوالي ، يعطي مسافة رحلة قصيرة من الوحدة السكنية للطريق المحيط بالمجاورة السكنية ، يقلل السرعة الفعلية للسيارة داخل المنطقة ، يعظم الأستفادة من السيارة مع تقليل الآثار السلبية لها على السكان والمباني .

وبصفة عامة عند وضع تصنيف للطرق بالمناطق السكنية يجب أن تراعى العوامل التي تؤثر على استعمالها . هذه العوامل يمكن أن نوجزها فيما يلي :

١ ـ خصائص مصدر الرحلات .
٢ ـ مدى استخدام وسائل النقل العام .
٣ ـ معدل ملكية السيارة .
٤ ـ خصائص السكان المتوقعة .

٥ ـ بيانات عن الوحدة السكنية مثل موقعها بالمنطقة ، نوعها ، مساحتها ، القيمة الايجارية أو سعر الوحدة .

٦ ـ التكاليف النسبية للرحلة وتوافر وسائل النقل البديلة .

٧ ـ القرب النسبي من المحلات التجارية ومناطق الخدمات الأخرى .

٨ ـ درجة استعداد الساكن لبذل الجهد والمال للحصول على رغبته من الخدمات .

٩ ـ الاتجاهات المتوقعة لمعدل تكرار استخدام السيارة .

١٠ ـ المناخ السائد وتأثيره على كل من النسيج العمراني ، واستخدام عناصر اللاندسكيب .

ثانياً : تخطيط طرق المناطق السكنية وتكاملها مع البيئة :

وسنركز في دراستنا تحت هذا البند على كل من شكل الطريق ، نظام الطرق ، محاور اتصال الحركة الآلية وعلاقته بحركة المشاه ، وتأثير نموذج التخطيط على شبكة الطرق . ودراسة ممرات المشاه .

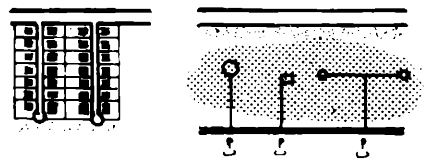
١ ـ شكل الطريق بالمناطق السكنية :

لايخضع اختيار شكل الطريق لتفضيل المخطط بل يرجع لعملية تقييم مختلف العوامل المؤثرة على مساره مثل الطبوغرافية ، خصائص التربة ، الحالة الجيولوجية للأرض ، نظام الصرف ، كمية مياه الأمطار ، المناخ السائد ، طول الطريق وخصائصه ، نوع ومواقع استعمالات الأراضي ، غرض الطريق ووظيفته ، شكل الأرض وهيئتها .

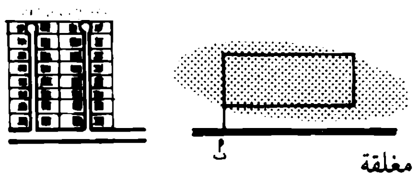
ويمكن تمييز ثلاثة أشكال أساسية للطرق هى :

١ ـ ١ شكل طولي مباشر Linear : وهو هذا الطريق الذي يربط بين غرضين أو أكثر ويقع كل منهم في اتجاه عكس الآخر أو على استقامته . ويسمح هذا النوع من الطرق بالمرور السريع الطوالى ومن أمثلتة الطرق الشريانية وذات السرعات الغير محدودة . ويخدم هذا الطريق الرحلات الطويلة نسبياً مثل الحركة بين قطاعات المدينة ، وبين المدينة والتجمعات العمرانية الأخرى . وقد يستخدم كشوارع رئيسية محيطية بالمنطقة السكنية . وقد يستخدم ـ كذلك ـ في داخل المناطق السكنية إذا زاد عدد المنحنيات عليه وكان طوله لا يزيد عن كيلو متر واحد . الشكل رقم ١/١ يوضح الطريق الطولي المباشر .

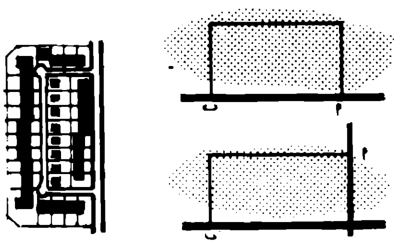
١ ـ ٢ شكل منحني Loop : وهو هذا الطريق الذي يربط بين غرضين يقع أحدهم على ضلع في حين يقع الغرض الثاني على الضلع المتقاطع مع الأول . وبالتالي يكون محور الطريق ماراً بالمحور السينى حيث يخدم بعض المواقع ثم ينحرف ليتبع المحور الصادى ليخدم بعض الأغراض الأخرى . وقد يكون الطريق ماراً بأكثر من غرض وقد يقع مدخله ومخرجه على ضلع واحد وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ١/٢ . ويسمح هذا النوع من الطرق بحركة المرور ذات السرعات المحدودة والتي في الغالب ما يتحكم فيها (بالاضافة لعوامل التصميم الأخرى) المسافة الانتقالية بين منحنيين متتاليين واقعين عليه فكلما زادت هذه المسافة كلما زادت بالتالي مغريات السرعة ، وكلما قلت كان هذا الشكل من الطرق أكثر ملاءمة للتخديم داخل المناطق السكنية . ويسمح هذا الطريق برؤ ية التشكيل البصري للمنطقة ولذا فان تصميمه يجب أن يكون بالمواصفات التي توضح هذا التشكيل وتخلق



شكل ١/.
اشكال طرق ذات نهاية مغلقة

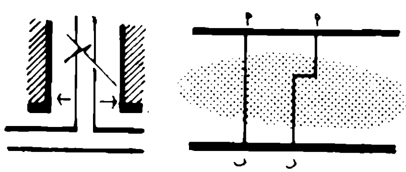


شكل رقم (٣/١) طريق ذو نهاية مغلقة



شكل رقم (٢/١) طريق منحنى .

شكل رقم (٢/١) طريق منحنى



شكل رقم (١/١) طريق طولى مباشر .

شكل رقم (١) أشكال الطرق

تناسق بين الطريق وترتيب المباني وعناصر تجميل الأرض .

١ ـ ٣ شكل طولي ذات نهاية مغلقة Cul-De-Sac : وهو هذا الطريق الذي ينطبق مدخله على مخرجه . وهو في الغالب قصير الطول . ويتميز هذا الشكل من الطرق بأن له أشكال فرعية متعددة وذلك كما هو واضح في الشكل رقم ٣/١ . ويعتبر هذا الطريق هو الأكثر ملاءمة للتخديم داخل المناطق السكنية حيث يوفر مداخل مباشرة لقطع الأسكان الواقعة عليه كما أنه يسمح برؤ ية التشكيل البصري للتجمع السكني الذي يخدمه فقط .

وعموماً فان الشكل المناسب لطرق المناطق السكنية هو ذلك الشكل الذي يسمح بالتحكم في سرعة الحركة الآلية عليه ، تقليل المرور الطوالي إلى أقصى درجة ممكنة ويفضل تلافيها مطلقاً ، لا يكون كثير الألتواء حرصاً على عدم اضطراب الحركة وتفادياً لعدم وضوح وتمييز المنطقة ، مناسب لطبوغرافية الموقع وباقي الامكانيات الطبيعية الأخرى ، الاستفادة من العناصر البيئية المتاحة سواء داخل الموقع أو خارجه ، بالاضافة لتوفير الخدمة الملاءمة لقطع أراضي الاسكان والخدمات داخل المنطقة السكنية .

٢ ـ نظـام الطرق بالمناطق السكنية :

ويقصد بنظام الطرق هو هذه الشبكة التي تجعل حركة كل من السيارات والناس خلال البيئة السكنية المبنية ممكنة . وقد تتميز شبكة بمجموعة من الخصائص التي قد تختلف كثيراً أو قليلاً عن الأخرى . ويساعد فحص الشبكات البديلة على التعرف على أفضل نظام يصلح لموقع معين .

وفيما يلي سرد للأنظمة المختلفة حتى يسهل على المصمم أختيار الأنسب

للحالة التي يتعامل معها . ومنذ البداية سنفترض أن الطرق بالمنطقة السكنية تحت الدراسة ليس لها محاور اتصال مباشر مع الطرق في المناطق السكنية المجاورة فيما عدا الطرق المحيطة بالمناطق ، كذلك سنفترض أن كل شبكة طرق تتكون من عدد من «الأماكن» متصلة ببعضها البعض بواسطة «ممرات» .

٢ ـ ١ النظام المتتالي :

ويعتبر واحد من أهم الأنظمة الأساسية للربط بين عدد من «الأماكن» حيث يتصل المكان بالآخر في شكل سلسلة بداية من «المكان» الأول وحتى «المكان» الأساسي وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ٢/١ .

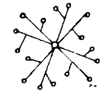
٢ ـ ٢ النظام الأشعاعي :

ويشارك النظام المتتالي من حيث أهميته كنظام أساسي . ويرتبط فيه المكان المركزي بكل الأماكن الأخرى عن طريق أشعة (ممرات) مباشرة . وفي هذا النظام لا يوجد أتصال بين الأماكن وبعضها البعض وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ٢/٢ .

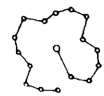
ويوضح الجدول رقم (٢) مقارنة بين النظام المتتالي والنظام الأشعاعي .

ويمكن أشتقاق أنظمة كثيرة من النظامين السابقين وذلك باضافة بعض التعديلات على أي منها وذلك كما يلي :

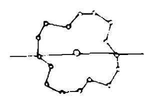
(أ) نظام متتالي ذو طرق منحنية : وفيه يتم ربط المكان الأساسي بممر محوري Axial يصل بين أكثر من مكانيين فرعيين على استقامة واحدة



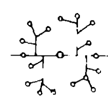
شكل (٢/٩) توصيل بعض الأماكن بالمكان الأصلي مع تفريع وصلات منها إلى أماكن أخرى ـ المصدر[1] ص ١٦ .



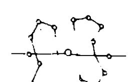
شكل (٢/١) يوضح النظام المتتالي .



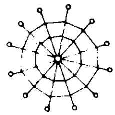
شكل (٢/٣) ربط المكان الأصلي مع بعض الأماكن بممر متقاطع مع ممرات الأتصال الأخرى مما يخلق عدد إثنين Loop المصدر[1] ص ١٤ .



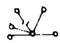
شكل ٢ / ٦ ، توصيل بعض الأماكن بالمكان الأصلي مع تفريغ ممرات أخرى لتتصل بأماكن أخرى . المصدر[1] ص ١٦ .



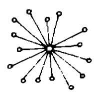
شكل ٢ / ٤ ، ربط المكان الأصلي مع بعض الأماكن محور أساسي متقاطع مع ممرات الإتصال الأخرى مما يخلق عدد ٢ لوب أو أكثر .



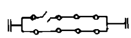
شكل (٢/٨) إضافة ممرات محورية حول المكان الأصلي المصدر (١) ص ١٥



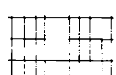
شكل (٢/١٠) تعطيل أحد الوصلات في النظام الإشعاعي لا يعطل النظام كله .



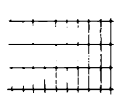
شكل (٢/٢) النظام الأشعاعي



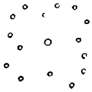
شكل (٢/١٢) خلق ممر مواز يجعل تعطيل وصلة لا يؤدي إلى تعطيل النظام ككل المصدر[1] ص ٤ .



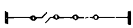
شكل (٢/١٥) شبكة من الطرق المتقاطعة المصدر[9] ص ٤٣٧ .



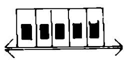
شكل (٢/١٤) شبكة من الطرق المتقاطعة .



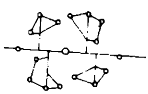
شكل (٢/٠) يوضح عدد من الأماكن منتشرة على الأرض .



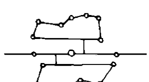
شكل (٢/١١) تعطيل النظام المتتالي عند تعطيل أحد الوصلات «الممر» .



شكل (٢/١٣) أتصال الوحدات السكنية (الأماكن) بالطريق (الممر) .



شكل ٢/٥ ربط المكان الأصلي بمحور أساسي تتفرع منه محاور . كل محور منها يخدم عدة أماكن على التوالي مكوناً ما يسمى بالتجمع .



شكل (٢/٧) ربط المكان الأصلي بمحور أساسي يتفرغ منه عنقودين أحدهما على اليمين والآخر على اليسار .

ويتقاطع مع الممر الذي يربط باقي الأماكن الأخرى على التوالي وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ٢/٣ . وهذا النظام يزيد طول الممرات قليلاً ولكن يجعل طول «الممر» من (المكان الأساسي) إلى أي (مكان فرعي) على الشبكة أقصر . والشكل رقم ٢/٤ يوضح صورة أخرى من النظام المتتالي ذو الطرق المنحنية .

(ب) نظام متتالي متفرع : ويمكن أشتقاق هذا النظام باكثر من أسلوب كما هو واضح بالأشكال رقم ٢/٥ ، ٢/٦ ، ٢/٧ . ويلاحظ في هذه الأشكال تواجد ممر محوري يربط المكان المركزي بأكثر من مكانين فرعيين واقعين على استقامة الممر الأساسي . ويتفرع من هذا المحور «ممرات فرعية» تصل مجموعة من «الأماكن الفرعية» ببعضها البعض ، أو ممرات ثانوية تربط «مكان» بالممر الرئيسي ويتفرع منها فرعات أخرى تربط «أماكن» بالممر الفرعي .

(ج) نظام نسيج العنكبوت : ويعتبر هذا النظام أحد اشتقاقات النظام الأشعاعي حيث يتم فيه اضافة ممرات دائرية حول المكان الأساسي وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ٢/٨ . وفيه تعمل الممرات الدائرية على تخفيف حدة الاختناقات عند المكان الأساسي وذلك بتقليل المرور العابر فيه .

(د) النظام الأشعاعي المتفرع : وهو شكل آخر من التعديل يمكن أن يضاف إلى النظام الأشعاعي حيث يتم فيه توصيل الأماكن بالمكان الأساسي ثم تقام تفريعات من هذه الممرات الأشعاعية إلى أماكن فرعية أخرى وذلك كما هو واضح بالشكل رقم ٢/٩ .

جدول رقم (٢) مقارنة بين النظام المتتالي والنظام الأشعاعي

م	النظـام المتتالي	النظـام الأشـعاعي
١	الطول الأجمالي للمرات أقصر	الطول الاجمالي للمرات أطول حيث تصل إلى ضعف النظام المتتالي .
٢	الطول من «المكان الأساسي» إلى الأماكن الأخرى أطول بشكل عام .	الطول من «المكان الأساسي» إلى الأماكن الأخرى أقصر .
٣	اتصال الأماكن بالمكان الأساسي غير مباشر .	اتصال الأماكن بالمكان الأساسي مباشر .
٤	زيادة نسبة المرور العابر حيث يتم الانتقال من مكان إلى مكان عبر أماكن وسيطة واقعة داخل الشبكة .	لا يوجد المرور العابر بين الأماكن وبعضها ولكن تتركز نسبة المرور العابر في المكان الأساسي حيث لا يتم انتقال من فراغ فرعي إلى آخر مباشرة ولكن يتم من خلال المكان الأساسي .
٥	لو كان عرض الممرات ثابت مع تساوي كافة المواصفات الفنية فان هذا النظام يقلل المصروفات الرأسمالية	يزيد المصروفات الرأسمالية .
٦	نظراً لطول الرحلة فان تكاليفها ستكون أعلى .	نفقات الرحلة أقل .

تابع جدول رقم ٢ المقارنة بين النظام المتتالي والاشعاعي

م	النظام المتتالي	النظام الاشعاعي
٧	يربط كل مكان ممرين في المتوسط	يرتبط المكان الأساسي بالأماكن الأخرى بممرات تساوى عدد الأماكن التي يتصل بها مما يخلق صعوبة في الممارسة العملية .
٨	يتلائم هذا النظام مع ظروف الموقع الطبيعة	يعتبر أكثر ملاءمة للأراضي المنبسطة .
٩	لا يعطي وضوح أو أهمية للمكان الأساسي	يحدد وبوضوح المكان الأساسي .
١٠	يتعرض النظام كله للأغلاق لو أن أحدالوصلات حدث لها أغلاق (شكل رقم ٢/١١) ويمكن معالجة ذلك بعمل ممرات موازية تصل بين أماكن متوازية أى أشتقاق نظامي يمكن تسميته بالنظام المتتالي المزدوج كما هو موضح بالشكل (رقم ٢/١٢) .	غلق وصلة (ممر) لا يعنى تعطيل الشبكة كلها ولكن يعنى فقط عدم اتصال مكان بالمكان الأساسي (شكل رقم ٢/١٠)

٢ ـ ٣ شبكة الطرق المتعامدة :

وهو عبارة عن توصيل الأماكن ببعضها البعض بشبكة الممرات المتقاطعة بحيث تسهل الرحلة من أي منهم إلى الآخر بما في ذلك «المكان الأساسي» . ويعطي هذا النظام مرونة عالية للحركة الآلية لكن على حساب حرية حركة المشاه وأمان الأفراد المترجلين . وغالباً لا يصلح هذا النظام في الأراضي ذات المناسيب المختلفة وذلك لأن التصميم الناتج أما أن يكون غير واضح نتيجة للمحاولة المبذولة لأحترام خطوط الكنتور عند التصميم أو تكون تكاليف الأنشاء عالية إذا أهملت الحالة الطبوغرافية للموقع . نضف إلى هذا أن كثرة التقاطعات الناتجة عن هذا النظام تحتاج إلى مراقبة وتحكم قوي حتى نقلل نسبة الحوادث والتصادمات . وعند تنفيذ هذا النظام على مساحة من الأرض المنبسطة يعتبر واضح ، سهل التنفيذ ، ونادراً ما تنتج عنه اختناقات على الشبكة وذلك بسبب الطرق البديلة . والشكل رقم ٢/١٤/ ،٢/١٥ يوضح نظام شبكة الطرق المتعاقدة .

٢ ـ ٤ شـــبكة الطرق العضوية :

والأختلاف بين هذا النظام والأنظمة السابقة أنه يراعي في توصيل الأماكن ببعضها البعض أهمية هذه الأماكن سواء كانت الأهمية راجعة إلى إنتاج حركة أو جذب لها وبالتالي فان عرض نهر الطريق يوضح الأهمية النسبية له بالمقارنة بباقي شبكة الاتصالات . بقول آخر فان هذا النظام يراعى التدرج الهرمي لشبكة الاتصالات بين الأماكن وبعضها . فبينما نجد الطرق المحيطة بالمنطقة السكنية هى أهم الطرق وأعرضها ويسمح عليها بسرعات أعلى نجد الشبكة الداخلية تتدرج في صغر عرض الرصف حتى نصل إلى رتبة «المكان» الذي

يخدم على عدد محدود من الوحدات السكنية وذلك كما هو موضح بالبند رقم (١) . وبتتبع السرعات التصميمية لشبكة الطرق العضوية يمكن ملاحظة أن سرعة السيارة تقل على الطرق كلما اتجهنا من خارج المنطقة السكنية إلى داخلها فرحلة السيارة تبدأ من الصفر عند مدخل الوحدة السكنية أو منطقة انتظار السيارات ثم تزيد السرعة تدريجياً حتى تصل إلى حوالي ٤٥كم/ساعة أو أكثر على الطرق المحيطة بالمنطقة السكنية . وحتى يمكن الحصول على هذا النظام فانه من الضروري أن يراعى عند تخطيط المنطقة السكنية أن تميز إلى خلايا متدرجة في الحجم بداية من الوحدة السكنية ، إلى مجموعة من الوحدات فالتجمع السكني ، فالمجاورة ، ثم المنطقة أو الحي السكني . ويخدم هذه الخلايا شبكة من الطرق المتدرجة في الأهمية النسبية تعمل على ربط الأماكن (حسب أهميتها) ببعضها البعض بممرات تأخذ أهمية الأماكن التي تربطها بغض النظر عن الشكل النهائي الناتج عن هذه التوصيلات .

٣ ـ محاور اتصال الحركة الآليـة :

بعد دراسة وأستعراض أنظمة الطرق المختلفة فانه من المناسب أن نتناول بالتحليل طريقة الوصول من مدخل الوحدات السكنية باعتبارها منبع الحركة Origin إلى نهاية الرحلة (مقصد أو غايةDistenation) سواء داخل المجاورة أو المنطقة السكنية .

ومن الواجهة الدراسية سنقسم محاور اتصال الحركة الآلية في المناطق السكنية إلى ثمانية أشكال أساسية ثم نحلل علاقة كل منها بحركة المشاة .

٣ ـ ١ تجمع المساكن حول مكان مركزي :

وفي هذا الحل نرى كل الوحدات السكنية قد تم تجميعها حول فراغ واحد . هذا الفراغ أو العقدة Node يربطها بالمنازل المطلة عليها محاور تسهل دخول وخروج السيارات إلى/من الجراجات الخاصة بكل وحدة سكنية . وقد تستخدم هذه العقدة كمكان لانتظار السيارات . كما قد تستخدم للعب الأطفال والترويح خارج المنزل . والشكل[1] رقم ٣/١ يوضح تجمع المساكن حول العقدة المركزية .

وفي الغالب ما يستخدم هذا الأسلوب عندما تكون مساحة المجاورة السكنية صغيرة وعدد السكان نسبياً مرتفع (الكثافات السكانية العالية) . ويفضل أن يكون معدل ملكية السيارة وبالتالي عدد الرحلات المنتجة بواسطة سكان هذه المجاورة قليل ، وذلك لأن زيادة معدل الرحلات يعني زيادة المشاكل والاختناقات داخل هذا الفراغ للحد الذي يفقد فيه الفراغ دوره كمكان للترفيه ويصبح فقط مأوى للسيارات . ولا يعني هذا بالضرورة أن يكون مستوى سكان المنطقة الاقتصادي منخفض . لكن يناسب هذا الأسلوب كل مستويات الاسكان الاقتصادية إذا بذلت عناية خاصة بتصميم البيئة العامة بحيث يعمل المصمم على خلق مناطق للجلوس ـ بجميع أغراضه ـ ومناطق لعب الأطفال بطريقة آمنه ضد أخطار السيارات وبالشكل الذي لا يعوق الحركة الآلية .

٣ ـ ٢ أماكن انتظار على الطرق الخارجية حول المنطقة السكنية :

ويسمح هذا الأسلوب للأفراد بتخزين سياراتهم على أطراف المجاورة أو الحى السكني عند الطرق المحيطية والتي في الغالب ما تكون طرق مجمعة .

(١) الأشكال من ٣/١ إلى ٣/٨ موجودة في الجدول رقم ٣ .

ومن مكان الانتظار يستأنف الأفراد رحلتهم إلى المنزل سيراً على الأقدام . وتعتبر المنطقة السكنية في هذا الحل آمنة تماماً من أي تأثير سلبي للسيارة . وفي الغالب ما يستخدم هذا النظام عند الكثافات السكنية المرتفعة وذلك حتى تكون مسافة السيرمن مكانانتظار السيارة إلى المنزل قصيرة (كلما قلت الكثافة السكنية كلما زادت المسافة بين أطراف المنطقة السكنية وبين مركزها) . وغني عن البيان أن درجة نجاح هذا الأسلوب مرتبطة إلى حد كبير بمقدار المجهود الذي يكون الفرد مستعداً لبذله في قطع المسافة بين المنزل ومواقف الانتظار . وبشكل عام فان المسافة القصوى للسير لابد أن تكون في حدود غايتها ٤٠٠م[1] ، وبالتالي فان مساحة المنطقة السكنية يجب أن لا تزيد عن ٦٠ فدان إذا كان شكلها يميل إلى المربع . ويراعى في تصميم البيئة العامة لهذا الحل عدم استخدام ممرات المشاه الطويلة المستقيمة ذات عرض الرصف المتسع حتى لا يستخدمها الأفراد كممرات للوصول بسياراتهم إلى مساكنهم . وان كان من الواجب توفير ممرات يمكن استخدامها في أوقات الطوارىء وخصوصاً عندما تزيد المسافة بين قلب المنطقة وأطرافها . والشكل رقم ٣/٢ يوضح أسلوب تخطيط المنطقة السكنية المعتمد على توفير أماكن أنتظار على الطرق الخارجية المحيطة بها .

٣ ـ ٣ محاور قصيرة تسمح بتخزين السيارة في نهايتها :

ولتقليل مسافات السير بين مناطق انتظار السيارات ومداخل الوحدات السكنية مع الحفاظ على حرية حركة المشاه داخل المنطقة السكنية فانه يمكن

(١) حددها بيرى ، جوس سيرت ، هيلبر زيمر وآخرون بمسافة السير إلى المدرسة الابتدائية حيث اعتبرها من ربع إلى ثلث ميل .

اقامة طرق قصيرة تنتهي بموقف انتظار سيارات وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ٣/٣ . وباعتبار أن أقصى طول للطرق ذات النهايات المغلقة هى ١٢٠م فان المساحة القصوى التي يمكن تخطيطها بهذا النظام هى ٩٠ فدان إذا كان شكلها يميل إلى المربع . وهذا النظام - كسابقة - يحتاج إلى عناية خاصة في تصميم ممرات المشاة حتى لا تتحول إلى ممرات للسيارات ويكون هذا النظام ناجح جداً في تصميم المناطق السكنية ذات المستوى فوق المتوسط والمتميز حيث يخدم الطريق ذو النهاية المغلقة عدد محدد من الفيلات . ولا يعني ذلك أنها لا تصلح لنوعيات الاسكان الأخرى لكن ضروري أن نؤكد أن درجة ملاءمته تقل كلما زاد معدل ملكية السيارة وعدد الرحلات لكل أسرة ، وعدد الوحدات المطله عليه .

٣ - ٤ محاور من الطرق ذات النهايات المغلقة بها تفريعات من الطرق الأقل درجة :

عندما يزيد طول الطرق ذات النهايات المغلقة فان ذلك يغرى السائق بزيادة السرعة بالأضافة لزيادة عدد الرحلات اليومية عليه نتيجة خدمة الطريق لعدد أكبر من الوحدات السكنية . وبالقطع يكون هذا على حساب آمان المشاه وحرية حركتهم داخل المنطقة السكنية . وفي مثل هذه الحالات فانه من الواجب تصميم شبكة من الطرق ذات النهايات المغلقة تأخذ - لحد ما - الشكل المنحنى لتقليل الشعور بطولها وتوفير طرق فرعية ذات نهايات مغلقة تصب في/ أو تخرج من طرق الخدمة الرئيسية وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ٣/٤ . وفي هذا النظام تستطيع السيارة أن تصل عند مداخل الوحدات السكنية مباشرة . وبخصوص ممرات المشاه فانها تكون على جوانب الطرق في شكل أرصفة أو تكون ممرات حرة يراعى في تصميمها أن لا تتقاطع مع الحركة

الآلية . ويتوقع في مثل هذا النظام أن يصل طول الطرق ذات النهايات المغلقة الرئيسية إلى ٤٠٠ م في حين لا تزيد أطوال الطرق الفرعية عن ٦٠م . وضروري أن يبذل المصمم مجهوداً خاصاً حتى يؤكد وضوح التكوين التخطيطي للمنطقة السكنية بالشكل الذيَ يسهل عنده تمييز التجمعات بما فيها من شوارع ومباني وبالتالي نقلل عدد الرحلات الزائدة والناتجة عن عدم إدراك واستيعاب البيئة السكنية .

٣ ـ ٥ محاور منحنية Loop قد يشاركها محاور ذات نهايات مغلقة :

ولتفادي الأطوال الزائدة للطرق الرئيسية ذات النهايات المغلقة في النظام السابق لما لذلك من مساوىء كثيرة فانه يمكن استخدام الطرق المنحنية مع وجود/أو عدم وجود طرق فرعية ذات نهايات مغلقة وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ٥/٣ . ويمكن آن يصمم الطريق المنحنى بالشكل الذي يقلل السرعات المسموحة عليه وكذلك يقلل متوسط عدد الرحلات اليومية التي تستخدمه . وغنى عن البيان أن هذا النظام يحقق سهولة أفضل في الوصول بالسيارة إلى مداخل الوحدات السكنية لكن على حساب درجة أمان المشاة وحريتهم في التحرك من مكان إلى آخر داخل المنطقة السكنية . الا أنه يمكن رفع كفاءة هذا الحل بالتصميم الجيد لممرات المشاه بحيث تؤدي وظيفة التنقل بين الأهداف باقل قدر ممكن من التعارض مع الحركة الآلية ، وعن طريق التوزيع المدروس لاستعمالات الأراضي داخل المنطقة السكنية ، وطبعاً يمكن استخدام أسلوب الفصل الكامل بين حركة المشاه والحركة الآلية وذلك بعمل الكباري أو الأنفاق الا أن هذا الأسلوب بالأضافة إلى كونه مكلف اقتصادياً فأنه لا يلائم حركة كبار السن والأطفال والمعوقين ولا يعطى الاحساس البصري باتصال الأماكن .

٣ ـ ٦ محاور تنتهي بفراغات مغلقة يربط بينها محاور مشاه :

وفي هذا النظام تقسم المنطقة السكنية إلى تجمعات صغيرة كل منها يتكون من مجموعة من المساكن مرتبة حول محور مرور آلي ينتهي بفراغ يخدم السيارة ويخدم المشاه حيث يستخدم كمكان لانتظار السيارات وفي نفس الوقت كمكان للنشاطات السكانية سواء الهادئة Passive أو النشطة Active . وتستخدم محاور المشاه للربط بين هذه الفراغات وذلك كما هو موضح بالشكل رقم ٣/٦ . وهذا الحل ضروري أن يعتنى فيه بتمييز التجمعات السكنية عن بعضها البعض في حدود الأطار العام لشخصية المنطقة السكنية العامة ككل وبالتالي تسهل عملية التعرف على الوحدات والتجمعات والمنطقة السكنية بشكل متناسق ومتزن .

٣ ـ ٧ شبكة من الاتصالات تربط عدد من الفراغات المتصلة :

وتعتمد هذه الفكرة على بناء شبكة من المحاور التي تتصل بفراغات عامة بالاضافة إلى بناء شبكة أخرى من المحاور ترتبط هذه الفراغات ببعضها البعض وذلك كما هو واضح بالشكل رقم ٣/٧ . وهذا الحل يحقق أقل مسافة سير ممكنة بين مداخل الوحدات السكنية والطرق وبالتالي يحقق أقصى سهولة اتصال ممكنة . ويلاحظ أن هذا الأسلوب من الاتصال له تأثيراته السلبية (بالأضافة للتأثيرات الايجابية) على البيئة السكنية حيث تسيطر متطلبات السيارة إلى الحد الذي قد يصبح فيه فوق كل الاعتبارات الأخرى . ويناسب هذا النظام المستوى الاسكاني الفاخر والذي ترتفع فيه معدل ملكية السيارة وعدد الرحلات لكل أسرة وتصل فيه رغبة السير على الأقدام إلى حدها

الأدنى . كذلك يناسب هذا النظام الكثافات السكانية المنخفضة حيث تطول الرحلة بين الاسكان والخدمات داخل المنطقة السكنية . ومن جهة أخرى يناسب هذا النظام المناطق ذات المناخ القاسى سواء شديد الحرارة أو شديد البرودة حيث تستحيل فيه السير مسافات طويلة . والتحكم في تصميم الطرق بالشكل الذي يقلل سرعة الحركة الآلية مع توفير أماكن انتظار السيارات بمعدلات وفي أماكن مناسبة يرفع من كفاءة وملاءمة هذا النظام .

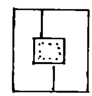
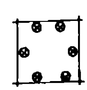
٣ ـ ٨ شــبكة محاور :

وفي هذا النظام تقسم المنطقة السكنية إلى بلوكات ذات عروض تتلاءم مع أبعاد قطع الأرض المخصصة للأسكان Plot حسب نوعه ومستواه . واعتماداً على هذا التقسيم Super block, تبنى شبكة من محاور الاتصال في الغالب ما تكون ذات شكل هندسي منتظم إذا كانت المنطقة السكنية ذات أرض مستوية أو ذات ميول بسيطة (٢٪) والا فان الأشكال الغير هندسية لمحاور الاتصال تكون هى البديل . ويسمح هذا النظام للسيارة بأن تصل لكل قطع أراضي الاسكان . ويصعب تحقيق ممرات مشاه بعيداً عن أرصفة الطرق إلا إذا كان ذلك على حساب التخديم على قطع الأراضي أو عددها .

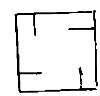
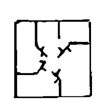
ويناسب هذا الحل كل مستويات الاسكان وأنواعه وظروف الموقع .

وبعقد تحليل مقارن بين الثمانية أشكال الأساسية لمحاور أتصال الحركة الآلية التي يمكن أن تخدم المنطقة السكنية بالمدن الجديدة بهدف توضيح مميزات وعيوب كل منها يمكن استنتاج الجدول التالي رقم (٣) .

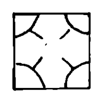
جدول رقم (٣) مميزات وعيوب بدائل الأتصال المختلفة في المناطق السكنية

بدائل الإتصال	المميزات	العيوب
 ٣/١	= كل منزل له مدخل على طريق السيارات = الحوش الداخلي يخلق حياة اجتماعية للسكان حيث يمكن تركيز الخدمات به . = يمكن توفير مناطق لعب الأطفال داخل الحوش . = لقلة عدد الوحدات التي تطل عليه ممكن ان يعتبر فراغ خاص وعام في نفس الوقت وبالتالي يمكن صيانته	= الاستعمال المتعدد (سيارة - مشاة - ترفيه) يخلق مشاكل كثيرة كعدم امان المشاه - الضوضاء ، التلوث بعوادم السيارة . = لا يصلح هذا النظام للمجاورة السكنية ككل الا في حالة الكثافات المرتفعة مع قلة معدل ملكية السيارة لكل أسرة
 ٣/٢	= المنطقة السكنية آمنة ضد السيارة = حركة المشاه غير متعارضه مع المرور الآلي . = لا يوجد ضوضاء او ازعاج للبيئة السكنية . = لا يوجد تلوث نتيجة عادم السيارات = لا يجد المخطط صعوبة في ترتيب المباني داخل المنطقة بدون التقيد بشبكة طرق = قلة تكاليف الأنشاء لقلة/ او عدم وجود شوارع .	= مسافة سير طويلة للمنزل وخصوصاً عند زيادة مساحة المجاورة او المنطقة السكنية . = صعوبة التخديم على الخدمات داخل المنطقة السكنية . = لا يوجد اشراف شخصي من المالك على سيارته . = صعوبة وصول سيارات الطوارىء إلى المنازل .
	= المنطقة السكنية آمنة ضد السيارة . = حركة المشاه غير متعارضة مع المرور الآلي . = توفير محاور خدمة للتسهيلات والخدمات .	= ما زال احتمال السير مسافات طويلة قائم وخصوصاً كلما زاد عمق المنطقة السكنية . = ما زالت السيارة بعيد عن الأشراف المباشر لمالكها .

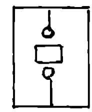
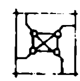
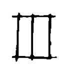
تابع جدول رقم (٣) مميزات وعيوب بدائل الاتصال المختلفة في المناطق السكنية

بدائل الإتصال	المميزات	العيوب
 ٣/٣	= قلة التكاليف نتيجة قصر اطوال الشوارع . = لا يوجد مرور عابر داخل المنطقة .	= ما زال هناك بعض الصعوبة النسبية لوصول سيارات الطوارىء إلى المنازل . = ترتفع الدرجة النسبية لتلوث المنطقة السكنية بعادم السيارات عن الأحتمال السابق . كذلك الضوضاء . = تفرض بعض القيود على المصمم عند ترتيب مبانيه داخل المنطقة السكنية وعليه ان يدرس علاقة المباني بشبكة الطرق المقترحة .
 ٣/٤	= يمكن أن تصل السيارة حتى المنزل = آمان المشاه حيث لا يوجد تعارض مع المرور الآلي = لا يوجد سيارات عابرة داخل المنطقة .	= تزيد نسبة احتمال وجود اخطار على الاطفال من السيارة . ولتلاشي ذلك ضروري ان تحمى مناطق لعب الأطفال بعناصر اللاندسكيب . = زيادة نسبة التلوث والأزعاج للبيئة السكنية نظر الزيادة تغلغل السيارة داخل المنطقة السكنية . = ظهور نوع من العزلة لهولاء الذين يقيمون على الطرق ذات النهايات المقفلة وضروري ان يتوافر مركز خدمات كفء ليحقق المشاركة الاجتماعية لسكان المجاورة او سكان الحي السكني = عند اغلاق محور من محاور الاتصال فان المساكن المطلة عليه تعزل عن باقي المنطقة السكنية حيث يصعب الوصول إليها بالسيارة .
	= يمكن الوصول إلى مداخل المساكن بالسيارة .	= عند استخدام طريق المنحنى باتجاه واحد فان بعض السائقين قد يخطاوا

تابع جدول رقم (٣) مميزات وعيوب بدائل الاتصال المختلفة في المناطق السكنية

بدائل الإتصال	المميزات	العيوب
 ٣/٥	= يمكن استخدام طريق باتجاه واحد وحارة مرور واحدة طبقا لظروف الحالة = غلق طريق ليس بالاهمية مثل الحالة السابقة وهذا لا يعني ان بعض العزلة للمساكن المطلة على الطريق المغلق سوف تحدث . = التحويلات على طول الطريق غير ضرورية وخصوصاً إذا كان طول المنحنى قصير . = سيارات الطوارىء تجد طريقها بسهولة إلى المساكن لحظة الاخطار . = مراقبة اكثر على السيارات الخاصة حيث يتمكن كل مالك سيارة من وضع سيارته اسفل منزله . توافر منطقة مركزية للخدمات والترفيه آمنة ضد اخطار السيارات . = كلما قلت نسبة المبنى للمكشوف داخل منطقة الطريق المنحنى كلما زادت نسبة الأمان مع توفير مناطق ترفيه لكل تجمع سكني محاط بطريق منحنى .	طريقهم (على الاقل في جزء من الطريق) وما ينتج عن ذلك من مشاكل = الطريق المنحنى يعطي فرصة باغراء السائقين بالسير بسرعة اعلى لو لم يتم تصميم الطريق المنحنى بحرص وعناية كافية لتقليل السرعات المسموحة عليه . = ضروري أن يبذل مجهود في التصميم حتى نقلل من نسبة المرور العابر . = زيادة نسبة التلوث بعادم السيارة . الضوضاء وما تحدثه السيارة من إزعاج للبيئة . وعلى المصمم ان يبذل جهد اكبر في معالجة الحالة بعناصر اللاندسكيب . = زيادة القيود على المصمم عند ترتيب المباني
	= خلق بيئة متغيرة يسهل تميز تفاصيلها واعطاء شخصية لكل جزء من المجاورة أو الحي . = المنطقة المرموز لها بالمربع في الشكل هي منطقة مشاه يمكن استخدامها بالسيارة في حالة الطوارىء وحالة الخدمة .	= تحتاج لعناية بالغة من المصمم وخبرة حتى يستطيع ان يصنع بيئة متكاملة العناصر بشكل عضوي . = تزيد نسبة احتمال الأخطار ، التلوث ، الضوضاء .

تابع جدول رقم (٣) مميزات وعيوب بدائل الأتصال المختلفة في المناطق السكنية

بدائل الإتصال	المميزات	العيوب
 ٦/٣	= يمكن التحكم لحد ما في المرور العابر . = آمان المشاه لو صممت المنطقة المركزية بدقة وعناية . = يمكن أن تصل السيارة إلى نسبة كبيرة جداً من المنازل وذلك كلما قلت مساحة المجاورة او الحي ..	
 ٧/٣	= ازدواج استخدام المكان يعطي إنخفاض نسبي للتكلفة لكل غرض . = يمكن أن تصل السيارة حتى المنزل .	= ضروري أن يبذل المصمم ذو الخبرة مجهود كبير حتى يحقق الوضوح للمنطقة السكنية . = تزيد نسبة احتمال حدوث اخطار للاطفال . = زيادة نسبة التلوث والضوضاء والازعاج .
 (م)  (ب) ٨/٣	= ممكن الوصول إلى الوحدات السكنية بأقصى سرعة = الأشراف الكامل للشخص على سيارته . = سهولة ترتيب المباني في المنطقة . سهولة فهم ومعرفة اسماء الشوارع وترقيم المباني . = يمكن خلق بدائل منها كما هو موضح بالشكل رقم (٨ب) وذلك لخلق تجمعات سكنية تتحقق فيها حرية حركة المشاه . وهذا التعديل يزيد زمن الرحلة بحوالي ٧٪ (المصدر رقم ٩ ص ٤٧٣)	= ستنتج منطقة سكنية مهلهلة وضروري أن يبذل المصمم مجهود كبير مستخدماً أدوات الادراك البصري مثل العقد والعلامات المميزة والبؤرة ... الخ وذلك حتى يقلل من الملل الناتج ويطغي وضوح على المنطقة . = التخطيط قد لا يتناسب مع مقياس الانسان = خطورة مطلقة على الانسان نتيجة حرية سير السيارة في المنطقة بدون قيود الا اذا راعى المصمم تقليل السرعة باستخدام المقيدات الصناعية . = صعوبة التميز بين الشوارع الرئيسية والفرعية الا إذا بذل المصمم مجهود لمعرفة الرحلات المتولدة والرحلات المنجذبة وتوفير قطاعات الطرق التي تتلائم معها .

٤ ـ تأثير نموذج التخطيط على شبكة الطرق بالمنطقة السكنية :

لقد أتضح من الدراسات المختلفة للمدن عبر التاريخ أن شبكة الطرق تتبع النموذج التخطيطي Model of Development للمدينة أو المنطقة السكنية . هذه النماذج أمكن تمييزها إلى النموذج المركزي ، الشـريطى ، الـطولى ، المزدوج . . وغيرهم . ولتوضيح كيفية تأثير النموذج التخطيطي على شبكة الطرق بالمنطقة السكنية سنستعرض فيما يلي كل من النموذج المركزي والنموذج الشريطى .

٤ ـ ١ النموذج المركزي وشبكة الطرق :

وفيه يأخذ الأسكان شكل حلقات حول المركز الرئيسي للخدمات وبالتالي تأخذ شبكة الطرق الشكل الدائري / أو الاشعاعي . وقد تم تطبيق هذه الفكرة مع بعض التعديلات في تخطيط المنطقة السكنية المتميزة بمدينة ٦ أكتوبر والمنطقة السكنية الخامسة بمدينة السادات .

فلقد اهتم المخطط العام للمنطقة السكنية المتميزة بمدينة ٦ أكتوبر بتخصيص أربعة مناطق رئيسية هى : (١) المنطقة المركزية لخدمات المنطقة وفيها تجميع للخدمات على مستوى المنطقة بما فيها من ترفيه ومناطق خضراء ومفتوحة ، (٢) منطقة الفيلات وتمثل المجاورة السكنية الأولى ، (٣) منطقة العمارات «أ» وتمثل المجاورة السكنية الثانية ، (٤) منطقة العمارات «ب» وتمثل المجاورة السكنية الثالثة . يحيط بالمنطقة المركزية ويميزها عن المناطق السكنية الثلاث طريق دائري . يفصل بين المجاورات الثلاث طرق أشعاعية تبدأ من الطرق المحيطة بالمنطقة السكنية وتنتهي عند الطريق الدائري الذي

يحيط بمركز الخدمات . داخل كل مجاورة يوجد طريق تجميع فرعي على شكل منحنى Loop بحيث تصنع طرق التجميع الفرعية داخل المجاورة السكنية الطريق الدائري الثاني . تخرج من طريق التجميع الفرعي طرق خدمة وأماكن انتظار سيارات لخدمة الوحدات السكنية أو المحلات التجارية أو الخدمات التعليمية بالمجاورة .

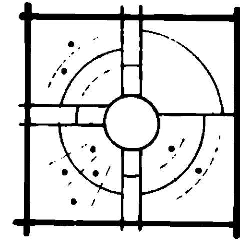
والشكل رقم ٤/١ يوضح الفكرة النظرية لتخطيط المنطقة السكنية المتميزة بمدينة ٦ أكتوبر . وقد تم تطوير هذه الفكرة في التخطيط العام للمنطقة السكنية وذلك بحيث أصبحت شبكة الشوارع كما يلي :

- ثلاث طرق منحنية يربط بينها وصلات . تعمل هذه الطرق الثلاث كطريق محيط بمركز الخدمات وتحيط ـ في نفس الوقت ـ بالمجاورات السكنية بحيث تحتضن كل واحدة منهم مجاورة سكنية .
- ثلاث طرق تجميع فرعية يخدم كل واحد منهم مجاورة سكنية .
- طرق خدمة تخدم الوحدات السكنية والخدمات .

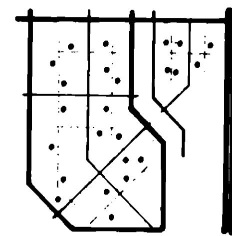
وبخصوص المنطقة السكنية الخامسة بمدينة السادات فلقد أهتم المخطط العام بتميز المنطقة إلى (١) ثماني تجمعات سكنية Clusters بالاضافة إلى تجمع تاسع قد تم تصميمه في فترة سابقة . (٢) وموقع مخصص لقصر الضيافة الرسمي بمدينة السادات (٣) ومحور الخدمات الرئيسي الذي يخترق المنطقة ويقسمها إلى جزئين :

الأول : ويتكون من ست تجمعات سكنية . ثلاثة منها خصصت للأسكان من نوع الفيلات في حين خصصت الثلاثة الأخرى للاسكان من نوع العمارات .

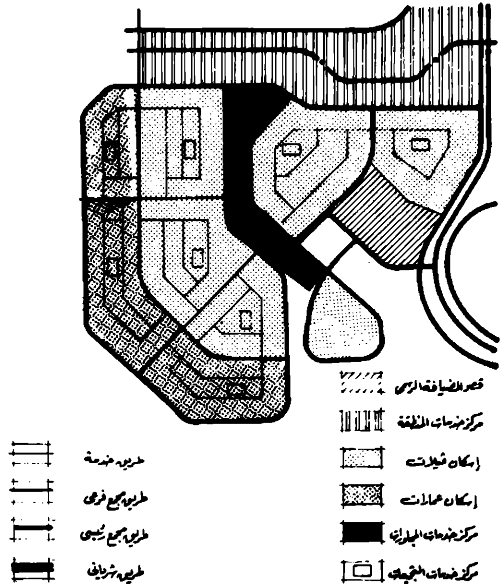
الثاني : يتكون من قصر الضيافة الرسمي ، التجمع السكني السابق تصميمه



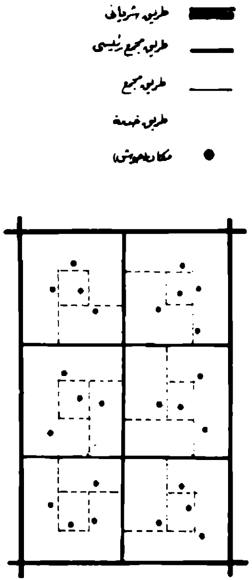
شكل رقم ١/٤ الفكرة النظرية لطرق المنطقة المتميزة بمدينة ٦ أكتوبر



شكل رقم (٢/٤) الفكـرة النظرية لطرق المنطقة السكنية الخامسة بمدينة السادات



شكل رقم (٣/٤) التخطيط العام للمنطقة السكنية الخامسة بمدينة السادات المصدر رقم (١٤)



شكـل رقم (٤/٤) الفكـرة النظرية لطرق المنطقة السكنية السادسة بمدينة أكتوبر

وهو مخصص للأسكان من نوع الفيلات ، تجمعين سكنين من نوع الفيلات أيضاً .

ولتأكيد توزيع استعمالات الأراضي وللتخديم على المناطق Zone حسب تخصيصها فقد أقترح المخطط العام ثلاثة درجات من الطرق بالأضافة للأماكن المخصصة لأنتظار السيارات (الشكل رقم ٢/٤ يوضح الفكرة النظرية للطرق بالمنطقة السكنية الخامسة والشكل رقم ٣/٤ يوضح التخطيط العام للمنطقة) . هذه الدرجات هى :

١ ـ طرق مجمعة رئيسية : تحيط بالجزء الأول من المنطقة السكنية . ويبلغ عرض القطاع النمطي لهذا النوع من الطرق ٣٠م[١] .

٢ ـ طرق مجمعة فرعية : وهى الطرق التي تفصل بين التجمعات السكنية وبعضها البعض من جهة ومن جهة أخرى بين التجمعات السكنية وبين محور الخدمات الرئيسي . ويبلغ عرض القطاع النمطي لهذا النوع من الطرق ٢٠ر١٩م[٢] .

٣ ـ طرق محلية : وهى طرق متفرعة من الطرق المجمعة الفرعية للتخديم داخل التجمعات السكنية حيث تسهل الوصول إلى الوحدات السكنية والخدمات . يبلغ عرض القطاع النمطي لهذه الطرق حوالي ٨٠ر١٣م[٣] .

٤ ـ ٢ النموذج الشـريطى :

وفيه يتم توزيع الأسكان على طول محور للحركة الآلية الذي يعتبر العصب الأساسي للمنطقة . وتتفرع منه محاور فرعية يتحدد عددها بمدى أستطالة

(١) ، (٢) ، (٣) المصدر رقم ١٤

العصب الأساسي ودرجة كفاءته عند التشغيل . ويمكن تحديد شبكة الطرق التي تخدم النموذج الشريطى للمناطق السكنية بالمدن الجديدة كما يلي :

١ ـ طرق محيطة بالمنطقة السكنية والتي يقترحها المخطط العام للمدينة .

٢ ـ طريق مجمع تتوزع على جانبيه المجاورات السكنية .

٣ ـ طرق المجاورة السكنية وهو الذي يفصل بين المجاورات الواقعة على جانبي طرق التجمع .

٤ ـ طرق خدمة وهى تميز المجاورة السكنية إلى تجمعات ، وخدمات .

٥ ـ «أماكن» سواء للتخديم على الوحدات السكنية أو تستخدم كمواقف انتظار سيارات والشكل رقم (٤/٤) يوضح الفكرة النظرية لتخطيط المرحلة الأولى من المنطقة السكنية السادسة بمدينة ٦ أكتوبر والتي تتكون من ٦ مجاورات سكنية .

٥ ـ ممرات المشاه في المنطقة السكنية وتأثيره على تخطيط طرقها :

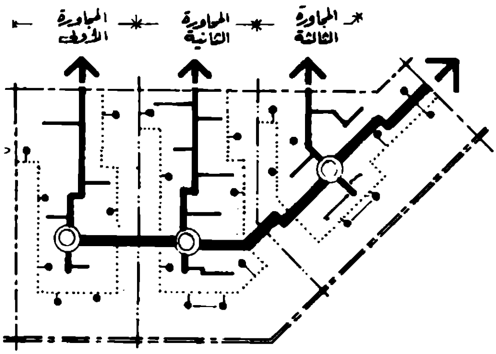
يعتبر النجاح في اعطاء حرية وأمان لحركة المشاه داخل المنطقة السكنية واحد من الأهداف الرئيسية التي دارت حولها أفكار الرواد في تخطيط المجاورة السكنية . ويعتبر الربط بين حركة المشاه ، والمرور الآلى بحيث يسير كل منهم إلى جانب الأخر (أرصفة Side Walks) أدنى حد معقول للفصل بين حركة المشاه والسيارات فلقد أتفق الكثيرون من المخططين على رفض استخدام الأرصفة بواسطة المشاه الا عندما تدعو الضرورة إلى ذلك . والأوفق أن تركز عناية المخطط على خلق أقصى درجة من التكامل بين ممرات المشاه من جهة وكل من المباني ، النباتات ، طرق المرور الآلى ومناطق أنتظار السيارات ، مناطق الألعاب والترفيه ، ومناطق الخدمات من جهة أخرى وذلك حتى تكون شبكة

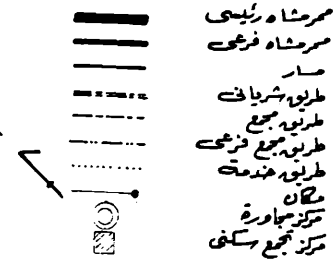
المشاه مؤدية للدور المطلوب منها في نقل معظم الحركة داخل المنطقة السكنية في أمان ويسر وسهولة ومتعة . فمن أوجب واجبات المصمم أن يتعرف على المؤثرات التي تدفع السكان للحركة على الأقدام . ماهى العوامل التي توجه مسارهم ماذا يجذب نظرهم وأهتمامهم ؟ على المصمم أن يتعرف على ظروف الموقع ، مستوياته ومناسيبه فكرة توزيع استعمالات الأراضي المقترحة فكرة شبكة الطرق الآلية المقترحة وذلك حتى تأتي شبكة المشاه طبقاً للأحتياج الفعلي للأنسان وملاءمة للظروف المتاحة .

ومن تحليل بعض المناطق السكنية التي تم تخطيطها في مدينة السادات (الثانية ، الثالثة ، الرابعة ، الخامسة) يمكن التعرف على بعض الأنظمة التي تتبعها شبكة المشاه والتصنيف الذي أوخذ به في تخطيط هذه المناطق والتي يمكن أن نوجزها فيما يلي :

٥ ـ ١ نظام شبكة المشاه :

وهو يخضع لتحديد أتجاه/أو اتجاهات الحركة والربط بين الأغراض المختلفة ، حجم الحركة والتي تمثل أعداد المشاه التي تنتقل من نقطة إلى أخرى ، تجميل المنظر على طريق المشاه بالأساليب المختلفة طبقاً لقواعد اللاندسكيب ، وأخيراً تحديد غرض الحركة التي تتخذ مساراً معيناً . ويمكن تصنيف الحركة حسب الغرض منها إلى سير نشط وسريع (وهو الذي يكون بين نقطتين هامتين كمصدر وغاية) ، تجوال ونزهة ، تسوق وراحة ، استرخاء ولعب ، وقوف ورؤية وتأمل ، تجمع للحديث والتعارف . كذلك يمكن تصنيف الحركة بحيث يتلائم مع متطلبات الأعمار وسلوكياتهم بحيث لا تؤدي اختلاف الرغبات إلى تقليل راحة ومتعة الأفراد بل على العكس





ملاحظات :

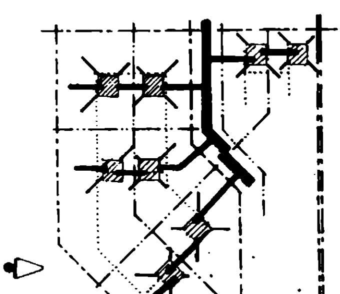
١ - تتكون المجاورة من عدد من التجمعات السكنية تخدم عليها من الداخل محاور اتصال قصيرة (أماكن) من نوع الطرق ذات النهاية المغلقة وبالتالى فحركة المشاه مكفولة داخل التجمع .

٢ - ممر المشاه الفرعى يربط بين مركز المجاورة . ومركز المنطقة السكنية ولا يتقاطع مع الحركة الآلية داخلها .

٣ - ممر المشاه الرئيسى يربط مركز المجاورات الثلاثة ويتجه الى المنطقة الصناعية .

● شكل رقم (٥/١)

كروكى للفكرة النظرية لحركة المشاه في المنطقة السكنية الثانية بمدينة السادات



ملاحظات :

١ - ممر المشاه الرئيسى يربط عناصر خدمات المجاورات التى تشكل محور رئيسى واحد ولا يتقاطع مع الحركة الآلية .

٢ - ممر المشاه الفرعى يربط مركزين لخدمات التجمع السكنى داخل التجمع الواحد ويتقاطع مع طرق الخدمة .

٣ - المسارات داخل التجمع توفر مداخل للمنازل وتربط هذه المداخل مع الفراغ الرئيسى للتجمع .

شكل رقم (٥/٢)

كروكى للفكرة النظرية لحركة المشاة في المنطقة السكنية الخامسة بمدينة السادات

فضروري أن يكون المصمم حريص على تكامل الوظائف الذي يؤدي إلى الأستعمال الأمثل لممرات المشاه . ومن المعروف أن المشاه لا يغيرون اتجاهاتهم بزوايا مفاجئة ولكن يفعلون ذلك بسيولة وتدفق حيث تتسع حركتهم عند الزوايا وأمام الأغراض العامة ذات الطلب مثل المحلات ، دور العبادة ، وعند مناطق عبور الحركة الآلية حيث تظهر نقطة تجميع الأفراد من حركة غير منتظمة حيث يتم العبور في مسار محدد وبشكل نشط كذلك فان المشاه يتحركون في تتابع منطقي في الاتجاه الذي يحقق لهم رغباتهم وتبعاً لما يثير حب استطلاعهم .

٥ ـ ٢ تصنيف ممرات المشاه :

تتواجد ثلاثة مستويات من ممرات المشاه وهى :

أ ـ ممر المشـــاه الرئيسي :

وهو الممر الذي يربط بين مراكز خدمات المجاورات السكنية داخل المنطقة من جهة وبين مركز الحى السكني أو الأستعمالات خارج المنطقة السكنية من جهة أخرى . (الشكل رقم ٥ يوضح الفكرة النظرية لممرات المشاه الرئيسية والمناطق السكنية بمدينة السادات) ويتراوح عرض هذا الممر بين ١٢ ـ ٢٠م .

ب ـ ممرات مشاه فرعيـة :

وهى التي تتفرع من الممر الرئيسي لتربط بين مواقع الخدمات بالمجاورة وبين التجمعات السكنية فيها . ويفضل أن لا تتقاطع هذه الممرات مع طرق المرور الآلى . وقد يشغل هذا النوع من الممرات جزءاً من نهر الطريق وخصوصاً عندما تكون شبكة المرور الآلى شبكة متعامدة .

جـ ـ محاور اتصال ثانوية :

وهى التي تربط بين الممرات الفرعية وبين مداخل المنازل . وانه لمن الضروري أن يعتنى المصمم باعطاء هذا النوع من الممرات الأحساس بالخصوصية والأحتواء ، وشعـور بالسيـادة والمقياس الأنسـاني ، ويجب أن لايتقاطع مطلقاً مع حركة المرور الآلية ويفضل أن يكون محمى من حركة السيارة . ويبلغ عرض هذا المحور ١ ـ ٥ متر وذلك تبعاً لتوزيع عناصر اللاندسكيب عليه .

ثالثاً : التخطيط الأفقي للطرق بالمناطق السكنية في المدن الجديدة :

في كثير من الأحيان يصعب وضع الرسومات التنفيذية لشبكة من الطرق بمنطقة سكنية جديدة خططت في غياب القواعد الفنية التي تتحكم في التخطيط الأفقي للطرق . وفي أحيان أخرى يضطر المخطط إلى إجراء تعديلات جوهرية ـ بناء على طلب مهندس الطرق ـ في المخطط العام لمنطقة سكنية بعد اعداده وعرضه واعتماده من الجهات المسئولة وذلك بهدف تطويع الشبكة المقترحة لكى تستوعب الحركة المتوقعة عند سرعات تصميمه محددة ، مع توافر عوامل السلامة والأمن وسهولة الحركة والمتعة في القيادة . لذا سنتاول فيما يلي عناصر التخطيط الأفقي للطرق بالمناطق السكنية مثل عدد حارات المرور التي يتكون منها الطريق حسب وظيفته وموقعه داخل الشبكة ، عرض رصف الطريق ، مواقف انتظار السيارات ، وبعض الأشتراطات الفنية ذات العلاقة .

١ ـ عدد حارات المرور :

في النادر ما تتطلب الطرق السكنية المحلية وطرق الخدمة أكثر من حارتين مرور لكى تتحمل حركة المرور الخفيفة ويستثنى من ذلك فقط حارة أضافية لأنتظار السيارات إذا تواجد الطلب عليها .

كذلك فان الطرق المجمعة الفرعية لا تتطلب أكثر من حارتين مرور ويجب عدم تشجيع الأنتظار على هذه الدرجة من الطرق نظراً لطبيعة وظيفتها وخصائص المرور عليها . ولا يعني هذا منع انتظار السيارات مطلقاً فقد تضاف حارة انتظار السيارات .

وتحتاج الطرق المجمعة من حارة إلى حارتين للمرور في كل أتجاه ، ويتوقف هذا على حجم الحركة المتوقعة . ولا يسمح ـ عادة ـ بالأنتظار في هذا النوع من الطرق .

٢ ـ عرض رصف الطرق السكنية :

ويتحكم في عرض الرصف كل من حارات المرور وعددها ، وعرض حارة أو حارات الأنتظار المسموح به في نهر الطريق . وتتأثر الأولى بمجموعة من العوامل هي : (١) حجم الحركة المتوقع أثناء وقت الذروة ، (٢) السرعة التصميمية للمرور ، (٣) اعتبارات الحد الأدنى لعرض الرصف ، (٤) محددات أخرى مثل مسافة الرؤ ية والمناخ السائد ، ونفقات الصيانة والأنشاء بالمقارنة بالعائد . وتتأثر حارات الأنتظار بعدة عوامل نذكر منها : (١) عدد مواقف الأنتظار المتوقع في وقت الذروة ، (٢) زمن الأنتظار ، (٣) مكان الأنتظار وكيفيته ، (٤) محددات أخرى مثل عادات وسلوكيات الأفراد .

ولتحديد عرض رصف الطرق السكنية يمكن تكوين الجدول رقم (٤) الذي يوضح عروض مختلفة للطرق حسب عدد حارات المرور وعرض الحارة وأحتمالات أنتظار السيارات في نهر الطريق . من تحليل هذا الجدول ومقارنته بما هو منفذ فعلاً نجد ما يلي :

٢ - ١ عرض رصف مقداره ٨٠ر١٠م :

يعتبر هو العرض الأكثر شيوعاً للطرق المجمعة والطرق المجمعة الفرعية حيث يوفر هذا العرض حارتين مرور (٦٠ر٣م للحارة) وحارة أنتظار سيارات للطوارىء[٢] . ويكفي هذا العرض لخدمة حوالي ١٥٠٠ سيارة . ويلاحظ أنه عندما زاد عدد السيارات المتوقعة على الطرق السكنية المجمعة في مدينة السادات والهضبة الوسطى للمقطم (تزيد عن ٣٠٠٠ رحلة/يوم[١]) استخدم عرض رصف مقداره ٤٠ر١٤ والذي يوفر حارتين مرور لكل أتجاه (السرعة التصميمية للطريق هى ٥٠ كيلو متر/ساعة) .

٢ - ٢ عرض رصف مقدراه ٨٠ر٧م :

يعتبر عرض مناسب لرصف الطرق السكنية المحلية بوجه عام حيث يسمح هذا العرض بحارة مرور في اتجاه واحد لو كان هناك انتظار مسموح به على جانبي الطريق (انتظار موازي) . لكن لو كان الطريق يسمح بالحركة في الاتجاهين (حارة مرور لكل اتجاه) مع وجود حارة لأنتظار السيارات على جانب الطريق فان عرض الرصف يبلغ ٤٠ر٨م كما هو متبع في تخطيط طرق المناطق السكنية بمدينة ٦ أكتوبر . ويجدر الأشارة هنا إلى أنه لا يوجد فرق جوهري بين طريق بعرض رصف مقداره ٨٠ر٧ وآخر بعرض رصف مقداره

(١) المصدر رقم (١٤) .

٨٠ر١٠ إذا كان تخطيط المجاورة السكنية لا يسمح بمسافات رحلة تزيد عن نصف كيلو متر من الوحدة السكنية إلى الطريق المجمع الفرعي . ويجب أن لا تزيد السرعة التصميمية للطريق ذو عرض رصف ٨٠ر٧ - ٤٠ر٨م عن ٢٥ كيلو متر/ساعة .

٢ - ٣ عرض رصف مقداره ٢٠ر٧ :

قد يسمح بأنتظار السيارات على الجانبين بدون أن يعوق ذلك حركة المرور التي تشغل حارة واحدة في اتجاه واحد . وبالرغم من أن هذا العرض منتشر في أماكن كثيرة من المدن القديمة الا أنه بصفة عامة يعتبر ضيق جداً ولا ينصح به حتى مع تطور حجم السيارة إلى الأصغر . وقد يستخدم هذا العرض كطريق مجمع ذو حارة مرور لكل أتجاه ولا يسمح بالانتظار عليه وذلك في حالة معدل ملكية السيارة المنخفض .

٢ - ٤ عرض رصف ٦٠ر٦ م :

وهذا العرض لا يعطي أي مميزات عن الطريق ذو عرض رصف ٠٠ر٦م بل على العكس فان هذا العرض يعتبر كاف لأن يحاول السائقون الأنتظار على الجانبين على حساب حارة المرور ، أو أن يغريهم زيادة عرض حارة المرور إلى زيادة السرعة مما يؤدي إلى مشاكل كثيرة تجعلنا لا ننصح باستخدام هذا العرض من الرصف في تصميم القطاع النمطي للطرق السكنية .

٢ - ٥ عرض رصف ٠٠ر٦م :

يعتبر الحد الأدنى لرصف طريق ذو اتجاه واحد يسمح بانتظار السيارات على أحد جانبيه . ويمكن تقليل العرض إلى ٤٠ر٥ إذا كان عرض حارة انتظار

السيارات ٢٫٤٠م . ويصلح هذا العرض للطرق ذات النهايات المغلقة والطرق المنحنية التي تخدم عدد قليل من الوحدات السكنية . ويعتبر عرض الرصف البالغ ٥٫٤٠م غير ملائم للحركة وخصوصاً عند وقوف سيارة نقل على أحد جانبيه . .

٢ ـ ٦ عرض رصف ٤٫٨٠ :

غير ملائم للحركة ولكنه يعطي فرصة لمد شبكات المرافق

٣ ـ انتظار السيارات في المناطق السكنية :

تعتبر مناطق انتظار السيارات في المناطق السكنية مطلب عام وشائع حيث يمثل المسكن مصدر ونهاية الرحلات المنتجة . ويؤثر أسلوب تخزين السيارة على نوعية البيئة فنوع ومكان أنتظار السيارة وعلاقته المكانية بالمنزل تحدد مدى سيطرة السيارة على المنطقة السكنية .

ومن الناحية التقليدية يمكن تمييز مناطق انتظار السيارات في المناطق السكنية الجديدة إلى نوعين : داخل نهر الطريق ، أو خارجه .

جدول رقم (٤) جملة عرض الرصف في ضوء عدد حارات المرور وحارات انتظار السيارات

عدد حارات المرور	عرض حارة المرور بالمتر	اتجاه حركة المرور	انتظار السيارات انتظار	عرض حارة الطريق السيارات	عرض رصف
١	٣ر٠٠	اتجاه واحد	جهة واحدة	٢ر٤٠	٥ر٤٠
٢	٣ر٠٠	حارة لكل اتجاه	—	—	٦ر٠٠
١	٣ر٠٠	اتجاه واحد	على جانبي الطريق	٢ر٤٠	٨ر٤٠
٢	٣ر٠٠	حارة لكل اتجاه	جهة واحدة	٢ر٤٠	٨ر٤٠
١	٣ر٣٠	اتجاه واحد	جهة واحدة	٢ر٤٠ - ٣ر٠٠	٥ر٧٠ - ٦ر٣٠
٢	٣ر٣٠	حارة لكل اتجاه	—	—	٦ر٦٠
٢	٣ر٣٠	حارة لكل اتجاه	على جانب واحد	٢ر٤٠ - ٣ر٠٠	٩ر٠٠ - ٩ر٦٠
٤	٣ر٣٠	حارتين لكل اتجاه	—	—	١٣ر٢٠
٤	٣ر٣٠	حارتين لكل اتجاه	على جانب واحد	٢ر٤٠ - ٣ر٠٠	١٥ر٦٠ - ١٦ر٢٠
٤	٣ر٣٠	حارتين لكل اتجاه	على جانبي الطريق	٢ر٤٠ - ٣ر٠٠	١٨ر٠٠ - ١٩ر٢٠
١	٣ر٦٠	اتجاه واحد	جهة واحدة	٣ر٠٠ - ٣ر٣٠	٦ر٦٠ - ٦ر٩٠
٢	٣ر٦٠	حارة لكل اتجاه	—	—	٧ر٢٠
٤	٣ر٦٠	حارتين لكل اتجاه	—	—	١٤ر٤٠
٤	٣ر٦٠	حارتين لكل اتجاه	على جانبي الطريق	٣ر٢٠ - ٣ر٦٠	٢١ر٠٠ - ٢١ر٦٠
٢	٣ر٦٠	حارة لكل اتجاه	جهة واحدة	٣ر٣٠ - ٣ر٦٠	١٠ر٥٠ - ١٠ر٨٠

٣ ـ ١ انتظار السيارات داخل نهر الطريق :

حيث يسمح بتوفير مكان أنتظار للسيارات أما على جانب واحد ، أو على جانبي الطريق ، أو في جزيرة بالطريق . وتتطلب حارة أنتظار السيارات ٣ م وقد تصل إلى ٢ر٤٠م كحد أدنى لعرض الرصف . وتستخدم الأكتاف أو الجوانب كحدود لحارة الأنتظار وذلك لحماية المشاه والمباني من السيارات . وفي الغالب ما يتم تنسيق وتجميل هذه الأكتاف بعناصر زراعية مختلفة وتبليطات . ويتوقف طول مواقف الأنتظار داخل نهر الطريق على معدل ملكية

السيارة ، ومتوسط طول السيارة وزمن الأنتظار المتوسط . ويعتبر الأنتظار الموازى هو شكل الأنتظار المسموح به في الطرق السكنية ونادراً ما يستخدم الأنتظار العمودى أو ذو الزوايا الشائعة وذلك لأنه وبالأضافة لمساحة المناورة التي يلزم أضافتها فانه يسبب اضطراب في الحركة وزيادة نسبة الحوادث . ومن مميزات الأنتظار داخل نهر الطريق أنه يعطى مسافة سير أقصر لمداخل المساكن ، كما أنه يعطى فرصة أكبر لمالك السيارة لملاحظة سيارته .

أما عيوب هذا النظام الجوهرية فهى : (١) صعوبة حجب منظر السيارة ، (٢) يشكل خطورة على الأطفال وذلك عند خروجهم المفاجىء من بين السيارات المنتظرة على جانب الطريق و (٣) سلوكيات الأفراد وعدم التزامهم بالأنتظار الموازي وما يمكن أن يؤديه ذلك من حوادث .

٣ ـ ٢ انتظار السيارات خارج نهر الطريق :

ويعتبر هو النظام الأكثر قبولاً في المناطق السكنية شريطة أن يتم اختيار مواقعها بعناية وذلك لتقليل مسافة السير في الموقف إلى مدخل المسكن . وهذا النوع من الانتظار له العديد من المزايا يمكن أن نلخصها في :

(١) يشجع على تنمية العلاقات الاجتماعية بين السكان ، (٢) يعمل هذا الأسلوب على تنظيم العلاقة بين السيارة والبيئة السكنية بالشكل الذي يقلل من درجة التلوث والازعاج ، (٣) وجود مناطق انتظار مجمعة يساعد على خلق تجمعات سكنية تسمح بحركة مشاة آمنة ، (٤) عند الأعتناء بتجميل مواقف الأنتظار المجمعة باستخدام عناصر اللاندسكيب المختلفة يمكن أن نضيف جمالاً للبيئة السكنية ، و (٥) هذا الأسلوب يعطي استعمال اقتصادي للمكان .

وتتحدد مساحة موقف انتظار السيارات خارج نهر الطريق بمعرفة معدل ملكية السيارة ، عدد سكان المنطقة ، والمساحة اللازمة لأنتظار السيارة ومناورتها .

٤ ـ بعض الاشتراطات الفنية ذات العلاقة :

ليس الهدف هنا هو سر كل المواصفات الفنية لتصميم الطرق ولكن يهمنا فقط الاشارة إلى بعض المواصفات التي لها تأثير مباشر على قطع الاسكان المطلة على الطريق وبالتالي فان أهمالها أو تجاهلها عند وضع التخطيط العام للمنطقة السكنية يؤدي إلى أحداث تغيرات كبيرة في التصميم عند وضع الرسومات التنفيذية . وتتعلق هذه المواصفات بكل من تقاطعات الطرق والمنحنيات الأفقية .

٤ ـ ١ تقاطعات الطــرق :

- يجب توفير مسافات رؤ ية كافية عند تقاطعات الطرق حتى ترى السيارة بوضوح على بعد لا يقل عن ٢٥ متر على الأقل من محور تقاطعات الطرق الغير محكومة باشارات ضوئية .
- يجب تحاشى تقاطعات الطرق بصفة عامة في المنطقة السكنية لكن عند الضرورة يجب مراعاة عدم التقاطع على مستويات أفقية أو رأسية مختلفة ، ويجب تلافى تقاطعات الطرق على الزوايا المائلة .

٤ ـ ٢ المنحنيات الأفقيـــة :

يجب أن لا يقل المنحنى الأفقي للطرق المحلية والخدمة عن ٣٥م ، والطريق المجمع الفرعي ٨٠م ، والطريق المجمع عن ١١٦م(١) .

منحنيات تلاقى الطرق المحلية لا تقل عن ٦ م والطرق المجمعة الفرعية عن ٨م(٢) .

الخلاصـــــة :

من الدراسات السابقة يمكن تلخيص ما يلي :

١ ـ أن التشكيل العمراني ونوعية البيئة في المنطقة السكنية يتأثر تأثيراً كاملاً بتخطيط شبكة الطرق التي تخدمها ولذا فانه من الضروري أن يتم تخطيطها بشكل متكامل وبشمولية مع العناصر الأخرى التي تتكون منها المنطقة وفي ضوء الأهداف والمبادىء التي قد حددها المخطط العام للمدينة .

٢ ـ يجب أن يكون تخطيط الطرق بالمناطق السكنية داخل ضمن مجموعة عمليات مرتبة تبدأ من تحديد الأهداف ، المبادىء ، المعايير التخطيطية التي تحقق هذه الأهداف وتنتهي بدراسة اعتبارات تخطيط الطرق حيث يدرس كل من تصنيف الطرق وشكلها ، نظام الحركة ، بدائل محاور الاتصال وعلاقتها بالمشاه ، تأثير نموذج تخطيط المنطقة على الفكرة النظرية للحركة ، وتحديد المواصفات الفنية للشبكة .

٣ ـ يجب تحقيق التدرج الهرمي في شبكة الطرق بالمناطق السكنية وذلك في ضوء كمية ونوع حركة المرور المتوقعة ، وظيفة الطريق ، عرض ونوع

---

(١) المصدر رقم (٤) ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .

(٢) المصدر رقم (٧) ص ١٣٥ .

رصف القطاع العرضي للطريق وذلك بهدف تعظيم الاستفادة من السيارة في خدمة الوحدات السكنية داخل المنطقة مع تقليل الآثار السالبه الناتجة عن تغلغلها فيها .

٤ ـ يجب تقليل الأطوال الاجمالية لشبكة الطرق في المناطق السكنية بما لا يخل بامكانية الوصول السهل والملائم للسكان وسيارات الطوارىء .

٥ ـ تعتبر حركة المشاه الآمنة داخل المنطقة السكنية هى العامل الحاكم في التخطيط لحركة السيارة ومن هذا المنطلق فانه يجب التعرف على الأنظمة المختلفة للطرق وبدائل محاور الاتصال وعلاقة كل منها بنظام حركة المشاه وذلك لتحقيق التجانس والتناسق والتكامل بينهما .

٦ ـ تختلف أنظمة الطرق ومحاور الاتصال طبقاً لمحددات الموقع وطبقاً للمعايير التخطيطية والأهداف المرجوة التي في الغالب ما يحددها المخطط العام للمدينة . ويجب على فريق التخطيط أن يراعى دراسة الأنظمة المختلفة والتعرف على بدائل الاتصال الممكنة وذلك لأختيار الأنسب للحالة تحت الدراسة . ويجب أن يراعى في اختيار محاور الاتصال أن لا تشجع المرور العابر ، تحاشى الدخول إلى الوحدات من مداخل مقامة على الطرق المجمعة أو المحيطة بالمنطقة السكنية ، وأخيراً يجب تحاشي تقاطع الطرق بالمنطقة السكنية .

٧ ـ يعتبر الشكل الطولي المباشر أنسب للشوارع المحيطة بالمنطقة السكنية في حين يعتبر الطريق المنحنى والطريق ذو النهاية المغلقة أنسب للتخديم داخلها بشرط أن يحقق ذلك سهولة الاتصال مع توفير الحماية والأمان للمشاه . وبناء عليه يفضل أن تكون قصيرة ذات انحناءات ومن مواد رصف خشنة الملمس .

٨ ـ عند اختيار نموذج تخطيط المنطقة السكنية ضروي أن يراعى تأثير ذلك على شكل ونظام شبكة الطرق وعلاقة ذلك بحركة المشاه .

٩ ـ يجب أن تحدد مواقع الانتظار طبقاً للطلب المتوقع عليها وبالمساحات الكافية ويفضل أن تكون خارج نهر الطريق بحيث يربطها بمداخل الوحدات السكنية ممرات للمشاه . ويمنع الانتظار في نهر الطرق المجمعة والمجمعة الفرعية في حين قد يسمح بالانتظار الموازي في نهر طرق الخدمات . ويمكن استخدام عناصر اللاندسكيب لتخفيف الآثار السالبة لتجميع السيارات .

١٠ ـ يجب استخدام العناصر النباتية ومواد الرصف المتنوعة في تجميل الطرق حتى تتكامل مع البيئة المحيطة وبالشكل الذي لا تؤثر فيه على احتياجات الرؤ ية ، تؤدي للحماية من المناخ ، تؤدي لحماية المباني والمنشآت والانسان من أخطار السيارات . ويجب عند اختيار النباتات مراعاة حجمها وشكلها وألوانها عند اكتمال النمو ، الجذور وتأثيرها على أساس الطريق ، كمية المياه المطلوبة للرى . ثم متطلبات الصيانة الاقتصادية .

١١ ـ وأخيراً : يجب أن يدرس الطريق أو ممر المشاه على أنه مسار يرى منه التشكيل البصري والنسيج العمراني للمنطقة فلابد أن يؤكد تتابع المرئيات (مباني وفراغات) ويؤكد وضوح وحدة المنطقة في تميزها إلى أحياء بصرية لها طابعها الذي يختلف عن المناطق الأخـرى وبما لا يتعارض مع روح المدينة الجديدة وبما لا يخل بوظيفة الطريق كقناة وصل بين منابع الحركة ونهايتها .

المراجع الأجنبية :

1. Jim McCluskey: Road form and townscape. The Arch. Press, London 1979.
2. Uli - Theurb land institute & other publishers: Residential streets second printing, 1977.
3. Truman A. Hartshorn : Interpreting the city, John Wiley & Sons, New York.
4. Paul H. wright & Randor J. Paquetie; Highway engineering 4e, John Wiley & Sons, Fourth edition 1979.
5. David . Arnold Editor: The practice of Local government planning, the International city management association. 1120G str. Washington D.C. 20005, 1979.
6. Department of the environment, Welsh office: improving the environment, Area improvement note 3, London her majesty's stationary office, 1971.
7. Harvey M. Rubenstein: A Guide to Site and Environmental Planning, John Wiley & Sons, Inc. New York. 1969.
8. John W. Dickey and others: metropolitan Transportation planning, McGrawhill Book Company, New York, second edition 1983.
9. Michaele Poulton: The best pattern of Residential Str., Journal of the american planning association : volume 48 number 4, auttumn 1982.
10. a Glc study: An introduction to housing layout, The Architecture Press, 1dt, London, 1978. P.P. 70-131
11. Barnett Jonathan: an introduction to urban design.Harper & Row, Publishers New York. P.P. 144 - 146 Str. Hierarchty & 187-198 standards for str. Furniture

المراجع العربية :

١٢ ـ **هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة ، جهاز تنمية مدينة السادات :** تقرير التخطيط العام لمدينة السادات ١٩٧٧ .

١٣ ـ **الهيئة العامة للتخطيط العمراني ،** التخطيط العام لمدينة السادس من أكتوبر .

١٤ ـ **المكتب الهندسي الاستشاري صبور ، إدارة التخطيط العمراني وإدارة المرافق :** التخطيط التفصيلي للمناطق السكنية بمدينة ٦ أكتوبر ، مدينة السادات .

١٥ ـ **هيئة المجتمعات العمرانية الجديدة ، جهاز تنمية مدينة ٦ أكتوبر .**

١٦ ـ دكتور علام أحمد خالد : تخطيط المدن ، مطبعة النهضة العربية ١٣ ش كامل صدقي ، الفجالة ، ١٩٨٠ (ص ٣٠٦ ـ ٣٣٥) .

أهمية زراعة الحمضيات
في اقتصاد الضفة الغربية

الدكتور بسام أحمد النصر
مدرس بقسم الجغرافية

المقـــدمة :

يشكل القطاع الزراعي العمود الفقري لاقتصاد «الضفة الغربية» حيث يساهم بحوالي ٢ر٤١٪ من الناتج المحلي الاجمالي ويمثل مصدر دخل لحوالي ٧٠٪ من سكانها[١] ، كما أن نسبة مساهمته في الانتاج الكلي الزراعي للضفة والأردن وصلت إلى ٥٠٪ تقريباً[٢] . ولكن هذا الوضع لم يكتب له الاستمرار حيث تأثر سلبياً بالاحتلال الاسرائيلي منذ حزيران ١٩٦٧م .

فقد تراجع هذا القطاع ليصبح غير قادر على تنمية وتطوير نفسه نتيجة للسياسة الاسرائيلية الموجهة وما نجم عنها من تغيرات وتحولات في العلاقات

---

(١) عادل سماره ، « اقتصاديات الجوع في الضفة والقطاع » ، منشورات دار المفتاح ، الضفة الغربية ، ١٩٧٩م ، ص ٣٠ .

(٢) عيسى عبد الحميد ، « ست سنوات من سياسة الجسور المفتوحة» ، مركز البحوث لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣م ، ص ٦٩ .

الاجتماعية والاقتصادية ، فقد شرع المزارعون في أهمال مزارعهم كلياً أو جزئياً وأخذوا يبحثون عن أعمال أخرى تكفل لهم دخلا يستطيعون به مجابهة الارتفاع المتواصل في مستويات المعيشة .

إن هذه الأوضاع قد دفعت البعض للعمل في اسرائيل واتجه البعض الآخر إلى الأردن ، وبذلك تكون قد حققت إسرائيل ماترمى إليه من تفريغ الضفة من سكانها الفسطينيين الاصليين والتعويض عنهم بمستوطنات يهودية دخيلة على المنطقة . وكنتيجة طبيعية تناقصت أهمية الزراعة بتناقص أعداد العاملين بها ولما أصابها من أهمال .

إن هذه الدراسة هي محاولة من المحاولات لابراز ماطرأ على القطاع الزراعي من آثار سلبية منذ الاحتلال الاسرائيلي . وسيكون التأكيد منصبا على زراعة الحمضيات التي تشكل العمود الفقري للاقتصاد الزراعي في المنطقة . ودراسة من هذا النوع لابد أن تغطي وتحلل الصعوبات والمشاكل التي اعترضت وتعترض تطور وتنمية هذا المحصول والمسببات التي أوصلته إلى ماهو عليه حالياً والكيفية التي تعالج به تلك الصعوبات والمشاكل .

وقد اعتمدت في هذا البحث على قراءات نظرية ودراسات ميدانية . فالى جانب ماحصلت عليه من معرفة علمية من المصادر المختلفة ، فقد قمت باستجواب مايقرب من ١٠٠ مزارع تشكل الحمضيات اهتمامهم الأساسي . وكان الاستجواب يغطي مساحات المزارع وتاريخها وأصناف الحمضيات فيها و أساليب الزراعة والمشاكل التي تواجهها . ولاستكمال الصورة رأيت من الضرورة أن أستعين بالدوائر والمكاتب الزراعية الرسمية للحصول على البيانات والاحصاءات المتاحة .

وتبلغ مساحة منطقة البحث « الضفة الغربية » (انظر الخارطة رقم ١) مايقرب من ٦٠٧٨ كيلومترا مربعاً ، وهي بكاملها تخضع حالياً لنير الاستعمار الصهيوني . أما سكانها فيربون على ٧٠٠ ألف نسمة[١] ، ومعدل المواليد بينهم حوالي ٤٥ بالألف في حين أن معدل الوفيات لايتجاوز ١٤ بالألف ، وبهذا يكون النمو السنوي للسكان في حدود ٣١ بالألف . وبقسمة السكان على المساحة نحصل على كثافة عامة للسكان هي في حدود ١١٥ نسمة للكيلومتر المربع الواحد . وبهذا فان الضفة تعتبر من مناطق الوطن العربي ذات الكثافة العالية[٢] .

الواقع الزراعي في الضفة الغربية

من الطبيعي أن يواصل سكان الضفة الغربية بعد حرب حزيران ١٩٦٧ مهنتهم الأساسية وهي الزراعة وذلك لأن قطاعها يشكل أهم القطاعات الاقتصادية ، ويليه قطاع الخدمات ثم قطاع الصناعة[٣] .

ويعمل في قطاع الزراعة في الضفة الغربية حوالي ٣٠٨٠٠ عامل يشكلون

---

(١) عبد الرحمن أبو عرفة ، « الاستيطان ـ التطبيق العملي للصهيونية » ، القدس ١٩٨٠م ، ص ١٣٠ .

(٢) د . حسن الخياط ، « الوطن العربي ـ دراسة في السكان والارض والغذاء » ، مستخرج من حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، قطر العدد الثاني ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ٢٠ .

(٣) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، « الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ١٩٤٨م ـ ١٩٧٣م » معهد البحوث والدراسات العربية ، الجزء الثاني ١٩٧٥م . ص ٤٦٨ .

مايقرب من ٢٥٪ من مجموع القوى العاملة[١]، وانه يشكل مصدر دخل لما يقرب من ٧٠٪ من السكان ويساهم بمقدار ٤١٪ من الناتج المحلي .

وتتباين مناطق الضفة الغربية من حيث جغرافيتها الطبيعية من تضاريس ومناخ وتربة . وهذا التباين كفيل بأن يخلق تنوعاً كبيراً في المحاصيل الزراعية بحيث أمكن تميز أربعة أقاليم زراعية (خارطة رقم ٢) هي كالاتي :

١ ـ الاقليم شبه الساحلي . ٢ ـ اقليم جبال فلسطين الوسطى .

٣ ـ اقليم المنحدرات (السفوح) الشرقية .

٤ ـ اقليم وادي الاردن الجنوبي (الأغوار)

وقد بلغت مساحة الأراضي المزروعة حوالي ١٫٦٦١ مليون دونم ، وهي تمثل مايقرب من ٢٧٪ من المساحة العامة[٢] . ومن المساحة المزروعة هناك ٧٨٠٦٧ دونم تزرع ريا والمساحة الباقية تعتمد على المطر . أما المساحة البور فتبلغ حوالي ٧٢٨٦٠٠ دونم في حين تقدر المساحات غير القابلة للزراعة بحوالي ٣٫٢٨٠ مليون دونم وهناك ٤٠٨٠٨٣ دونم غير مبينة [٣].

وتقسم الاراضي المزروعة حسب نوع المحصول الى مايلي :

١ ـ المحاصيل الحقلية : وتحتل مساحة ٥٥٤٠٠٠ دونم وتشمل حوالي ١٦ صنفا أهمها القمح والشعير والبقوليات والتبغ وبعض المحاصيل الزيتية مثل عباد الشمس والسمسم .

---

(١) مؤسسة صامد ، صامد الاقتصادي ، مجلة شهرية ، السنة الخامسة ، العدد ٤٤ ، تموز (آب) ، عمان ، ١٩٨٣م ، ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٨ .

٢ ـ الخضروات : وتحتل مساحة ٨٦٥٠٠ دونم ويزرع منها حوالي ٣٣ صنفا مقسمة إلى صيفية كالبذنجان والباميا والفلفل والخيار والطماطم ، وشتوية كالملفوف والقرنبيط والبازيلاء والفاصوليا والفول والسبانخ والطماطم .

٣ ـ الأشجار المثمرة : وتحتل مساحة ٩٧٣٢٥٠ دونم ، ويزرع منها حوالي ٢٢ صنفاً كالزيتون والحمضيات والعنب والموز واللوز والتين والبرقوق والمشمش ويحتل الزيتون المرتبة الأولى من حيث الأهمية الانتاجية وتغطي أشجاره حوالي ٧٣٪ من المساحة المزروعة بالاشجار المثمرة . أما أشجار الحمضيات فتحتل المرتبة الثانية بعد الزيتون من حيث الأهمية الأنتاجية .

ولأهمية هذا المحصول أي الحمضيات ، رأيت أن أشبعه بحثا في هذه الدراسة .

* * * * *

الحمضيـــات

جغرافية المنطقة ومدى استجابتها لزراعة الحمضيات

بلا شك ان العوامل البيئية من تضاريس وطقس ومناخ وتربة ومياه من جهة والعوامل الاجتماعية ـ الاقتصادية من جهة أخرى هما اللتان تشتركان في تقدير نجاح أو فشل زراعة المحصول النباتي وكذلك نوعية هذا المحصول وكثافته . ولابد هنا من استعراض وتحليل تأثير هذه العوامل البيئية ومقارنتها بمتطلبات أو شروط نجاح زراعة الحمضيات حتى يتسنى لنا معرفة مدى تجاوبها لزراعة هذا المحصول .

تحليل تأثير العوامل البيئية ومقارنتها بشروط نجاح زراعة الحمضيات :

إن تأثير التضاريس (انظر الخارطة رقم ٣) من ناحية ان انخفاض درجة الحرارة درجة مئوية واحدة كلما ارتفعنا ١٥٠م لايشكل سلبية على زراعة الحمضيات ، فبالرغم من أنه ثبت ان بعض أصناف الحمضيات (بعض أصناف الليمون) تموت اوراقها ودوابرها الثمرية عند درجة حرارة ـ٧°م وتموت الشجرة كلياً عند درجة حرارة ـ ١١°م[1] ، الا أنه مهما انخفضت درجة الحرارة في منطقة البحث فانها لاتصل لدرجة االتجمد وان وصلت فانها لاتطول .

أما تأثير التضاريس من ناحية انحدارها ووعورة المسالك فإن الاقليم (١) (شبه الساحلي) والاقليم (٤) (وادي الأردن الجنوبي) عبارة عن سهول ولا يشكلان سلبية على زراعة الحمضيات . أما الاقليم (٢) (جبال فلسطين

---

(١) د . هشام قطنا ، « انتاج الفواكه وتخزينها » ، دمشق ، ١٩٧١م ، ص ٣٥٢ .

الوسطى) (باستثناء الوادي المحصور بين جبلي عيبال وجرزيم في نابلس والأراضي المستوية الصغيرة المساحة في رام الله والخليل) وكذلك الاقليم (٣) (المنحدرات الشرقية) فانهما لايستطيعان الاحتفاظ بالرطوبة التي يشترط توفرها لنجاح زراعة الحمضيات ، ومن ناحية اخرى تعد الحمضيات من المحاصيل النباتية التي تتطلب الخدمة والعناية باستمرار معظم أيام السنة وهذا يصعب تنفيذه على مثل هذه التضاريس ، فلذلك يقوم المزارعون هنا (بعد اقامة المصاطب في بعض الاحيان) بزراعة الزيتون لانه لايتطلب العناية والرعاية كثيراً كالحمضيات ، ولزيادة تأكيد عدم صلاحيته هذين الاقليمين (باستثناء الأجزاء المشار اليها في الاقليم (٢) تحتوي التربة على كميات كبيرة من الكلس متراكمة قرب السطح وتؤدي إلى اصفرار أوراق أشجار الحمضيات ، ومعنى ذلك ضعف الاشجار وقلة انتاجها .

وهكذا يمكن القول بأن هذه التضاريس تسمح بزراعة الحمضيات في الاقليم (١) والاقليم (٤) والاجزاء المشار اليها من الأقليم (٢) فقط ولكنها لاتسمح بزراعتها في بقية الاقاليم فلذلك فسوف تستثنى من تحليل أثر بقية العوامل عليها .

ولنحلل الان **أثر عوامل المناخ** ، بالنسبة للمناخ فان الامطار (انظر الخارطة ٤) التي تسقط على هذه الاقاليم بسبب هبوب الرياح الغربية الجنوبية والغربية الرطبة غير كافية ، وذلك أن مايتطلبه دونم واحد حمضيات من مياه الري حوالي ١١٠٠م٣(*) طول العام ولكن ماتعطيه مياه الامطار لايفي الا بحوالي نصف هذا المتطلب كما هي الحال في الاقليم (١) والاقليم (٢) أو حتى

(*) هذه الكمية ليست ثابتة وإنما تتوقف على الظروف البيئية وطريقة الري المستعملة وطور نمو النبات . . . الخ .

١/٨ هذا المتطلب كما هي الحال في الاقليم (٤) ، ومن ناحية اخرى فإن هذه الامطار تسقط في فصل الشتاء في الفترة من أوائل أكتوبر (تشرين أول) ولغاية منتصف مارس (آذار) تقريباً أما بقية الأشهر فتكون جافة فلذلك لابد من تزويد أشجار الحميضيات بكميات المياه اللازمة في هذه الأشهر الجافة وهذا ميسور في منطقة البحث وذلك باستخراج المياه الجوفية بواسطة الآبار الارتوازية وهي متوفرة بكميات تقدر بحوالي ٧٠٠ مليون م٣ سنوياً ، والذي سوف نتطرق له فيما بعد ، أو الاعتماد على مياه نهر الاردن كما هي الحال في الاقليم (٤) . من الجدير بالذكر أن مياه الامطار المذكورة أعلاه ذات أثر ايجابي كبير على أشجار الحمضيات لانها تدفع اشجار الحمضيات للازهار في فصل الربيع كما أن لها دوراً كبيراً في تمديد فترة حياة الاعضاء الانثوية في الزهرة من ٣ أيام إلى ١٢ يوم تقريباً مما يعطي فرصة كبيرة لسقوط حبوب اللقاح عليها واتمام عملية التلقيح . ومن الجدير بالذكر ان المزارعين يقومون بتربية النحل فيما بين أشجار الحمضيات للرفع من كفاءة عملية التلقيح .

أما بالنسبة لدرجات الحرارة فيبلغ متوسطها في الاقليم (١) ٢٦م° ، ١٢٫٥م° في الصيف والشتاء على التوالي . اما الاقليم (٢) فمتوسطها ٨٫٥م° ، ٢٢م° في الشتاء والصيف ، أما الاقليم (٤) فمتوسطها ١٤م° ، ٣٠م° في الشتاء والصيف ويعتبر معدل درجات الحرارة هذه ملائماً لزراعة الحمضيات ، والواقع ان درجات الحرارة في منطقة البحث تعتبر مثالية تقريباً لمتطلبات الحمضيات فعلى سبيل المثال تتراوح درجة الحرارة في منطقة البحث في فصل الربيع من ١٦ ـ ٢٠م° والدرجات المثلى لعملية تزهير الحمضيات من ١٥ ـ ١٨م°[1] . ويقوم بعض المزارعون بزراعة مصدات الرياح حول بساتين

(١) د . هشام قطنا ، المرجع السابق ، ص ٣٤٦ .

الحمضيات للحد من تأثير هبوب الرياح الجافة الصحراوية التي تهب من مايو (آيار) - يونيو (حزيران) والتي يطلق عليها محلياً اسم رياح السلوق .

أثر صفاء السماء وسطوع الشمس معظم أيام السنة . الواقع ان الحمضيات تنسب الى نباتات النهار القصير ويمكن ان تصبح من نباتات النهار الطويل اذا قدمت لها العناية اللازمة من حيث التربة والتسميد والري . وتتطلب الحمضيات ألا تقل نسبة الاضاءة عن ٧٠٪ في فترة تكوين الازهار وعقد ونمو الثمار[١] التي تبدأ من مارس/ ابريل ، وبالفعل تكون سماء منطقة البحث في هذه الفترة صافية ، ومن ناحية اخرى ان ضوء الشمس يساعد على اعطاء اللون الطبيعي لثمار الحمضيات وان له تأثير ايجابي على نسبة السكر/ الحمض أثناء فترة نضج الثمار .

وهكذا يمكن القول ان المناخ والمياه الجوفية المتوفرة تسمحان كذلك بزراعة الحمضيات في الاقليم (١) والاقليم (٤) والاجزاء المشار اليها في الاقليم(٢)

أما بالنسبة لتأثير التربة على زراعة الحمضيات في هذه الاقاليم ، فان سمكها ملائم بما فيه الكفاية لتعمق وتغلغل جذور الحمضيات حيث ان الحمضيات تتطلب أن يكون سمك التربة متراً واحد أو اكثر كما ان خلو تربة هذه الاقاليم من الاملاح وكونها مزيجية وصرفها الجيد وتفاعلها الحامضي (الرقم الهيدروجيني PH = ٧ تقريباً) من أهم متطلبات زراعة الحمضيات . ولكن تربة هذه المناطق فقيرة بالمواد العضوية التي تعمل على تحسين خواص التربة الطبيعية فهي تمنع تماسكها في كتل وتحسن تهويتها وهذه الصفات من متطلبات أشجار الحمضيات . فلذلك يقوم المزارعون في هذه الاقاليم باضافة

(١) المرجع السابق ص ٣٥٣ .

بقايا المحاصيل النباتية ومتبقيات الحيوانات والمنازل الى التربة لتحسين خواصها . كما أن اضافة هذه المواد العضوية والمداومة على تزويد اشجار الحمضيات بمياه الري سيقلل كثيراً من سلبية المواد الكلسية المتراكمة بالقرب من السطح في الاجزاء المشار اليها في الاقليم(٢)

وهكذا يمكن القول ان التربة تسمح كذلك بزراعة الحمضيات في الاقليم (١) والاقليم (٤) والأجزاء المشار اليها في الاقليم (٢) .

وبناء على هذا التحليل نستخلص ان العوامل البيئية من تضاريس وعناصر طقس ومناخ ومياه وتربة تسمح بالاجماع بزراعة الحمضيات في الاقليم (١) أي الاقليم شبه الساحلي ، والاقليم (٤) أي اقليم وادي الاردن الجنوبي والاقليم (٢) أي اقليم جبال فلسطين الوسطى (الاجزاء المشار اليها) فقط ولكن هذه العوامل البيئية لاتسمح بزراعة الحمضيات في الاقليم (٣) أي اقليم المنحدرات الشرقية ولا الاقليم (٢) باستثناء الاجزاء المشار اليها . والجدول رقم (١) يبين تركيز زراعة الحمضيات في هذه الاقاليم والمساحة المزروعة في كل لواء .

جدول رقم (١)

الاقاليم والمساحة المزروعة بالحمضيات في الالوية

الاقـليم	الالوية	المساحة/دونم	٪من المساحة الكلية
شبه الساحلي	طولكرم	١٧٠٠٣	
	جنين	٢٧٤٦	٧٨ر٠٣
جبال فلسطين الوسطى	نابلس	١٥٤٤	
	رام الله	٢٠٧	٧ر٢٧
	الخليل	٩٠	٧ر٢٧
وادي الاردن الجنوبي	اريحا	٣٧٢١	١٤ر٧٠
المجمـــــــــوع		٢٥٣١١	٪١٠٠

التوســـع في زراعة الحمضيات :

والى جانب هذه الظروف الطبيعية يوجد الاستعداد والخبرة لدى مزارعي الضفة الغربية ، تلك الخبرة التي ورثوها أبا عن جد ، فقد أعطوا أهمية خاصة لزراعة الحمضيات لتعويض ماسلب منهم في عام ١٩٤٨م . وبالفعل فقد حظيت زراعة الحمضيات باهتمام كبير من جهود ونفقات المزارعين الخاصة فازدادت المساحة المزروعة بالحمضيات وزاد الانتاج وأصبح الدخل من الحمضيات يشكل حوالى ١٤٪ من جملة الدخل الزراعي من المحاصيل النباتية واحتلت الحمضيات المرتبة الثانية بعد الزيتون من حيث الأهمية الانتاجية بالرغم من أن المساحة التي تغطيها أشجار الحمضيات حوالي ٦ر٢٪ فقط من مجموع المساحة المزروعة بالاشجار المثمرة والجدول رقم (٢) يبين مدى التوسع في زراعة الحمضيات في الاقاليم المذكورة اعلاه من عام ١٩٥٢ - ١٩٧٩م

جدول رقم (٢)

التوسع في زراعة الحمضيات

السنة	المساحة/دونم	٪للمعدل السنوي للزيادة أو النقصان
١٩٥٢	٥٩١	
١٩٥٤	٥٨٢	- ٧٦ر٠٪
١٩٥٥	٥٣٣	- ٤ر٨٪
١٩٥٧	١٤٣٦	+ ٧ر٨٤٪
١٩٦٧	٢٠٠٠٠	+ ٢٦ر١٢٩٪
١٩٦٨	٢٠٠٠٠	صفر
١٩٦٩	٢٢٠٠٠	+ ٥٪
١٩٧٩	٢٥٣١١	+ ٥ر١٪

المصدر . الاردن ـ النشرة الاحصائية السنوية للسنوات ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٩٥٧م

عنان العامري . مرجع سابق ـ للسنوات ٦٧ ـ ١٩٦٩م ، ص ٥٦ .

مكتب الزراعة في قلقيلية ـ لسنة ١٩٧٩م .

ويوضح هذا الجدول بأن المساحة المزروعة بالحمضيات لم تزداد منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٥م بل العكس تناقصت هذه المساحة . والحقيقة انه كان هناك زيادة فعلية في المساحة المزروعة ولكن قامت اسرائيل وسيطرت على أرض جديدة كان من ضمنها بعض مزارع الحمضيات ، وكذلك هجرة بعض المزارعين وتركهم لمزارعهم حيث أصابها الجفاف . ومن عام ١٩٥٥م ولغاية عام ١٩٥٧م ازدادت المساحة المزروعة بمعدل ٨٤ر٧٪ في العام الواحد أما السنوات العشر التي تلت ذلك أي حتى عام ١٩٦٧م سجلت زيادة في المساحة المزروعة بمعدل ١٢٩ر٢٦٪ في العام الواحد . أما في عام ١٩٦٨م فلم يكن هناك أي زيادة في المساحة المزروعة ، ربما يكون سبب ذلك عدم اتضاح الرؤ ية وعدم اطمئنان المواطنين على مصيرهم بعد حرب حزيران ١٩٦٧م فلذلك أوقفوا نشاطاتهم الزراعية والعمرانية وغيرها ، بينها في عام ١٩٦٩م سجلت زيادة بمعدل ٥٪ ، أما السنوات العشر التالية أي حتى عام ١٩٧٩م فقد سجلت زيادة في المساحة المزروعةبمعدل ١ر٥٪ في العام الواحد .

ويلاحظ ان معدل الزيادة في المساحة المزروعة أخذت تتناقص مع بداية عام ١٩٦٨م وذلك بسبب ظروف الاحتلال . . وسوف نتطرق له بالتفصيل .

أصناف الحمضيات :

تختلف أصناف ومساحات الحمضيات المزروعة في منطقة البحث لاعتبارات مختلفة من أهمها بصدد الموضوع :

١ - تأثير الظروف البيئية التي تؤثر في غزارة ونوعية الانتاج .

٢ - ذوق المستهلك الذي يؤثر على اقباله لشراء صنف دون الأخر .

٣ - موعد نضوج الاصناف ومدى تحمل ثمارها لاعمال التسويق كالنقل والخزن .

والواقع هناك اعتبارات اخرى مثل تكلفة انشاء وزراعة دونم واحد من أصناف الحمضيات ولكن الفروق في التكاليف بسيطة .

والجدول رقم (٣) يبين الانواع والأصناف والمساحة المزروعة بالحمضيات ومعدل انتاج الدونم حسب احصائية عام ١٩٧٩م .

جدول رقم (٣)

الأنواع واصنافها والمساحة المزروعة ومعدل الانتاج من الحمضيات

النوع	الصنف	المساحة/دونم	معدل الانتاج كغم/دونم
البرتقال Citrus sinensis	فالنسيا	٧٠٧١	٤٦٨٧
	الشموطي	٧٠٠٢	٣٤٤٥
الليمون Citrus limona	اضاليا (ليمون حامض)	٢٩٩٥	٤٠٧٥
اليوسفي Citrus reticulatm	كليمانتين	٤١٠٠	٣٠١٤
	مندلينا	١٣٢١	٣٨٤٨
الكريب فروت Citrus paradisi	مارش وتريومف	٩٧	٣٨٦٦
حمضيات اخرى	يافاوي ، سكري ، أبوصرة	٢٧٢٥	٣٥٨٥
المجمـــــوع		٢٥٣١١	٣٦٤٥ر٧

المصدر : مكتب الزراعة في طولكرم ـ عام ١٩٨٠م .

ويلاحظ من هذا الجدول أن برتقال الفلنسيا يحتل المركز الأول من ناحية المساحة المزروعة ومعدل انتاج الدونم الواحد ويرجع ذلك إلى كثرة اقبال الناس على شراء ثمار هذا الصنف بسبب طعمه وقلة سمك قشرة الثمرة فأكثر المزارعين من زراعته ومن ناحية اخرى ان موعد نضج هذا المحصول متأخر حيث يتواجد في الاسواق في فترة آذار ـ نيسان حيث تكون غالبية أصناف الحمضيات الاخرى قد انتهى موسم اثمارها علاوة على ذلك أن ثمار هذا الصنف تحتمل النقل والخزن . اما احتلاله للمركز الأول لمعدل الانتاج فيرجع الى ملائمته للظروف البيئية وتجاوبه مع الخدمات الزراعية اكثر من بقية الاصناف ومن المحتمل أن يكون هطول الامطار ومياه الري قد رسبت كميات من الكلس الموجودة في التربة الى الطبقات السفلى منها وبذلك انخفض الرقم الهيدروجيني أي انخفض الـ PH عن ٧ وهذه الحموضة المنخفضة نسبياً (٥ر٥ ـ ٥ر٦) تلائم هذا الصنف أكثر من بقية الاصناف .

أما الشموطي فيحتل المرتبة الثانية من حيث المساحة والواقع انه لاتوجد أسباب تختلف عن تلك الاسباب المذكورة اعلاه وربما كان ترتيبه للدرجة الثانية بعد الفلنسيا يعود الى كبر سمك قشرة ثماره نسبياً على حساب حجم ووزن اللب مما يجعل المستهلك يفضل الصنف الأول عليه .

أما الليمون فيحتل المركز الثاني من ناحية الانتاج والسبب الرئيسي في ذلك أن اشجارها تعطي انتاجاً من ثمار الليمون أكثر من مرتين في العام الواحد وذلك في اواخر الصيف وفي الخريف وقد تجمع في أوقات أخرى من السنة وهي أقل نضجاً .

أما الكليمانتين والمندلينا فان عليهما طلبا كبيراً من المستهلك ومن ميزاتهما

النضوج المبكر (ديسمبر/ يناير) وبالتالي تكون أسعارهما مرتفعة ، أما سبب عدم التوسع في زراعتهما اكثر مما هي عليه فانهما لايحتملان النقل والخزن بطبيعتهما واضعين في الحسبان عدم توفر طرق المواصلات المناسبة وعدم وجود مخازن في منطقة البحث ، ومن ناحية أخرى ان جني ثمارهما يحتاج إلى دقة كبيرة حيث تجني الثمرة بجزء من عنقها بواسطة المقص وبالتالي تتطلب عمالة كثيرة .

أما الكريب فروت فان مساحته تحتل المرتبة الأخيرة بسبب عدم اقبال المستهلك على شراء ثماره بسبب وجود الطعم المر في ثمارة ، ولكن هذه الثمار تصلح للعصير ونظراً لعدم وجود أي مصنع عصير للحمضيات في منطقة البحث ظلت المساحة المزروعة بهذا الصنف محدودة .

ومن الجدير بالذكر انه في عام ١٩٧٨م أنشأ المواطنون مصنعاً لتشميع الحمضيات بالقرب من مدينة قلقيلية وهو المصنع الوحيد من نوعه وذلك لفرز ثمار الحمضيات حسب حجمها وتغليفها بطبقة رقيقة من الشمع تحميها من الآفات وتمنع فقدان الرطوبة منها وبالتالي تكسبها صفات تسويقية جيدة . ويدفع المزارع ٠٦ر٠ دينار اردني لتشميع صندوق حمضيات معدل وزنه ١٦كغم .

انتـاج الحمضـــــيات :

يشهد انتاج الحمضيات تزايداً مستمراً عاماً بعد عام . والجدول رقم (٤) يبين تطور حجم انتاج الحمضيات للفترة من ٦٧/٦٨ - ٧٨/١٩٧٩م .

وعند مقارنة هذا الجدول بالجدول رقم (٢) الذي يبين التوسع في المساحة المزروعة بالحمضيات يلاحظ ان تزايد حجم الانتاج يفوق معدل التوسع في

المساحة المزروعة . والواقع ان هذا ناجم عن زيادة انتاج شجرة الحمضيات كلما تقدمت في السن حيث انها تبدأ بالانتاج عند عمر ٣ ـ ٤ سنوات ثم يزداد إنتاجها عاماً بعد عام إلى عمر ٣٥ سنة ، وعندئذ يبدأ بالتناقص[١] .

وتباع منتوجات الحمضيات من المزارعين الى تجار الحمضيات في الضفة الغربية بطريقة مايسمى « البيع بالضمان » حيث يتعاقد كلا الطرفين على البيع والشراء والثمار مازالت في مرحلة العقد وفي بعض الحالات لاتزال ازهاراً . وكثيراً مايكون المزارع مظلوماً في اتفاق البيع ، ذلك ان سعر البيع يكون مبنياً على تخمين التاجر ولكن المزارع مجبور على هذه الخطوة بسبب حاجته الى المال في هذه الفترة من السنة .

وقبل حرب حزيران عام ١٩٦٧م كانت أسواق الدول العربية وخصوصاً الخليجية وسوريا واسواق ايران مفتوحة لتصدير هذه الحمضيات إليها ، ولكن بعد ذلك وضعت الاردن قيوداً على السلع المصدرة من الضفة الغربية إليها (عبر الجسور المفتوحة) خوفاً من تسرب السلع الاسرائيلية الى الأسواق العربية ، وبالنسبة للحمضيات فقد سمح لكل مزارع من الضفة الغربية بتصدير ٢ طن فقط من ثمار الحمضيات الى الاردن وذلك عن كل دونم واحد مزروع بالحمضيات(*) مع اظهار شهادة مصدقة من المجلس البلدي أو البلدية والمعتمد الزراعي في الضفة الغربية ، تثبت أن هذه الحمضيات من

---

(١) د . هشام قطنا ، مرجع سابق ، ص ٥١ ، ٥٢ .

(*) تخضع بقية المنتوجات الزراعية لنفس القيود ، وعلى سبيل المثال الطماطم ، حيث لاتسمح الاردن بأن يصدر اليها اكثر من ١٫٥ طن عن كل دونم يزرع بالطماطم في الضفة الغربية .

جدول رقم (٤)

تطور حجم انتاج الحمضيات للفترة ٦٧/٦٨ - ٧٨/ ١٩٧٩م
مقدراً بآلاف الاطنان

السنة	الانتاج	السنة	الانتاج	السنة	الانتاج
٦٧/٦٨	٣٠	٧١/٧٢	٤٦٫٧	٧٥/٧٦	٧٤٫١
٦٨/٦٩	٣٥٫٢	٧٢/٧٣	٥٨٫٦	٧٦/٧٧	٧٦
٦٩/٧٠	٣٨	٧٣/٧٤	٦١٫٥	٧٧/٧٨	٨٣
٧٠/٧١	٣٨	٧٤/٧٥	٦٣٫٨	٧٨/٧٩	٩٢

المصدر : مجمع من :

١ - Statistical Abstract of Israel,1972, P. 664.

بالنسبة للسنوات ٦٧/٦٨ - ٦٩/٧٠

٢ - مؤسسة صامد ، مرجع سابق ، ص٣١ .

بالنسبة للسنوات ٧٠/٧١ - ٧٦/٧٧

٣ - مكتب الزراعة في طولكرم . بالنسبة للسنوات ٧٧/٧٨ - ٧٨/١٩٧٩م .

* * * * *

انتاج المزارع وهذا يعني على سبيل المثال انه سمح بتصدير ٥٠٦٢٢ طن حمضيات من الضفة الغربية الى الاردن في عام ١٩٧٩ ، أما الباقي فانه يصرف في اسواق منطقة البحث .

ان قيمة الدخل من الحمضيات التي تباع في اسواق منطقة البحث متذبذب وذلك نتيجة التغير في السعر ومثال ذلك ارتفاع سعر طن الحمضيات من ٣٤٫٤٨ دينار اردني في عام ١٩٦٨/٦٧م إلى ٣٧٫٤٣ دينار اردني في عام ١٩٦٩/٦٨م ثم انخفاضه الى ٢٤٫١٧ دينار اردني في عام ١٩٧٠/٦٩م ، فلذلك بلغت قيمة الدخل من هذه الحمضيات ١٫٠٣٤ ، ١٫٣٢ ، ٠٫٩٢١ مليون دينار اردني على التوالي[1] .

ويلاحظ انه على الرغم من ان انتاج عام ١٩٧٠/٦٩م من الحمضيات اكثر من انتاج عام ١٩٦٩/٦٨م كما هو مبين في الجدول اعلاه الا ان قيمة الدخل اقل ، هذا علاوة على هبوط قيمة الليرة الاسرائيلية باستمرار .

اذن فالزيادة في الانتاج لم يرافقها زيادة في الدخل ، وقد تكررت هذه الحالة في السنوات التي تلت ، ولم يقتصر هذا الامر على مزارعي الحمضيات وانما على كافة مزارعي الاشجار المثمرة والخضروات والمحاصيل الحقلية ، واصيب المزارعون بخيبة الامل وكانت هذه النتيجة الناجمة اساساً عن السياسة المرسومة لاحتلال الاسرائيلي بمثابة الضربة الاولى نحو انهيار القطاع الزراعي ، كما نجم عن هذه السياسة تغيرات واضحة في تركيبة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية وخصوصاً القطاع الزراعي وهو أهم القطاعات الاقتصادية في

---

(١) عنان العامري ، « التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ - ١٩٧٠ » ، بحث احصائي - القدس ، ١٩٨٠م ، ص ٤٦ .

منطقة البحث ، حيث يقابل هذا القطاع مشاكل وصعوبات تقف حجر عثرة أمام تقدمه وتطوره .

المشاكل والصعوبات

ان المشاكل والصعوبات التي تعترض تطور وتقدم القطاع الزراعي ليس في منطقة البحث فحسب وإنما في كثير من دول العالم . ناجمة عن عامل أو مجموعة من العوامل المتداخلة التي تعمل مع بعضها البعض فتزيد الأمور تعقيداً ، ومن هذه العوامل ما هو ناجم عن عوامل طبيعية ، والمتعلقة بالمناخ أو التربة أو المياه . . الخ ، ومنها ماهو ناتج عن « عوامل بشرية » سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ، ومنها ماهو ناتج عن « طبيعة الزراعة » لكونها مهنة محفوفة بالمخاطر لكبر حجم انتاج المحاصيل مقارنة بعوائدها ، ولمتطلبات نضج ثمارها ، والفترة التي تحتاجها بعض المحاصيل لبدأ انتاجها الاقتصادي . . . الخ . وفيما يلي تحليل للمشاكل والصعوبات في منطقة البحث ؛

١ ـ انخفاض ربحية الأراضي المزروعة بالحمضيات :

تشير دراسة الجدوى الاقتصادية[1] لزراعة الحمضيات لعام ١٩٨٠م في الضفة الغربية بأن مزارع الحمضيات يحقق ربحاً مقداره ٦٥ر٤٨٪ من قيمة الانتاج البالغة ٠٦ر١٣٤ دينار اردني للدونم الواحد وذلك كمتوسط لاصناف الحمضيات المزروعة . وهذا يعني أن متوسط الربح من دونم واحد هو ٦٥ر٢١ دينار اردني . واذا أخذنا بعين الاعتبار صغر مساحة الحيازة الزراعية

---

(١) مكتب الزراعة في طولكرم ـ ١٩٨٠م .

في الضفة الغربية لاتضحت لنا المشكلة اذ أن نسبة عدد الحيازات التي أقل من ١٠ دونم تشكل ٨ر٤٩٪ من النسبة الكلية لعدد الحيازات في الضفة الغربية[1]. وبذلك فان الدخل السنوي من أي من هذه الحيازات المزروعة سيكون ٢١ر٦٥×١٠= ١ر٦٥٢ دينار اردني في العام وبالتالي فان معدل الدخل الشهري سيكون ١ر٦٥٢÷١٢= ٣٤ر٥٤ دينار اردني ، وإذا قورن هذا الدخل بالدخل الذي يمكن لأي عامل تحصيله من قطاع الصناعة أو الزراعة أو البناء في اسرائيل والبالغ ٣٠٧ر. دينار اردني في الساعة لهذا الاخير أي حوالي ١٣ر٦٦ دينار اردني في الشهر (على أساس ٢٧ يوم عمل بواقع ٨ ساعات يومياً) واضعين في الاعتبار غلاء المعيشة المتصاعد وصعوبة وتأخر وصول الحوالات المالية من أبناء الضفة الغربية العاملين في دول الخليج إلى ذويهم في منطقة البحث . بدأ هؤلاء المزارعون اصحاب الحيازات الصغيرة المساحة في اهمال مزارعهم والتوجه للعمل في اسرائيل في المهن المذكورة أعلاه .

وبالرغم من أن الفرق بين الدخل من هذه الحيازات الزراعية وما يمكن للعامل تحصيلة في اسرائيل ليس بكثير ، ولكن يجب ألا يغيب عن البال أن أسعار عناصر الانتاج في تزايد مستمر كل عام ، أما قيمة الانتاج من الحمضيات فانها لا ترتفع بنفس هذه النسب وتكون المحصلة النهائية لحمل عبء هذه التكاليف على عاتق المزارعين مما يقلل من صافي أرباحهم .

٢ ـ تناقص عدد الايدي العاملة في الزراعة بشكل مضطرد :

بسبب إغراءات الاجور المرتفعة نسبياً التي بامكان العامل أن يحصل عليها في اسرائيل وانخفاض قيمة الدخل من الحيازات الزراعية كما لاحظنا أعلاه بدأ

---

(١) عادل سماره ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

المزارعون وغيرهم من العمال بالعمل في القطاعات الاقتصادية الاسرائيلية وأخذ مجموع العاملين بالقطاع الزراعي في الضفة الغربية يتناقص تدريجياً ، ولم يقترن هذا التناقص بزيادة الايدي العاملة في القطاعات الانتاجية الاخرى في الضفة وإنما ارتفعت نسبة العاملين في اسرائيل . والجدول رقم (٥) يوضح تناقص عدد مجموع العاملين في الضفة الغربية وكذلك تناقص نسبة العاملين منهم في القطاع الزراعي ما بين عام ١٩٧٠ ـ ١٨٧٧م .

ومما يلفت النظر أن عام ١٩٧٤م شهد زيادة مفاجئة في مجموع العاملين مقدارها نحو ٨ر١٠ ألف عامل ، ويرجع ذلك إلى سببين وهما : توفر شواغر في اسرائيل بسبب استعدعائها لاحتياطها من الجيش على أثر حرب اكتوبر ١٩٧٣م حيث اتجه للعمل في القطاعات الاقتصادية الاسرائيلية في هذا العام حوالي ٧ر٣ ألف عامل كما اتجه في عام ١٩٧٤م حوالي ٦ر٣ ألف عامل زيادة عما كان عليه عددهم في أعوام ٧٢ ، ١٩٧٣م والسبب الأخر هو انخفاض نسبة المبالغ التي تصل إلى الضفة الغربية عن طريق الاردن وذلك بسبب فرض اسرائيل قيود ومراقبة مشددة على المبالغ التي تصل لسكان الضفة الغربية بحجة انها اموال لاسر وأبناء الشهداء أو لدعم المجالس البلدية وحقيقة الامر ان كثيراً من هذه الاموال من تحويلات أبناء الضفة العاملين في الخارج ، وقد أدت هذه القيود الى حرمان كثير من العائلات التي تعتمد على تحويلات ابنائها في الخارج مما دفع الكثير من أبناء المدارس وحتى دون السن القانونية للعمل لترك مدارسهم والبحث عن عمل .

☐

جدول رقم (٥)

مجموع العاملين في الضفة الغربية والعاملين منهم في القطاع الزراعي

السنة	مجموع العاملين (بالالاف)	العاملين في الضفة		العاملين في اسرائيل	
		مجموع العاملين (بالالاف)	٪ للعاملين في الزراعة	مجموع العاملين (بالالاف)	٪ للعاملين في الزراعة
١٩٧٠	١١٤ر٤	٩٩ر٨	٤٢ر٥	١٤ر٦	١٧ر٧
١٩٧١	١١٦ر٨	٩١ر٢	٤٠ر٢	٢٥ر٦	١٢ر٩
١٩٧٢	١٢٥ر٢	٩٠ر٣	٣٨ر٠	٣٤ر٩	١٢ر٣
١٩٧٣	١٢٦ر٤	٨٧ر٨	٣٤ر٢	٣٨ر٦	٨ر٨
١٩٧٤	١٣٧ر٢	٩٥ر٠	٣٧ر٩	٤٢ر٢	١٠ر٦
١٩٧٥	١٣٢ر٣	٩١ر٩	٣٤ر٦	٤٠ر٤	١٠ر٩
١٩٧٦	١٢٩ر٧	٩٢ر٦	٣٣ر٩	٣٧ر١	١٢ر٢
١٩٧٧	١٢٧ر٣	٩١ر٨	٣٣ر٥	٣٥ر٥	١٠ر٥

المصدر : ١ ـ سمية فرحات ، « زيتون فلسطين ومشكلاته » ، مكتب الوثائق والابحاث ، جامعة بيرزيت ، رام الله ، ص ٦٩ (العمود ١ ـ ٥)

2. Central Bureau Staistical Abstract of Statistics of Israel No. 23,1972 Jerusalem P. 726

(العمود ٦)

وتحاول السلطات الاسرائيلية أن تخفي ظاهرة تناقص أعداد العمال الذين يعملون في الضفة الغربية بقولها أن هذا التناقص جاء نتيجة لاختفاء البطالة المقنعة التي كانت سائدة في الضفة الغربية . والحقيقة أن هذا التناقص جاء نتيجة لمصادرة مساحات واسعة من أراضي المواطنين من ضمنها أراضي زراعية وكذلك نتيجة للغلاء المتصاعد الذي دفع العمال لترك أعمالهم الزراعية وترك مزارعهم بور والبحث عن موارد رزق جديدة . وهاتان الحقيقتان معا أدتا الى انخفاض مساحة الاراضي المزروعة في الضفة الغربية ، فبعد أن كانت المساحة المزروعة تشكل ٩ر٣٦٪[1] من المساحة الكلية للضفة الغربية في عام ١٩٦٨/٦٧م انخفضت الى ٢ر٣٣٪[2] في عام ١٩٧٤ ثم انخفضت إلى ٩ر٣٠٪[3] في عام ١٩٧٦م ثم إلى ٣ر٢٧٪[4] في عام ١٩٧٨م .

٣ ـ الهجرة الداخلية والخارجية :

نتيجة لذلك ـ ولعوامل أخرى ـ تدهورت الاحوال الاقتصادية وأخذت الضفة الغربية تعمل كمنطقة طاردة للسكان وبذلك أخذت هذه المشكلة أبعاداً جديدة خطيرة ، لم يقتصر الامر على تناقص للايدي العاملة في الزراعة فحسب ، فقد اضطر كثير من هؤلاء العمال العاملين في اسرائيل أن يهاجروا (هجرة داخلية) ، ويسكنوا بالقرب من مناطق عملهم الجديدة وبذلك بدأت القرية كوحدة انتاجية اساسية في الريف الفلسطيني تنحل وتنخرط في سوق العمل المأجور في اسرائيل . كما أن هؤلاء العمال يقومون بملء الفراغ الذي

(١) ، (٢) مؤسسة صامد ، مرجع سابق ، ص ٧ .

(٣) موشيه ليفي ، تقرير رئيس شعبة التخطيط ـ مكتب ضابط الزراعة بالمناطق المحتلة عام ١٩٧٦م .

(٤) مؤسسة صامد ، مرجع سابق ، ص ٧ .

يصيب كثيراً من المؤسسات الاقتصادية في اسرائيل حيث أنها تستدعى أبنائها كلما شنت حرباً على الدول العربية[1].

ومن ناحية اخرى هناك ظاهرة الهجرة الخارجية وهي هجرة الفلسطينيين من الضفة الغربية إلى الاردن ومنها الى بلدان عربية وغير عربية . ويقدر هؤلاء المهاجرين بما معدله حوالي ١٥ ألف نسمة في كل عام خلال النصف الأخير من السبعينيات ، ومن الجدير بالذكر أنه بالرغم من أن الزيادة الطبيعية تصل إلى ٣١ في الألف الا أن الزيادة الفعلية في سكان الضفة الغربية لاتزيد عن ٨ في الالف ، لأن نسبة الهجرة تصل إلى ٢٣ في الالف[2]. وهذه الظاهرة خطيرة جداً لأن هجرة هؤلاء المواطنين يفسح المجال لاحلال يهود مهاجرين محلهم .

٤ ـ مصادرة الاراضي :

قامت السلطات الاسرائيلية بمصادرة الكثير من الاراضي منذ الأشهر الاولى للاحتلال في حزيران ١٩٦٧م ، وقد بلغت مساحة الاراضي التي استولت عليها اسرائيل في الضفة الغربية حوالي ١٫٤٥٠ مليون دونم منها ٢٠ ألف في منطقة اللطرون ، والقدس و ٣٥٠ ألف دونم ما بين أراضي أميرية وأراضي وقف وأراضي متروكة وأراضي الموات(*) و ٤٠٠ ألف دونم أملاك

---

(١) ترجمة علي خليل حمد وآخرون ، « دور العمال الفلسطينيين في الاقتصاد الاسرائيلي » ، منشورات المكتب الفلسطيني للخدمات الصحفية ، القدس ١٩٨٠ .

(٢) عبد الرحمن أبو عرفه ، مرجع سابق ، ص ٨٠ .

(*) تندرج الاراضي في فلسطين تحت واحد من الأنواع الخمسة الرئيسية التالية : الاراضي المملوكة والاميرية والوقف والمتروكة والموات . راجع د . عادل حسن غنيم « القوى الاجتماعية في فلسطين فيما بين الحربين العالميتين » ، القاهرة ١٩٨٠م ، ص ١٠١ ـ ١٠٣ .

الغائبين و ٦٨٠ ألف دونم معسكرات الجيش والشرطة الاردنية التي اعتبرتها سلطات الاحتلال ارثا لها[1] .

وتقوم اسرائيل بمصادرة هذه الاراضي لاقامة المستوطنات عليها لتقطين المهاجرين اليهود ، الامر الذي سيغير من تركيبه السكان في الضفة الغربية وتضييق الطرق على السكان الفلسطينيين بمنافستهم في مصادر الثروات الطبيعية .

وتقوم اسرائيل بمصادرة الاراضي بناءاً على قوانين تقوم بسنها وتعديلها حسب ماتطلبه الظروف عن طريق مايسمى « بالكنيست » ، والقوانين التي يشرعها على نوعين[2] :

١ ـ مشاريع قوانين .　　　　٢ ـ القوانين الاساسية .

ومن هذه القوانين مايلي :

قانون المناطق المغلقة ، قانون مناطق الأمن ، قانون استملاك الاراضي ، قانون اجراءات تسوية الأراضي ، قانون الاراضي البور ، قانون املاك الغائبين ، قانون التصرف وقانون ضريبة الاملاك المعدل ، وقانون استملاك اراضي البدو .

ولا تفوت اسرائيل أي فرصة مهما بلغت ضآلتها ولا تترك أي وسيلة للتلاعب في القوانين في سبيل السيطرة على كل شبر من الضفة الغربية حيث ان

(١) عبد الرحمن أبو عرفه ، مرجع سابق ، ص ٢١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

كل هذه القـوانين تستهـدف السيطرة عـلى أراضي المواطنـين العرب الفلسطينيين .

٥ ـ التقيد والاستيلاء على مصادر المياه :

تبلغ نسبة مساحة الاراضي التي تعتمد على مياه الري في الضفة الغربية حوالي ٧ر٤٪ من مجموع المساحة المزروعة وهي نسبة منخفضة اذا ماقورنت بالمساحة المروية في اسرائيل[١] أو العراق[٢] أو لبنان[٣] أو سوريا[٤] حيث تبلغ ٥٢٪ ، ٥ر٧٣٪ ، ١٩٪ و ١٠٪ على التوالي .

واذا علمنا أن كمية الامطار التي تسقط سنوياً فوق الضفة الغربية تقدر بحوالي ٧٠٠مليون م٣ يتسرب منها إلى خزانات المياه الباطنية حوالي ٥٠٠ مليون م٣ والكميات الباقية تجري عبر الوديان نحو المنحدرات الشرقية والغربية كما يستغل قسم منها مباشرة عن طريق المحاصيل الزراعية[٥] لادركنا ان انخفاض نسبة الاراضي المروية لاترجع الى قلة وجود المياه اللازمة للري وانما ترجع الى عدم استغلال هذه المياه بسبب عدم توفر رءوس الأموال اللازمة والخبرة اللازمة لحفر الابار الارتوازية واقامة شبكات ري وصرف حالها في ذلك حال سائر معظم الدول النامية .

ولا يستهلك من كميات المياه المذكورة أعلاه سوى ٩٠ ـ ١٢٠ مليون م٣ سنوياً منها حوالي ٨٢ مليون م٣ للاغراض الزراعية وحوالي ٧ مليون م٣

---

(١) عبد الرحمن ابو عرفة ، مرجع سابق ، ص ١٣١ .

(٢) ، (٣) ، (٤) د . محمود ابو العلا ، جغرافية العالم الاسلامي ، الكويت ، جامعة الكويت ، ١٩٨١م ، ص ٢٢٠ .

(٥) عبد الرحمن ابو عرفة ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

للاستهلاك المدني أما الاستهلاك للصناعة فان كميته لاتكاد تذكر . ويستخرج حوالي ٣٠٪ من هذه الكميات بواسطة الابار الارتوازية و ٧٠٪ تتدفق من الينابيع .

ومنذ عام ١٩٦٧م لم تزدد كميات المياه المستغلة في ري المزروعات ولم يتم حفر أية بئر جديدة من أجل الاغراض الزراعية حيث ان السياسة الاسرائيلية المتبعة في الضفة الغربية تقتضي بمنع حفر أي بئر جديدة للاغراض الزراعية من قبل سكان الضفة الغربية بالرغم من أنه سمح للمستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية بحفر ١٧ بئراً في منطقة الاغوار حتى عام ١٩٧٧م ، وقد أدى حفر هذه الابار ذات قوة الضخ العالية إلى حدوث اضرار بالغة لمصادر المياه التي يعتمد عليها مزارعوا الأغوار حيث انخفضت قوة تدفق الينابيع ونضبت بعض الابار مما أدى الى جفاف ٥٠٠ دونم من الحمضيات والفواكه والموز وهي المصدر المعيشي لقرية العوجا التي تقع على بعد ١٠ كم شمال مدينة اريحا[١] ، ومن ناحية اخرى اقلع كثير من مزارعي الأغوار عن زراعة الخضروات لانها تتطلب كمية كبيرة من مياه الرى . والجدول رقم (٦) يبين مقارنة بين انتاجية الابار الارتوازية العربية وابار المستوطنات الاسرائيلية[٢] في الأغوار :

---

(١) عادل سماره ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ ، ٥٨ ،

جدول رقم (٦)

مقارنة انتاجية الابار الارتوازية وكميـة المياه المضخوخة لعام ١٩٧٧م

الابار في الاغوار	العـدد	كمية المياه بالاف م٣	معدل انتاج البئر الواحد بالالف م٣
الابار العربية	٩٦	٩٩٣٣ر٤	١٠٣ر٤٧
الابار الاسرائيلية	١٧	١٤١٤٤ر٨	٨٣٢ر٠٤

المصدر : مؤسسة صامد ، ص ١٧

ويلاحظ من الجدول ان معدل انتاج البئر الواحد من آبار المستوطنات الاسرائيلية يعادل أكثر من ٨ أمثال انتاج البئر الواحد من الابار العربية . وقد اتخذت اسرائيل عدة اجراءات من شأنها احكام السيطرة على مصادر المياه في الضفة الغربية منها مصادرة بعض الآبار وازالة ١٤٠ مضخة مياه من منطقة داميه على نهر الاردن واجبار المزارعين على تركيب عدادات على مصادر المياه تحدد كمية المياه المستخرجة بموجب تراخيص خاصة(*) . ولم تعد هذه السياسة

(*) لمزيد من المعرفة حول هذا الموضوع راجع عبد الرحمن ابو عرفه ، مرجع سابق ص ١٢٧ ، ١٢٨

الاسرائيلية خافية على احد فهي تهدف إلى مايلي[1] :

١ ـ اتخاذ الاجراءات الكفيلة باستمرار تسرب المياه الجوفية والسطحية من منحدرات الضفة الغربية الى السهول الساحلية في اسرائيل (انظر الخارطة رقم (٥) .

٢ ـ السيطرة على موارد المياه والاستيلاء على الاراضي بقصد عدم توفير الحد الادنى من المقومات الاقتصادية لأي كيان فلسطيني وطني يؤسس في المستقبل .

٦ ـ دمج اسواق الضفة الغربية وتبعية اقتصادها لاقتصاد اسرائيل :

ولقد وجدت اسرائيل في الضفة الغربية السوق المناسب لتصرف منتوجاتها حيث تحقق اسرائيل فائضاً اقتصادياً في تعاملها الاقتصادي مع المناطق المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) وخصوصاً في عام ١٩٧٣م حيث تبأت المناطق المحتلة الدرجة الثانية بعد الولايات المتحدة الامريكية في قيمة الصادرات اليها من اسرائيل حيث بلغت هذه الصادرات ٢٦٧و١٨٩ مليون دولار امريكي للاولى والثانية في عام ١٩٧٣ [2].

ومن هذا المنطلق فانه من صالح اسرائيل ابقاء هذا الوضع الاقتصادي عما هو عليه دون تغير ، فلذلك فانها تقوم دائمًا باحباط أي محاولة للاستقلال باقتصاد الضفة الغربية بمنع اقامة أي مشروع مهما كان نوعه وتتبع في ذلك عدة وسائل منها تقليل اذونات الاستيراد وفرض الضرائب بالعملة الصعبة تصل إلى ٥٠٪ من قيمة السلع المستوردة .

---

(١) مؤسسة صامد ، مرجع سابق ، ص ١٩ .

(٢) عادل سماره ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

ومن ناحية اخرى ان منتوجات المستوطنات الاسرائيلية الزراعية مجهزة برأس مال اعلى وقروض أقل فوائد وتكنيك أرقى فلذلك فانها تنافس بشدة منتوجات الضفة الغربية الزراعية .

وتمنع اسرائيل تصدير منتوجات الضفة الغربية عن طريق موانئها البحرية أو الجوية وانما يسمح بتصديرها فقط إلى الاردن عن طريق الجسور التي تربط الاردن بالضفة الغربية والتي تتعرض للاغلاق كلما حدثت اشتباكات عسكرية ، وينعكس هذا سلبياً على المنتوجات الزراعية المعدة للتصدير وخصوصاً اذا كانت لا تحتمل النقل والخزن .

كما قامت اسرائيل باستيراد زيت عباد الشمس وزيت الذرة وزيت الزيتون الاسباني مما أدى الى تكدس وانخفاض سعر زيت زيتون الضفة الغربية .

وتتحكم اسرائيل احياناً في منتوجات الضفة الغربية الزراعية وذلك بتوجيه عملية تسويق هذه المنتوجات لصالحها ومثال ذلك أن اجبرت منطقة اريحا على بيع منتوجاتها (خضروات وحمضيات)[*] الى شركة اسرائيلية احتكارية بعد أن فرضت السعر على المزارعين وكانت هذه الشركة قد تعاقدت مع دول السوق الاوروبية المشتركة[1] .

وفي نهاية المطاف نلاحظ أن كل هذه الضغوط تؤدي إلى تنفير الفلسطينيين من مزاولة مهنتهم الزراعية .

(*) ان حمضيات هذه المنطقة تنضج مبكراً بحوالي ٣ أسابيع قبل حمضيات بقية اجزاء فلسطين .

(١) عادل سماره ، مرجع سابق ، ص ٧٧ ، ٧٨ .

والواقع أنه من اكثر الأمور خطورة والتي نجمت عن سياسة دمج الاقتصاد هو تجانس أسعار المواد الاستهلاكية في اسرائيل والضفة الغربية . ولكن اذا نظرنا الى الدخل فاننا نلاحظ بأن الفرد الاسرائيلي يزيد دخله عن دخل الفرد في الضفة الغربية بواقع ٤٠ ـ ٥٠٪ عند مقارنة دخلهما لنفس المهنة ، وفوق ذلك فان الاسعار ترتفع بشكل كبير حيث ارتفعت أسعار عام ١٩٧٥م حوالي ٤ر٣٦٧٪ عند مقارنتها بأسعار سنة الأساس ١٠٠٪ لسنة ١٩٦٨م[1] . والمشكلة انه لا يصاحب هذه الزيادة في الاسعار زيادة في الدخل أو الاجر .

وفي كثير من الاحيان يضطر رب الاسرة الى التوقف عن تعليم احد اولاده حتى يعمل ويساعده في تحقيق دخل كاف للاسرة ، وفي بعض الاحيان تضطر هذه الاسرة إلى الهجرة الى الاردن وربما منها الى احد الدول العربية .

٧ ـ فقر قطاع الخدمات الزراعية ويتمثل ذلك فيما يلي :

أ ـ في كثير من الاحيان عدم توفر طرق معبدة بين أماكن انتاج المحاصيل الزراعية (المزارع) وخصوصا المناطق الجبلية التي تزرع كروم ، العنب ، الزيتون ، اللوزيات . . . الخ والطرق الرئيسية المؤدية الى أسواق الاستهلاك المحلية مما يجبر المزارعين على استعمال الحيوانات كوسيلة نقل مما يؤثر على نوعية هذه الثمار ويؤدي بالتالي الى انخفاض اسعارها وقلة العائد منها ، ويؤدي من ناحية اخرى إلى عدم امكانية ادخال الميكنة الزراعية إلى مثل هذه المزارع بسبب عدم صلاحية هذه الطرق .

ب ـ عدم وجود تسهيلات بنكية للتسليف الزراعي : لقد اغلقت البنوك

---

(١) حسين أبو النمل «الضفة والقطاع بين الدمج والالحاق بيروت ، شباط ١٩٧٨ ص ١٠١ .

الاردنية والبريطانية أبوابها في المناطق المحتلة بعد حرب حزيران ١٩٦٧م مما شل حركة التعاملات البنكية والاقتصادية .

وبعد الاحتلال بأشهر فتحت سلطات الاحتلال فروعا لبنوكها في الضفة الغربية حيث وصل عددها الى ١٦ فرعاً لغاية عام ١٩٧٢م .

وقد كانت نسبة الفوائد التي تتقاضاها البنوك الاردنية قبل الحرب ٩ ٪ ولكن سلطات الاحتلال رفعت نسبة الفوائد الى ٢٤٪ وهذا وحده كفيل بعرقلة أية عملية بنكية تهدف الحصول على قرض[1] .

وإذا اخذنا مهنة الزراعة في الحسبان لوجدنا أنها مهنة محفوفة بالاخطار لاسباب خارجة عن سيطرة الانسان نفسه وعلى سبيل المثال تأثير الظروف المناخية على كمية ونوعية المنتوجات الزراعية وكذلك طول الفترة التي يبدأ عندها الانتاج الاقتصادي للاشجار الثمرية كالحمضيات ، فلذلك فان المزارع لايقدم على الاقتراض لعدم اطمئنانه لنجاح زراعته وتحقيق الربح علاوة على دفع ٢٤٪ فوائد للبنك .

وهكذا لايجد المزارع مصدراً مادياً يستعين به لشراء عناصر الانتاج كالبذور والاسمدة والمبيدات الكيماوية . . الخ . وتكون النتيجة كما سبق ذكره اما اهمال الزراعة والعمل في اسرائيل أو الهجرة الى الاردن .

جـ ـ قلة فعالية الدور الذي تلعبه الاجهزة الادارية الزراعية سواء الدوائر أو المكاتب الزراعية الرسمية أو الجمعيات التعاونية الزراعية .

---

(١) عادل سماره ، مرجع سابق ، ص ١١٢ .

ان الخدمات التي تقدم للمزارعين محدودة جداً ومقتصرة على تقديم النصح والارشاد لوقاية المزروعات من الآفات والامراض ولا تقدم أي نصائح اخرى كاستعمال انواع جديدة من البذور أو العقل أو كمية الاسمدة ومياه الري المثلي الواجب استعمالها . . . الخ .

أما الجمعيات التعاونية الزراعية فلا تزال دون مستوى النهوض بالمسئولية ولا تلعب دوراً فعالا في تحديد اسعار المنتوجات الزراعية أو تسويقها أو اجبار المزارعين على زراعة صنف معين أو تصنيف وتدريج ثمارهم . ومن الجدير بالذكر ان مصنع تشميع الحمضيات الوحيد في الضفة الغربية لم يستمر في عمله وقد أغلق أبوابه في عام ١٩٨٠ وذلك بسبب عدم اقبال المزارعين لتشميع حمضياتهم والسبب في ذلك اعتقادهم بان حمضياتهم سوف تباع سواء شمعت أم لا ! . . ومن ناحية علمية فان اعتقاد هؤلاء المزارعين خاطىء لان الحمضيات غير المشمعة لاتكون صالحة في حالات كثيرة للتصدير إلى اسواق الدول العربية البعيدة نسبياً مثل دول الخليج العربي ، وبالتالي فانه يتم تصريفها في الاردن . ونتيجة لكثرة المعروض منها على سبيل المثال عام ١٩٧٩م حوالي ٥٠٦٢٢ طن بالاضافة الى ٤٩٦٩٤ طن انتاج ٢٦ ألف دونم من الاردن(١) فان سعرها سيكون متدنيا ، وبالتالي يقل العائد منها مما يشكل حجر عثرة في العام التالي فلا يجد المزارع مايكفي لشراء مستلزمات الخدمة والعناية بأشجار الحمضيات ، وهنا تبرز احدى محاسن « البيع بالضمان » حيث يطلب المزارع من التاجر دفع جزء من المبلغ المتفق عليه كدفعة مقدمة .

---

(١) كليمانس سوداح ، من أمراض الحمضيات . مقالة في « مجلة المهندس الزراعي » نقابة المهندسين الزراعيين ، الاردن ، العدد ١٦ ، تشرين أول ١٩٨٢م .

٨ ـ المشاكل الفنية الزراعية :

لاشك ان اتباع الوسائل والتعليمات الفنية الزراعية حتى لو كانت على قدر الامكان تؤدي الى تسهيل القيام بالاعمال الزراعية الموسمية واليومية وتعود على المزارعين بفوائد أفضل ، ولكن بعض مزارعي الحمضيات في الضفة الغربية لايتقيدون بذلك ويمكن ملاحظة ذلك مما يلي :

أ ـ عدم التقيد بزراعة أشجار الحمضيات على المسافات الصحيحة : يزرع كل صنف من أصناف الحمضيات على مسافة معينة بين السطر والاخر وبين الشجرة والاخرى ، فالبرتقال على سبيل المثال يزرع على مسافة ٥م×٥م ، أما بعض المزارعين في الضفة الغربية فانهم يقومون بزراعة شجرة اخرى عند تقاطع محوري هذا المربع ، بدلا من أن يزرعوا أربع أشجار فأنهم يزرعون خمس أشجار في مساحة قدرها ٢٥م٢ وذلك حتى يحصلوا على انتاج اكثر . والواقع ان هذا يؤدي الى عرقلة الاعمال الزراعية وصعوبة دخول الالات الزراعية فيها بين الاشجار ويربك أعمال الخدمة وعناية الاشجار .

ب ـ الافات والامراض : تتعرض الحمضيات للاصابة بحشرات وامراض كثيرة أهمها العفن الصمغي البني وعنكبوت صدأ الحمضيات والعنكبوت الاحمر وذبابة البحر الابيض المتوسط(١) وكل هذا يؤدي إلى خفض كمية الانتاج ونوعيته ، وبالرغم من معرفة المزارعين لذلك الا ان بعضهم لايقوم بأعمال مكافحة هذه الآفات والامراض حتى يتحاشوا تكاليف أسعار المبيدات الكيماوية وأجور العمال المرتفعة ، وبذلك يفسح المجال لهذه الافات والامراض أن تفتك بثمار هذه المزارع ، ليس هذا فحسب وانما تشكل هذه

(١) وزارة الزراعة ، البحث العلمي والارشاد الزراعي « الوقاية » ، نشرة شهرية ، العدد ٥٠ ، رام الله ، آب ١٩٧٣م .

المزارع ملاجىء لهذه الافات والامراض حيث تقوم بعد حين بمهاجمة المزارع المجاورة التي قام اصحابها باعمال المكافحة . ولهذا فان اعمال المكافحة هذه يجب ان تتم بصورة جماعية .

جـ - طرق الري المستعملة : باستثناء بعض المزارع التي بدأت في السنوات الاخيرة بتطبيق طرق الري بالرشاشات ، فان معظم طرق ري الحمضيات المستعملة في الضفة الغربية تعد من انواع الري السطحي وذلك بالتطويق الحلقي أو الكأسي حول سيقان الاشجار . وكلتا الطريقتين سواء الحلقي أو الكأسي تسيئان كثيراً إلى نمو المجموعة الجذرية والى نظام تهوية التربة ، ومن ناحية أخرى ان طريقة الري بالتطويق الكأسي يؤدي إلى انتقال مرض التصمغ من شجرة إلى اخرى وذلك عن طريق الفطر الذي يسببه والذي ينتقل عن طريق مياه الري .

الاستنتاجات والمقترحات

وهكذا يمكن ملاحظة ان المشاكل الاساسية التي تواجه القطاع الزراعي ليست بكيفية تنميته وتطويره رأسياً (زيادة الانتاج عن طريق تحسين عوامل ووسائل الانتاج في نفس الوحدة الزراعية) ولا بكيفية تنميته أفقياً (زيادة الانتاج عن طريق ادخال مساحات جديدة من الاراضي في حيز الزراعة) فحسب وإنما المشاكل الاساسية الناجمة عن سياسة اسرائيل المستمرة في فرض القيود والاجراءات التي تحد من امكانية تطوير القطاع الزراعي ، فالامعان في المصادرة والاستيلاء على الاراضي والمياه وتسخير القوى العاملة لصالحها لايهدد الزراعة وحدها وانما يهدد مجمل الحياة الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني في الاراضي المحتلة .

ومن خلال تحليل المشاكل والصعوبات يمكن ملاحظة ان نتائجها تصب في قناة واحدة مشتركة وهو ترك المزارعون لاراضيهم والبحث عن أعمال جديدة تحقق لهم دخلا يكفي لاعالتهم وأسرهم سواء كان ذلك العمل في اسرائيل أو الاردن . وفي ذلك خطورة كبيرة بسبب تفريغ الضفة الغربية من سكانها حيث تقع الاراضي فريسة دسمة لاقتناص اسرائيل التي تقوم بتوطين مهاجرين يهود جدد وهي سياستها المرسومة .

ولاشك أن وضع أي علاج لهذه المشاكل لابد ان يكون بالكيفية والوسيلة التي توقف ترك المزارعين لاراضيهم ، ولا يتأتي هذا الا برفع قيمة الدخل من مزارعهم الي حد يسمح باعالتهم وأسرهم . ولتحقيق ذلك يمكن التوصية باتخاذ الاجراءات التالية :

١ ـ الدعم المادي :

لابد من الدعم المادي والذي سيحمل بين ثناياه دعما معنوياً لمزارعي الضفة الغربية ، والهدف من هذا الدعم هو مساعدة المزارعين على أعباء التكاليف والنفقات التي يعانون منها ، أما وجهات هذا الدعم فتكون في المجالات التالية :

(أ) مساعدة المزارعين لشراء عناصر الانتاج كالاسمدة والمبيدات والبذور . . الخ .
(ب) تحسين الاجهزة الادارية الزراعية : وذلك بزيادة الكوادر الفنية فيها في كافة مجالات التخصص ، وتدعيم هذه الاجهزة بالالات الزراعية كالجرارات والمحاريث وآلات الرش الميكانيكية . . . الخ .
(ج) تحسين طرق المواصلات وخصوصاً الطرق الزراعية حتى يسهل نقل

عناصر الانتاج الى المزارع وكذلك لتسهيل نقل المنتوجات الزراعية من المزارع إلى أسواق الاستهلاك ، ومن ناحية اخرى لتسهيل ادخال الميكنة الزراعية الى هذه المزارع .

(د) صيانة الآبار الارتوازية بشراء قطع الغيار والزيوت والوقود وغيرها وذلك لرفع قدرة ضخ هذه الابار لتستطيع تزويد المزارع بكميات مياه الري المطلوبة وعدم الاستسلام بمنافسة آبار المستوطنات الاسرائيلية التي يبلغ معدل قدرة ضخها ٨ أضعاف الآبار العربية كما سبق ذكره . وتعتبر عملية صيانة الآبار هذه من انجح الاجراءات التي يمكن اتخاذها في ظل الظروف السياسية السائدة لان اسرائيل تمنع حفر آبار جديدة كما سبق ذكره . ومن ناحية اخرى فان اتخاذ هذه الخطوة سيكون مشجعا للبدأ في تحقيق النقطة (هـ) أدناه .

(هـ) دعم وتشجيع استصلاح أراضي جديدة وادخالها في حيز الزراعة ، وبالرغم من احتياجاتها في بادىء الأمر الى رؤوس أموال مرتفعة نسبياً لأنها تتطلب تنظيف الاراضي وتسويتها وشق قنوات الري وطرق مواصلات . . . الخ . لكنها خطوة ضرورية للحد من احتيال اسرائيل على مصادرة اراضي الضفة الغربية تحت ستار القوانين التي تسنها وتبدلها مثلما يحلو لأطماعها .

(و) دعم المشاريع الصناعية الحالية التي تمر في مراحل الافلاس وتقيل عمالها ، وذلك باقامة مشاريع صناعية تقوم على المنتوجات الزراعية مثل تعليب الخضروات وزيت الزيتون ومصنع عصير الحمضيات . . . . الخ . ولاشك ان هذه سيعطي حافزا للمزارعين ، ومن ناحية أخرى ستمتص هذه المشاريع قسما من الايدي العاملة والفنية .

٢ ـ فتح الاسواق العربية :

ان اجراءات الدعم المادي الموصى باتخاذها اعلاه سوف تكون عديمة الفائدة اذا لم تجد المنتوجات الزراعية أسواقاً تصرف فيها ، حيث أن دخل المزارعين المنشود سيتوقف على ناتج بيع هذه المحاصيل الزراعية .

ان كميات المنتوجات الزراعية التي يسمح بتصديرها من الضفة الغربية الى الاردن محدودة كما ذكر سابقا . والحقيقة ان اجراءات التقيد هذه غير ضرورية لأنها لاتؤدي الا الى تضيق الطرق على المزارع وتثبيط طموحه ونشاطه ، وهناك وسائل عديدة للتأكد من ان مصدر هذه المنتوجات من الضفة الغربية وانها ليست من اسرائيل .

فلذلك لابد من رفع القيود المفروضة على منتوجات الضفة الغربية وفتح الاسواق العربية أمامها وعدم تركها لمنافسة المنتوجات الزراعية الاسرائيلية التي تتفوق عليها بالجودة وقلة التكلفة ، ولابد من توفير هذه الحماية لأهم دعائم اقتصاد الضفة الغربية حيث أن المسألة مرهونة بانقاذ شعب ووطن .

ومن ناحية اخرى لابد من حملات توعية شاملة وارشاد زراعي عام لاظهار أهمية العمل الزراعي ولايضاح المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تنجم عن هجر الاراضي ، كما يجب حث وتشجيع العمل الجماعي حيث ان مشكلة مصنع تشميع الحمضيات السابق الذكر تدل على عدم وعي وادراك المزارعين لذلك .

وفي غياب السلطة الوطنية في الضفة الغربية فان المسئولية تقع على المجالس البلدية والقروية وممثلي دوائر الزراعة والصناعة والغرف التجارية للاشراف

المـراجع العربيـــة

الكتـــب :

١ ـ جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، « الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣م » ، معهد البحوث والدراسات العربية ، الجزء الثاني ، ١٩٧٥م .

٢ ـ د . حسن الخياط ، « الوطن العربي ـ دراسة في السكان والارض والغذاء » مستخرج من حولية كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، جامعة قطر ، العدد الثاني ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م .

٣ ـ حسين أبو النمل ، « الضفة والقطاع بين الدمج والالحاق » ، بيروت ، شباط ١٩٧٨

٤ ـ سميه فرحات ، « زيتون فلسطين ومشكلاته » ، مكتب الوثائق والابحاث ، جامعة بيرزيت ، رام الله (بدون تاريخ) .

٥ ـ د . عادل حسن غنيم ، « القوى الاجتماعية في فلسطين فيما بين الحربين العالميتين » ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٦ ـ عادل سماره ، « اقتصاديات الجوع في الضفة والقطاع » ، منشورات دار المفتاح الضفة الغربية ، ١٩٧٩م .

٧ ـ عبد الرحمن أبو عرفة ، « الاستيطان ـ التطبيق العملي للصهيونية » ، القدس ، ١٩٨٠م .

٨ ـ على خليل حمد وآخرون (المترجمون) ، « دور العمال الفلسطينيين في الاقتصاد الاسرائيلي » ، منشورات المكتب الفلسطيني للخدمات الصحفية ، القدس ١٩٨٠ ، (كتاب مترجم) .

٩ ـ عنان العامري ، « التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠م » ، بحث احصائي ، القدس ، ١٩٨٠م .
١٠ ـ عيسى عبد الحميد ، « ست سنوات من سياسة الجسور المفتوحة » ، مركز البحوث لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣م .
١١ ـ د . محمود ابو العلا ، « جغرافية العالم الاسلامي ، جامعة الكويت ، الكويت ، ١٩٨٠م .
١٢ ـ د . هشام قطنا ، « انتاج الفواكه وتخزينها » ، دمشق ، ١٩٧١م .

المراجع الأجنبية :

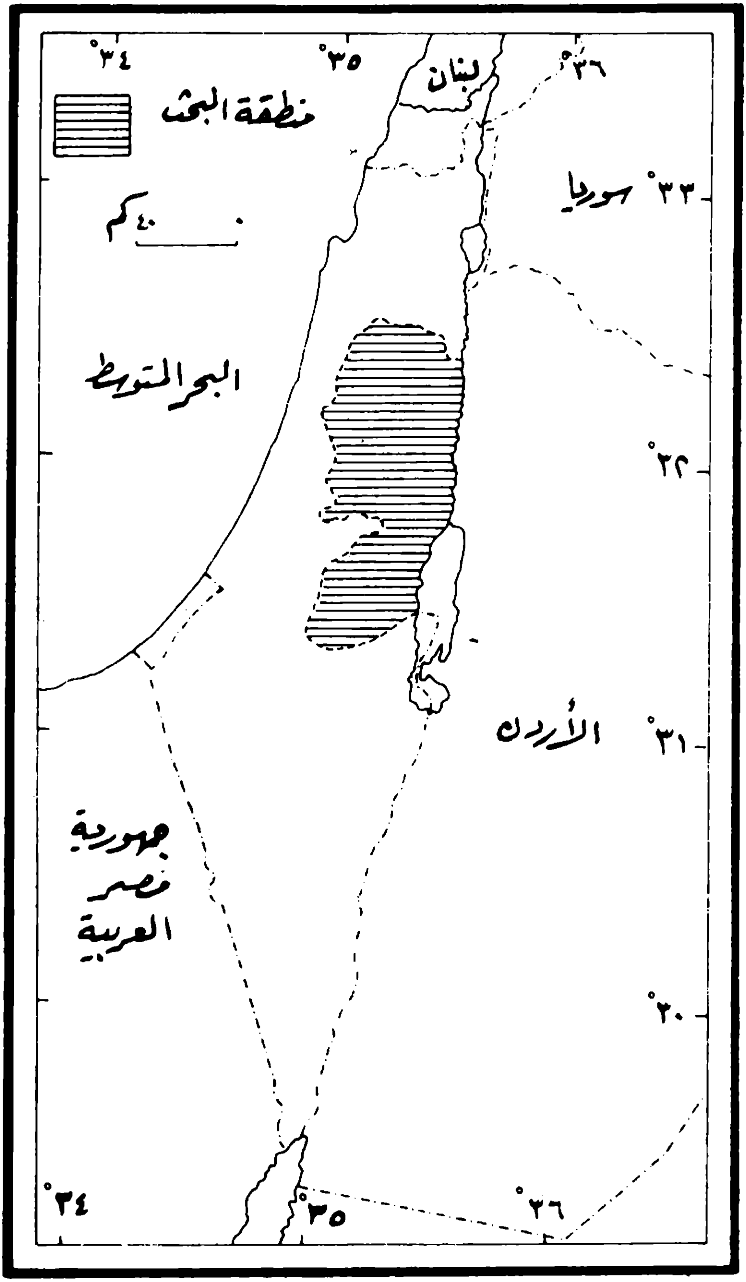
1. Centrad Bureau of statistics, Statistical Abstract of Israel, No. 23, Jerusalem, 1972.

2. Dajani, sh., short Outline on Agriculture in the West Bank. Bern, 1970.

النشـــرات ، التقارير ، المجلات :

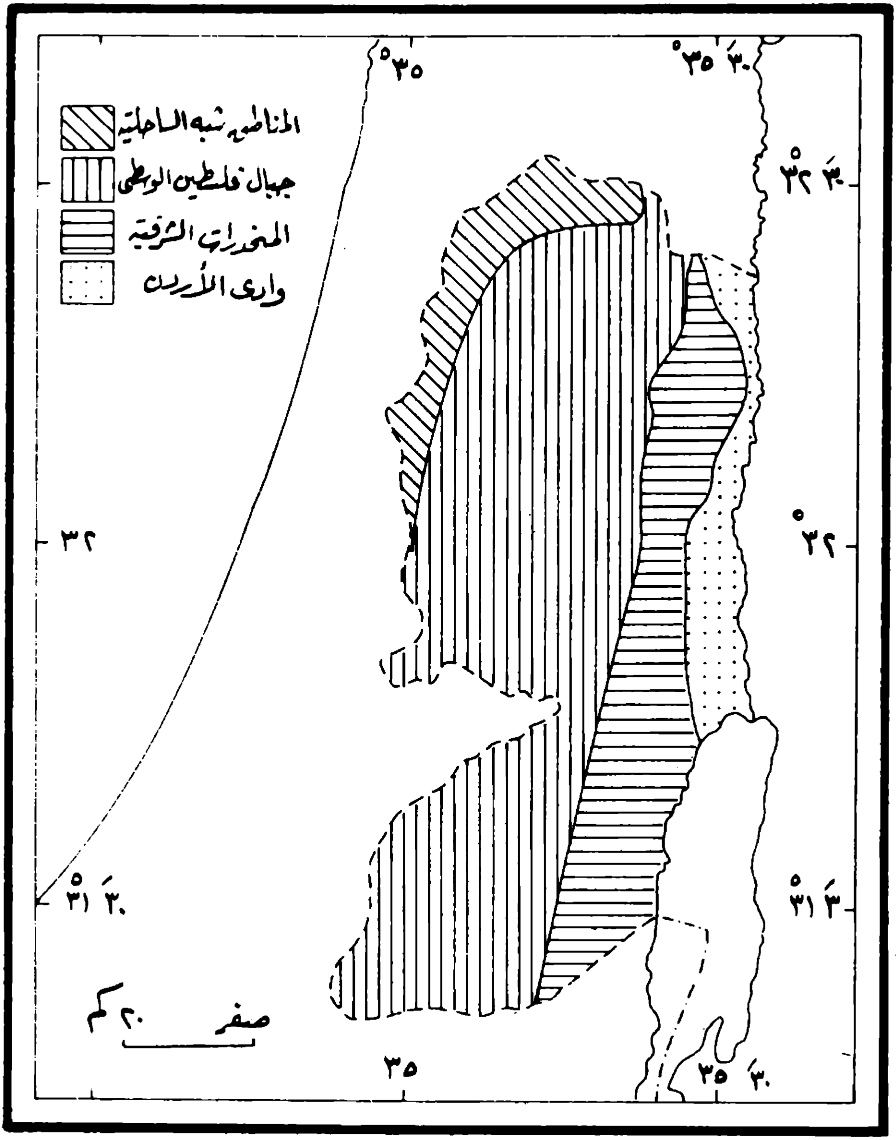
١ ـ الاردن ، النشرة الاحصائية السنوية ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ١٩٥٧م .
٢ ـ كليمانس سوداح ، من امراض الحمضيات ـ مقالة في مجلة « المهندس الزراعي » ، نقابة المهندسين الزراعيين ، العدد ١٦ تشرين أول ١٩٨٢م .
٣ ـ موشيه ليفي ، تقرير رئيس شعبة التخطيط ـ مكتب ضابط الزراعة بالمناطق المحتلة ، عام ١٩٧٦م .
٤ ـ وزراة الرزاعة ـ البحث العلمي والارشاد الزراعي ، « الوقاية » نشرة شهرية ، العدد ٥٠ ، رام الله ، آب ١٩٧٣م .
٥ ـ مؤسسة صامد ، صامد الاقتصادي ـ مجلة شهرية ، السنة الخامسة ، العدد ٤٤ ، تموز (آب) ، عمان ، ١٩٧٣م .

خارطة رقم (١)



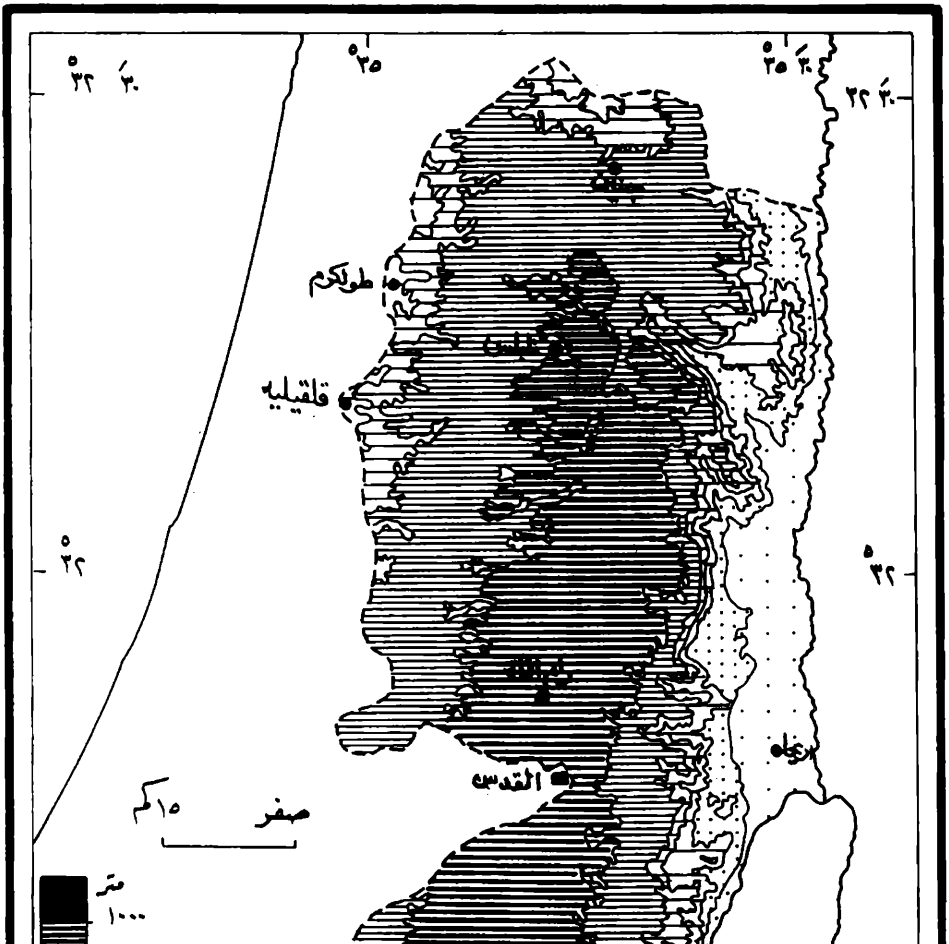
الضفة الغربية - منطقة البحث

خارطة رقم (٢)



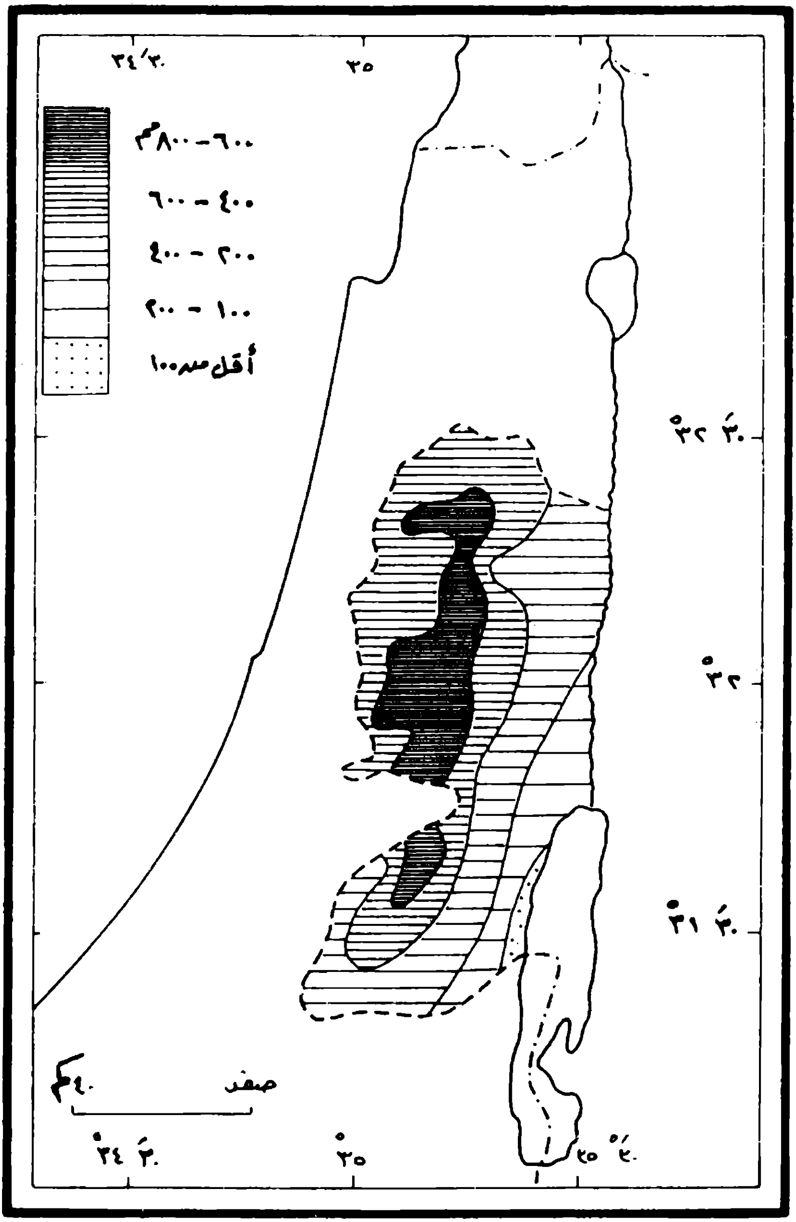
الأقـــاليم الزراعيـــة

خارطة رقم (٣)



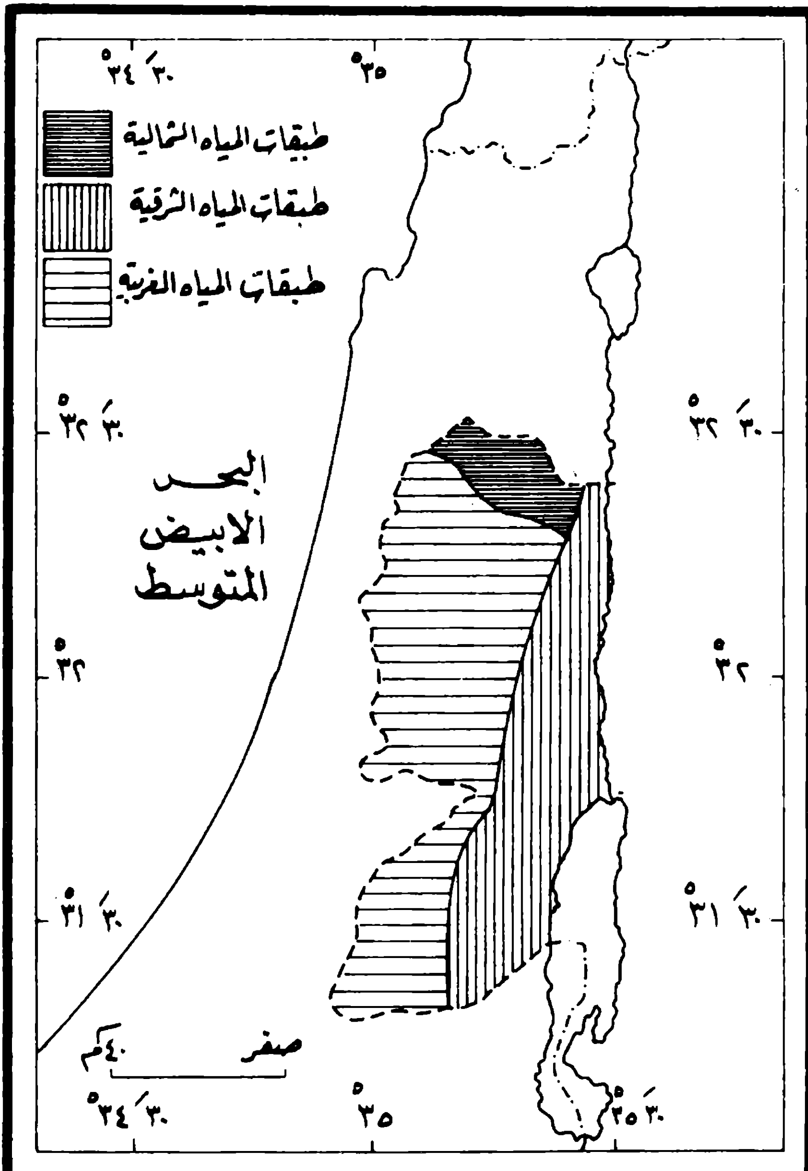
التضاريس

خارطة رقم «٤»



توزيع الأمطار

خارطة رقم (٥)



طبقات المياه الجوفيـــة

الخط العربي

تطوّره، مشكلاته، محاولات إصلاحه

الدكتور عبد الحسين المبارك
أستاذ مساعد كلية التربية
جامعة البصرة

أصـــل الخـــط العربي :

اختلف المؤرخون من عرب ومستشرقين في أصل الخط العربي ومنشئه اختلافاً كبيراً وظهرت من خلال البحث والتحري آراء متناقضة لعل مردها إلى قلة النصوص المكتوبة التي وصلت إلينا لتكون دليلاً مؤكداً أصل هذا الخط وعائديته .

إن في القرآن الكريم إشارات إلى معرفة العرب القراءة والكتابة ، ففي قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلها ﴾[3] ، دليل على تلك المعرفة ، وان اللغات كلها توقيفية من الله سبحانه وتعالى ، وتبعاً لهذا يكون الخط توقيفياً كذلك .

---

(١) سورة العلق ـ الآيات ١ ـ ٤ .

(٢) سورة القلم ـ الآية الأولى .

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٣١ .

ويكون آدم عليه السـلام حسب هذا المعتقد أول من خط بالقلم من البشر ، ولكن لا يُدرَى ما نوع ذلك الخط الذي خطه ، ولا متى ؟ ولا أي لغة كتب بها ؟ غير أنه جاء في الفهرسـت[4] : « إن أول من وضع الكتابة العربية والفارسية والسريانية والعبرية وغيرها من الكتابات آدم عليه السلام ، وضع ذلك قبل موته بثلثمائة سنة ، وكتبه في الطين وطبخه ، فلما أصاب الأرض الطوفان سلم فوجد كل قوم كتابتهم فكتبوا بها »[5] .

وبقيت الكتابة العربية إلى أن خص الله بها إسماعيل فأصابها وتعلمها . . إن ما وصل إلينا من خيوط المعرفة عن الكتابات الجاهلية ، ونوع أبجديتها ، والأقلام التي خطت بها كلها ترجع إلى قلمين هما :

القلم المسند الذي دونت به الكتابات المعينية ، والسبئية ، والحميرية ، والقتبانية ، والأوسانية ، وكلها لهجات جنوبية .

والقلم المشـتق من الخط الارمي المتأخر . وهو خط النبط ، وبهذا القلم كتبت النصوص الخمسة التي هي أقرب الكتابات الجاهلية لهجة إلى لهجة القرآن الكريم . أما النصوص الثمودية ، والصفوية ، واللحيانية ، فإنها مدونة بقلم مشتق من القلم المسند ، ولذلك فهي من تلك الدوحة ومن ذلك الأصل .

والذي نعرفه عن القلم المسند أنه أقدم عهداً من القلم الثاني ، ويتكون القلم المسند من تسعة وعشرين حرفاً كلها صامته « وهي في نظر علماء الساميات الفرع الجنوبي للخطوط السامية »[6] .

---

(٤) الفهرست ٧ وأدب الكتاب للصولي ٢٨ .

(٥) أدب الكتاب للصولي ٢٨ .

(٦) تاريخ العرب القديم ـ د . جواد علي ٣٦/٧ وما بعدها .

أما التحديد التاريخي لوقت ظهور الكتابة وانتشارها عند العرب فلم تعطنا الروايات التاريخية صورة عن تطورها أو الأصل الذي وقفت عنده ، والتاريخ لا يسعفنا بالدليل المادي المجمع عليه بتعيين ذلك الوقت ، غير أننا نعرف عن العرب في العصور السابقة للإسلام ـ وكما أشرنا إليه من قبل ـ أنهم كانوا «يكتبون» وهذا دليل على رقيهم الحضاري ، وشواهدنا على ذلك ما ورد في شعرهم ، فقد ورد في شعر حاتم الطائي قوله :

أتعـرف أطْـلالاً ونُؤيـاً مُهَـدَّمـا　　كَخَطِّكَ في رِقٍّ كتاباً مُنَمْنَماً[٧]

وقـــول عبيـد بن الأبرص :

لِمَن الـدارُ اقفـرتْ بـالجنـابِ　　غيـر نؤيٍ ودمنـةٍ كـالكتـاب

غيَّـرتْهـا الصبـا ونفـحُ جَنـوبٍ　　وشمـالٍ تـذرو دِقـاقَ التـراب[٨]

وقولـــــه كذلك :

لِمَنْ دِمنَـةٌ اقوت بِحَـرَّة ضَرْغَـدِ　　تلوحُ كعنوان الكتابِ المجدّدِ[٩]

وقـــول عنتـرة :

أَلا يـا دارَ عـبلَةَ بـالـطَّوِيِّ　　كرجع الوَشْمِ في رُسُغِ الهدِيِّ

كَوَحْيِ صَحائفٍ من عهد كسرىٰ　　فـأهـداهـا لأعجمَ طُمْـطُميّ[١٠]

وقـــول لبيد بن ربيعة العامري :

وَجَلا السيول عَنِ الطلولِ كَأنَّها　　زُبُـرٌ تجـد متـونَهـا قَـلامُهـا[١١]

---

(٧) ديوان حاتم الطائي ٢٣٣ .

(٨) ديوان عبيد ٤١ .

(٩) المصدر نفسه ٦٥ .

(١٠) ديوان عنترة ٢٦٨ .

(١١) ديوان لبيـد ١٥١ .

وقـــول المرقش الأكبـــــر :

الـــدَّار قَفْـــرٌ والـــرســـومُ كَمـــا رَقَّشَ في ظَهْـــرِ الأديـــم قَلَمْ[١٢]

« فمما لا شك فيه أن عرب الجاهلية عرفوا الكتابة والقراءة ، وألموا بكثير من ثقافات الأمم المجاورة ولكن تاريخ هذه الكتابة ، أو بعبارة أخرى الأصل الذي انحدر منه الخط العربي لا يزال يكتنفه[١٣] كثير من الغموض على الرغم من تلك النقوش التي اكتشفت في أماكن عديدة من أنحاء الجزيرة العربية .

كما لا تفصح الإشارات التي تدل على استعمالهم الكتابة عن الأصول الأولى للخط العربي ، وإن أقر العلماء أن القلم المسند هو قلم العرب الأول .

أما مادة الكتابة فقد كانت المعادن والأحجار والصخور والخشب عند العرب الجنوبيين . يقول الدكتور جواد علي[١٤] ، « ولم أسمع أن أحداً من الاثاريين حتى الآن عثر على كتابات بالمسند مدونة بالحبر على القراطيس والجلود والرق على نحو ما كان يفعله المصريون وغيرهم . . . ومرد السبب في عدم وصول شيء من الكتابات المدونة على تلك المواد إلى قابلية هذه المواد للتلف ، وحاجتها إلى العناية الشديدة » . .

غير أن ما وصل إلينا من الشواهد الشعرية يثبت معرفتهم الكتابة ـ كما مرّ ـ وكقول عبد الله بن عَنَمة الضبِّي :

فلمـا رأيتُ الدَّارَ قَفْـراً سألْتُهـا فَعَيَّ علينـا نؤيُهـا ورمـادُهـا[١٥]

فـلم يبـقَ إلاَّ دمنـــةٌ ومنـــازلٌ كما ردّ فى خط الدواةِ مـدادُها

(١٢) المفضليات ٢/٣٧ ط دار المعارف .

(٢٣) السمات الحضارية في شعر الأعشى ٣٠٠ .

(١٤) تاريخ العرب القديم ٧/٥٣ .

(١٥) الأصمعيـــات ٢٢٦ .

وكقـــــول سلامـــة بن جنـــدل :

لِمَنْ طَلَلٌ مثـلُ الكتابِ المُنَمَّقِ خلا عهدُهُ بينَ الصُّلَيْبِ فَمُطْرِقِ
أَكَبَّ عَلَيْـهِ كـاتـبٌ بِـدَواتِـهِ وحادثة في العَيْنِ جِدَّةُ مُهْرَقِ[١٦]

وقـــول ثعلبة بن عمرو العبدي :

أَكَبَّ عليهـا كـاتبٌ بـدواتِـهِ يُقيمُ يـديـهِ تـارةً ويُخـالفُ[١٧]

وقد اشتق من الخط المسند كل من خط : الثمودي ، واللحياني ، والصفوي ـ كما ذكرنا من قبل ـ بدليل ما وجد منه في الكتابات الثمودية واللحيانية والصفوية في المناطق التي كانت تحت حكم السبئيين والمعينيين .

وقد عدل أهل أعالي الحجاز في الخط المسند ولم ينقلوه نقلاً تاماً ، ولهذا قسم كاسكل (Werner Kaskel) كتابات القلم اللحياني إلى قسمين ، كتابات لحيانية متقدمة ، وكتابات لحيانية متأخرة[١٨] .

« والبحث في أصل المسند مثله في أصل الخط لا يزال موضع جدل بين العلماء الباحثين في العربيات الجنوبية ، فمنهم من يرجع أصله إلى الخط الفينيقي ، ومنهم من يرجعه إلى كتابات سيناء حيث عثر فيها على كتابات قديمة جداً يعدها الباحثون أقدم عهداً من الكتابات العربية الجنوبية ، وقد وجد بين بعض حروف هذه الكتابات وحروف المسند شبه جعلهم يذهبون إلى اشتقاق المسند من خطوط سيناء ، ومنهم من يذهب إلى اشتقاق المسند من الخط الكنعاني للتشابه بين بعض حروف الخطين »[١٩] .

إن التاريخ يحدثنا عن القبائل التي كانت تسكن اليمن وبقية أنحاء الجزيرة

(١٦) ديوان سلامة بن جندل ١٥٥ ـ ١٥٦ .
(١٧) المفضليـــات ٢٨١ .
(١٨) تاريخ العرب القديم ٥٤/٧ .
(١٩) المصدر نفسه ٥٥/٧ .

العربية . ولكن لا توجد أدلة تجزم بأصل الخط أو الوقت الذي تفرقت فيه القبائل في مناطق وجودها الجديدة وحملت معها كتاباتها وأثرت في مناطق سكانها ، لاختلاف العلماء في حل رموز نقوشها التي وجدت حيث لم يفلحوا في الوصول إلى نتائج حاسمة لكونها « أجزاء من نقوش لا نقوش كاملة ، وجل كلماتها واصطلاحاتها في غاية الإبهام »[٢٠] .

غير أن تلك الكتابات عربية حيث يوجد فيها حرف الذال والضاد والثاء والغين كما يوجد فيها افعل التفضيل وعلامة التنبيه التي هي من الخصائص البارزة للغة العربية[٢١] .

إن ما يقره الواقع أن الخط النبطي جاء في أعقاب الخط المسند حيث انصرف العرب عنه ومالوا إلى القلم النبطي الذي كان أسهل في الكتابة من المسند ، ونحن نعلم أن اليهودية والنصرانية كانتا منتشرتين في الجزيرة العربية وقد عدتا من « جملة العوامل التي ساعدت على انتشار هذا الخط بين العرب »[٢٢] .

وفيما يلي نجمل القول عن الروايات المختلفة التي تحدثت عن نشأة الخط العربي استناداً إلى ما أورده الدكتور جواد علي منها[٢٣] :

١ ـ كان منشأ الخط في اليمن ، ومنها انتقل إلى العراق حيث تعلمه أهل الحيرة ، ومنها إلى الأنبار ، ومنها إلى الحجاز ، وهو الخط المسند الذي أخذته قريش وأهل الطائف عن الحيرة .

---

(٢٠) تاريخ اللغات السامية ١٧٧ .

(٢١) المصدر نفســه .

(٢٢) تاريخ العرب القديم ٥٥/٧ .

(٢٣) المصدر نفسه ٥٦/٧ ـ ٧٠ .

٢ ـ ان الخط الذي دون به القرآن الكريم هو القلم المعروف بـ «الجزم» سمي بذلك لأن مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، وهم من طيء من «بولان» سكنوا الأنبار واجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة ، فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الإعجام ، وقد تعلمه أهل الكوفة[٢٤] وترجع هذه الرواية كالرواية السابقة أصل خط العرب في العراق إلى المسند ، ثم ترجع علم أهل الحجاز بالخط إلى أهل العراق .

٣ ـ وأرجع بعض العلماء علم أهل مكة بالخط إلى اياد من أهل العراق ، قالوا : إنهم كانوا يكتبون ، ورووا في ذلك شعراً نسبوه إلى أميَّة بن أبي الصلت ، منه :

قومٌ لهم ساحةُ العراقِ إذا ساروا جميعاً والخَطُّ والقَلَمُ

٤ ـ أول من وضع الكتاب العربي إسماعيل ، وضعه على لفظه ، ومنطقه موصولاً حتى فرق بينه ولده هميسع وقيذر[٢٥] .

٥ ـ أول من وضع الكتاب نفيس ونضر ، وتيماء ، ودوحة ، هؤلاء ولد إسماعيل ، وضعوه مفصلاً وفرقه قادور بن هميسع بن قادور .

٦ ـ أول من وضع الخط العربي أبجد ، وهوَّز ، وحطي ، وكلمن ، وسعفص ، وقرشت ، وهم في رأي الإخباريين قوم من الجبله الاخرة ، وقيل إنهم بنو المحصن بن جندل بن يصعب بن مدين ، وكانوا نزولاً في عدنان بن أد ؟ فكان « أبجد » ملك مكة ، وما يليها من الحجاز

(٢٤) الفهرست ٧ ومقدمة ابن خلدون ٤٦٨ .

(٢٥) الفهرست ٧ .

و « كلمن » و « سعفص » و « قرشت » ملوكاً بمدين ، وقيل ببلاد مضر ، فوضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفاً ليست من أسمائهم ؟ وهي الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين ، فسموها الروادف ، فترجع هذه الرواية أصل الخط إلى جماعة من أهل مدين أي إلى شمال الحجاز ، لا العراق .

٧ - وهناك من روى أن النفر الثلاثة من طي ، وهم : مرامر ، وأسلم ، وعامر . إنما وضعوا الخط في العربية قياساً على هجاء السريانية ، وهذه النظرية هي أقرب آراء أهل الأخبار إلى رأي أغلب المستشرقين .

٨ - كانت الكتابة قليلة في الأوس والخزرج قبل الإسلام ، وقد دخلت بينهم من اليهود ، وكان يهودي من يهود مكة قد علمها ، فكان يعلمها الصبيان فجاء الإسلام ، وفيهم بضعة عشر يكتبون منهم : سعيد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأُبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن مالك . . . وغيرهم ، وكان زيد يكتب الكتاب بالعربية ، وبالعبرية أو السريانية ، وكان يقرأ على النبي ﷺ كتب يهودٍ ويجيبهم عنه .

٩ - كان الخط العربي من عمل ثلاثة نفر من طيء من بولان وهي قبيلة سكنت الأنبار ، وهم : مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة . اجتمعوا فوضعوا الخط ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه منهم قوم من أها الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أها الأنبار وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم منها الحين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ،

---

(٢٦) الفهرست ٧ وصبح الأعشى ١٥١/٣١ .

ثم أتى إلى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة من كلاب يكتب فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ، ثم أراهما الخط فكتبا . . ومجمل هذه الآراء أن أهل الخط من العراق ، من الحيرة أو الأنبار ، ابتكره رجال من العرب أو وضعوه قياساً على أبجدية السريان ، ومن ثم انتقل إلى الحجاز في عهد لم يكن بعيداً عن الإسلام . غير أن الدكتور جواد علي يقول(٢٧) :

« واشتقاق الخط الحيري أو خط أهل الأنبار من القلم المسند قضية لا يمكن الأخذ بها ، فبين الخطين تفاوت كبير في الشكل ، وهو تفاوت ينفي وجود صلة بينهما ، ويثبت على العكس أن ذلك الخط من الخطوط التي اشتقت من أقلام الشمال أي من الأقلام التي كانت شائعة في العراق وفي بلاد الشام » .

إن الكتابات القديمة التي وصلت إلينا في بلاد الشام توضح أنها كانت مأخوذة من قلم بني ارم ـ وهي متأثرة بالثقافة النبطية ، وأقدم نص يعود إلى ٢٥٠ للميلاد في موضع يدعى أم الجمال ، ونقش آخر هو نقش النمارة ويرجع تاريخه إلى ٣٢٨ للميلاد ، ونقش زيد ويعود تاريخه إلى ٥١٢ للميلاد ، ثم كتابة حران وتاريخها ٥٦٨ للميلاد .

وعن طريق المقارنة بين هذه الخطوط ودراستها أمكن التوصل إلى معرفة تطور الخط العربي واشتقاقه من الخط النبطي .

وخلاصة تلك المقولات تعطي تفسيراً « واضحاً » وبخاصة كتابة أم الجمال الأولى أن العرب كانوا يستعملون لغة النبط ، في كتابتهم ، والنص الثاني أي نقش النمارة هو نقش عربي نبطي ، أما نقش حرَّان فهو النص

---

(٢٧) تاريخ العرب القديم ٦١/٧ .

الوحيد الذي تحرر من لغة النبط وكتب بلغة عربية شمالية قريبة من اللغة التي أنزل فيها القرآن أي لغة القرن الأول الهجري .

ومن النتائج التي يخلص إليها البحث في هذا الموضوع يتضح مقدار الشبه ودرجة القربى بين الأبجديات السامية المختلفة ، وبالتالي فإنها تعود إلى أبجدية واحدة اعتمدتها جميع الشعوب السامية ، غير أن تقادم العهد وابتعاد تلك الشعوب بعضها عن بعض في الفترات التاريخية أدىٰ إلى ذلك الاختلاف في الأبجديات .

وبالرغم من المتناقضات في الآراء في الربط بين الخط العربي والخط السرياني(٢٨) ، أو الخط العربي والمسند ، فإننا نرىٰ أن شكل الخط العربي ، وتركيب الكلمة العربية تختلف اختلافاً كبيراً عن الحرف المسند الحميري أو فروعه التي عرفت عند الثموديين والصفويين واللحيانيين(٢٩) .

أما عن اتصال الحيرة بمكة وبقية مدن الحجاز فأمر بعيد بعد الحيرة عن مكة غير أن ما يمكن الاطمئنان إليه هو التقدم الحضاري في الحيرة إذا علمنا أن أهلها كانوا يدينون بالنصرانية ويكتبون بالسريانية أو بما سمي الخط الحيري ، فلو انتقلت الكتابة من الحيرة لانتقلت السريانية أو ما يقابلها . . . ولا بد في مثل هذه الأمور الحضارية من اتصال مباشر ودائم ، ولم يكن الأمر كذلك بين مكة والحيرة(٣٠) .

إن الدراسات المقارنة توصلت إلى أن الخط العربي هو شكل من أشكال الخط النبطي فعنه أخذ صوره ، ومنه تطور .

---

(٢٨) ينظر بشأن ذلك فتوح البلدان ٥٧٩/٣ ، وأصل الخط العربي ـ يحيى نامي ٤ ـ وأصل الخط العربي ـ سهيلة الجبوري ٢٦ ـ ٢٧ .

(٢٩) نشأة الخط العربي قبل الإسلام د . صلاح الدين المنجد ١٢ .

(٣٠) المصـــدر نفســه .

لقد قيل الكثير عن جهل العرب أمور الكتابة ، وبخاصة قبل الإسلام ، حيث كانوا أمة بدوية حسبما جاء في الروايات التاريخية ، غير أن هذه الحالة لا تعني أن جميع العرب كانت حياتهم بعيدة عن التحضر والاستقرار ، فقد كان في الحجاز من عرف الكتابة واتصل بالأمم المحيطة بهم من الذين خلفوا نقوشاً كتابية كثيرة ، فالأنباط الذين هم بالأصل عرب الشمال كتبوا بالخط النبطي ، وحمير باليمن كتبوا بالخط المسند[٣١] . وهذان الخطان في نظر المؤرخين أصل الخط العربي لا سيما الخط النبطي الذي أيّدته النقوش ، وأكدته الآراء غير أننا لا نبعد آراء المستشرقين الذين رجح بعضهم نشأة الخط العربي من الخط المصري القديم المعروف بالهيروغليفي ، كما أرجعه بعضهم إلى الخط العربي البابلي ، ومنهم من توصل إلى أصل الحروف الهجائية من طور سيناء . ومنه تفرعت بقية الخطوط .

« ولم يعثر حتى الآن على نصوص جاهلية تعين العلماء على معرفة تطور الخط العربي قبل الإسلام ، وكل ما هنالك أنهم يقومـون بملاحـظة خطوط الأبجديات وتركيبها بغية التوصل إلى نتائج أقرب إلى الأسلوب العلمي ، ومن ذلك ملاحظتهم أن العرب في صدر الإسلام كانوا يعلمون أولادهم الكتابة على طريقة : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، والتي كان يتبعها السريان واليهود ، كما استدل العلماء على أن الخط العربي الشمالي مأخوذ من بني ارم ، وذلك بتعبير الكتاب عن الأرقام بالحروف . . . »[٣٢] .

وهكذا تتوزع الآراء والاجتهادات في نشأة الخط العربي غير أنها تقف عند حد تجعل معه حلقة مفقودة من سلسلة التطور لهذا الخط قبيل الإسلام مما

---

(٣١) انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي ـ عبد الفتاح عبادة ٧ .

(٣٢) السمات الحضارية في شعر الأعشى ٣٠٦ .

يجعلنا نذهب إلى القول : إن الخط العربي بدء يتضح شيئاً فشيئاً ليكون السمات العربية البعيدة عن الخط النبطي كالذي وجدناه في نقش النمارة ، وحرّان .

إن تعدد تلك النقوش واختلاف كتابها-لا يعني أن أصلها وأصولها مختلفة « فالظواهر اللغوية التي تتفق فيها كل اللغات السامية لا بد أنها موروثة في كل هذه اللغات المختلفة عن أصل واحد مشترك ، وهذا الأصل الواحد المشترك هو تلك اللغة التي وجدت في جزيرة العرب قبل هجرة الجماعات السامية التي عرفت في العراق فيما بعد باسم الاكاديين ، أي أن هذه الخصائص المشتركة ترجع إلى ما قبل ٢٥٠٠ق.م . ومعنى هذا أنه إذا اتفقت كلمتان أو صيغتان صرفيتان في العربية والاكادية فهذا يعني بالضرورة أن اللغتين الاكادية والعربية قد ورثتا هذا الشيء المشترك عن اللغة السامية الأم »[٣٣] .

إن الحروف العربية الأولى التي تطورت عن الحروف الهجائية الأرامية دخلها تحوير جديد لم يكن موجوداً فيها من قبل ، فقد أضيف إليها حروف أسماها العرب « الروادف » وسلكوا في ترتيبها مسلكين هما : الترتيب أو التسلسل الأبجدي وهو :

أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ف ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت .

جمعتها ألفاظ ست هي : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

ثم أضيف إليها الحروف الخاصة بالعرب وهي : ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ . التي سميت الروادف ، ويجمعها لفظتان هما « ثخذ » و « ضظغ » .

---

(٣٣) اللغة العربية عبر القرون ٢٤

وسمي بالترتيب الأبجدي لبدئه بلفظة « أبجد » .

أما الترتيب الآخر فهو : أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي .

وعدد أحرفه ثمانية وعشرون حرفاً ، وهذا هو التسلسل الذي اعتمد التشابه في صور الحروف أساساً ، وقد استخدمه العرب ، بعد استخدام الاعجام .

الخط العربي بعد الإسلام :

ظهرت الحاجة إلى استعمال الخط بظهور الإسلام ، واحتياج المسلمين إليه في كتابة الوحي ، والرسائل التي كان يبعثها الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام ، وقد كان الرسول ﷺ محباً لتعليم الكتابة ، يظهر ذلك خلال طلبه إلى أسرى واقعة بدر أن يعلم كل كاتب منهم عشرة من صبية أهل المدينة . « وقد نهج أصحاب الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده هذا المنهج فكان أكثر النشء الذي نشأ في عهدهم يعرف الكتابة ، فخرج منه كتاب الدواوين وكتاب الرسائل ، وكتاب القرآن ، أما الخلفاء أنفسهم فكانوا يعرفون الكتابة وقد كتبوا للرسول ﷺ[٣٤] .

وقال محمد بن إسحاق[٣٥] : « أول الخطوط العربية الخط المكي ، وبعده المدني ، ثم الكوفي » .

أما أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط فخالد

---

(٣٤) انتشار الخط العربي في العالم الشرقي ، والعالم الغربي ١٢ .

(٣٥) الفهرست ٩ .

ابن أبي الهياج .. ومالك بن دينار ، وكان يكتب المصاحف بأجرة »[٣٦] .

واتخذ الرسول ﷺ كتَّاباً يكتبون رسائله إلى الملوك والأمراء « وقد بلغ عدد كتاب الرسول ﷺ اثنين وأربعين كاتباً ، وأول من كتب له أُبيّ بن أبي كعب ، وهو أول من كتب في آخر الكتاب ـ وكتب فلان . . . »[٣٧] .

ومن أشهر كتّاب الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعمرو بن العاص ، وزيد بن ثابت ، وشرحبيل بن حسنة ، وغيرهم .

وقد عثر على نصوص من رسائل الرسول ﷺ التي وجهها إلى بعض الملوك والأمراء منها رسالته إلى المنذر بن ساوي أمير البحرين ، وكتابه إلى المقوقس حاكم الاسكندرية والنجاشي ملك الحبشة »[٣٨] .

أما أقدم نص عربي إسلامي عثر عليه منقوشاً على حجر « فهو حجر كشف في مصر ومحفوظ الآن بدار الآثار العربية ، وتدل عباراته على أنه كان نصباً على قبر رجل يدعى عبد الرحمن بن خبر أو جبر أو جابر أو جبير الحجري أو الحجازي ويرجع تاريخه إلى سنة ٣١هـ . . . وهذا نصه :

١ ـ بسم الله الرحيم ، هذا القبر

٢ ـ لعبد الرحمن بن خبر الحجري ، اللهم اغفر له

٣ ـ وأدخله في رحمة منك ، وآتنا معه

٤ ـ استغفر له إذا قرء هذا الكتاب

٥ ـ وقل آمين وكتبه هذا

٦ ـ لكتب (الكتاب) في جمدى (جمادى)

---

(٣٦) المصـــدر نفسه ٩ .

(٣٧) الخط العربي ـ سهيلة الجبوري ـ ٢٩ .

(٣٨) يراجع نص كتاب الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوي في « الخط العربي ص ٣٠ » .

٧ ـ خر (الآخرة) من سنت (سنة) احدى و

٨ ـ ثلثين (وثلاثين)[٣٩]

وقد تضمن هذا النقش بعض مظاهر الإصلاحات التي دخلت على الخط العربي خلال المراحل الأولى قبل مرحلة الإعجام ، والإشارة إلى أصوات المد الطويلة .

ثم أخذ الخط العربي في التحسن والتطور على أيدي الخطاطين الذين جودوه ، وعرفوا به وقد انتشر بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية ، وكتبت به المصاحف الإسلامية ، وأشهرها المصحف الإمام مصحف الخليفة عثمان الذي حافظ على الرسم القرائي حتى يومنا هذا .

واشتهرت الكوفة ومكة والمدينة والبصرة بصورة خاصة بصفتها مراكز لانتشار الخط بين مدن العالم الإسلامي ، ومنها امتد مع امتداد رقعة الإسلام إلى سائر بلدان الخلافة الإسلامية .

ولسنا هنا في معرض الحديث عن التطورات التي رافقت الخط العربي ، وكيف تكونت الأقلام العربية ، ومن هم أشهر الخطاطين الذين جهدوا في سبيل تطويره والتفنن في إظهار أشكال حروفه كالذي عرفناه عن الوزير أبي علي محمد بن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨هـ ، وعلي بن هلال المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣هـ ، وياقوت بن عبد الله الروحي المستعصمي المتوفى سنة ٦٩٨هـ . فالحديث عن ذلك معروف ومشهور .

ثم أصبحت الأقلام المهجنة في العالم الإسلامي كثيرة غير أن شهرتها « تعد في اثنين هما الخط الكوفي ، والنسخي ، تفرعت منها أقلام كثيرة بلغت في

---

(٣٩) فقـه اللغة ـ وافي ٢٥١ ـ ٢٥٣ .

القرن السابع للهجرة وما بعده ستة أقلام هي : الثلث ، والنسخ ، والتعليق ، والريحاني ، والمحقق ، والرقاع »[٤٠] . ثم جاء الديواني ، والفارسي والدشفي .

وباختلاف الأزمان والعصور تعاقبت على تطوير الخط العربي أقلام كثيرة هيأت للكاتب أسباب الرسم ، وللرسم أسباب الثبوت والاستقرار بعد أن تمَّ الإعجام ، والتنقيط ، والشكل والترقيم ووصل الخط إلى مرحلة لا يحتاج بعدها إلى تطوير أو دعوة إلى التطوير بالرغم من الدعوات المضللة التي سنشير إلى بعض منها لاحقاً .

الحركات والنقط والإعجام :

إن عدة حروف المعجم في العربية تسعة وعشرون حرفاً ، وضعت على تسعة عشر شكلاً ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة الحرفان ، كالدال والذال ، والراء والزاي ، والسين والشين . ومنها ما يشترك في الصورة الواحدة كذلك منها الثلاثة كالباء والتاء والثاء ، والجيم والحاء والخاء . ومنها ما ينفرد بصورة واحدة كالألف . ومنها ما لا يلتبس حالة الافراد ، فإذا ركب ووصل بغيره التبس كالنون والقاف فإن النون في حالة الإفراد منفردة بصورة ، فإذا ركبت مع غيرها في أول كلمة أو وسطها اشتبهت بالباء ، وما في معناها . والقاف إذا كانت منفردة لا تلتبس فإذا وصلت بغيرها أولاً أو وسطاً التبست بالفاء فاحتيج إلى مميز يميز بعض الحروف من بعض من نقاط أو إهمال ليزول اللبس ، ويذهب الاشتراك .[٤١]

وما كان الشكل لولا الحاجة إليه ، وإبعاد القارىء عن مواضع الالتباس ، ولعل العرب الأوائل ما كانوا يميلون إليه ، وربما تصوروه منقصة بالمرسل إليه

(٤٠) انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ١٦ .

(٤١) انظر الفهرست ١٥٠ وصبح الأعشى ٣/١٤٩ .

لكثرة الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ، فوضع بأمر الحجاج من قبل وسوء ظنّةٍ به : « وقد حكى المدائني عن بعض الأدباء أنه قال : كثرة النقط في الكتابة سوء ظن بالمكتوب إليه »[٤٢] .

أما تاريخ النقط أو الإعجام فيعود إلى نشأة الكتابة ، وقصة وضع الحروف من قبل ثلاثة من رجال قبيلة بولان هم : مرار بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، وقد وضع مرار الصور ، ووضع الوصل والفصل أسلم ، ووضع عامر الإعجام ، ويفهم من هذه الرواية أن الإعجام وضع مع وضع الحروف[٤٣] .

وتذهب الرواية الأخرى إلى وضع الشكل المعروف بنقط المصاحف من قبل أبي الأسود (٦٩هـ) في زمن الإمام علي أو ابن زياد ، وهي تعني أن الحروف وضعت في أول نشأتها عارية من النقط أو الحركات غير أن فشو اللحن واستفحال أمره دعا المسلمين إلى التفكير بصون كلامهم المكتوب ، فكان ما كان من أمر أبي الأسود الدؤلي مع زياد بن أبيه حينما دعاه إلى وضع شيء يصلح به كلام الناس وامتناع أبي الأسود بادىء الأمر عن ذلك ، وعودته إليه بعد أن رأى أعرابياً يقرأ :

﴿ إن الله بريء من المشركين ورسوله ﴾ بالكسر فطلب من ابن زياد أن يأتيه بكاتب لقن ، فوجده في بني عبد القيس[٤٤] ، وطلب منه أن يأتي بالمصحف ومداد يخالف لون مداد المصحف ، وقال له : استمع إليَّ فإذا وجدتني فتحت شفتي بحرف فاجعل نقطة فوقه ، وإذا أنا كسرتها عند نطقي بالحرف ، فاجعل نقطة تحته ، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف الذي نطقت به ،

---

(٤٢) صبح الأعشى ١٥٠/٣ .

(٤٣) تنظر هذه الرواية في صبح الأعشى ١٥١/٣ .

(٤٤) المصـدر السابق .

وإذا اتبعت شيئاً من الحركات « غنة » أي تنويناً ، فاجعل النقطة نقطتين ، وكلما فرغ من صفحة راجعها أبو الأسود حتى فرغ من نسخ المصحف على هذه الصورة .

إن عدد الحركات لم يكن معروفاً عند أبي الأسود ، ولا كان معروفاً عند من سبقوه ولكنه بتجربته الميدانية التطبيقية توصل إلى عدد هذه الحركات كما توصل إلى معرفة التنوين وتم الرمز للحركات بالنقاط على يده كالآتي :

١ ـ الفتحة ، ورمزها نقطة فوق الحرف ـــٓـــ

٢ ـ الكسرة ، ورمزها نقطة تحت الحرف ـــ ـــ

٣ ـ الضمة ، ورمزها نقطة بين يدي الحرف ـــ •

٤ ـ التنوين بالفتحة ، ورمزه نقطتان فوق الحرف ـــ ـــ

٥ ـ التنوين بالكسرة ، ورمزه نقطتان تحت الحرف ـــ ـــ

٦ ـ التنوين بالضمة ، ورمزه نقطتان بين يدي الحرف ـــ :

ومما يجب التنويه عنه أن أبا الأسود الدؤ لي هو أول من أطلق لفظة « غنة » لتعني التنوين(٤٥) أما الحرف الساكن فقد تركه(٤٦) .

أما شكل هذه النقط فقد اختلفت صوره . فمنهم من رسمها مدورة مسدودة الوسط ، ومنهم من جعلها مدورة مجوفة الوسط ، وزاد أهل المدينة الحرف المشدد علامة على شكل قوس طرفاه إلى أعلى توضع فوق الحرف المفتوح المكسور ، وعلى يسار الحرف المضموم ، ثم زيدت علامات أخرىٰ فوضع للسكون جرة أفقية فوق الحرف(٤٧) وقد اتبع أهل مكة طريقة أبي الأسود في نقط المصاحف ، وتبعهم أهل البصرة ثم المدينة ، وكانوا يرسمون هذه

(٤٥) المجلة العربية للثقافة مارس ١٩٨٣ .

(٤٦) الفهرست ٤٥ وقصة الكتابة ٥١ والبحث اللغوي عند العرب ٦١ .

(٤٧) نشأة وتطور الكتابة الخطية ٩١ .

الحركات باللون الأحمر ، وخصّوا الهمزة باللون الأصفر ، فيما اقتصر أهل العراق على اللون الأحمر للحركات والهمزات ونحن لا نرجح أن يكون أبو الأسود قد استعان بطريقة السريان في وضع رموز الشكل للكتابة العربية نظراً لمخالطته لهم[٤٨].

كما أننا لا نميل إلى الأخذ بالآراء التي تسلب علماءنا قدراتهم على التجديد والابتكار ، فليس كثيراً على أبي الأسود أن يصنع نظاماً خاصاً بالحركات ، وهو العالم الذي وضع أسس النحو العربي .

وقد ظلت طريقة أبي الأسود مستعملة في الكتابة العربية حسب أمزجة الكتاب ومقاصدهم إذ تقيد من تقيد بها حتى مجيء الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) الذي وضع رموزه الخاصة التي اقتطعها من صور الحروف ، فللفتحة ألف مضطجعة فوق الحرف ، وللكسرة ياء تحته وللضمة واو أعلاه ، وللسكون دائرة تشبه الميم التي تشير إلى الجزم الذي اقتطعت منه ، وللتشديد رأس شين إشارة إلى التشديد ، وللهمزة رأس عين ، وللوصل رأس صاد ، إشارة إلى لفظة « صل » وللمد ميم ودال متصلتان على الحرف الممدود تشير إلى لفظة « مد » كما وضع الخليل علامة الإمالة على شكل دائرة مفتوحة تحت الحرف الممال  مثل مجراها .

إن عملية تطويع الحرف العربي للتعبير عن الأصوات المختلفة وبخاصة الأمم التي دخلت في الإسلام ما كانت لتتم لولا البدايات التي بدأها أبو الأسود ، ومن ثم محاولات الخليل ، ومن جاء بعدهما وتولى عملية إصلاح

(٤٨) أطوار الثقافة والفكر ٤٣٥ ، وقد أشار إلى ذلك أنيس فريحة في كتابه « في اللغة العربية وبعض مشكلاتها » ص ١٥٦ بقوله : « ولا شك بأن العرب أخذوا الفكرة عن جيرانهم من الشعوب السريانية . . . » .

الحرف العربي .

أما الإعجام فيعود تاريخه إلى زمن عبد الملك بن مروان حينما كثر التصحيف تلميذي أبي الأسود : نصر بن عاصم (٨٩هـ) ويحيى بن يعمر (١٢٩هـ) لتمييز الحروف المتشابهة بعضها عن بعض فتم وضع النقط أو الإعجام فوق أو تحت الحروف أفراداً وأزواجاً وخالف بين أماكنها وهكذا ظل الناس يكتبون حروفاً منقوطة . « ونقطت الحروف بنفس مداد الكتابة لأن نقط الحرف جزء منه »[٤٩] .

بلغ عدد الحروف المنقوطة خمسة عشر حرفاً بعدد منازل القمر المختفية وهي الأربعة عشر التي تحت الأرض[٥٠] ، والواحدة تحت الشعاع إشارة إلى أنها تحتاج الإظهار لاختفائها وهي : الباء والتاء والثاء والجيم والخاء والذال والزاي والشين والضاد والظاء والغين والفاء والقاف والنون والياء . . .

وقد رسم أتباع نصر بن عاصم النقط بصور مختلفة ، فقد رسمها بعضهم مدورة مسدودة الوسط ، وجعلها بعضهم مدورة خالية ، وبعضهم جعلها على شكل معين[٥١] هكذا ● ○ ◆

ويرى بعضهم أن للنقط صورتين إحداهما على شكل مربع والآخر مستدير[٥٢] .

وكما اتخذ لون الحمرة من قبل للشكل اتخذ لون الحمرة والصفرة للنقط ، فقد اتخذت الحمرة للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمد ، كما جعلت الصفرة للهمزات خاصة[٥٣] .

---

(٤٩) صبح الأعشى ١٥٦/٣

(٥٠) انظر التنبيه على حدوث التصحيف ٣٦ .

(٥١) تاريخ الخط العربي وادابه ٧٧ .

(٥٢) صبح الأعشى ١٥٥/٣ والخط العربي - سهيلة الجبوري ٥٩ .

(٥٣) المقنـــع ١٢٦ .

وفيما يتعلق بوضع النقاط على الحروف فقد كان يتم بموجب نظام خاص متعارف عليه بين الكتاب . فإذا كانت نقطتان على الحرف وضعت إحداهما فوق الأخرى أو موازية لها إلاَّ إذا كان الحرف المنقوط مجاوراً حرفاً آخر منقوطاً فيتحتم وضع نقطة فوق أخرى حتى لا يحصل التباس في الأشكال فتزحف النقطة من موضعها إلى الحرف المجاور .

وإذا كان الحرف من ذوات الثلاث النقاط كالثاء مثلاً وضعت بشكل هرمي أي واحدة فوق اثنتين ، أما الشين فيجوز وضع نقاطه في سطر واحد أو وضع واحدة فوق اثنتين وذلك لسعة حرف الشين بخلاف الثاء المثلثة كما يقول القلقشندي(٥٤) .

وبهذا استطاع العرب المسلمون صون لغة القرآن الكريم والحفاظ على الكتابة العربية من عجمة الدخيل بعد أن ظلوا دهراً يستخفون بمن يحاول وضع الشكل ويعدونه عيباً في المرسل إليه ، وانتقاصاً منه . وإزراءً بالمكتوب إليه . وقد « كره الكتاب الشكل والإعجام إلاَّ في المواضع الملتبسة من كتب العظماء إلى من دونهم ، فإذا كانت الكتب ممن دونهم إليهم ترك ذلك في الملبس وغيره ، وإجلالاً لهم عن أن يتوهم عنهم الشك وسوء الفهم ، وتنزيهاً لعلومهم ، وعلو معرفتهم عن تقييد الحروف »(٥٥) .

الشـدّ :

التضعيف ظاهرة صوتية نظر إليها العرب بعين الاعتبار حينما عبر عن الأصوات بالحروف والحركات ، وكانت من نتائج المرحلة الثانية من مراحل تطوير الكتابة وضع رمز للتضعيف أي الشد ، وقد رسم التشديد بطريقتين :

---

(٥٤) صبح الأعشى ٣/١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٥٥) أدب الكتـــاب ـ الصولي ٥٧ .

طريقة النقط ، وطريقة صورة حرف الشين أو راء من الشين وعلى النحو التالي :

١ - الشد بالفتح - ويكون على شكل قوس طرفاه إلى أعلى ، أو نصف دائرة أو دال قائمة الجناحين فوق الحرف ونقطة في وسطها دلالة على الفتح .

٢ - الشــد بالكسر - دال مقلوبة ، وترمز النقطة فيها إلى الكسر

٣ - الشد بالضم هكذا وترمز النقطة للضم .

وفي الطريقــة الثانية تكون كالآتي :

١ - الشد بالفتح

٢ - الشد بالكسر

٣ - الشد بالضم

وهو من عمل الخليل بن أحمد حيث انتقل برمز الشد من مرحلة نصف الدائرة إلى رأس الشين وقدم إضافات أخرىٰ إلى الكتابة العربية لم يستطع أحد بعده أن يضيف إليها شيئاً إلى يومنا هذا حيث استوفت كل مقوماتها الوظيفية[٥٦] . فإليه يعود الفضل في وضع الهمز والتشديد في العربية[٥٧] .

« ثم اخترع أهل المدينة بعد ذلك علامة التشديد وهي قوس طرفاه إلى أعلى هكذا ں يوضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور ، وعلى شمال المضموم - أما الفتحة فكانت توضع داخل القوس والكسـرة تحته والضمة في شماله ثم استغنوا عن النقط في حالة

(٥٦) المجلة العربية للثقافة مارس ١٩٨٣ ص ١٥٣ .

(٥٧) الإتقــان في علوم القرآن ٢ / ١٧١ .

استخدام الشدة ، وأصبحت الفتحة مع الشدة ـّـَ ومع الكسرة ـّـِ ومع الضمة ـّـُ » .

علامات الترقيم :

بعد إدخال الإصلاح الخاص بوضع الحركات ، وتنقيط الحروف جاءت المرحلة الثالثة مكملة للمرحلتين السابقتين ، فقد يلاحظ القارىء أن نفسه عند الوقوف يوجب تقطيع العبارات ، كما أن الأسلوب العربي يقتضي علامات مميزة لكل معنى يقصده المتحدث ، فهناك استفهام (؟) وهناك تعجب (!) وتبيين ، وتفصيل ، وعطف أو وقف . . . إلخ مما يستدعي النظر في النص العربي القديم وضبط كتابته « فقد كان من عيوب الكتابة القديمة رص كلماتها رصاً متجاوراً لا فرجة بينها ، ولا نهاية لجملها ، ولا فواصل تحدها ، مما نشأ عنه تداخل أجزاء الجمل بعضها مع بعض ، واضطراب المعاني »[٥٩] .

ولهذا جاء وضع علامات الاستفهام ، والتعجب ، والفواصل ، والنقطة ، والنقطتين ، والشرطة ، والأقواس ، وغيرها متمماً ومكملاً للاصطلاحات والتطوير الذي أدخل على الخط العربي ، وقد أضيفت في عصور متأخرة ، بل إن علامة التعجب والاستفهام والاقتباس مستحدثة[٦٠] .

الرسم القرآني ورموزه الصوتية :

« الرسم : أصله الأثر ، والمراد أثر الكتابة في اللفظ ، وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها بتقدير الابتداء بها ، والوقوف عليها ، والمراد بالمصحف :

---

(٥٩) نشأة وتطور الكتابة الخطية ـ فوزي سالم عفيفي ٩٩ .

(٦٠) انظر في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ١٦٢ .

المصاحف العثمانية التي أجمع عليها الصحابة »[61] .

ومصحف عثمان هو المصحف الإمام الذي كتب برسم عربي خال من الشكل والنقط ، لا يجوز لمسلم مخالفته حتى ان أصبحت قراءته في وفاقها مع العربية .

أما الرموز الصوتية في القرآن الكريم فقد ظلت قاصرة عليه ، وهي خاصة به بالرغم مما حصل للكتابة العربية من تحوير وتطوير في رموزها الصوتية فقد اختفت بعض الرموز عن النظام الهجائي في الكتابة غير أنها حافظت على وجودها في القرآن . بل حتى لون المداد الذي خصت به بعض الرموز ، وهو الأحمر والأصفر الذي اختفى من الكتابة ظل معمولاً به في القرآن حتى أوائل هذا القرن ، حيث وحّد المداد الذي تكتب به الرموز مع لون مداد المصحف أي اللون الأسود . « إن رسم القرآن سنة متبعة باتفاق الأئمة الأربعة بل بإجماع سائر المجتهدين »[62] .

وينحصر الرسم القرآني في ست قواعد هي : الحذف ، والزيادة ، والهمز ، والبدل ، والوصل ، والفصل[63] .

ولسنا الآن في معرض الحديث عنها بالتفصيل ، ومن شاء فليرجع إلى كتاب « إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام » و « الاتقان في علوم القرآن » .

إن « هذا الرسم الذي أجمعت عليه الأمة ، وتلقته بالقبول ، بترتيب آياته بل كلماته بل حروفه ليس لنا إلى إنكاره من سبيل »[64] .

(٦١) انظر رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ٩ .
(٦٢) ايقاظ الاعـــلام ١٢ .
(٦٣) انظر الاتقان في علوم القــرآن .
(٦٤) رسم المصحـــف ١٠ .

المعيار العلمي للكتابة السليمة :

إن الحرف العربي الذي كتب به المصحف الإمام ونسخت منه المصاحف الأخرى ورسائل الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين كان حرفاً في صورته البدائية بعيداً عن جمالية الحرف التي مرت بمراحل التطوير بعد النقط والإعجام والحركات .

وقد كان العمل الذي قام به أبو الأسود الدؤلي ، والخليل بن أحمد ، ونصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر وغيرهم عملاً يعد في نظر العلماء المحدثين معياراً للكتابة السليمة أو ما يسمى بـ « الكتابة الصوتية » أو « الكتابة القونيمية » التي من شروطها :

١ ـ أن يكون لكل صوت « قونيم » رمز خاص به .

٢ ـ وألَّا يكون للصوت الواحد أكثر من رمز واحد يعبر به عنه[٦٥] .

وإذا انخرم أحد هذين الشرطين ، غد ذلك عيباً في الكتابة بالمقياس العلمي ، ولذلك روعي أن تشتمل حروف الهجاء على حرف يدل على أكثر من صوت واحد ، كما هو وارد في حرف الجيم العربية والباء ، أما في الانكليزية فنجد صوت ألحركة الممالة e يعبر بها عن أصوات كثيرة ، فقد يعبر بها عن الكسرة الممالة كما في لفظة men كما تعبر عن الكسرة الصريحة في لفظة Women وتعبر عن صوت الحركة المتوسطة كما في لفظة the ولفظة writen وعن

---

(٦٥) انظر المجلة العربية للثقافة ، السنة الثالثة العدد الرابع مارس ١٩٨٣ .

صوت الكسرة الطويلة في لفظة be وهـذا ما يـدعى بضعف التمييز Under differentiation

أما العيب الثاني الذي نجده في الكتابة « فهو أن تستعمل حروف الهجاء على صوت واحد يعبر به بحروف كثيرة ، ونجد لهذا أمثلة كثيرة في اللغة الانجليزية أيضاً من ذلك صوت الكاف الذي يرمز إليه حيناً بـ K كما في كلمة book ويرمز حيناً بـ C كما في كلمة case .

وحيناً ثالثاً يرمز له بـ ch كما في كلمة character وحيناً رابعاً يرمز له بـ q كما في كلمة cheque ومثل هذا العيب يسميه علماء اللغة Over differentiation وأمثلة كثيرة أيضاً في اللغة الانجليزية[٦٦] .

إن تطبيق المعيارين السابقين على الكتابة العربية قبل مرحلة الإعجام أي حتى النصف الأول من القرن الأول الهجري يعطينا صورة واضحة للفكر العربي الخلاق والإبداع الذي يتميز به لغويي العربية الذين خلّصوا الأبجدية العربية من بعض المشكلات الصوتية فبعد أن كانت ستة أحرف منها تعبر عن اثنين وعشرين صوتاً أصبح بفضل جهود علمائنا لكل صوت رمز خاص به باستثناء بعض الأصوات في اللهجات العربية المعاصرة حيث تشترك بعض الأصوات في حرف واحد كالباء المهموسة (p) والجيم القاهرية (g) والجيم العراقية والكويتية (j) والكاف التي تناظر الجيم في العراقية والكويتية في مثل « كلب » = « تش » وغيرها .

إن الأصوات التي نطلقها في كلامنا خاضعة للتحليل والتسجيل والدراسة وهي أمور يختص بها علم الأصوات ، ويهتم بدراستها في ضوء ما يسمى

(٦٦) المصدر السابق .

بـ « الأبجدية الصوتية » التي تعنى بإيجاد رموز لتلك الأصوات نطلق عليها الكتابة الصوتية .

يقــول الدكتور محمود السعــران[٦٧] :

« وقد بذلت محاولات كثيرة لوضع نظام من الرموز للكتابة الدقيقة الصالحة لتقرير نتائج الدراسة الصوتية وملاحظاتها ، فهذه النتائج والملاحظات لا بد أن توضع بصورة مكتوبة كي يمكن الرجوع إليها والمناقشة فيها . . . » .

ومن ثم أتى الدكتور السعران في حديثه عن النظم للكتابة الصوتية ، ومنها نظام « الكلام المنظور الذي وضعه بل Graham Bell وتطبيق هذه الطريقة من قبل هنري سويت (١٨٤٥ ـ ١٩١٢م) ورموز هذه الألف باء الصوتية ـ كما وصفها الدكتور السعران ـ « عبارة عن رسوم تخطيطية مبسطة واصطلاحيات لأعضاء الكلام عند نطق الفونيمات المختلفة ، ذلك أن « بل » رمز لكل فونيم برسم تخطيطي لبعض أعضاء النطق الأساسية في تكوين هذا الفونيم ، ولكن هذه الطريقة لم يقدر لها الاستمرار والشيوع فهي معقدة ، وصعبة الكتابة ، كما أنها كثيرة النفقة في الطباعة » .

أما الطريقة المعقدة الأخرى فهي « طريقة العالم الدانمركي أوفويسيو سن المسماة الخط الألف بائي » . هذه الطريقة تمثل الفونيم الواحد لا يرمز واحد ولكن بمجموعة كاملة من الرموز . . . »[٦٨] .

ولم تنجح هذه الطريقة لصعوبة الكتابة بها ، وتمثيل جميع ما هو منطوق .

أما الطريقة الأخرى في الكتابة الصوتية فتدعى « ألف باء الجمعية الصوتية

---

(٦٧) علم اللغة د . محمود السعران ١٢٦ .

(٦٨) المصــدر نفســه ١٢٧ .

الدولية » وهي تمثل جهود مجموعة من العلماء من أمثال إليس Ellis وهنري سوسيت ، وباسي Passy ودانيال جونز . « وضع هنري سوسيت نظاماً بسيطاً من الكتابة الصوتية بناه على الألف باء اللاتينية ، وسماه « الخط الرومي » لاستعماله جوار الكلام المنظور الذي وضعه بل . وعندما أصبحت عند سويت فكرة الفونيم أدرك أن (الخط الرومي) من الممكن أن يظل وافياً بالغرض لو بسط تبسيطاً كبيراً . ولهذا فقد استعمل سويت صورة مبسطة من هذا الخط تشتمل على رمز واحد لكل فونيم . وسماه الخط الرومي الواسع أو العريض . ولكن سويت ظل يعتقد أن الصورة الأشد تعقيداً من هذه أي (الخط الرومي الضيق) كانت أدق شيئاً ما أم أكثر ملاءمة للأغراض العملية »[٦٩] .

ولهذه الطريقة مرونة في الاستعمال من قبل أي لغة فهي لم تضع رموزاً للغات الأوربية وحدها بل وضعت رموزاً يمكن استخدامها بشيء من التعديل والتحوير بحيث تستطيع أية لغة استخدامها بسهولة .

عيوب الخط ومشكلاته ومقترحات إصلاحه :

تحدثنا فيما سبق عن العيوب الأولى التي رافقت وجود الحرف العربي متمثلة في النقط أو الإعجام والحركات ، وقد عولجت خلال القرنين الأول والثاني للهجرة .

أما العيوب أو المشكلات الأخرى التي بقيت بحاجة إلى إصلاح أو تهذيب فيمكن حصرها في الآتي من الملاحظات :

١ ـ ان الحرف العربي المنطوق يختلف عن المكتوب ، فالمكتوب عارياً من

(٦٩) علم اللغــة ـ السعران ١٢٩ .

الحركات يقود إلى اللحن والخطأ لا سيما عند المبتدئين وقليلي الثقافة ، كما أن احتمالات الخطأ في الشكل كبيرة جداً حينما تختلط صور المفردات إذ لا مميز لها سوى الشكل .

٢ ـ تعدد صور الحرف الواحد في الكتابة العربية حسب موقعه في اللفظ يخلق كثيراً من المصاعب والجهد في تعليم الصغار الأبجدية العربية فالتركيز على الحرف لو كان لا يحتمل غير صورة واحدة يقود إلى الفهم السريع لصورته بينما يظل الطفل في حيرة من أمره خلال تعلمه للصور التي تكتب بها بعض الحروف كحرف الباء أو الياء والهمزة مثلاً .

٣ ـ مشكلة الظاء والضاد في العربية تثير كثيراً من الصعوبات في إيجاد الفروق بين صوتيهما بالرغم من الدراسات والرسائل الكثيرة التي قام بها العلماء على مر العصور لتحديد المشكلة واحتوائها ، وكذلك بين صوتي السين والصاد .

٤ ـ التباين بين اللغة الفصيحة واللهجات المحلية خاصة في أصوات المد القصيرة يؤثر كثيراً في فهم الأوزان العربية إذا جردت اللفظة من الشكل .

٥ ـ التقارب في صور بعض الحروف في الرسم يقود إلى التحريف في الكلام كالذي يحصل بين الراء والدال ، والحاء والميم وغيرهما .

٦ ـ ان الإصلاح في المرحلة الثانية الذي تحدد في نقط الحروف لتمييز المتشابه منها في الصورة كالثاء والياء والباء والنون والراء والزاي والدال والذال . . . إلخ أوجد مشكلة أخرى اعقبت المشكلة الأولى في الخط العربي بدأت منذ ذلك الحين وبقيت مستمرة حتى وقتنا هذا وأوجدت

ما يسمى بالتصحيف ، وهو نتيجة تغيير موضع النقط كأن تزحف النقطة من حرف منقوط إلى حرف غير منقوط أو تزيد في بعض الحروف وتنقص في حروف أخرى . زد على ذلك أنها تقلل من حرية الكاتب في الإسراع في إنجاز الكتابة المطلوبة لكثرة الجهد المبذول في التنقيط .

أما المقترحات[٧٠] التي قدمت لإصلاح هذه العيوب أو تجاوزها ، وعلاج المشكلة القائمة فهي كثيرة ومتعددة تعدد المقترحين غير أن كثيراً من هؤلاء نظر إلى المشكلة من زاوية معالجتها معالجة لا تمس لب الموضوع ، كما انهم لم يصرحوا بالإعلان عن علاج المشكلة من جذورها ، ولم يعلموا أنهم بمقترحاتهم هذه جنحوا عن مبدأ الغيرة على عربيتهم والتقوا مع أعداء الأمة بإسهامهم بعملهم هذا في قطع حبال الوصل بين حاضر أمتنا وغابر حضارتنا . ولهذا نجد تلك الدعوات غير المدروسة لا تختلف كثيراً عن الدعوات المضللة التي تريد النيل من تراثنا الخالد .

كما يجب ألاّ يغيب عن أذهان المهتمين والغيورين على العربية ما للقرآن الكريم من أثر في تطور البحث اللغوي والدراسات اللغوية بعامة ، وما له من أهمية كبيرة في الحفاظ على لغتنا ومدها بأسباب البقاء ، لذا فإن أي إصلاح منشود أو تطوير يضعف هذا الجانب وينظر إلى ذلك بمعزل عن القرآن الكريم لا يكتب له النجاح لا سيما أن الرسم القرآني ظل محافظاً على صورته الأولى منذ أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، وان أي تغيير يمس الجانب الشكلي في

---

(٧٠) بشأن محاولات التيسير يراجع مقال الدكتور محمود فهمي حجازي « تيسير الكتابة العربية » المنشور في « حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية » بجامعة قطر ـ العدد الخامس ١٩٨٢ ، وفيه قائمة حصرية لأهم المحاولات في مجال تيسير الكتابة العربية ، وهو جهد موفق في حصر المحاولات التي امتدت ما بين عام ١٨٨٥ ـ ١٩٧٧ .

رسم المصحف يساعد في قطع الصلة مع الدراسات القرآنية ويعرض الإسلام للخطر ، كما أن التحوير الذي ينشده بعض المغرضين في صورة الرسم العربي يعمق المشكلة ويزيد من بعدنا عن تراثنا الخالد لا سيما أن كثيراً من جوانبه لا تزال مخطوطة لحد الآن ، فإذا أقيمت دعوة أو اقتراح لإعادة كتابة تراثنا المكتوب بالرسم المقترح فإن ذلك يدعو إلى العجب ، وإذا ما أثير اقتراح آخر بدراسة التراث بالحرف الحالي والبدء بالحرف الجديد من الآن فهذا أعجب ! إذ كيف يمكننا أن نكتب بصورتين لكل حرف قديمة وجديدة ، ونحن ندعو إلى التيسير ؟ !

يقول الدكتور رمضان عبد التواب : « وقد أوقعهم في هذا الخطأ ، أن الكتابة العربية لا ترمز إلى الحركات أو أصوات العلة القصيرة ، في بنية الكلمة ، وإنما توضع رموزها في الخط فوق الحرف أو تحته ، فتوهموا لذلك أنها تابعة للحرف ، وليس رمزاً لصوت مستقل تمام الاستقلال ، لا يقل في شأنه عن رمز الحرف للأصوات الصامتة »[٧١] .

إن الفصل بين الصورة المكتوبة والصورة المنطوقة أدى إلى وقوع الخلط والخطأ في بعض الأحكام اللغوية ذلك « أن اللغويين العرب القدامى قد تأثروا في بعض الأحيان بالصورة المكتوبة ، وغفلوا عن النطق فوقعوا لذلك في أوهام كثيرة في قواعدهم ، وقوانينهم وأحكامهم اللغوية »[٧٢] .

ولعل ما ذكره الدكتور رمضان في قصور العرب في دراساتهم لحروف العلة حدد المشكلة التي وقعوا فيها متمثلة في نظرتهم إلى حروف العلة حيث جعلوها

---

(٧١) فصول في فقه العربيـــة ٣٥٣ .

(٧٢) المصـــدر نفسه .

تابعة للأصوات الصامتة مستنداً إلى قول سيبويه[٧٣] : « لأنهم إذا فصلوا بين المذكر والمؤنث بحرف ، كان أقوى من أن يفصلوا بحركة ، وما عبر عنه ابن جني[٧٤] بقوله : « إن الحرف كالمحلِ للحركة ، وهي كالعرض فيه فهي لذلك محتاجة إليه » وقوله : « لما كان الحرف قد يوجد ولا حركة معه ، وكانت الحركة لا توجد إلاَّ عند وجود الحرف ، صارت كأنها قد حلته ، وصار هو كأنه قد تضمنها » .

غير أن الدراسات اللغوية اللاحقة أثبتت أن ما تصوروه كان خطأً وأن الحركات تعبر عن أصوات مستقلة ، ولكن التطور في الدراسات الصوتية جعلهم يعدلون عن المفهوم الذي كان شائعاً من قبل في عدهم حروف المد أصواتاً صامتة في مثل : يدعو ، وقام ، والقاضي لهذا وضعوا قبل الألف فتحة وقبل الواو ضمة وقبل الياء كسرة بينها تكون هذه الحروف رموزاً للحركات الطويلة ، فالألف رمز للفتحة الطويلة والفاء رمز للكسرة الطويلة ، والواو رمز للضمة الطويلة . وقد وقعوا في هذا الخطأ أيضاً بسبب أن الخط العربي يرمز للحركات الطويلة برموز في داخل بنية الكلمة بعكس الحركات القصيرة »[٧٥] .

وما نجده في رسم المصحف هو بقايا نظام الكتابة القديمة عند العرب يوم كانوا يعدون حروف العلة أصواتاً صامتة قبل أن تدل على الحركات الطويلة ، ومثل ذلك نجده في كتابتنا العربية اليوم نجد في « هذا » و« لكن » و « ذلك » . . . إلخ .

---

(٧٣) الكتـاب ٢/٢٩٥ .
(٧٤) سر الصناعة ١/٣٢ ، ٣٧ .
(٧٥) فصول في فقه العربية ٣٥٤ .

وآخر هذه الدعوات ما أثاره الدكتور أحمد سعيدان في مقاله « حول أبجدية عربية صالحة »(٧٦) الذي ادعى أن الحرف العربي لم يواكب حاجات الطباعة والكتابة الآلية مفيداً أن صور الحرف العربي تقدر بأربعمائة وخمسين شكلاً ، وهو يقترح أن تدخل في أبجديتنا حروفاً جديدة ترمز إلى أصوات ثلاثة تكثر في نطقنا هي : G, P, V(٧٧) وهو « يدعو إلى الكتابة بحروف متطورة منفصلة ، تمتد رأسياً ، لا أفقياً » ونحن لا نميل إلى هذا الرأي ، كما لا نميل إلى كل ما يسيء إلى لغتنا شكلاً وطريقة في الكتابة إذ « لا مناص من التشبث بنظام الكتابة العربي لأنه تاريخنا وحياتنا اللغوية وقد حمل إلينا اللغة بكل أمانة ، رغم كل ما يقال عنه ، ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه كان عقبة في سبيل تقدم العربية كلغة علم وحضارة ، وفن وأدب . . . »(٧٨) .

إن الدعوات المتشككة بالحرف العربي ، والمؤمنة بالحرف اللاتيني وضرورة هجرة العربي إليه ينقصها الاتزان وصحوة الضمير للوقوف على مكنونات التضليل التي يتستر وراءها كتاب عرب وأجانب وجدوا في العامية سلاحاً للوقوف في وجه لغة القرآن فدعوا إليها وإلى اللاتينية ، فدعوة سلامة موسى ، وسعيد عقيل وآخرين غيرهما لم يكتب لها النجاح ، ولن ترى بين حماة العربية من يستمع إليها ، كما لم يكن من قبل من أخذ بدعوة جميل صدقي الزهاوي في وضعه صورتين للخط العربي واحدة للكتابة والثانية للطباعة وفي هذا عودة إلى التعقيد لا التيسير(٧٩) .

---

(٧٦) انظر مجلة مجمع اللغة العربية الأردني العدد المزدوج ٣ ـ ٤ السنة الثانية جمادى الأولى ١٣٩٩هـ/ نيسان [ابريل] ١٩٧٩م .

(٧٧) انظر مقال الدكتور أحمد نصيف الجنابي « الأبجدية العربية متكاملة وصالحة » في مجلة المجمع العلمي العراقي م٣١ ج٣ شعبان ١٤٠٠هـ تموز (يوليو) ١٩٨٠م ، وقد أخلصه للرد على مقال الدكتور سعيدان .

(٧٨) المنهج الصوتي للبنية العربي ١١ .

(٧٩) انظر الخط الجديد ٩ .

مصـــادر ومراجـع البحـث

١ ـ الاتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ـ مط حجازي ـ القاهرة ١٩٤٨ .

٢ ـ أدب الكتاب ـ الصولي ـ تحقيق محمد بهجة الأثري ـ المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٢ .

٣ ـ أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي ـ سهيلة الجبوري ـ مطبعة الأديب البغدادية ١٩٧٧ .

٤ ـ أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام ـ يحيى ثامي ـ مجلة كلية الآداب ـ الجامعة المصرية م ٣ ج ١ .

٥ ـ الاصمعيات ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٦٤ .

٦ ـ أطوار الثقافة والفكر ـ علي الجندي .

٧ ـ انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم الغربي ـ عبد الفتاح عبادة ـ مصر ١٩١٥ .

٨ ـ ايقاظ الاعلام ـ الشيخ محمد حبيب الله ـ مكتبة المعرفة ـ ط ٢ سوريا ١٩٧٢ .

٩ ـ البحث اللغوي عند العرب ـ د . أحمد مختار عمر ط ٢ مط أطلس ـ القاهرة ١٩٧٦ .

١٠ ـ تاريخ الخط العربي وآدابه ـ محمد طاهر الكردي ط ١ ١٩٣٩ .

١١ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام ـ د . جواد علي ـ مط المجمع العلمي العراقي ١٩٥٧ .

١٢ ـ تاريخ اللغات السامية ـ إسرائيل ولفنسون ـ دار القلم ـ بيروت ١٩٨٠ .

١٣ ـ الخط الجديد ـ جميل صدقي الزهاوي ـ مطبعة المقتطف بمصر ١٨٩٦ .

١٤ ـ الخط العربي وتطوره في العصور العباسية ـ سهيلة الجبوري ـ مط الزهراء .

١٥ ـ التنبيه على حدوث التصحيف ـ حمزة الأصفهاني تحقيق محمد أسعد طلي ـ مط الترقي دمشق ١٩٦٨ .

١٦ ـ تيسير الكتابة العربية ـ د . محمود فهمي حجازي .

١٧ ـ ديوان حاتم الطائي ـ صنعة يحيى بن مدرك الطائي ـ تحقيق عادل سليمان جمال ـ مط المدني القاهرة .

١٨ ـ ديوان سلامة بن جندل ـ تحقيق فخر الدين بن قباوة ـ ط ١ مطبعة الأصيل حلب ١٩٦٨ .

١٩ ـ ديوان عبيد بن الأبرص ـ دار صادر ـ بيروت .

٢٠ ـ ديوان عنترة ـ تحقيق محمد سعيد مولوي ـ المكتب الإسلامي .

٢١ ـ ديوان لبيد ـ دار صادر ـ بيروت .

٢٢ ـ سر صناعة الاعراب ـ ابن جني ـ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ـ البابي الحلبي ١٩٥٤ .

٢٣ ـ السمات الحضارية في شعر الأعشى ـ زينب العمري ـ مطابع دار الهلال بالرياض ١٩٨٣ .

٢٤ ـ رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات ـ د . عبد الفتاح إسماعيل شلبي ـ مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠ .
٢٥ ـ صبح الأعشى ـ القلقشندي ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤ .
٢٦ ـ علم اللغة ـ د . محمود السعران ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .
٢٧ ـ فتوح البلدان ـ البلاذري ـ مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٧ .
٢٨ ـ فصول في فقه العربية ـ د . رمضان عبد التواب ط ١ القاهرة ١٩٧٣ .
٢٩ ـ فقه اللغة ـ د . علي عبد الواحد وافي ـ ط ٦ لجنة البيان العربي ١٩٦٨ .
٣٠ ـ الفهرست ـ ابن النديم ـ تحقيق رضا تجدد .
٣١ ـ في اللغة العربية وبعض مشكلاتها ـ أنيس فريحة ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٨٠ .
٣٢ ـ كتاب سيبويه ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون .
٣٣ ـ اللغة العربية عبر القرون ـ د . محمود فهمي حجازي ـ مط دار نشر الثقافة ـ القاهرة ١٩٧٧ .
٣٤ ـ المجلة العربية للثقافة ـ مارس ١٩٨٣ « الحرف العربي واللغات الافريقية » السنة الثالثة ـ العدد الرابع .
٣٥ ـ المحكم في نقط المصاحف ـ أبو عمرو الداني ـ تحقيق عزة حسن ـ دمشق ١٩٦٠ .
٣٦ ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ دار الرجاء للطبع والنشر ١٩٣٨ .
٣٧ ـ المفضليات ـ ط دار المعارف .
٣٨ ـ مقدمة ابن خلدون ـ ط دار الكشاف ـ بيروت .

٣٩ ـ المقنع ـ لأبي عمرو الداني ـ مط الترقي ـ دمشق ١٩٤٠ .
٤٠ ـ المنهج الصوتي للبنية العربية ـ د . عبد الصبور شاهين .
٤١ ـ نشأة الخط العربي قبل الإسلام ـ صلاح الدين المنجد .
٤٢ ـ نشأة وتطور الكتابة الخطية ـ فوزي سالم عفيفي ـ القاهرة ١٩٨٠ .
٤٣ ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ ط ١ مط السعادة بمصر ١٩٤٨ .

الصحافة العربية الفلسطينية

ومواقفها من القضية الوطنية (١٩٠٨-١٩٣٦)

الدكتور عادل حسن غنيم
أستاذ مساعد بقسم التاريخ

قبل التحدث عن الصحافة العربية في فلسطين لابد من ايضاح نقطتين :

الأولى : أن هذا البحث يركز على الصحف العربية السياسية أو ذات الاهتمام السياسي ، وبناء على ذلك فلا يدخل في مجال معالجتنا الصحف الأدبية أو الاجتماعية أو الاقتصادية البحتة .

الثانية : انني كنت حريصاً على الرجوع الى الصحف نفسها عند تحديد مواقفها خاصة بالنسبة للصحف غير الوطنية ، ونظراً لعدم توفر أعداد كافية من بعض الصحف فقد اعتمدت أيضاً على مصادر أخرى موثوق بصحتها سواء كتبا أو صحفا وطنية . ومن المعروف أن اعداد الصحف الفلسطينية ليست مكتملة خاصة في تلك الفترة المبكرة بسبب ما تعرضت له البلاد من أزمات وتطورات سياسية تركت آثارها بطبيعة الحال على ذلك المصدر التاريخي الهام .

وأما بالنسبة لنشأة الصحافة العربية في فلسطين فقد حدث ذلك في وقت

متأخر نسبياً بالنسبة لنشأة المدارس(*) والطباعة في البلاد ، لكن الصحافة ازدهرت في فترة قصيرة نتيجة لعاملين : أولهما أنه كان هناك مجلات للجمعيات الاجنبية التابعة للارساليات والجاليات الأجنبية تصدر في فلسطين منذ عام ١٨٧٢ ، وثانيهما أن الصحافة في بعض البلدان العربية المجاورة كانت قد نضجت قبل نشأة الصحافة العربية في فلسطين .

وكانت أول صحيفة حكومية صدرت في فلسطين هي صحيفة « القدس الشريف » التي تأسست بالقدس عام ١٨٧٦ باللغتين العربية والتركية . وكان يحرر القسم العربي منها الشيخ علي الريماوي ويحرر القسم التركي عبد السلام كمال .(١)

أما بالنسبة لنشأة الصحافة العربية الأهلية فلاشك أن اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ واطلاق حرية اصدار الصحف في بعض البلدان العربية قد نبه ادباء فلسطين ومثقفيها إلى حاجتهم الى صحافة محلية يعبرون فيها عن آرائهم ومواقفهم .

وتعتبر صحيفة « النفير العثماني » أول صحيفة عربية في فلسطين ، فلقد انشأ إبراهيم زكا تلك الصحيفة في الاسكندرية عام ١٩٠٤ ثم نقل اصدارها الى القدس عام ١٩٠٨ بعد اعلان الدستور العثماني حيث تحول امتيازها الى شقيقه ايليازكا الذي اطلق عليها « النفير » ، وفي ابريل ١٩١٣ نقلت ادارتها ومطبعتها الى حيفا(٢) .

فعام ١٩٠٨ اذن هو الذي يمثل بداية صدور الصحف العربية في فلسطين التي انتشرت منذ ذلك التاريخ وصدرت في مدن مختلفة خاصة في القدس وحيفا وعكا وبيت لحم(٣) .

وكان أهم الصحف السياسية التي نشأت منذ صدور الدستور العثماني حتى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ هي :

١ ـ الانصاف ، وقد تأسست في القدس في ٢٣ ديسمبر ١٩٠٨ وكان بندلي الياس مشحور هو محررها .

٢ ـ النجاح ، وتأسست في القدس في ٢٤ ديسمبر ١٩٠٨ وكان الشيخ علي الريماوي هو محررها .

٣ ـ الكرمل ، وتأسست في حيفا عام ١٩٠٨ وكان نجيب نصار هو محررها .

٤ ـ الاخبار ، وصدرت في يافا في ٢٩ يونيو عام ١٩٠٩ وكان الفونس يعقوب محررها .

٥ ـ الاعتدال : وصدرت في القدس في أول مايو ١٩١٠ ، وكان بكري السمهوري هو محررها .

٦ ـ فلسطين ، وصدرت في يافا في ١٤ يناير عام ١٩١١ وكان عيسى العيسي هو محررها .

٧ ـ المنادي : وصدرت في القدس في ٨ فبراير ١٩١٢ وكان سعيد حار الله هو محررها[٤] .

وخلال الحرب العالمية الأولى توقفت معظم الصحف الفلسطينية عن الصدور ، ولم يبق مستمرا منها سوى عدد قليل[٥] .

ومع بداية الاحتلال البريطاني لفلسطين (أوائل عام ١٩١٧) لم يكن في البلاد صحيفة واحدة تعبر عن آراء العرب وآمالهم ، وقد ظل الحال على هذا الوضع حتى صدرت بالقدس في ٨ سبتمبر ١٩١٩ جريدة « سوريا الجنوبية » لصاحبها عارف العارف . ثم صدر بالقدس في ١٧ سبتمبر ١٩١٩ « مرآة الشرق » لبولس شحادة و« بيت المقدس » في ٢٦ ديسمبر ١٩١٩ لبندلي الياس مشحور[٦] .

ويتحدث تقرير للجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني الثالث الذي عقد في ١٤ ديسمبر ١٩٢٠ عن أوضاع الصحافة فيقول أن « الصحافة الوطنية مقيدة ومعرضة للغرامة ، وفي بعض الاحيان يسجن اصحابها لأقل فكرة تبديها بينما

جرائد اليهود تتابع حملاتها على الوطنيين فلا تلحقها أدنى تبعة »[٧] .

وكان أهم الصحف السياسية التي صدرت خلال العشرينيات مايلي :

١ - «القدس الشريف » التي أصدرها في القدس في ١٣ ابريل ١٩٢٠ حسن صدقي الدجاني .

٢ - « لسان العرب » التي أصدرها في القدس في ٢٤ يونيو ١٩٢١ ابراهيم سليم النجار .

٣ - « صوت الشعب » التي أصدرها في بيت لحم في ١١ مايو ١٩٢٢ عيسى البندك .

٤ - « الجزيرة » التي اصدرها في يافا في ٣١ يناير ١٩٢٤ حسن فهمي الدجاني ومحمد كامل الدجاني .

٥ - « الصراط المستقيم » التي أصدرها في يافا في ١٢ سبتمبر ١٩٢٤ الشيخ عبد الله القلقيلي ، وكانت أسبوعية ، وظلت تصدر حتى عام ١٩٤٨ .

٦ - « الجامعة العربية » التي أصدرها في القدس في ٢٠ يناير عام ١٩٢٧ محمد منيف الحسيني[٨] .

ونتيجة لتكون عدد من الأحزاب المعادية للنشاط الوطني في البلاد في أواخر عام ١٩٢٣ وخلال عام ١٩٢٤ فقد شغل أهل البلاد بخلافاتهم المحلية وصراعاتهم الحزبية . ومن هنا فقد كان لانعقاد المؤتمر الصحافي العربي الأول في ٨ يونية ١٩٢٤ أثره في تنشيط الحركة الوطنية في البلاد[٩] .

وكان صاحب فكرة هذا المؤتمر هو السيد على ناصر الدين صاحب جريدة « المنبر » المحتجبة ونزيل فلسطين في ذلك الوقت وطريد السلطة الفرنسية في بيروت ، فقد تردد بين حيفا ويافا والقدس سعيا وراء تحقيق تلك الفكرة ، فقابل الصحفيين في انحاء فلسطين وحدثهم في هذا الأمر فوجد منهم قبولا وارتياحا لهذه الفكرة[١٠] .

وكانت الغاية من هذا المؤتمر توحيد صفوف رجال الصحافة العرب ضد

أعدائهم أولا ، ثم السعي لتوحيد كلمة الزعماء الفلسطينيين ، وتهيئة الجو الصالح لعقد المؤتمر الفلسطيني السابع[١١] .

وقد عقد المؤتمر اربع جلسات ثم قرر ما يأتي :

أولاً : الصحافة العربية الفلسطينية متضامنة متكاملة في خدمة المصلحة العامة ، ولا يجوز ان تتعدي الانتقاد الى المطاعن الشخصية والتشفي .

ثانياً : العناية بالمسائل الاقتصادية والزراعية والاكثار من الكتابة فيها لتنشيط الزراع على تكثير الانتاج والتجار على توسيع تجارتهم وفتح اسواق جديدة ولاسيما في العالم الإسلامي .

ثالثاً : مقاومة الحزب الزراعي الذي تشكل حديثا في الخليل لخروجه على ما قررته الأمة من رفض الانتداب ووعد بالفور .

رابعاً : مقاومة النعرات الطائفية التي تؤدي إلى الانقسام والتفرقة بين الوطنين من مسلمين ومسيحيين .

خامساً : تأليف نقابة صحفية باسم « نقابة الصحافة العربية في فلسطين[١٢] .

وفي محاولة من المؤتمر لتوحيد كلمة رجالات فلسطين ، فقد طلب من الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي ـ الذي كان يزور فلسطين في ذلك الوقت ـ التوسط لازالة سوء التفاهم بين زعماء البلاد[١٣] . وقد بذل الثعالبي محاولة في هذا الشأن الكن رجال المعارضة قاوموها ووضعوا العقبات في طريقها .

وكان من المواقف الوطنية التي اتخذها رجال الصحافة العربية في فلسطين في عام ١٩٢٥ امتناعهم عن مقابلة اللورد بالفور الذي حدد موعدا لمقابلة

الصحفيين في البلاد ، فقابله الصحفيون اليهود وحدهم وامتنع أصحاب الصحف العربية عن مقابلته[١٤] .

ونتجة للخلافات السياسية التي كانت قد بلغت أشدها بين الزعماء الفلسطينيين في عام ١٩٢٧ ، فقد انعكست آثار تلك الخلافات على مختلف الصحف العربية في فلسطين ، فساهمت تلك الصحف في زيادة حدة الخصومة ، لكن أصحاب تلك الصحف ما لبثوا ان تنبهوا الى خطورة ذلك الخلاف على القضية الوطنية ، فعقدوا مؤتمرا في يافا ايام ١٢ ، ١٣ ، ١٤ نوفمبر حضره ممثلون عن الصحف الفسلطينية(**) واتخذوا القرارات التالية :

أولاً : أن يدعو رجال الصحافة الى جمع كلمة الأمة وتسهيل عقد مؤتمر عام يمثل آراء الأمة في قضيتها السياسية العامة والدفاع عن مصالحها أمام الحكومة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

ثانياً : تبادل الاحترام بين الصحفيين على اختلاف آرائهم ومراعاة حقوق الزمالة وآداب الصحافة ومقاومة كل حركة من شأنها احياء النعرات الطائفية والنزعات الدينية .

ورأى المؤتمرون وجوب مطالبة الحكومة بحقوق الصحافة ، كما بحثوا في تأليف نقابة صحفية لهم ـ ولم تكن النقابة التي تقرر تشكيلها في مؤتمر الصحافة العربية الفلسطينية الأولى في يونية ١٩٢٤ قد تألفت بعد ـ واستقر رأيهم على تأليف هذه النقابة من أصحاب الصحف الذين حضروا المؤتمر ، وتم انتخاب عيسى البندك صاحب جريدة « صوت الشعب » وعبد الله القلقيلي صاحب جريدة « الصراط المستقيم » ممثلين للنقابة ، وعهد اليهما بتقديم قانون النقابة للحكومة وابلاغها قرارات المؤتمر[١٥] .

وتحدث انتفاضة البراق في فلسطين في أغسطس ١٩٢٩*** ، وتسهم الصحافة العربية في فلسطين بدور هام سواء بالنسبة لمقدمات تلك الانتفاضة أو لتطور أحداثها . فقد نشرت الصحف العربية في أعقاب الحوادث التي

وقعت يوم عيد الغفران عند اليهود عام ١٩٢٨ صوراً لمستندات تثبت أحقية المسلمين في ملكية الحائط ، كما نشرت قرارات المؤتمر الصهيوني السادس في زوريخ (من ٢٨ يوليو الى ١١ أغسطس ١٩٢٩) واعتبرتها دلالة صريحة على أن المؤتمر يحاول التأثير على حكومة بريطانيا كي تلغى قرارا اتخذته لصالح المسلمين ويحول دون تنفيذ مبادىء الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٨ ـ الذي أيد الحق العربي ـ وكتبت الصحف العربية والعبرية عددا من المقالات اعتبرتها لجنة شو ـ التي تولت التحقيق في الموضوع ـ من الأسباب المباشرة لتلك الانتفاضة[١٦] .

ولقد أوقفت حكومة الانتداب خلال الانتفاضة جميع الصحف في فلسطين سواء كانت عربية أم يهودية ، لكن الصحف اليهودية كانت تصدر خلال فترة الايقاف في شكل كراسات ونشرات[١٧] . كما ان الحكومة كانت تصدر نشرات رسمية تهدف الى اطلاع الجمهور على تطور الأحداث وازالة مخاوفه[١٨] .

وفي محاولة للاهتمام بالدعاية العربية للقضية الفلسطينية في أعقاب تلك الانتفاضة فلقد أصدرت جريدة فلسطين بيافا يوم ١٦ سبتمبر ١٩٢٩ نسخة أسبوعية منها باللغة الانجليزية ، وارسلت نسخا منها مجانية الى أعضاء البرلمان البريطاني والحكومة البريطانية ، وإلى غيرهم من كبار الشخصيات في العواصم الغربية الأخرى[١٩] .

ومع بداية التحول في استراتيجية الحركة الوطنية الفلسطينية في أوائل الثلاثينيات واعتبار الاستعمار البريطاني هو أصل الداء وأن الصهيونية ليست سوى خطر ثانوي تجاوبت الصحف الفلسطينية مع هذه الروح الجديدة[٢٠] .

وشهدت سنوات النصف الأول من الثلاثينيات وحتى قيام ثورة ١٩٣٦ نشأة عدد من الصحف أهمها ما يلي :

١ ـ « الحياة » التي أصدرها في القدس عام ١٩٣٠ عادل جبر وخالد الدزدار

٢ - « العرب » التي أصدرها في القدس في ٢٧ أغسطس ١٩٣٢ عجاج نويهض .
٣ - « الجامعة الاسلامية » التي اصدرها في يافا عام ١٩٣٣ سليمان التاجي الفاروقي .
٤ - « الدفاع » التي اصدرها في يافا عام ١٩٣٤ ابراهيم الشنطي .
٥ - « اللواء » التي حصل جمال الحسيني على رخصتها في أوائل ديسمبر ١٩٣٥[٢١] .

ومع أزدياد هجمات الصحافة الوطنية في فلسطين على الانتداب البريطاني ومظاهرة الرئيسية وجهت الحكومة المنتدبة انذارات متعددة الى تلك الصحف في عام ١٩٣٣ بموجب قانون الصحافة لذلك العام[٢٢] لكن اثر تلك الانذارات كان قليلا أو منعدماً[٢٣] .

ونتيجة لازدياد حركة بيع الاراضي وتفشى عمليات السمسرة خلال سنوات النصف الأول من الثلاثينيات شنت الصحف الوطنية حملات قوية ضد السماسرة وباعة الأرض واتهمتهم بالخيانة ، وكان من نتائج هذه الحملة ان أصدر مؤتمر العلماء الأول في القدس فتوى بتجريم بائعي الأرض وعدم دفن من يموت منهم في المقابر ، كما كان من نتائجها اقبال بعض أصحاب الأراضي على تسجيل أراضيهم كوقف عائلي لانقاذها من الوقوع في يد اليهود[٢٤] .

وتتضمن التقارير البريطانية الدورية التي كانت ترسل من فلسطين اشارات عديدة الى خطورة الصحافة الوطنية في فلسطين في مرحلة ماقبل ثورة ١٩٣٩/٣٦ حيث تذكر هذه التقارير أن مقالات تلك الصحف أصبحت مثيرة للغاية وانها تندد بالسياسة البريطانية في فلسطين[٢٥] .

والحق أن الصحافة العربية في فلسطين قامت بدور هام في تلك الحقبة

المبكرة من تاريخ فلسطين المعاصر ، ونبهت العرب في فلسطين الى خطورة ما يتعرضون له من مؤامرات ، لكن هذا لايعني أن الصحف العربية في فلسطين قد أخذت جميعها هذا الموقف ، فهناك صحف اخرى كانت معادية للحركة الوطنية أو ممالئة للانتداب والصهيونية . ويمكن من خلال دراستنا لتلك الفترة أن نقسم الصحف العربية في فلسطين الى ثلاثة أقسام : صحف وطنية ، وصحف غير وطنية ، وصحف متقلبة ، وسأتحدث عن كل قسم من تلك الاقسام بشيء من التفصيل .

أولاً : الصحف الوطنية :

وأقصد بالصحف الوطنية تلك الصحف التي ناهضت الاستعمار والصهيونية ووقفت الى جانب الحركة الوطنية في فلسطين وساندتها لكنها لم تتردد في نقدها ومعارضة قيادتها اذا كان هناك ما يستوجب ذلك . وتشمل هذه المجموعة معظم الصحف الفلسطينية رغم اختلاف في اتجاهاتها . ومن تلك الصحف « سوريا الجنوبية » وكانت قوية الحجة شديدة اللهجة مبدؤها الوحدة السورية والاستقلال التام ورفض الهجرة الصهيونية[٢٦] .

ومنها « الجزيرة » وكانت تعليقاتها تتسم بالموضوعية ووضوح الفكرة « نحن لانكره اليهود لكونهم يهودا ولكن نكرههم لأنهم يحاولون اغتصاب بلادنا منا وجعلها وطنا قومياً لهم . . . وأظن أن من الحق أن نكره الحكومة اذا كانت تعمل لاحلال أقلية تجمع من اطراف الأرض محل أصحاب البلاد الحقيقيين وأصحاب الاكثرية المطلقة الساحقة » . وكانت الصحيفة مدركة لأهمية دور الشباب في دفع مسيرة النضال الوطني ، فقد نشرت الصحيفة العديد من المقالات طالبت فيها شباب فلسطين بتنظيم أنفسهم ووضع حد لدور الكلام والمشاريع النظرية . كما كانت الصحيفة تنشر مقالات يدعو أصحابها الى تأليف النقابات ومحاولة ربطها بالعمل السياسي[٢٧] .

ومن تلك الصحف « الاتحاد العربي » التي كانت تنادي منذ منتصف العشرينيات بتأليف شركة وطنية لشراء الأراضي التي يراد بيعها لليهود[٢٨] .

ومنها صحيفة « اليرموك » التي كانت تدعو العمال العرب في نقابة عمال السكك الحديدية والبريد والبرق ـ التي كانت تجمع العرب واليهود معا ـ الى اليقظة حتى لا يكونوا آلة لتحقيق الغايات السياسية الصهيونية أو الشيوعية[٢٩] .

ومن تلك الصحف « صوت الشعب » وان كان يؤخذ عليها انها ظلت تدعو دائمًا الى اتباع وسائل الدفاع المشروعة حتى بعد ان اقتنعت الجماهير بضرورة أتباع وسائل الايجابية وثورية[٣٠] .

ومن الصحف الوطنية « الجامعة الاسلامية » التي كانت تهتم بابراز نشاط الهيئات الوطنية مثل اللجنة التنفيذية العربية ومؤتمر الشباب وغيرها[٣١] .

ومنها « الدفاع » التي كان مبدؤها محاربة الاستعمار وأعوانه ونصرة الحركات الاستقلالية ومساعدة الفلاح والعامل وخلق رأي عام واع ونفخ روح الرجولة في الشباب[٣٢] . ويتضمن احد التقارير البريطانية في أواخر عام **١٩٣٥** اشارات الى ان لهجة صحيفتي « الجامعة الاسلامية » و « الدفاع » تساعدان بدرجة كبيرة على اثارة الرأي العام في فلسطين[٣٣] .

ومن الصحف الوطنية جريدة « اللواء » التي كان مبدؤها تأدية رسالة الوحدة العربية ، وهي أول جريدة عربية في فلسطين تصدرها شركة مساهمة هي « شركة الصحافة والطباعة العربية »[٣٤] .

وهناك صحيفة فلسطينية هامة وهي « الشورى » التي كان يصدرها محمد على الطاهر في القاهرة منذ عام **١٩٢٤** وهو أحد ابناء فلسطين المجاهدين الذين استقر بهم المقام في مصر قبل ذلك بسنوات عدة[٣٥] .

وكان لمحمد على الطاهر قبل اصدار « الشورى » جولات وصولات في صحف مصر والشام ، فكانت مقالاته تنشر باسم مستعار في صحف الأهرام والسياسة والكشكول واللواء والمقطم في مصر وألف باء وفلسطين بالشام ولسان الشعب بتونس ، فهذا الرجل كان كما وصفه احمد زكي باشا في مقال له « مجموعة صحف متعددة المناحي مختلفة المسالك لكنها تتجه جميعها الى هدف واحد »[٣٦] .

وكانت « الشورى » منذ صدور أول اعدادها سيفا مسلطا على رأس الاستعمار والصهيونية ، كما كان صاحبها من أنشط وأخلص الفلسطينيين الذين خدموا القضية خارج البلاد ، وظل طوال حياته يدعو الى الوحدة الوطنية ومقاومة الاستعمار والصهيونية . ولم يكن نشاط هذا الرجل وقلمه يقتصر على فلسطين وحدها بل كان يدافع عن الفكرة العربية وقضاياها أينما وجدت وحيثما اتجهت دون كلل أو ملل أو مهادنة أو استسلام .

وكان من مواقف الصحيفة الوطنية أنها شنت حملات شديدة على الشخصيات العربية من باعة الأرض وعلى سماسرة الأراضي الذين أعلنوا عن أنفسهم وافتتحوا مكاتب للسمسرة في مدن عديدة من فلسطين ، وقد دعت الصحيفة الى مقاطعتهم واعتبارهم أشد عداوة من الصهاينة[٣٧] .

ومع أن صحيفة « الشورى » لم تكن ذات علاقة رسمية باللجنة التنفذية العربية التي كانت تقود الحركة الوطنية في فلسطين أو بالمجلس الاسلامي الأعلى الذي كان يشرف على الشئون الدينية في البلاد . الا ان اللجنة التنفيذية العربية كانت تعتبرها ممثلة الحركة الوطنية في فلسطين . فعندما منعت حكومة الانتداب في فلسطين تلك الصحيفة من دخول فلسطين أوائل عام ١٩٢٥م ارسلت اللجنة التنفيذية العربية للمؤتمر السادس الفلسطيني احتجاجا الى حكومة فلسطين مؤكدة ان جريدة « الشورى » هي « جريدة تنطق بلسان الاكثرية الساحقة من سكان البلاد رغم صدورها في مصر »[٣٨] .

والحق ان صحيفة « الشورى » وصاحبها محمد على الطاهر يستحقان دراسة علمية خاصة ليس فقط بسبب مناصرة تلك الصحيفة لكل القضايا العربية والاسلامية ، وإنما بالدرجة الأولى لمقاومتها المستمرة والمستميتة لكل أنواع الاستعمار الأجنبي ومظاهرة المختلفة .

ثانياً : الصحف غير الوطنية :

وأعنى بالصحف غير الوطنية الصحف التي قاومت الحركة الوطنية في فلسطين وتعاونت مع الانتداب أو الصهيونية بطريقة سافرة أو مستترة ، وأهم هذه الصحف لسان العرب ومرأة الشرق والكرمل وبيت المقدس .

فأما صحيفة « لسان العرب » اليومية فقد صدرت بالقدس في ٢٤ يونية ١٩٢١ ، وكان صاحبها ابراهيم سليم النجار ـ وهو لبناني ذهب الى فلسطين في أعقاب الاحتلال الانجليزي للبلاد ـ يحاول ان يجعل من صحيفته مثلما كانت عليه صحيفة المقطم في مصر من السياسة البريطانية[٣٩] . وقد نجح فعلا في هذه المحاولة فقد كان العرب ينظرون الى صحيفته باعتبارها الصحيفة شبه الرسمية لحكومة فلسطين[٤٠] .

ومن يتابع تلك الصحيفة يتضح له مواقفها العديدة المناوئه للاتجاه الوطني في فلسطين ـ فهي تدعو الفلسطينيين الى التعاون مع الأمير عبد الله دون اجباره على العمل بارادة الشعب ودون اتهامه بالتعاون مع الاستعمار والصهيونية .
وهي تنبه الفلسطينين دائما الى أن الطفرة شيء محال وأن عليهم ان يجاهدوا سنوات طويلة مثلما فعلت الأمة الايطالية في سبيل وحدتها[٤١] . وهي تعلن رضاءها عن فكرة الانتداب ولكن ليس بالصورة التي تطبق في بلاد الشرق « ولم نخف مرة من المرات رأينا باننا من طلاب المساعدة التي يطلقون عليها اسم الانتداب لعلمنا بعجز سوريا ومجموع ابناء الأمة العربية عن القيام

وحدهم بأعباء تأسيس الملك في بلادهم ، ولكننا لانود ان نفهم قط بالمساعدة شكل هذا الانتداب اللعين الممقوت المكروه الأسود السيء الذي نراه اليوم في كل الشرق »[42] . لكن الصحيفة لم تبين بشكل واضح ماهو ذلك الانتداب الذي تحبذه ولا تراه لعينا أو مكروها أو سيئاً .

وعندما يقرر المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس الذي عقد في ٢٢ أغسطس ١٩٢٢ رفض دستور فلسطين الجديد ومقاطعة انتخابات المجلس التشريعي وتأييد رفض نظام الانتداب ومقاطعة اليهود في الشراء وبيع الأموال غير المنقولة تعتبر الصحيفة ان ذلك من التطرف الذي يتعارض ومصالح البلاد[43] . وتدعو الصحيفة عرب فلسطين الى الاعتدال وعدم مقاطعة الحكومة أو اليهود والاهتداء بسياسة عدلي يكن في مصر التي ترى فيها الصحيفة « حركة نافعة تفيد جميع الشرق »[44] .

وقد يكون مقبولا في بلاد أخرى غير فلسطين أن يكون هناك اتجاهان أحدهما متشدد والآخر معتدل باعتبار أن تلك البلاد تحصل بين وقت وآخر على شيء من حقوقها الوطنية ، أما بالنسبة لفلسطين فان أي تنازل عن حق وطني هو تنازل نهائي إلى الحركة الصهيونية التي ذهبت الى فلسطين لتبقى لا لترحل ولذلك فاننا نرى أن عدم التمسك بالمطالب الوطنية في فلسطين خلال عهد الانتداب هو تفريط في حقوق الوطن ، كما نرى أن سياسة الاعتدال أو تأييد فكرة الانتداب هو خروج على الخط الوطني وتفتيت لقوى الأمة . فلم يكن الانجليز مستعدين طوال عهد الانتداب لاعطاء عرب فلسطين أي حق من حقوقهم الأساسية .

وتمضى الصحيفة في مواقفها فتؤكد اتجاهها الانعزالي وتدعو الى عدم الاعتماد على البلدان العربية حيث تعارض ارسال الوفود الفلسطينية سواء الى الغرب أو الى الجزيرة العربية والعراق بدعوى « أن أولئك الغرباء لايستطيعون ان يفيدونا بشيء . . . وإذا كان لهؤلاء من حول أو طول فليبدءوا بأنفسهم أولا ليتحرروا من نير الأجنبي »[45] .

وتردد الصحيفة بين حين وآخر فكرة فحواها أن الأمة العربية غير كفؤ للاستقلال وتنتقد الصحف التي ترى غير ذلك بل وتعتبر ذلك قتالا في سبيل الخيال . « فالذهاب مع الخيال الواسع في كل مذهب واحلاله محل الحقيقة التي يجب أن تتبع وأن يعمل بها جناية لاتغتفر »[٤٦] .

ويصل الأمر بالصحيفة أن تستعدي السلطة المنتدبة ضد المؤسسات الوطنية بسبب مواقفها الايجابية فتنتقد المجلس الإسلامي الأعلى لمقاطعته حفل تنصيب هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، وتعتبر في ذلك « مبدأ قانونيا جديداً يصعب على أية حكومة أن تقبل به »[٤٧] .

وكانت الصحيفة تهتم بالمسائل الفرعية والهامشية فتثير الشكوك في قيادة الحركة الوطنية بدعوى حرصها على حقوق الأمة حيث انتقدت اللجنة التنفيذية العربية لعدم ذكرها شيئاً عن الميزانية والأموال التي انفقت خلال اجتماع المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس وتطالبها بأن تنشر على الأمة « ميزانية مطولة تبين فيها كل ما دخل عليها وما أنفق منعا للقيل والقال ودرءا للظنون »[٤٨] .

ومع رسوخ أقدام الانتداب في فلسطين تزداد الصحيفة في تأييدها السافر للانتداب ومقاومتها للحركة الوطنية الفلسطينية . فعندما أضرب العرب في فلسطين في ٢٥ مارس ١٩٢٥ يوم وصول اللورد بالفور فلسطين لافتتاح الجامعة العبرية في القدس تحدت الصحيفة مشاعر الجماهير ودعت الى عدم الاضراب[٤٩] . ولم تكن مواقف الصحيفة معادية للحركة الوطنية في فلسطين وحدها بل معادية للحركات الوطنية في العالم العربي . فعندما قتل السردار الانجليزي في مصر عام ١٩٢٤ شنت الصحيفة حملة شديدة على سعد زغلول وعلى رجال البرلمان المصري[٥٠] . وبشكل عام فلقد كان ابراهيم سليم النجار صاحب تلك الصحيفة يشجع كل حركة معادية للحركة الوطنية في فلسطين ، ويساند الاحزاب الخارجة على الأمة . فلقد ناصر الجمعيات الاسلامية

الوطنية والحزب الوطني والاحزاب الزراعية وجمعية تعاون القرى وهي التشكيلات المعادية للحركة الوطنية ، وكان يهاجم رجالات الأمة وأخيارها ، وإذا قالت الأمة شيئاً نادي بعكسه وإذا دعت الى شيء هتف بنقيضه . وقد بلغ من معاداة هذا الرجل للحركة الوطنية في فلسطين أن قالت صحيفة الشورى في تعليق لها ان مصائب فلسطين ثلاثة هي الاحتلال والصهيونية وابراهيم سليم النجار .

ولقد انصرف العرب في فلسطين عن تلك الصحيفة شيئاً فشيئاً ، وعندما أحس النجار باحتضار صحيفته حاول التراجع عن خطته لكن الجماهير لم تنخدع في تلك المحاولة ، وظل أهل فلسطين يقاطعون الصحيفة حتى باع الرجل مطبعتها بالمزاد العلني واغلق الصحيفة وغادر فلسطين كلها[٥١] .

وأما الصحيفة الثانية غير الوطنية فهي « مرآة الشرق » التي أصدرها بالقدس في ١٧ سبتمبر ١٩١٩ بولس شحادة .

ولايجد الباحث صعوبة في تحديد مواقف تلك الصحيفة المعادية للحركة الوطنية والموالية للانتداب والصهيونية ، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

أولاً : عندما عقد المؤتمر الفلسطيني الثالث في ديسمبر ١٩٢٠ وقدمت فئة من الفلسطينيين مضابط للحكومة بأن المؤتمر لايمثل الأمة اهتمت الصحيفة بإبراز هذا الأمر ، وكانت عاملاً من عوامل التشكيك في تمثيل المؤتمر للأمة . وعندما انتخب الوفد الفلسطيني الأول الذي سافر إلى لندن في يونيه ١٩٢١ قام صاحب « مرآة الشرق » يعارض الأمة في مسعاها فطاف بالبلاد محاولا جمع مضابط موقع عليها من أهل القرى بأن الوفد لايمثل الأمة لكنه خاب في مسعاه . وعندما تقرر ارسال وفد إلى الحجاز أخذ يدعو الناس الى عدم المساهمة في نفقات الوفد .

ثانياً : دعت الصحيفة الجماهير في بداية انتخابات المجلس التشريعي أواخر عام ١٩٢٢ الى الاشتراك في تلك الانتخابات رغم مقاطعة العرب في فلسطين لها ، وعندما ادركت الصحيفة تصميم الجماهير على المقاطعة عادت فقالت انها تؤ يد الأمة .

ثالثاً : كانت صحيفة « مرآة الشرق » هي الصحيفة الوحيدة التي خالفت اجماع الأمة بمقاطعة المجلس الاستشاري الذي عرضته الحكومة على عرب فلسطين عام ١٩٢٣ بعد فشل انتخابات المجلس التشريعي[٥٢] .

رابعاً : كانت الصحيفة ذات نظرة اقليمية ضيقة ، فقد انتقدت ادارة المعارف أواخر عام ١٩٢٢ لاعتمادها على عدد من المدرسين السوريين والعراقيين والمصريين واعتبرتهم غربـاء عن أهل البلاد[٥٣] .

خامساً : كان صاحب هذه الصحيفة أول من قال « اتركونا من الصهيونية فنحن لانقدر عليها » وأول من نشر مقالات تدعو الى فصل فلسطين عن سوريا[٥٤] .

سادساً : دعت الصحيفة صراحة الى ضرورة رضوخ العرب للأمر الواقع وقبول مزيد من المهاجرين اليهود والعيش واياهم كاخوة تحت الحماية الانجليزية وانتدابها . مما دعا الصحف اليهودية الى الترحيب بهذه الدعوة الحكيمة « التي تقيل الوطن من عثرته وتمهد لظهور حضارة سامية جديدة »[٥٥] .

ونتيجة لمواقف تلك الصحيفة فقد أخذت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين موقفا واضحاً ومحدداً منها فقد قررت اللجنة التنفيذية العربية بجلستها في ١٧ نوفمبر ١٩٢٣ « مقاطعة جريدة مرآة الشرق لسان حال الحزب الجديد لخروجها على الأمة ومشايعتها للحكومة في سياستها الصهيونية »[٥٦] .

ولقد أحس بولس شحادة صاحب « مرآة الشرق » بخطأ سياسته ومواقفه في أواخر عام ١٩٢٤ وانتابته يقظة ضمير مؤقتة ، فكتب مقالا بصحيفته يلوم فيها نفسه على صحائفه السود ويستغفر الأمة عن أخطائه « والله ان كان هناك هالة سوداء أمام عيني ، ان كان هناك ما يبكت ضميري ويجعلني أخجل من نفسي ومن التاريخ ، ان كان هناك ما يقض مضجعي ويجعلني أنام على شوك من القتاد هو تلك الصحائف السوداء التي سطرت في مرآة الشرق منذ زمن بعيد في الطعن بفلان والحط من كرامة فلان - تلك الصحائف التي ألجأتنا اليها السياسة الغاشمة وبئست تلك السياسة التي لا تجد لها برهانا تؤيد فيه نظرياتها الا الطعن والقدح والذم في الناس - فان كنت أذكر الصحافة في هذه المقالة فلست أنسى مرآة الشرق ولا أنسى ما لها من الخطيئات التي كلما ذكرتها أقرع سن الندم وأقول لا حول ولا قوة الا بالله ، فلا تحمل علينا اذن صحف فلسطين ولا تقل قد صدق فيه قول الشاعر أنه يعلم غيره وينسى نفسه فأنا ألوم نفسي اللوم العنيف أولا على كل بادرة بدرت منها في حق أي وطني وان كان ممن لا يرون رأيي في سياستي »[٥٧] .

لكن الصحيفة ما لبثت أن عادت سيرتها الأولى فكتبت تهاجم اللجنة التنفيذية العربية وتثير مسائل ثانوية مثل حسابات اللجنة وطريقة تنفيذها في الوقت الذي كانت اللجنة التنفيذية قد وجهت فيه رسالة الى الاحزاب المعارضة تدعوها الى التفاهم والتضامن[٥٨] .

والخلاصة ان تاريخ « مرآة الشرق » هو تاريخ غير مشرف ليس بالنسبة للحركة الوطنية في فلسطين وحدها بل بالنسبة للقضايا العربية جميعها .

وأما الصحيفة الثالثة غير الوطنية فهي صحيفة « الكرمل » التي أصدرها نجيب نصار في حيفا عام ١٩٠٨ ، وقد ربط صاحبها نفسه بالادارة العسكرية الانجليزية منذ احتلال القوات البريطانية فلسطين فلقد كان نجيب نصار احد الرجال القلائل الذين اسسوا الحزب العربي الموالي لبريطانيا » في نوفمبر ١٩١٨ ***

وكان نجيب نصار يدعو في صحيفته الى حسن الظن ببريطانيا وتدعيم سياستها في فلسطين ، كما كان يحاول خداع القرويين والمزارعين بالتظاهر بالاهتمام بأمورهم الزراعية بهدف تأليف أحزاب زراعية تثير مشاعر الفلاحين ضد ابناء المدن وتخلق منهم جبهة مناوئة للحركة الوطنية في فلسطين .

وعندما أجمع العرب في فلسطين على ضرورة عقد المؤتمر الفلسطيني السابع لتنظيم شئون الحركة الوطنية بعد فتورها خرجت الكرمل على هذا الاجماع فنشرت عدة مقالات تحض على عدم انعقاد المؤتمر وتوغر صدور رجال المعارضة وأنصار الحكومة[٥٩] .

وتمشيا مع أسلوب الخروج على أي اجماع شعبي أو مهني فقد رفض نجيب نصار أي تحتجب صحيفته تضامنا مع الصحافة العربية في فلسطين التي اضربت أواخر عام **١٩٣٣** احتجاجا على فرض الرقابة على الصحف بعد الانتفاضة الشعبية عام **١٩٣٣**[٦٠] .

ولقد كانت الصحيفة تهتم بالمسائل الفرعية والهامشية وتحاول أن تحولها الى قضايا رئيسية تشغل بها الجماهير عن الاهتمام بمشاكلهم الأساسية . فعندما نقل موسى العلمي من سكرتيرية المندوب السامي الخاصة الى دائرة العدلية دعت صحيفة الكرمل الى اجتماع اللجنة التنفيذية العربية لدراسة هذا الأمر واتخاذ قرار فيه[٦١] .

لكن الانصاف يدعونا الى أن نقرر ان صحيفة الكرامل على الرغم من معاداتها للحركة الوطنية في فلسطين وتعاونها مع السلطة المنتدبة ورجالها كانت تحمل كثيرا على الصهيونية وتنبه الناس الى أخطارها .

ولاشك أن التنبيه لخطورة الصهيونية أمر هام لكن استمرار بعض الصحف الفلسطينية في التركيز على الخطر الصهيوني وحده حتى بعد ظهور الاستعمار البريطاني في الساحة قد جعل العرب في فلسطين يتصورون لسنوات غير قليلة أن الخطر الصهيوني هو الخطر الاساسي الذي ينبغي مقاومته ، ولعل ذلك

يفسر لنا أن عداء عرب فلسطين كان متجهاً بالدرجة الأولى خلال العشرينيات إلى مقاومة الخطر الصهيوني وحده ، ثم تنبهوا خلال السنوات الأولى من الثلاثينيات ونتيجة لازدياد خبرتهم في التعامل مع الاستعمار البريطاني الى ان الصهيونية ليست سوى خطر ثانوي وأن الاستعمار هو الخطر الاساسي الذي ينبغي على العرب مقاومته . ويعتقد ان عددا من الصحف الفلسطينية أهمها « الكرمل » تتحمل مسئولية أساسية في هذا الشأن فقد ظلت لفترة طويلة تركز على الخطر الصهيوني دون ربطه حتى في مرحلة تالية بالخطر الاستعماري الذي تبنى فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين وظل يرعاها بالمساندة والرعاية والتأييد حتى اينع الزهر وطاب الثمر وتحولت الفكرة الى دولة صهيونية منزرعة في قلب العالم العربي .

الصحف المتقلبة :

ومن ابرز الصحف المتقلبة « فلسطين » التي صدرت عام ١٩١١ ، وكان مبدؤ ها خدمة الأمة الفلسطينية والعمل على استقلال البلاد ، وكانت من أهم الصحف التي قاومت الصهيونية وفضحت أسرارها وحذرت العرب من أخطارها[٦٢] .

ومن يتابع هذه الصحيفة فلابد ان يلاحظ تقلبها بين مساندة الخط الوطني والدفاع عن مصالح البلاد وبين مساندة المعارضة ومهاجمة قيادة الحركة الوطنية .

فبينما نجد من الصحيفة خلال سنوات النصف الأول من العشرينيات مواقف وطنية كاتهامها لبعض اعضاء الجمعيات المعادية للحركة الوطنية مثل الجمعيات الاسلامية الوطنية بالعمل كعملاء للصهيونية ، ونقدها لقبول بعض الشخصيات العربية الاشتراك في عضوية المجلس الاستشاري الذي رفضته الأمة ، وحرصها على التعبير عن رفض الجماهير للحزب الزراعي في

الخليل (الذي تكون في أوائل عام ١٩٢٤) ولم يكن مؤمنا بحق الفلسطينيين في حكم انفسهم[٦٣] . نجد الصحيفة تنقلب في سياستها خلال سنوات النصف الثاني من العشرينيات فبدلا من استمرارها في دعم الحركة الوطنية ومساندتها نجدها تطالب في أواخر ١٩٢٦ بتأليف حزب محايد في فلسطين لملء الفراغ الذي سببه فتور الحركة الوطنية في تلك الفترة[٦٤] .

ولاشك أن تقلب الصحيفة من صحيفة وطنية الى صحيفة مؤيدة لرجال المعارضة الذين ظلت تهاجمهم لفترة طويلة وتتهمهم بمساندة الانتداب أمر يثير التساؤل والحيرة .

وقد تكون صحيفة « فلسطين » قد يئست مما انتاب نشاط الحركة الوطنية من فتور في تلك المرحلة ، وقد تكون الصحيفة قد اختلفت مع قيادة الحركة الوطنية في فهمها أو تفسيرها لبعض القضايا ، لكن السؤال يبقى مطروحاً : هل هذا كاف لتحول صحيفة وطنية الى صحيفة مناوئة للحركة الوطنية ؟

في اعتقادنا أن الادارة المنتدبة قد تمكنت خلال ضعف الحركة الوطنية في فلسطين من استقطاب أصحاب تلك الصحيفة واستخدامهم لتأييد سياستها ثم دفعتهم بعد ذلك الى التعاون مع النشاط الصهيوني في فلسطين الى درجة وجد أصحاب الصحيفة معها أنهم غير قادرين على التراجع فاستمرأوا تلك السياسة المعادية للحركة الوطنية .

وقد بلغ من عداء تلك الصحيفة بعد انقلابها انها كانت تقف من الحركة الوطنية مواقف مماثلة للصحف الصهيونية في فلسطين . فعندما شنت تلك الصحف حملة كبيرة على المجلس الاسلامي الأعلى لانقاذه كثيراً من الأراضي من الوقوع في يد الصهيونية كانت صحيفة « فلسطين » هي الصحيفة العربية الوحيدة في فلسطين التي ناصرت الصحف الصهيونية في تلك الحملة[٦٥] .

وقد استمرت الصحيفة بعد ذلك في سلسلة من المواقف المعادية للحركة الوطنية ، ومن الأمثلة على ذلك مقاومتها لمشروع اعانة المنكوبين السوريين ،

ومعارضتها لعقد المؤتمر الفلسطيني العربي السابع ، وموقفها المريب ضد قضية حائط البراق ، ومعارضتها لمشروع عمارة المسجد الأقصى ، ومقاومتها لمشروع بنك مصر فلسطين ، ومهاجمتها عبد الحميد شومان لمحاولته انشاء بنك وطني في فلسطين[٦٦] .

وليس معنى ذلك أن الصحيفة بعد تقلبها لم تعد تنادي اطلاقاً بما يفيد العرب في فلسطين أو يخدم مصالحهم فهي بين وقت وآخر تدعو الى مشروع نافع أو تردد فكرة مفيدة مثلما فعلت في أوائل عام ١٩٢٧ عندما دعت الصحيفة الى انشاء بنك وطني في فلسطين أسوة بما هو متبع في مصر والبلاد الراقية[٦٧] . لكن الصحيفة سرعان ما تتخلى عن مشروعها أو تهاجمه أو تنتقده اذا وجدت أعضاء اللجنة التنفيذية العربية أو رجال المجلس الاسلامي الأعلى يتبنون المشروع أو يحاولون تنفيذه .

ولم يكن بالامر الغريب أن تدعو صحيفة فلسطين في أواخر عام ١٩٣٠ الى مؤتمر عربي صهيوني لرجال الصحافة فقد حدث عندما عطلت الحكومة الصحيفة أربعة أيام ان اجتمع صاحب جريدة فلسطين بالصحفي الصهيوني النازي فون دايزل محرر « دوارهايوم » ـ لسان حال اليهود الاصلاحيين الذين كان ينادي زعيمهم جابوتنسكي باجلاء العرب عن أراضيهم بحد السيف ـ وتمخض الاجتماع عن نداء لصاحب فلسطين وجهه الى الصحفيين العرب يدعوهم فيه الى عقد مؤتمر مشترك مع الصحفيين اليهود للوقوف في وجه الحكومة تجاه اضطهادها للصحافة من الطرفين .

لقد رفضت الصحف العربية تلك الدعوة لأن الصهاينة كانوا يحاولون جهدهم عقد اجتماع واحد مع عرب فلسطين حتى يستغلوه دعائيا لتأكيد فكرة امكان تحقيق تفاهم بين العرب واليهود .

وحينما أخفقت الفكرة بسبب تخوف العرب من استغلال الصهاينة للمؤتمر كتب صاحب « فلسطين » مقالا يرد فيه على الصحف العربية ويأمل تحقيق

هذه الفكرة في المستقبل « ولكن هناك سبيل لدرء هذا التخوف بأخذ المواثيق على اليهود بأن لا يستغلوا المؤتمر كعادتهم الماضية . هذا ما نترك الجواب عليه للمستقبل لعل ما هو متعذر اليوم يصبح ممكنا في الغد » .

ولاينحصر نشاط صاحب « فلسطين » مع الصهاينة في اطار العمل الصحفي وحده بل يمتد الى النشاط السياسي أيضاً . فقد عقد اجتماعا مع الزعيم الصهيوني خانكين كتب في اعقابه مقالا في صحيفته عنوانه « حددوا الوطن القومي ثم تعالوا نتفاهم » يدعو فيه اليهود الى التفاهم مع العرب . وقد أخفى صاحب « فلسطين » في البداية أخبار هذا الاجتماع عن الرأي العام ، لكنه اضطر الى الاعتراف بالواقعة بعد ان ذاع خبرها بين الناس[٦٨] .

ولعل ذلك يوضح لنا أن محاولات التفاهم بين شخصيات عربية ويهودية ليست أمراً جديداً لكنها تعود بجذورها الى سنوات مبكرة وهو ما يستحق دراسة خاصة لمحاولة فهم أسبابها وتحديد ابعادها وأهدافها ومواقف المنظمات العربية والصهيونية منها .

* * *

يبقى بعد ذلك أن نشير الى نقطة هامة متعلقة بعلاقة تلك الصحف بالاحزاب التي كانت قائمة في فلسطين خلال سنوات العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن .

لقد كان هناك علاقة وثيقة تربط تلك الصحف بالاحزاب القائمة لكن الحقيقة ان تلك الصحف كانت تعبر عن اتجاهات معينة سواء تبلورت تلك الاتجاهات في شكل أحزاب أو لم تتبلور .

فصحيفة « مرآة الشرق » كانت تمثل ذلك الاتجاه الذي يهدف الى الخروج على الاتجاه الوطني في البلاد والتعبير عن تلك السياسة التى ترمي الى التعاون مع الحكومة والذي عبر عنه فيما بعد « الحزب الوطني » أول الأحزاب السياسية

التي تشكلت في فلسطين خلال العشرينيات (أواخر ١٩٢٣) وقد اختفى هذا الحزب بعد سنوات من ظهوره لكن بقيت الصحيفة تعبر عن ذلك الاتجاه الذي عبرت عنه احزاب اخرى فيما بعد .

وصحيفة « لسان العرب » كانت تؤ يد فكرة الانتداب وتقاوم قيادة الحركة الوطنية وتدعو إلى الاقليمية ، وقد ظهرت بعد صدورها أحزاب عدة عبرت عن هذا الاتجاه مثل الاحزاب الزراعية التي وجدت الدعم والتأييد من الصحيفة ، لكن الصحيفة بقيت على اتجاهها رغم اختفاء بعض تلك التشكيلات السياسية التي تعبر عن نفس هذه السياسة .

وصحيفة « الجامعة العربية » كانت تعبر منذ صدورها عن الاتجاه الوطني في فلسطين رغم عدم وجود احزاب سياسية تعبر عن ذلك الاتجاه في العشرينيات . فغالبية الصحف العربية التي ظهرت في فلسطين خلال تلك المرحلة عبرت بالدرجة الأولى عن اتجاهات قائمة . ولعل من الممكن ان نقول ان انشاء الاحزاب كان تعبيراً عن اتجاهات قائمة سبق ان تبنتها صحف سياسية مختلفة .

وأما بالنسبة لتوزيع تلك الصحف فقد أشار تقرير اللجنة الملكية البريطانية التي ذهبت إلى فلسطين للتحقيق في أسباب ثورة ١٩٣٦ إلى أن هناك مجموعة نشطة من الصحف العربية منها أربع صحف يومية وأن صحيفة « اللواء » كانت تطبع حوالي ثلاثة ألاف أو أربعة آلاف نسخة كما ان صحيفتي « فلسطين » و « الدفاع » كانت كل منها تطبع عددا يتراوح بين أربعة آلاف وستة آلاف نسخة بينما كانت صحيفة « الجامعة الاسلامية » تطبع حوالي ألفي نسخة يومياً[٦٩] . ولعل ذلك يعطينا فكرة عن اقبال العرب في فلسطين ـ الذين لم يكن عددهم يتجاوز المليون نسمة في ذلك الوقت ـ على متابعة الصحف في ذلك الوقت والاهتمام بقضيتهم الوطنية رغم عدم انتشار التعليم في البلاد وضعف وسائل المواصلات ووجود مناطق نائية لا تصل إليها الصحف بشكل منتظم .

تلك نظرة عامة على نشأة الصحافة العربية في فلسطين ومتابعة اتجاهاتها حتى ١٩٣٦ وهو العام الذي شهد قيام ثورة عربية كبرى في فلسطين هي ثورة ١٩٣٦/١٩٣٩ ، ثم محاولة لتقييم مواقف الصحافة من القضية الوطنية ومن القوى السياسية في فلسطين .

ولعل من المفيد ان نجمل في ختام هذه الدراسة عددا من النقاط الرئيسية :

أولاً : ان نشأة الصحافة في فلسطين كان نشأة اجنبية نظرا لوجود جاليات وجمعيات أجنبية عديدة في بلاد الشام .

ثانياً : ان نشأة الصحافة العربية الأهلية كان مرتبطاً بالدرجة الأولى باعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ واطلاق حرية اصدار الصحف حيث توالي خلال الأعوام التالية اصدار عدد من الصحف .

ثالثاً : ان الصحافة العربية في فلسطين قد استفادت من خبرة الصحافة العربية في البلدان المجاورة حيث اسهم عدد من الصحفيين في تلك البلدان في انشاء وتحرير تلك الصحف . فإبراهيم زكا منشيء « صحيفة النفير العثماني » نقل اصدار الصحيفة من الاسكندرية إلى القدس ، وابراهيم سليم النجار صاحب صحيفة « لسان العرب » لبناني الأصل .

رابعاً : ان الصحافة العربية في فلسطين نمت وتطورت في ظروف نضال وطني معاد للصهيونية والاستعمار الاجنبي وفي ظل انظمة وقوانين مقيدة لنشاطها وحرياتها وفي اطار اوضاع اجتماعية واقتصادية متخلفة .

خامساً : ان بعض الصحف العربية أسهمت دون ادراك في توجيه العرب في فلسطين نحو اعتبار الصهيونية هي أصل الداء نتيجة تركيزها على مهاجمة الصهيونية دون تنبه منها لحقيقة تلك العلاقة العضوية

التي تربط بين الاستعمار والصهيونية ، ولقد تم تصحيح المسار الوطني في مرحلة تالية ، لكن الصهاينة كانوا قد تمكنوا خلال السنوات الأولى من اقامة كيانهم ومؤسساتهم بتوجيه وتخطيط ودعم من الادارة المنتدبة في فلسطين .

سادساً : ان الصحافة الوطنية قد حاولت أن تؤدي دورها وكان لها اثرها ولاشك في زيادة وعي المواطنين ومساندة الحركة الوطنية في البلاد ومقاومة الاستعمار والصهيونية .

(★) لم اتبين من المصادر المختلفة تاريخ انشاء أول مدرسة ابتدائية حكومية في فلسطين ، اما بالنسبة للمدارس الاعدادية والثانوية الحكومية فقد انشىء المكتب السلطاني في القدس عام ١٨٨٩ كمكتب اعدادي ثم تحول إلى مكتب ثانوي عام ١٩١٣ حيث كان هو المدرسة الثانوية الوحيدة في البلاد في ذلك التاريخ . وكان الى جانبه مدرستان اعداديتان احداهما في مدينة عكا انشئت عام ١٨٩٥ والأخرى في مدينة نابلس انشئت عام ١٨٩٧ . وأما نشأة المدارس الخاصة في فلسطين ـ سواء كانت أجنبية أو طائفية ـ فقد انشئت في بعض مدن فلسطين اعتباراً من عام ١٨٥١ . وأما بالنسبة للطباعة فقد انشىء في مدينة القدس خلال القرن التاسع عشر عدد من المطابع كان من أقدمها مطبعة الآباء الفرنسكان التي انشئت عام ١٨٤٧ بينما يرجع تاريخ أقدم مطبعة وطنية الى عام ١٩٠٨ في حيفا بعد اعلان الدستور العثماني .

(كامل السوافيري : الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠ ـ ١٩٦٠) ص ٢١ ٢٨ ، ٣٢) .

١ ـ يوسف خورى : الصحافة العربية في فلسطين ، ص ٣ .
٢ ـ أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثالث ، ٦٦ ، ٦٧ .
٣ ـ عبد الرحمن عبد الوهاب ياغي : حياة الادب الفلسطيني الحديث حتى النكبة ص ٦٤ .
٤ ـ يوسف خوري : المصدر نفسه ص ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٢ .

٥ ـ اديب مروة : المصدر نفسه ، ص ٢١٩

٦ ـ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، ٣٦ ، يوسف خوري : المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

٧ ـ اللجنة المركزية للمؤتمر الثالث : تقرير في حالة فلسطين ، ص ٢٩ .

٨ ـ كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، يوسف خوري : المصدر نفسه ص ٣٠ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٤١ .

٩ ـ الجزيرة : العدد ٣٨ ـ ١٢ حزيران ١٩٢٤ ، ص ١

وطبقا لما ذكرته الصحيفة فقد حضر هذا المؤتمر من أصحاب الصحف في فلسطين كل من : نجيب نصار صاحب صحيفة « الكرمل » في حيفا ، وعيسى العيسى صاحب صحيفة « فلسطين » في يافا ، وبولس شحاده صاحب صحيفة « مرآة الشرق » في القدس ، وايليا زكا صاحب صحيفة « النفير » وحسن فهمي الدجاني أحد صاحبي صحيفة « الجزيرة » في يافا ، وعيسى بندك صاحب صحيفة « صوت الشعب » في بيت لحم ، وجميل البحري صاحب مجلة « الزهرة » في حيفا ، وخليل نصر صاحب صحيفة « الاردن » في حيفا ، وخليل المجدلي صاحب صحيفة « الزمر » في عكا .

١٠ ـ الجزيرة : العدد ٣٩ ـ ١٥ حزيران ١٩٢٤ ص ١ . مقال لحسن فهمي الدجاني .

١١ ـ الجزيرة : العدد ٤٠ ـ ١٩ حزيران ١٩٢٤ ، ص ١ مقال لحسن فهمي الدجاني .

١٢ ـ الجزيرة : العدد ٣٨ ـ ١٢ حزيران ١٩٢٤ ص ١ مقال لحسن فهمي الدجاني .

١٣ ـ فلسطين : العدد ٦٨٩ ـ ٣١ ـ ٢٤ حزيران ١٩٢٤ ص ٢ خطاب من عبد العزيز الثعالبي الى الصحيفة .

١٤ ـ فلسطين : العدد ٧٦٦ ـ ٩ ـ ٣ نيسان ١٩٢٥ ، ص ٢

(★★) حضر مؤتمر يافا ممثلون عن الصحف الآتية : الكرمل ، فلسطين ، مرآة الشرق ، صوت الشعب ، اليرموك ، الجامعة العربية ، الصراط المستقيم ، صوت الحق ، الزهور .

١٥ ـ السياسة الأسبوعية : العدد ٨٩ ـ ١٩ نوفمبر ١٩٢٧ ص ١٨ .

(★★★) لمزيد من التفصيلات عن انتفاضة البراق في فلسطين يمكن الرجوع الى الفصل الرابع من كتابنا « الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ » .

١٦ ـ حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ ، ص ٥٦ ، ٦٥ ، ١١٧ ، ١١٨ .

١٧ ـ الشورى : العدد ٢٤٣ ـ ١٨ سبتمبر ١٩٢٩ ص ١٤ .

١٨ ـ حكومة فلسطين : المصدر نفسه ، ص ١٢٣ .

١٩ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

٢٠ ـ الشورى : العدد ٢٨٩ ـ ٣ سبتمبر ١٩٣٠ ص ٤

٢١ ـ يوسف خوري : المصدر نفسه ص ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٧٥ ، ٨٩

22. Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the league of Nations on the Administration of Palestine and Trans - Jordan for the year 1933, pp. 16, 17.

23. Esco Foundation: Palestine A study of Jewsih, Arab and British Policies. Vol. II. p 770.

٢٤ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ص ٢٢٣

25 —F.O.371/20018. P.A.S. NO. 18/35,19/35.

٢٦ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ٣٦ .

٢٧ ـ الجزيرة : العدد ٢٨ ـ ٤ آيار ١٩٢٤ ص ١ ، ١٠ نيسان ١٩٢٤ ص ١ ، ٢٢ آيار ١٩٢٤ ص ١ ، ١٩ حزيران ١٩٢٤ ص ١ مقال لصليبا عريضة .

٢٨ ـ الاتحاد العربي : ٩ آيار ١٩٢٥ ص ٣ .

٢٩ ـ اليرموك : ٣٠ نيسان ١٩٢٥ ص ٣

٣٠ ـ صوت الشعب : العدد :٨٣ ـ ١٠ شباط ١٩٣٤ ص ١

٣١ ـ الجامعة الاسلامية : العدد ٣٧٠ ـ ٢٨ ايلول ١٩٣٣ ص ٧ ، العدد ٤٢٨ ـ ٨ كانون الأول ١٩٣٣ ص ٥ ، العدد ٤٠٠ ـ ٦ تشرين الثاني ١٩٣٣ ص ١ ، ٣ كانون الثاني ١٩٣٤ ص ٤

٣٢ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ٢٣٤

33 — F.O371/20018.P.A.S.NO. 18/35

٣٤ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ٢٣٥

٣٥ ـ محمد علي الطاهر : ظلام السجن ، ص ٥١٢ .

٣٦ ـ الشوري : العدد الأول ـ ٢٢ اكتوبر ١٩٢٤ ، ص ١

٣٧ ـ الشورى : ١٤ يونيو ١٩٢٥ ص ٣ ، ٥ يونيو ١٩٢٩ ص ٣ ، ١٢ يونية ١٩٢٩ ص ٤ ، ١٩ يونية ١٩٢٩ ص ٢

٣٨ ـ الشورى : العدد ٩٧ ـ ١٦ سبتمبر ١٩٢٦ ص ٣ ، العدد ٦٣ ـ ٧ يناير ١٩٢٥ ص ٢ .

٣٩ ـ الأنوار : العدد ٦٣٩ ـ ١٠ سبتمبر ١٩٦١ ، ص ١٣

٤٠ ـ الشورى : العدد ٥ ـ ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ص ٤

٤١ ـ لسان العرب : العدد ٢٨٩ ـ ٢٣ اغسطس ١٩٢٢ ص ١ .

٤٢ ـ لسان العرب : العدد ٣١٥ ـ ٢٢ ايلول ١٩٢٢ ص ١

٤٣ ـ لسان العرب : العدد ٢٩١ ـ ٢٥ اغسطس ١٩٢٢ ص ١

٤٤ ـ لسان العرب : العددان ٢٩٧ ـ ١ ايلول ١٩٢٢ ، ٣٠٧ ـ ١٣ ايلول ١٩٢٢ ص ١

٤٥ ـ لسان العرب : العدد ٢٩٤ ـ ٢٩ أغسطس ١٩٢٢ ، ص ٣ .

٤٦ ـ لسان العرب : العدد ٣٠٣ ـ ٨ أيلول ١٩٢٢ ، ص ١

٤٧ ـ لسان العرب : العدد ٣٠٦ ـ ١٢ أيلول ١٩٢٢ ، ص ١

٤٨ ـ لسان العرب : العدد ٢٩٤ ـ ٢٩ أغسطس ١٩٢٢ ، ص ٣ .

٤٩ ـ فلسطين : العدد ٧٦٤ ـ ٧ ـ ٢٤ آذار ١٩٢٥ ، ص ٢ .

٥٠ ـ الشورى : العدد ٨ ـ ١٠ ديسمبر ١٩٢٤ ، ص ٣ .

٥١ ـ لسان العرب : العدد ٣٠٥ ـ ١١ ايلول ١٩٢٢ ، ص ٢ ،

الشورى : العدد ٣٣ ـ ٤ يونيو ١٩٢٥ ، ص ١ ، العدد ٥ ـ ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ، ص ٣ ،

فلسطين : العدد ٦١٧ ـ ٥٩ ـ ٢ تشرين الأول ١٩٢٣ ، ص ١ .

٥٢ ـ مرآة الشرق : العدد ٦٩ ـ ١٢ كانون الثاني ١٩٢١ ص ٢ ،

فلسطين : العدد ٦١٧ ـ ٥٩ ـ ٢ تشرين الأول ١٩٢٣ ص ١ مقال لجمال الحسيني سكرتير اللجنة التنفيذية العربية .

٥٣ ـ لسان العرب : العدد ٣٤٦ ـ ٢٨ تشرين الأول ١٩٢٢ ، ص ١

٥٤ ـ الشورى : العدد ٤٩ ـ ١ اكتوبر ١٩٢٥ ، ص ٣ .

٥٥ ـ الشمس : ١٤ ديسمبر ١٩٣٤ ، ص ١
٥٦ ـ فلسطين : العدد ٦٣٣ ـ ٧٥ ـ ٢٧ تشرين ثاني ١٩٢٣ ص ٣
٥٧ ـ مرآة الشرق : ٢٦ نوفمبر ١٩٢٤ .
٥٨ ـ اليرموك : العدد ٣٤ ـ ٤ كانون ثاني ١٩٢٥ ، ص ١

(★★★★) لمزيد من المعلومات عن هذا الحزب يمكن الرجوع الى كتابنا « الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ » الفصل الأول من ص ٣٥ ـ ٣٨ .

٥٩ ـ الشورى : العدد ١٧٣ ـ ١٩ مارس ١٩٢٨ ص ٣
٦٠ ـ الجامعة الاسلامية : العدد ٤٠٠ ـ ٦ نوفمبر ١٩٣٣ ، ص ٥ .
٦١ ـ الكرمل : العدد ١٨٢٨ ـ ١٦ كانون أول ١٩٣٣ ، ص ٣ .
٦٢ ـ عيسى السفري : المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .
٦٣ ـ فلسطين : العدد ٥٣٥ ـ ٧٦ ـ ١ كانون الأول ١٩٢٢ ، ص ٢ ،
العدد ٥٩٧ ـ ٣٩ ـ ٢٠ تموز ١٩٢٣ ، ص ١ ،
العدد ٧٠٥ ـ ٤٧ ـ ٢٢ آب ١٩٢٤ ، ص ٢ .
٦٤ ـ فلسطين : العدد ٩٣٨ ـ ٨٤ ـ ٣١ كانون الأول ١٩٢٦ ، ص ١ .
٦٥ ـ الشورى : العدد ٢٣١ ـ ٢٦ يونية ١٩٢٩ ، ص ٣ .
٦٦ ـ الشورى : العدد ٢٣٦ ـ ٣١ يوليو ١٩٢٩ ، ص ٣ . مقال لجمال الحسيني سكرتير اللجنة التنفيذية العربية .
٧٦ ـ فلسطين : العدد ٩٥٩ ـ ٧ ـ ٢٢ آذار ١٩٢٧ ، ص ٥ .
٦٨ ـ الشورى : العدد ٣٠٤ ـ ١٧ ديسمبر ١٩٣٠ ، ص ٢ .
٦٩ ـ وزارة المستعمرات : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

قائمـــــة المصـــــادر والمـراجع

أولاً : الوثائق :

ــ حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ . القدس ، ١٩٣٠ ، ترجمة رسمية .

ــ اللجنة المركزية للمؤتمر الثالث : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، الكتاب الأبيض ٥٤٧٩ ، القدس ، ١٩٣٧ .

— F.O.371/20018.P.A.S.NO. 18/35, 19/35.

— Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and northern Ireland to the Council of the league of nations on the administration of Palestine and trans — gordan for the year 1933. London,1934.

ثانياً : رسائل علمية :

ــ عبد الرحمن عبد الوهاب ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث حتى النكبة ، رسالة دكتوراه أجيزت بكلية الآداب بجامعة القاهرة .

ثالثاً : الكتب العربية :

ــ أديب مروة : الصحافة العربية نشأتها وتطورها .

ــ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية . الكتابان الأول والثاني ، يافا ، ١٩٣٧ .

ــ فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثالث ، بيروت .

ــ كامل السوافيري : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، الطبعة الأولى .

ــ كامل السوافيري : الأدب العربي المعاصر في فلسطين من سنة ١٨٦٠ إلى ١٩٦٠ ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

ــ محمد علي الطاهر : ظلال السجن .

ــ يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨ بيروت ١٩٧٦ ، الطبعة الأولى .

رابعاً : الدوريات العربية :

ـ الأنوار : بيروت ، يومية .
ـ الجامعة الاسلامية . يافا ، يومية .
ـ الجزيرة : يافا ، يومية .
ـ السياسة الأسبوعية . القاهرة ، اسبوعية
ـ الشمس . القاهرة
ـ الشورى . القاهرة ، اسبوعية
ـ صوت الشعب . بيت لحم . أسبوعية
ـ فلسطين . يافا ، أسبوعية .
ـ الكرمل . حيفا ، يومية .
ـ لسان العرب . القدس ، يومية .
ـ مرآة الشرق . القدس ، نصف أسبوعية
ـ اليرموك . حيفا ، يومية .

خامساً الكتب الأجنبية :

— Esco foundation of Palestine: Palestine A study of Jewish, Arab and British policies, vol. 11 U.S.A., Yale University press, 1949, 2nd ed.

□ □ □

المداخل النظرية في دراسة التنظيم
دراسة تحليلية نقدية

الدكتور طلعت ابراهيم لطفي
أستاذ مساعد بقسم الدراسات
الاجتماعية - جامعة الملك سعود

لا يهدف الباحث من وراء هذه الدراسة الى اتخاذ موقف معين تجاه نظرية التنظيم ، أو اتخاذ موقف مؤيد أو معضد لمدخل من المداخل النظرية المتعددة في دراسة التنظيم . وإنما يهدف الباحث الى تتبع نمو وتطور نظرية التنظيم ، عن طريق الاهتمام بدراسة بعض المشكلات أو القضايا النظرية التي أثارتها المداخل النظرية في دراسة التنظيم . وذلك حتى يمكن فهم أبعاد نظرية التنظيم ، وادراك النمو الذي حدث في هذه النظرية .

ويمكن تلخيص أهداف هذه الدراسة في محاولة الاجابة على التساؤلات التالية :

أولاً ـ كيف يمكن تعريف نظرية التنظيم ، وهل هناك فعلا نظرية موحدة شاملة يمكن أن توجه الدراسات التي تجري في مجال التنظيم ؟

ثانياً ـ ماهي المداخل النظرية في دراسة التنظيم ، وماهي الأصول أو الجذور الفكرية التي أدت الى ظهور هذه المداخل النظرية ؟

ثالثاً ـ ماهي الأدوات التصورية الاساسية التي تستعين بها المداخل النظرية في دراسة التنظيم ؟

رابعاً ـ ما أهم المشكلات الأساسية التي تهتم بدراستها المداخل المختلفة في دراسة التنظيم ؟

خامساً ـ كيف تنظر هذه المداخل النظرية الى علاقة التنظيم بالبيئة أو الاطار المجتمعي المحيط بالتنظيم ؟

سادساً ـ هل يؤدي اختلاف المداخل النظرية في دراسة التنظيمات الى اختلاف مستويات التحليل السوسيولوجي ؟

سابعاً ـ ما أهم الانتقادات التي وجهت إلى كل من المداخل النظرية في دراسة التنظيم .

وسوف يحاول الباحث فيما يلي الاجابة على كل من هذه التساؤلات السالفة الذكر .

أولاً ـ تعريف نظرية التنظيم :

قام العلماء بصياغة مفهوم التنظيم Organization ليناسب طبيعة الجماعة الثانوية التي تختلف عن طبيعة الجماعة الأولية التي تحدث عنها العالم الأمريكي « تشارلز كولي » G. Cooley في كتابه عن (التنظيم الاجتماعي) الذي أصدره عام ١٩٠٩ (Philips,1979: 333) .

والتنظيم هو عبارة عن رابطة الأشخاص الذين يجتمعون من أجل تحقيق

أهداف محددة . ومن خلال هذه الرابطة يمكن للأعضاء أن يحققوا لأنفسهم أو للآخرين أهـدافا تفـوق تلك الأهداف التي يمكنهم تحقيقهـا بمفردهم (Sofer, 1978: 3)

أما نظرية التنظيم ، فقد عرفها «بوج » D.S. Pugh (1977: 9) بأنها عبارة عن دراسة بناء ووظائف التنظيمات ، وكيفية أدائها لعملها ، بالاضافة إلى دراسة سلوك الجماعات والأفراد داخل هذه التنظيمات .

ومن هذا التعريف السابق ، يتضح أن لنظرية التنظيم مجالا واسعاً نظراً لتعدد الموضوعات أو المشكلات التي تحاول دراستها . مما أدى الى صعوبة وجود نظرية عامة شاملة للتنظيم تستطيع أن تكون مرشداً وموجها لدراسة التنظيمات المعقدة (Hicks & Gullett, 1975: 219) .

ويؤكد ماسبق ، ماذهب اليه « مينتز » R.Mayntz (1964: 111) من حيث أن دراسة التنظيمات لم ترق بعد الى حد صياغة نظرية عامة ، حيث لايزال التوصل إلى هذه النظرية العامة في التنظيمات يمثل هدفا بعيدا صعب المنال .

ومن العوامل التي تساعد على عدم وجود نظرية عامة في التنظيم ، عدم وجود نظرية عامة شاملة في علم الاجتماع العام . فمن يحاول التعرف على هذه النظرية الأخيرة ، يواجه منذ البداية بحشد هائل من الآراء ، لا المختلفة بل والمتضاربة أيضاً ، وتكون أصعب مهمة يواجهها أن يبحث عن نقاط الاتفاق بين علماء الاجتماع (أحمد ، ١٩٧٩ : ٥) . ويتضح التباين الشديد بين النظريات الاجتماعية عندما يحاول الباحث أن يميز بين هذه النظريات على أساس كون احداها كلية فخمة ، بينما الأخرى جزئية متواضعة وصغيرة ، أوكون احداها شكلية اصطلاحية ، بينما الأخرى متحررة ومنطلقة . وهذا

الاختلاف ذو الدلالة ، يتعلق بكل من الشكل والمضمون (الساعاتي ، ١٩٨٢ : ١١٣) .

ونظرا لعدم وجود نظرية موحدة شاملة في علم الاجتماع ، فقد تعددت المواقف النظرية في هذا العلم ، حتى أصبحت معالجة موضوعاته من خلال موقف نظري واحد ، مخاطرة كبيرة على حساب الوضوح والتحليل الصحيح . ومن ثم يميل عدد من الباحثين في علم اجتماع اليوم الى تبنى نظرة متعددة الجوانب أو الالتزام بتعدد العوامل عند التفسير والتحليل (غيث ، ١٩٨٠ : ١) .

وإذا كنا نفتقد إلى نظرية عامة شاملة في علم الاجتماع ، فمن الطبيعي أن ينعكس هذا الوضع بالنسبة للموقف النظري في دراسة التنظيم نتيجة لارتباط نظرية التنظيم ارتباطا جوهريا بالنظرية السوسيولوجية العامة .

وبالاضافة إلى ماسبق ، نجد أن التنظيم ليس موضوعا للدراسة في علم الاجتماع فقط ، بل هو موضوع للدراسة في كثير من العلوم مثل الاقتصاد والسياسة والادارة وعلم النفس والانثروبولوجيا ، ولقد حاول باحثو هذه العلوم دراسة التنظيمات في ضوء مفاهيمهم وتصوراتهم ، مما أدى الى ظهور عدة مداخل نظرية في دراسة التنظيم تعكس وجهة نظر العلوم المختلفة وتعبر عن اهتمامها (الحسيني ، ١٩٧٥ : ٧٣) .

وعلى الرغم من عدم وجود نظرية عامة شاملة في التنظيم فقد ظهرت بعض المؤلفات العلمية التي تحمل بعض العناوين مثل : « نظرية التنظيم » (Pugh, 1977) « نظرية التنظيمات » (Silverman, 1978) ، « أسس نظرية التنظيمات » (Selznick, 1969) ، « نحو نظرية في التنظيمات » (Drucker,

1969) . مما يشير الى أن العلماء يستخدمون مصطلح (نظرية التنظيم) أو (نظرية التنظيمات) بشيء من التجاوز .

ثانياً : المداخل النظرية في دراسة التنظيم :

تبين مما سبق ، أنه لاتوجد نظرية موحدة شاملة لدراسة التنظيم ، على الرغم من استخدام العلماء لمصطلح (نظرية التنظيم) بشيء من التجاوز .

ويذهب « سيلفرمان » D.Silverman (1978: 216) الى أنه يمكن التمييز بين خمسة مداخل نظرية في دراسة التنظيم هي :

أ ـ مدخل العلاقات الانسانية	Human Relations
ب ـ مدخل علم النفس التنظيمي	Organizational psychology
جـ ـ مدخل النسق الاجتماعي الفني	Socio — Technical System
د ـ مدخل نظرية صنع القرار	Decision — Making Theory
هـ ـ المدخل البنائي الوظيفي	Structural — Funcitionalism

وسوف أقدم فيما يلي عرضا تحليليا لهذه المداخل النظرية الخمسة ، مع الاهتمام بتوضيح الأصول أو الجذور الفكرية لهذه المداخل النظرية .

أ ـ مدخل العلاقات الانسانية :

وقد ظهر هذا المدخل نتيجة تلك البحوث والتجارب الشهيرة التي أجريت في مصانع (هاوثورن) Hawthorne التابعة للشركة الكهربائية الغربية Electric Western Co. الموجودة في (شيكاغو) بالولايات المتحدة . وهي الدراسات التي أشرف عليها « مايو » E.Mayo ، و « روثلزبرجر » E.Roethlisberger و « ديكسون » W.dickson ، و « هوايتهد » T.N.Whitehead .

وقد بدأت دراسات (هاوثورن) من أجل استكشاف العلاقة بين ظروف العمل الفيزيقية وبين الانتاجية ، ثم اتسعت هذه الدراسات بحيث أصبحت تتناول جماعات العمل من حيث البناء ، والروح المعنـوية ، والقيم ، والاتجاهات ، والمعايير ، والدافعية . وقد أثارت هذه الدراسات كثيراً من الاعتراضات على تلك الافتراضات التي ذهب اليها « تيلور » E.W. Taylor مؤسس مدرسة الادارة العلمية Scientific Management التي قامت على أساس الاختيار العلمي للعامل ، ودراسة الزمن والحركة ، وتبنت مفهوم الانسان الاقتصادي بمعنى أن الانسان يعمل بطريقة مطابقة للعقل من أجل تحقيق مصالحه التي تتمثل في الحصول على النقود ، فالأجر هو الحافز الرئيسي الذي يحفز الانسان على العمل (Etzioni, 1964: 21) .

وعلى عكس مدرسة الادارة العلمية ، نجد أن دراسات (هاوثورن) قد كشفت عن أن العمال لايقدمون على العمل تدفعهم الرغبة الملحة في الحصول على المزيد من المال فقط ، وإنما تتحدد استجاباتهم عن طريق العلاقات الاجتماعية المتبادلة بينهم . وقد أكدت هذه الحقيقة مواقف عملية عديدة ، لعل أهمها مايعرف باسم ظاهرة تقييد الانتاج restriction of output ، وهي الظاهرة التي كشفت عنها تجربة غرفة الملاحظة أو تجربة بنك الأسلاك التي أجريت في مصانع « هاوثورن » . فقد كشفت هذه التجربة عن أن جماعة العمال غير الرسمية تحاول تقييد الانتاج عند مستوى معين يختلف عن المستوى الذي تحدده الادارة بهدف المحافظة على وحدة الجماعة وتماسكها في مواجهة الادارة . أي أن العمال يتنازلون عن قسط من المكافآت المالية من أجل أهداف اجتماعية ، ولتحقيق درجة من الرضا والاشباع النفسي (محمد ، ١٩٧٥ : ١٥) .

ومما يجدر الاشارة إليه ، أن مدخل العلاقات الانسانية لم يتأثر فقط بدراسات « هاوثورن » ، بل تأثر أيضاً ببعض الدراسات التي قام بها بعض علماء الأنثروبولوجيا أمثال « تشابل »E.D. Chapple ، و «أرنسبرج» G.M.Arensberg الذين استعانوا بمفهوم « التفاعل » في دراسة الصناعة . كما أسهم في صياغة هذا المدخل بعض الدراسات التي قام بها العلماء أمثال « ريتشاردسون » Richardson ، و «هومانز» G.S.Homans و «وايت» W.F.Whyte .

وعلى الرغم من وجود بعض الاختلافات بين هؤلاء العلماء الذين تأثروا بنظرية التفاعل . الا أنه يمكن التعرف على هذا الاتجاه التفاعلي في ضوء دراسة « هومانز » للجماعة الانسانية (Whyte& miller,1957: 330) .

وفي الواقع ، يعد « هومانز » من بين أهم العلماء الذين ساهموا في نمو علم الاجتماع الحديث خلال الربع الأخير من القرن الحالي . وقد أسهم « هومانز » في ثلاثة مجالات أساسية وهي : دراسة الجماعات الصغيرة ، ومشكلات النظرية وطرق بناء النظرية ، والسمات أو الخصائص الأساسية للسلوك الاجتماعي (Hamblin& Kunkel, 1977: 13) . وفي كتابه (الجماعة الانسانية) نجده يختار خمسة نماذج من الدراسات التي أجريت على الجماعات الصغيرة . ثم يحاول تحليل سلوك الجماعة أو السلوك الاجتماعي في ضوء ثلاثة مفاهيم أساسية وهي : التفاعل interaction ، والاحساسات أو العواطف sentiments ، والأنشطة activities ، باعتبارها تشير إلى الاعتماد المتبادل بين جوانب العلاقات الانسانية ، بحيث يؤدي التغير في أحد هذه العناصر الى تغير في العناصر الأخرى . ويشير التفاعل الى الاتصالات الشخصية المتبادلة . كما تشير الاحساسات أو العواطف الى الحالات

(السيكولوجية) الانفعالية حول الموضوعات أو الأشخاص . بينما تشير الأنشطة الى الأفعال الفيزيقية التي يتم ملاحظتها بين أعضاء الجماعة .

وبالاضافة الى هذه المفاهيم الثلاثة السالفة الذكر ، فقد استخدم « هومانز » بعض المفاهيم الأخرى مثل مفهوم المعايير Norms ، والنسق الخارجي exernal system ، والنسق الداخلي internal system . وفي ضوء ذلك كله ، نظر « هومانز » الى كل جماعة على أنها نسق اجتماعي يتأثر بالبيئة الخارجية (النسق الخارجي) . وأخيراً قام بصياغة اطار نظري لتحليل الجماعة الانسانية ، والتوصل إلى بعض القضايا العامة أو التعميمات حول السلوك الانساني (Homans, 1975: xiv) .

ب ـ مدخل علم النفس التنظيمي :

تأثر هذا المدخل بالنظرية الكلاسيكية التي تمثلها مدرسة الادارة العلمية ، كما تأثر تأثراً كبيراً بمدخل العلاقات الانسانية في دراسة التنظيم . ومن ثم تأثر أصحاب هذا المدخل تأثرا واضحا بعلماء (هاوثورن) إلى الحد الذي جعلهم امتداداً طبيعيا لهم ، ويجعل من الممكن النظر الى مدخل علم النفس التنظيمي على اعتبار أنه يمثل مدرسة جديدة في العلاقات الانسانية .

ويرى « شاين » E.Schein أن مدخل علم النفس التنظيمي يمكن أن ينقسم الى ثلاثة مداخل فرعية : يطلق على الأول ، مدخل الانسان الاجتماعي Social ، ويطلق على الثاني ، مدخل الانسان الساعي الى تحقيق ذاته Self — Actualising Man. أما الثالث ، فيطلق عليه ، مدخل الانسان المركب Complex Man .

وتتفق هذه المداخل الفرعية في علم النفس التنظيمي ، من حيث العناصر

الأساسية التي تعتمد عليها في تحليل التنظيمات ، ومن أهمها العناصر التالية :

١ ـ يمكن النظر الى الأفراد على اعتبار أن لهم حاجاتهم الشخصية ودوافعهم . وقد تتخذ هذه الحاجات شكلا متدرجاً يبدأ من (الحاجات الفسيولوجية) ثم يهبط حتى يصل إلى الحاجة الى (تحقيق الذات) .
٢ ـ وهذه الحاجات الشخصية والدوافع تمارس تأثيرا مباشرا على سلوك الأفراد .
٣ ـ وهناك صراع أساسي بين حاجات الفرد وأهداف التنظيم .
٤ ـ وأن أفضل شكل للتنظيم هو الذي يحاول تحقيق أقصى درجة من الاشباع لحاجات الفرد والتنظيم معا . وذلك عن طريق تشجيع تشكيل جماعات العمل المستقرة ، ومشاركة العمال في عملية اتخاذ القرار ، والاتصالات الجيدة ، والاشراف المعبِّر .

وعلى الرغم من هذا الاتفاق بين المداخل الفرعية في علم النفس التنظيمي ، فانه يوجد بينهم نوع من الاختلاف حول بعض الموضوعات . اذ يرى مدخل الانسان الاجتماعي أن القوة الدافعة للانسان هي حاجته الى التفاعل مع زملائه واقامة علاقات معهم ثم حاجته لقبوله في الجماعة . ويمثل هذا المدخل « زاليزينك » A.Zaleznik الذي قدم اسهاما هاما في فهم جماعات العمل الصغيرة .

أما مدخل الانسان الساعي الى تحقيق ذاته ، فقد ذهب الى أن تحقيق الانسان لذاته يعد مطلبا هاما وحاجة أساسية بعد أن يشبع حاجاته ذات المستوى الأدنى . وأن مهمة الادارة في التنظيم هي اشباع هذه الحاجة مما يؤدي الى زيادة أهمية العمل . ويمثل هذا المدخل الثاني نظرية « ماسلو » A.Maslow

في الدافعية ، والتي ذهب فيها الى أن الحاجات الانسانية ليست في أهمية واحدة ، بل أنه يمكن تقسيم حاجات الانسان ـ طبقا لأهميتها ـ الى خمسة مستويات تتخذ شكلا متدرجا ، على النحو التالي :

١ ـ الحاجات الفسيولوجية (الحاجة الى الطعام ، الماء ، والملبس ، والمأوى) . وهي حاجات تصبح في منتهى الأهمية بالنسبة للانسان الى أن يتم اشباعها .
٢ ـ الحاجة الى الأمن .
٣ ـ الحاجة الى الحب والصداقة والعاطفة .
٤ ـ الحاجة الى تقدير الذات ، والتقدير الاجتماعي من الآخرين .
٥ ـ الحاجة الى تحقيق الذات .

ويتضح مما سبق ، أن « ماسلو » قد ذهب الى أن هناك تدرج هرمي للحاجات . ومن ثم فإننا اذا أردنا أن نثير الدافع لدى الشخص نحو أداء عمله على الوجه الأكمل فان الأمر يتطلب بدء مساعدته لبدأ الحركة على سلم الحاجات الانسانية ، فيعبر الحاجات الدنيا صعودا الى الحاجات الأعلى بشرط أن يتم ذلك في اطار التتابع السابق بيانه . ونجد أن الحاجات غير المشبعة يمكنها أن تتحكم في الدافعية . ونجد أن نظرية « ماسلو » كانت نقطة بداية انطلقت منها كثير من الاسهامات التي قدمها علماء النفس الاجتماعيين المهتمين بدراسة التنظيمات ، وخاصة « ليكرت » R.Likert ، و « أرجيرس » C.Argyris .

وأخيراً نجد أن مدخل الانسان المركب ، قد ذهب إلى أن الدوافع تختلف تبعاً لاختلاف المواقف . فالانسان المركب لديه دوافع عديدة تنشأ عن خبرات

منفصلة يربطها بعد ذلك بمعاني مختلفة . مما يفرض على المديرين مراعاة التنوع الشديد في العلاقات الشخصية وتعدد أنماط السلطة ، فضلا عن نوعية الروابط النفسية . وهذا يشير إلى امكانية الاتفاق بين حاجات الفرد ومتطلبات التنظيم . ومن أبرز ممثلي هذا المدخل « شاين » E.Schein و « بينيس » W.Bennis .

جـ ـ مدخل النسق الاجتماعي الفني :

ترجع الجذور الفكرية لهذا المدخل الى بعض العلماء الأمريكيين الذين حاولوا دراسة تأثير أنماط التكنولوجيا على التنظيم . ومن أمثلة هؤلاء العلماء ، «سايلز » L.Sayles ، و « وايت » W.F.Whyte و « بلونر » R.Blauner .

ففي عام ١٩٥٨ ، حاول « سايلز » أن يوضح علاقة التكنولوجيا بنمو جماعات العمل . كما حاول « وايت » في عام ١٩٥٩ ، الاستعانة بالاطار التصوري الذي ذهب إليه « هومانز » في دراسته للجماعة الانسانية ، في سبيل الكشف عن العلاقات المتبادلة بين العلاقات الانسانية والتكنولوجيا . أما « بلونر » فقد حاول في عام ١٩٦٤ ، أن يعتمد على نتائج الدراسات التي توضح سلوك العمال في خط التجميع assembly — line ، في سبيل توضيح العلاقة بين التكنولوجيا والاغتراب alienation .

وقد أدت هذه الدراسات السابقة الى نمو مدخل النسق الاجتماعي الفني ، الذي أصبح يمثله حاليا بعض العلماء أمثال «تريست » E.Trist و « رايس » A.Rice ، و « امرى » F.Emery (Silverman, 1978: 101— 116) .

د ـ مدخل نظرية صنع القرار :

وقد ظهر هذا المدخل نتيجة الجهود التي أسهم بها بعض العلماء أمثال « سيمون » H.Simon ، و « سيرت » R.Cyert و « مارش » J.A.March .
ويرى « سيمون » أن التنظيم عليه أن يتخذ كافة الخطوات التي تمكنه من صياغة قرارات رشيدة ، ويمكن تحقيق ذلك عن طريق تحديد نطاق المسئولية ، وتثبيت القواعد والاجراءات الرسمية (محمد ، ١٩٧٥ : ١٨) .

وقد قدم « سيرت » اطاراً تصوريا لعملية صنع القرار في التنظيم مستندا الى أربعة مفاهيم أساسية هي : حل الصراع ، والاحساس بالأمان ، والسعي لحل المشكلات ، والتعليم التنظيمي . وقد ذهب الى أن هذه المفاهيم تعتبر بمثابة أسس هامة لنظرية عامة في صنع القرار (الحسيني ، ١٩٧٥ : ١٥٥) .
ولعل أهم الاسهامات التي قدمها « سيرت » و « مارش » قد ظهرت عندما تحولت نظرتهم من النظر الى الانسان باعتباره صانع للقرارات الى النظر الى التنظيمات على أنها أنساق تصنع القرارات . ومن ثم تغيرت وحدة التحليل السوسيولوجي من الفرد الى التنظيم باعتباره صانعا للقرارات .

هذا وقد طرأت تغيرات هامة على مدخل نظرية صنع القرار خلال السنوات الأخيرة ، لعل أهمها استخدام مفاهيم « السيرناطيقا » Cybernetics (Silverman, 1978: 204) . ويشير مصطلح السيرناطيقا الى بناء نظري ومجموعة من البحوث تعني بدراسة ظواهر الضبط والاتصال داخل النسق . ويرجع الاستخدام الحديث لهذا المصطلح في العلوم الاجتماعية الى «ووينر » N.Wiener (غيث وآخرون ، ١٩٧٩ : ١١٥ ـ ١١٦) .

هـ ـ المدخل البنائي الوظيفي :

وينطلق هذا المدخل من مسلمة أساسية هي فكرة تكامل اجراء النسق في

كل واحد ، والاعتماد المتبادل بين عناصر المجتمع . ونلاحظ أن هذه المسلمة كانت موجودة في أعمال بعض رواد علم الاجتماعي مثل « كونت » A.Comte ، و « سبنسر » H.Spencer ، و « باريتو » V.Pareto ، و « دوركايم » E.Durkheim (Martindale, 1967: 448) .

الا أن هذا المدخل يدين في نموه وازدهاره الى جهود بعض العلماء أمثال « بارسونز » T.Parsons ، و « ميرتون » R. Merton ، و « سلزينك » P.Selznick ، و « جولدنر » A.Gouldner ، و « كاتز » D.Katz ، و « كان » R.Kahn .

فقد طبق « بارسونز » نظريته عن « النسق الاجتماعي) في دراسة التنظيمات . كما حاول « ميرتون » اختبار نظرية « فيبر » في التنظيم ، ذاهبا الى القول بأن نظرية التنظيم قد افتقدت بعدا هاما هو « المعوقات الوظيفية » Dysfunction (الحسيني ، ١٩٧٥ : ١٥) ، وهو مفهوم يعني به تلك النتائج القابلة للملاحظة والتي تقلل من تكيف النسق أوتوافقه (أحمد ، ١٩٧٩ : ٢٠٩) .

كما تمكن « سلزينك » باستخدام مفهوم « تفويض السلطة » deligation of authority من دراسة ديناميات التنظيم . وقد كشف « جولدنر » عن الوظائف التي تؤديها القواعد في التنظيم ، وخلص الى ضرورة تعديل الأحكام والقضايا التي قدمها «فيبر» . وبالاضافة الى ماسبق ، فقد تبنى كل من « كاتز » و « كان » مفهوم « النسق المفتوح » open system لكي يكشفا عن طبيعة العلاقة التي تربط بين التنظيم وبيئته (الحسيني ، ١٩٧٥ : ١٥ - ١٦) .

ثالثاً ـ الأدوات التصورية التي تستعين بها المداخل النظرية في دراسة التنظيم :

تختلف الأدوات التصورية التي تستعين بها المداخل النظرية في دراسة التنظيم . فينما يستعين مدخل العلاقات الانسانية بأداة تصورية أساسية تتمثل في الانسان الاجتماعي المرتبط بجماعة العمل التي ينتمي اليها . نجد أن مدخل علم النفس التنظيمي يستعين بأداة تصورية أساسية أخرى هي التدرج أو التسلسل الهرمي للاحتياجات الشخصية . ويرى أصحاب هذا المدخل أن الحاجة الى تحقيق الذات self — actualization تعد من أهم العوامل التي تدفع الأفراد نحو أداء سلوك معين . وذلك في حين يستعين مدخل النسق الاجتماعي الفني بأداة تصورية أساسية تختلف عن غيرها من الأدوات التصورية ، وهي تأثير التكنولوجيا ومتطلبات السوق على الشكل التنظيمي . أما مدخل نظرية صنع القرار ، فقد استعان بأداة تصورية أساسية أخرى ، هي لغة برنامج الحاسب الآلي . وأخيراً نجد أن المدخل البنائي الوظيفي قد استعان بأداة تصورية أساسية تتمثل في التوازن الدينامي للانساق ، هذا التوازن الذي يواجه التهديدات التي تتعرض لها (Silverman,1978: 217) .

ويذهب المدخل البنائي الوظيفي الى أن النسق له احتياجاته الاساسية التي يسعى الى اشباعها حتى لايتعرض للتغير الاجتماعي . ولابد أن يكون النسق في حالة توازن Equilibrium ، ويتحقق ذلك عن طريق تلبية أجزائه المختلفة لاحتياجاته (Skidmore, 1979: 126) .

رابعاً ـ المشكلات التي تهتم بدراستها المداخل المختلفة في دراسة التنظيم :

تختلف المشكلات التي تهتم بدراستها المداخل النظرية في دراسة التنظيم . اذ يهتم أصحاب مدخل العلاقات الانسانية بدراسة بعض المشكلات الأساسية مثل درجة الرضا بين أعضاء جماعة العمل من أجل تحقيق الأهداف الادارية ويميل أصحاب هذه المدخل الى رؤ ية جميع المشكلات على أنها مشكلات في الاتصال (Whyte& Miller, 1957: 332) . بينما يهتم أصحاب مدخل علم النفس التنظيمي بدراسة بعض المشكلات الأساسية مثل درجة الانسجام بين احتياجات الشخصية واحتياجات النسق . في حين يهتم مدخل النسق الاجتماعي الفني بمشكلة الأراء الفعال للمهمة الأساسية للتنظيم في علاقته باحتياجات التكنولوجيا ، والبيئة ، وأعضاء التنظيم . ويهتم أصحاب مدخل نظرية صنع القرار بدراسة بعض المشكلات الأساسية مثل طبيعة عملية اتخاذ القرار وعلاقتها باستقرار ونمو التنظيمات . أما المشكلات الأساسية التي يهتم بها المدخل البنائي الوظيفي ، فتتمثل في طبيعة الاعتماد المتبادل للانساق الاجتماعية (SIlverman, 1978: 217) .

ويتضح مما سبق ، أن لكل مدخل نظري في دراسة التنظيم ، مشكلاته الأساسية التي يهتم بدراستها . وقد يرجع ذلك إلى اختلاف مستويات التحليل التي استعانت بها المداخل النظرية في دراستها للتنظيمات . وقد يكون لكل مستوى مشكلاته الأساسية ، بحيث يصعب تفسير المشكلات التي تحدث في مستوى التنظيم ككل في ضوء مايحدث في أحد اداراته أو أقسامه . أي أننا كلما تحركنا من الانساق الأصغر الى الانساق الأكبر ، وجدنا مشكلات وظواهر جديدة تماما تميز كل مستوى من مستويات التحليل السوسيولوجي . ومن ثم

فان تفسير مشكلات كل مستوى يجب أن يكون نابعا منه ومعبرا عنه (الحسيني ، ١٩٧٥ : ٢٦٣) .

ويؤكد ماسبق ، ماذهب إليه « اتزيوني » A.Etzioni (1964:3) من حيث أن التنظيم عندما ينشأ ، تكون له أهداف واحتياجات تتعارض أحيانا مع أهداف واحتياجات أعضاء هذا التنظيم . كما أشار « بارسونز » T.Parsons ـ في نظريته عن النسق الاجتماعي The Social System ـ الى أن لكل مستوى من مستويات الانساق الاجتماعية مشكلاته النوعية التي تميزه عن غيره من الانساق . وذلك عندما تحدث عن طريقة عمل النسق الاجتماعي . فقد ذكر أن كل نسق لابد أن يجد حلا لعدد من المشكلات ، أو أن يواجه على الأقل أربعة مشكلات أو شروط أساسية لكي يستمر في البقاء يطلق عليها اسم « المتطلبات الوظيفة » Functional Prerequisities ولاتتعلق هذه المشكلات بالتظيم الاجتماعي فحسب ، بل ترتبط أيضاً بالحاجات الشخصية لدى أعضاء المجتمع . وهذه المشكلات الأربعة الأساسية التي تواجهها كافة الأنساق الاجتماعية هي : مشكلة التكيف ، ومشكلة تحقيق الهدف ، ومشكلة التكامل ، ومشكلة ضبط التوتر أو خفض التوتر . وقد كشف « بارسونز » عن التساند بين النسق الكبير وأنساقه الفرعية في حين كشف أيضاً عن الاستقلال الذي تتمتع به الأنساق الفرعية (Turner, 1982: 49—53) . مما يشير إلى أن لكل مستوى من مستويات التحليل مشكلاته الأساسية النوعية التي تميزه عن غيره من مستويات التحليل المستخدمة في دراسة التنظيم .

خامساً ـ نظرة المداخل النظرية الى علاقة التنظيم بالبيئة :

كان للأدوات التصورية التي استعانت بها المداخل النظرية المختلفة في دراسة التنظيم ، انعكاسها على نظرة هذه المداخل الى علاقة التنظيم بالبيئة أو الاطار المجتمعي المحيط بالتنظيم . فنجد أن أصحاب مدخل العلاقات الانسانسة قد نظروا الى التنظيمات على أنها توجد في فراغ Vacuum . أما أصحاب مدخل علم النفس التنظيمي ، فقد نظروا الى التنظيمات على أنها أنساق مفتوحة مع تركيز الانتباه على دراسة شخصيات الأفراد وما تتميز به من سمات أو خصائص معينة . ونجد أن أصحاب النسق الاجتماعي الفني ينظرون الى التنظيم بوصفه نسقا مفتوحا يتفاعل مع البيئة التي هي خير معين على أداء مهمته الأساسية . بينما ينظر أصحاب مدخل نظرية صنع القرار الى التنظيم باعتباره نسقا مفتوحا ، يخضع للقيود البيئية التي تحد من عملية اتخاذ القرار داخل التنظيم . في حين ينظر أصحاب المدخل البنائي الوظيفي الى التنظيم بوصفه نسقا مفتوحاً يتفاعل مع البيئة باستمرار على اعتبارها مصدرا للمشكلات التي تواجه التنظيم ، وبوصفها في نفس الوقت مصدرا للموارد التي يستعين بها التنظيم في أداء وظائفه (Silverman, 1978: 217) .

ويجدر الاشارة الى أن المدخل البنائي الوظيفي قد أتاح الفرصة لدراسة التنظيمات من منظور واسع نسبياً ، اذا ماقورن بالمنظور الذي تبناه دارسو الجماعات الصغيرة . فقد زود التحليل البنائي الوظيفي علماء الاجتماع بفرصة دراسة العلاقات المتبادلة بين التنظيم والبيئة التي يمارس فيها نشاطاته ، وكشف عن الوسائل المختلفة التي يستخدمها كل من التنظيم والبيئة لكي يحقق أفضل تكيف ممكن (الحسيني ، ١٩٧٥ : ١١٠) . بالاضافة إلى أن هذا المدخل قد استعان بنظرية النسق الاجتماعي . وفي هذا الصدد ، يذكر

« بوبلين » Dennis E.Poplin (181 : 1979) أن الاستعانة بهذه النظرية الأخيرة يعد مفيداً في دراسة الجماعات الصغيرة ، بالاضافة الى دراسة البيروقراطية .

سادساً ـ مستويات التحليل السوسيولوجي في دراسة التنظيم :

تختلف مستويات التحليل السوسيولوجي بوجه عام ، طبقاً لاختلاف الاتجاه النظري للباحث . وعادة مايقوم علماء الاجتماع بتحليل الحياة الاجتماعية على ثلاثة مستويات متدرجة من حيث التعقيد ، هي : مستوى العلاقات الشخصية بين الأفراد ، ومستوى الجماعة ، والمستوى المجتمعي (Broom& Others,1981: 8) . وبالمثل تختلف مستويات التحليل التي تميز البحث التنظيمي باختلاف المداخل النظرية في دراسة التنظيم . وذلك نظراً لاختلاف طبيعة المشكلات الأساسية التي تهتم بدراستها هذه المداخل النظرية ، بالاضافة الى اختلاف نظرة كل من هذه المداخل الى علاقة التنظيم بالبيئة أو الاطار المجتمعي المحيط بالتنظيم .

وفي ضوء ماسبق ، نلاحظ اختلاف مستويات التحليل في البحوث الامبيريقية المختلفة تبعا لاختلاف المداخل النظرية التي تنطلق منها هذه البحوث . وقد ترتب على ذلك ظهور مستويات مختلفة لتحليل التنظيمات يتسق كل منها مع المدخل النظري الذي يتلاءم معه . فالبحوث التي تنطلق من مدخل علم النفس التنظيمي أو مدخل نظرية صنع القرار ، نجدها تركز على تحليل اتجاهات الأفراد وسلوكهم . والبحوث التي يوجهها أساساً مدخل العلاقات الانسانية ، نلاحظ أنها تهتم بصفة أساسية بتحليل العلاقات الاجتماعية بين أعضاء الجماعات المختلفة داخل التنظيم . ويسعى الذين

يعالجون التنظيم في ضوء هذا المستوى الى اكتشاف شبكات العلاقات الاجتماعية السائدة بين الجماعات الصغيرة ، ودراسة الأسس التي تستند اليها هذه الجماعات . أما البحوث التي تنطلق من مدخل النسق الاجتماعي الفني أو المدخل البنائي الوظيفي ، فهي تركز على مستوى تحليل التنظيم ككل ، وهذا المستوى من التحليل يستند الى نظرة محددة للتنظيم بوصفه نسقاً اجتماعياً يتضمن علاقات متبادلة بين أجزائه (الحسيني ، ١٩٧٥ : ١٦٢) . ونظرا لأن كل من مدخل النسق الاجتماعي الفني ، والمدخل البنائي الوظيفي ينظران إلى التنظيم على اعتبار أنه نسق مفتوح . لذلك نجد أن هذين المدخلين يسمحان بتحليل العلاقة بين التنظيم وبين المجتمع المحلي أو المجتمع بوجه عام .

ويتبين مما سبق ، أن هناك أربعة مستويات للتحليل تميز البحث التنظيمي بوجه عام ، ويتفق ذلك مع ما ذهب إليه العالمان « ميلر » D.C.Miller و « فورم » w.h.form (1980: 16) من حيث أن هناك أربعة مستويات للتحليل في دراسة التنظيم تتدرج من المجرد الى المحسوس على النحو التالي :

١ ـ دراسة العلاقة بين التنظيم الصناعي وبين المجتمع المحلي أو المجتمع بوجه عام .
٢ ـ دراسة النسق الاجتماعي الذي يميز التنظيم ككل .
٣ ـ دراسة نمط العلاقات الشخصية بين الأفراد داخل مختلف الجماعات الموجودة داخل التنظيم .
٤ ـ وأخيراً دراسة الأفراد بوصفهم أعضاء التنظيم الذين يمارسون الأدوار المحددة ويشغلون المراكز المختلفة .

وعلى الرغم من وجود أربعة مستويات للتحليل في هذه الدراسة ، إلا أن

هذا لايمنع الباحث من التركيز أحياناً على مستوى دون آخر طبقاً لاحتياجات الدراسة دون أن يتجاهل تماماً لمستويات التحليل الأخرى . ويتفق ذلك مع مايذكره كل من « لازارسفيلد » P.Lazarsfeld ، و « مينزل » —428 :1961) H.Menzel (433 من حيث أن هناك علاقات متبادلة بين الخصائص التحليلية للجماعات ، وبين الخصائص العامة للتنظيم ، والسمات الفردية . ويمكن للباحث أن يختار احدى هذه الخصائص ويقوم بالتركيز عليها في بحثه دون أن يتجاهل تماماً للخصائص الأخرى .

ويتضح مما سبق ، أن بعض المداخل النظرية في دراسة التنظيم ـ مثل المدخل البنائي والوظيفي ـ تجعل من التنظيم ككل وحدة للتحليل السوسيولوجي . ومن ثم يأخذ الباحث وجهة نظر (ماكروسوسيولوجية) Macro— Sociology واسعة النطاق في تناولة للعوامل التنظيمية . أما بعض المداخل الأخرى في دراسة التنظيم ـ مثل مدخل العلاقات الآنسانية ـ فهي تمكن الباحث من دراسة بعض المشكلات التنظيمية الجزئية المحددة ، من خلال التركيز على الجماعات الصغيرة ، مما يجعل الباحث يأخذ وجهة نظر (ميكروسوسيولوجية) Micro — Sociology ضيقة النطاق تهتم بتحليل الوحدات الصغرى دون الوحدات الكبرى (Timasheff& Theodorson, 1976: 231) .

سابعاً : الانتقادات التي وجهت إلى المداخل النظرية في دراسة التنظيم :

على الرغم من الاسهامات التي قدمتها المداخل النظرية المختلفة في دراسة التنظيم . الا أن هذه المداخل النظرية المتعددة قد تعرضت إلى أوجه النقد المختلفة .

ويجدر الاشارة أولا الى أن كل من هذه المداخل النظرية في دراسة التنظيم - فيما عدا المدخل البنائي الوظيفي - لم تستمد أساساً من الاطار المرجعي لعلم الاجتماع . اذ يدين كل من مدخل العلاقات الانسانية ومدخل علم النفس التنظيمي في نموهما وازدهارهما الى علم النفس . كما يتبنى مدخل النسق الاجتماعي الفني مفاهيم علم النفس والاقتصاد ويحاول المزاوجة بينهما . أما مدخل نظرية صنع القرار ، فقد تأثر في نموه وتطوره بمفاهيم علم الاقتصاد والسيرناطيقا (Silverman, 1978: 216) .

ومن أوجه النقد التي وجهت الى مدخل العلاقات الانسانية ، التحيز ضد النزعة الفردية ، حيث يرى أصحاب هذا المدخل بأن الفرد لايمكن له أن يكون سعيداً في عزلته وإنما يمكنه أن يحيا حياة مشبعة اذا انتمى الى جماعة . وكذلك فان هذا المدخل قد تحيز ضد المعقولية أو الرشد ، وقدم صورة للفرد يسيطر عليها الاحساسات والمشاعر . بالاضافة إلى أن هذا المدخل يميل إلى رؤ ية جميع المشكلات على أنها مشكلات في الاتصال ، متجاهلا مشكلة القوة ، ومتجاهلا تأثير العوامل الاقتصادية والاجتماعية الخارجية بالنسبة للنسق الاجتماعي للمصنع (Whyte& Miller, 1957: 332—333) .

وبالمثل ، فقد وجه النقد الى مدخل علم النفس التنظيمي على أساس نظرته الضيقة النطاق الى التنظيم ، واهتمامه بدراسة مشكلات جزئية ، وتركيزه على دراسة حاجات الأفراد ودوافع سلوكهم ، دون الاهتمام بدراسة بناء علاقات العمل والتنظيم الرسمي بوصفها عوامل مؤثرة في سلوك الأفراد .

كما تعرض مدخل النسق الاجتماعي الفني للنقد ، على أساس أنه قد أغفل مشكلتي الكفاية والفعالية اللتين اهتم بهما البنائيون الوظيفيون أمثال

« ميرتون » R.Merton ، و « سلزينك » P.Selznik . وقد استعان مدخل النسق الاجتماعي الفني في دراسة مشكلاته باتجاه امبيريقي مجرد ، فلم يهتم كثيراً بصياغة أطر نظرية واسعة كما فعل « بارسونز » T.Parsons وغيره من الوظيفيين ، بل اكتفى بتطوير بعض القضايا المحدودة النطاق (الحسيني ، ١٩٧٥ : ١٣ - ١٣٤) .

أما أهم أوجه النقد التي وجهت الى مدخل نظرية صنع القرار ، فقد وجهت الى مازعمه هذا المدخل من حيث أنه يتخذ طابعا تكامليا ، يسعى الى تقديم اطار يتناول الجوانب الرشيدة وغير الرشيدة للسلوك في آن واحد . ويحاول التلاؤم قدر استطاعته مع النتائج الامبيريقية في مجال التنظيم . فاذا كان هذا الطابع التكاملي ملائمًا على مستوى الفرد ، الا أنه قد لايكون كذلك على مستوى الجماعة أو التنظيم ، لأنه يغفل بعض القوى الهامة التي يمكن أن تلعب دوراً بارزاً في هذا المجال ، وهي قوى تتصل بصفة خاصة بطبيعة الجماعة أو التنظيم وترتبط أوثق الارتباط بثقافة التنظيم وانساق المكانة السائدة فيه ، بل وترتبط بكل الجوانب غير الرسمية من التنظيم (الحسيني ، ١٩٧٥ : ١٦٢) .

وعلى الرغم من الاسهامات النظرية الهامة التي قدمها المدخل البنائي الوظيفي في دراسة التنظيم . الا أن هذا المدخل قد تعرض أيضاً للنقد ، عن طريق بعض العلماء الذين يرون أن هذا المدخل لايمكن من دراسة بعض المشكلات التي تتعلق بالتغير ، أو القوة ، أو الصراع داخل التنظيم ، أو الظروف التاريخية التي مرت بها التنظيمات . ومن ثم ظهرت بعض الدراسات النظرية والامبيريقية التي تأثرت بنموذج الصراع ، واستخدمت مدخل نظرية

الصراع في دراسة العلاقات داخل تنظيمات العمل . ومن أمثلة هذه الدراسات ، تلك الدراسات التي قام بها بعض الباحثين أمثال « دالتون » M.Dalton ، و « سكوت » W.H.Scolt و « كروب » S.Krupp (Silverman, 1978:5) .

وقد تعرض نموذج التوازن للمجتمع ـ وهو يمثل صورة خاصة من التحليل البنائي الوظيفي ـ إلى كثير من النقد عن طريق بعض العلماء الذين ينتمون الى مايسمى باسم نموذج الصراع للمجتمع . ويذهب نقاد نموذج التوازن الى أنه من الوهم أن نعتقد بان المجتمع ، وبخاصة المجتمع الحديث ، يحقق ضرباً من التوازن المنسجم مهمته المحافظة على كل شيء ، فالتوازن التام للمجتمع شيء يتعذر تحقيقه . ونجد أن كل المجتمعات تشهد حالة صراع ، وبخاصة صراع المصالح . أي أن هؤلاء العلماء يقرون أن النزاع هو الشرط الأساسي للحياة الاجتماعية بدلاً من الاتفاق أو الاجماع . ويحدث الصراع والتوتر الاجتماعي نتيجة المنافسة حول القوة والامتياز بين الجماعات المختلفة .

وقد تطور نموذج الصراع للمجتمع حديثاً بصورة عميقة وشاملة على أيدي بعض العلماء أمثال « كوزر » L.Coser و « داهرندورف » R.Dahrendorf و « جالتنج » J.Galtung (انكلز ، ١٩٧٥ : ٨٦ ـ ٨٨) .

وعلى الرغم من أوجه النقد التي تعرض لها المدخل البنائي الوظيفي . الا أن الباحث يود أن يؤكد أهمية هذا المدخل والاسهامات النظرية الهامة التي قدمها في دراسة التنظيم ، وخاصة أنه قد استمد أساساً من الاطار المرجعي لعلم الاجتماع على عكس المداخل النظرية الأخرى التي تدين في نموها وازدهارها الى علوم أخرى مثل علم النفس ، والاقتصاد ، والسياسة ،

والادارة . بالاضافة إلى أن هذا المدخل قد أتاح الفرصة لدراسة التنظيم من منظور واسع نسبياً على اعتبار أنه نسق مفتوح .

والخلاصــــــــــة :

كشفت نتائج هذه الدراسة ، أنه لايوجد نظرية شاملة موحدة في دراسة التنظيم ، وإنما هناك عدة مداخل نظرية مثل مدخل العلاقات الانسانية ، ومدخل علم النفس التنظيمي ، ومدخل النسق الاجتماعي الفني ، ومدخل نظرية صنع القرار ، والمدخل البنائي الوظيفي .

وقد تبين أن الاختلاف بين المداخل النظرية في دراسة التنظيم يرجع الى اختلاف الاطار المرجعي الذي استمد منه المدخل النظري ، فلكل مدخل جذوره الفكرية ، ولكل مدخل أداته الرئيسية التي يستعين بها في دراسته للتنظيم ، كما أن لكل مدخل مشكلاته الأساسية التي يهتم بدراستها . وقد انعكس ذلك على نظرة كل مدخل نظري الى علاقة التنظيم بالبيئة ، وما اذا كان التنظيم يوجد في فراغ ، أم أنه نسق مفتوح . مما أدى في النهاية الى اختلاف مستويات التحليل التي تميز البحث التنظيمي بوجه عام .

وعلى الرغم من أن جميع هذه المداخل النظرية لم تسلم من النقد . فان الباحث يميل الى الاعتقاد بأن هذه المداخل النظرية يكمل بعضها البعض الآخر ، ويمكن الافادة منها جميعاً في دراسة التنظيم وتفسير الظواهر والمشكلات التنظيمية .

* *

المراجـــع

أولاً ـ المراجع العربيـــــة :

١ ـ أحمد ، سمير نعيم ، النظرية في علم الاجتماع ، القاهـرة : دار المعارف ، ١٩٧٩ .

٢ ـ الحسيني ، السيد محمد ، النـظرية الاجتمـاعية ودراسـة التنظيم ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ .

٣ ـ انكلز اليكس ، مقدمة في علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، القاهرة : دار المعارف بمصر ، ١٩٧٥ .

٤ ـ الساعاتي ، حسن ، تصميم البحوث الاجتماعية : نسق منهجي جديد ، بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ .

٥ ـ غيث ، محمد عاطف وآخرون ، قاموس علم الاجتماع ، الاسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ .

٧ ـ محمد ، محمد علي ، مجتمع المصنع : دراسة في علم اجتماع التنظيم ، الاسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

ثانياً ـ المراجع الأجنبيـــة :

1. Broom, Leonard & Others, Sociology: A Text with Adapted Readings, N.Y.: Harper & Row, 1981.
2. Drucker, Peter, "Towards a Theory of Organizations", The Age of Discontinuity, Heinemans, 1969.
3. Etzioni, Amitai, Modern organization, N.J.: Prentice Hall, 1964.
4. Hamblin, R.L. & Kunkel, J.H. (eds), Behavioral Theory in Sociology: Essays in Honor of George S. Homans, N.J.: Transaction Books, 1977.

5. Hicks, H.G. & Gullett, C.R., Organizations: Theory and Behavior, N.Y.: MCGraw - Hill Book Company, 1975.
6. Homans, George C., The Human Group, London: Routledge & Kegan Paul, 1975.
7. Katz, D. & Kahn, R., The Social Psychology of Organizations, N.Y.: Wiley, 1960
8. Martindale, Don, Nature and Types of Sociological Theory, London: Routledge & Kegan Paul, 1967.
9. Mayntz, R., "The Study of Organization", Current Sociology, Vol. 13.
10. Miller, D.C. & Form, W.H., International Sociology; Work in Organizational Life, N.Y.: Harper and Row, 1980.
11. Philips, Bernard, Sociology: From Concept to Practice, N.Y.: MCGraw-Hill Book Company.
12. Poplin, Dennis E., Communities: A Survey of Theories and Methods of Research, N.Y.: Macmillan Publishing Company.
13. Pugh, D.S. (ed.), Organization Theory: Selected Readings, N.Y.: Penguin Books, 1977.
14. Selznick, P., "Foundations of the Theory of Organizations", in Littererer, Joseph A.(ed.), Organizations: Systems, Control and Adaptation, Wiley, 1969, Vol. 2.
15. Silverman, David, The Theory of Organization: A Sociological Framework, London: Heinemann, 1978.
16. Skidmore, William, Theoretical Thinking in Sociology, Cambridge: Cambridge University Press, 1979.
17. Sofer, Cyril, Organizations in Theory and Practice, London: Heinemann Educational Books, 1978.
18. Timasheff, N. & Theodorson, G., Sociological Theory : Its Nature and Growth, N.Y. : Random House, 1976.
19. Turner, Jonathan H., The Structure of Sociological Theory, Illinois: The Dorsey Press, 1982.
20. Whyte, W.F. & Miller, F.B., "Industrial Sociology", in Gittler, J.B., Review of Sociology, N.Y.: John Wiley & Sons, 1957.

العمامة في الجاهلية والإسلام

الأستاذ الدكتور
يحيى وهيب الجبوري
أستاذ بقسم اللغة العربية

« العمائم تيجـان العرب »
[عمر بن الخطاب]

العمامة ما يُلَف على الرأس والجمع عَمائم وعِمَام(١) ، وقال ابن سيده : اللباس الذي يُلاث على الرأس تكويراً(٢) ، وهي في أبسط صورها قطعة قماش تلف على الرأس لفة أو عدة لفات ، سواء أكان تحتها طاقية أم لم تكن . وربما كنوا بها عن البيضة والمِغْفَر ، وعمَّمته : ألبسته العِمَّة ، وهو حَسَن العِمَّة ، أي التعمم(٣) ، وعُمِّم الرجل أي سُوِّد ، لأن تيجان العرب العمائم ، فكما قيل في العجم تُوِّج من التاج ، قيل في العرب عُمِّم ، وكانت الفرس تتوج ملوكها فيقال متوج ، والعرب تقول للرجل إذا سوِّد قد عمم ، قال العجاج(٤) :

(١) القاموس المحيط : عمم .
(٢) المخصص ٤/٨٢ .
(٣) المخصص ٤/٨٢ ، اللسان : عمم .
(٤) اللسان : عمم .

وفيهـــمُ إذْ عُمِّـــمَ المُعَمَّـــمُ

وكانوا إذا سودوا رجلاً عمموه عمامة حمراء ، ومنه قول الشاعر :(٥)

رأيتُـكَ هرَّيتَ العِمـامَةَ بعـدما   رأيتُـك دهراً فـاصعاً لا تُعَصَّبُ

تعد العمامة فخر العرب وعلامة عزهم ، وأحسن ملبس يضعونه على رؤوسهم ، وأُثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : « العمائم تيجان العرب » ، ونسب هذا القول إلى رسول الله ﷺ(٦) . وكانت العمامة ملبس خاصة العرب ، أصحاب الجاه والمكانة والنفوذ من حضر وبادية ، فإنها تميزهم عن بقية الناس(٧) ، وما كان الفقراء يستطيعون ارتداءها ، وكانوا يضعون على رؤوسهم أغطية أخرى أخف وزناً وثمناً من العمامة ، ولذلك كانوا يكنون عن الرخاء والرفاه بإرخاء العمامة ، لأن الرجل إنما يرخي عمامته عند الرخاء ، وأرخى عمامته : أي أمن وترفه ، لأن الرجل إنما يرخي عمامته إذا أيسر وطابت نفسه ، وأنشد ثعلب :(٨) :

(٥) اللسان عمم ، فقه اللغة ص ٢٤٣ ، وعجز البيت فيه : (عمرت زماناً حاسراً لم تعمم) .

(٦) (العمائم تيجان العرب) نسب هذا القول إلى عمر بن الخطاب في البيان والتبيين ٢/٨٨ والتلخيص ص ٢٠١ ، وجعله الطبرسي حديثاً منسوباً للنبي ﷺ (مكارم الأخلاق ص ١٣٧) ، ونسب أيضاً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في جامع الأصول ٦٣١/١٠ ، وقال : أخرجه أبو داود ، وليس فيه ، وقد ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، ونسبه لابن عدي والبيهقي ، وذكره الحافظ في (الفتح) ونسبه للطبراني والترمذي في العلل من حديث أبي مليح بن أسامة بن عمير عن أبيه ، وقال الحافظ : ضعفه البخاري وصححه الحاكم ولم يصب . (انظر جامع الأصول ٦٣١/١٠ وحاشية المحقق) .

(٧) جـواد علي ٤٨/٥ .

(٨) اللســان : عمم .

أَلقَىٰ عصاهُ وأرخَىٰ من عِمَامتِـهِ وقال ضيفٌ فقلتُ الشيبُ قال أَجَلْ

أراد : وقلت الشيب هذا الذي حل ، وفي الحديث : أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من (الحَوْرِ بعد الكَوْرِ)[٩] أي : من النقصان بعد الزيادة ، وهو من تكوير العمامة ، لأن الكَوْر تكوير العمامة والحَوْر نقصها ، وفي تكوير العمامة دلالة على النعمة والرخاء ، ولم يكن في وسع الفقير شراء قماش يعمم به رأسه على سنة الأغنياء[١٠] .

وللعمامة مكانة كبيرة عند العرب ، فهي رمز الشرف والرفعة ، فإذا أهينت لحق الذل بصاحبها ، وإذا هضم الرجل وأهين ألقى بعمامته على الأرض وطالب بإنصافه ، ولهذه المكانة الرفيعة التي تحتلها العمامة في نفوسهم ، اتخذوها لواء عند الحرب ، فينزع سيد القوم عمامته ويعقدها لواء ، لما في ذلك من معاني التبجيل والاحترام لأنها عمامة سيد القوم[١١] ، ولكرامة العمامة لدى العرب اتخذوها شعاراً لهم ورمزاً لعروبتهم ، سأل غيلان بن خرشة الأحنف بن قيس : « يا أبا بحر ، ما بقاء ما فيه العرب ، قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حمية الأوغاد »[١٢] ، وفي الخبر : « أن العمائم تيجان العرب فإذا وضعوها وضع الله عزهم » ، وقيل : اختصت العرب بالعمائم وبالدروع وبالشعر[١٣] .

وكانوا يلوذون بعمامة الرجل إذا نزل بهم مكروه أو طلبوا حماية ، ومن ذلك قيل : (سَيِّد مُعَمَّم) أي أن كل جناية يجتنيها الجاني من العشيرة فهي

(٩) صحيح مسلم : حج ٤٢٦ ، ترمذي : دعوات ٤١ ، ابن ماجة : دعاء ٢٠ .

(١٠) اللسان : كور ، جواد علي ٤٩/٥ .

(١١) البيان والتبيين ١٠٥/٣ ، بلوغ الارب ٤١٢/٣ .

(١٢) البيان والتبيين ٨٨/٢ ، بلوغ الارب ٤٠٩/٣ .

(١٣) ثمار القلوب ص ١٥٩ ، المخصص ٨٢/٤ .

معصوبة برأسه[١٤] ، قال عمرو بن امريء القيس :[١٥]

يا مالِ والسيدُ المعمَّمُ قد يُبْطره بعد رأيه السَّرفُ
نحن بما عندَنا وأنت بما عِنـ ـدَكَ راضٍ والرأيُ مختلفُ

والعمامة لباس الأشراف السادة الكرام ، ولذلك يمدح الشاعر بني تميم ، بأنهم يلوون عمائمهم على كرم[١٦] :

إذا لَبِسُوا عَمَائِمَهُم لَوَوْهَا على كَرَمٍ وَإنْ سَفَرُوا أناروا
يَبِيعُ ويَشْتَري لَهُمُ سِواهُمْ ولٰكِنْ بالطِّعان هُمُ تِجَارُ
إذا ما كُنْتَ جارَ بني تميمٍ فَأَنْتَ لأكرمِ الثَّقَلَيْنِ جَارُ

والعمامة لباس السادة ولذلك ارتبطت كلمة السيد بالمعمم ، وكذلك جاءت هذه العلاقة بين السيد والمعمم في شعر المغيرة بن حبناء[١٧] :

إذا المرءُ أثرىٰ ثم قال لقومِهِ أنا السَّيِّدُ المُفْضَىٰ إليهِ المعَمَّمُ
ولم يُعطِهِمْ شيئاً أبوا أن يسودَهم وهانَ عليهم رغْمه وهو ألْومُ

وقال آخر : إن الشدائد تظهر الفرسان ذوي العمائم[١٨] :

إذا كَشَفَ اليومُ العَمَاسُ عن استِهِ فلا يَرْتدي مثلي ولا يَتَعَمَّمُ

ولا شك أن عمامة السادة الموسرين أكبر من غيرها ، ولا يستطيع لبسها صعلوك مثل السليك بن السلكة الذي يقول :

ألا عتبتْ عليَّ فصارَمَتْني وَأَعْجَبَها ذَوو العمم الطوالُ

(١٤) البيان والتبيين ٩٩/٣ ، المخصص ٨٢/٤ .
(١٥) البيان والتبيين ١٠٠/٣ .
(١٦) البيان والتبيين ١٠٤/٣ .
(١٧) السابق ١٠٣/٣ .
(١٨) السابق والصفحة ، واللسان : عمس .

والعرب تسمي العمامة تاجاً ، يقال : توَّجه إذا عمَّمه ، ويكون توجه : سوَّده ، والمتوج : المسود ، وكذلك المعمم[١٩] ، ويطلق التاج على الإكليل والقصة والعمامة على التشبيه ، والعرب تسمي العمامة التاج ، وقد مر أن (العمائم تيجان العرب) جمع تاج ، وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر ، أراد أن العمائم للعرب بمنزلة التيجان للملوك ، لأنهم أكثر ما يكونون في البوادي مكشوفي الرؤوس أو بالقلانس ، والعمائم قليلة فيهم[٢٠] . يقول شمعلة بن أخضر الضبي في رثاء بسطام بن قيس الشيباني في يوم شقيقة الحسنين ، ويسمي عمامته تاجاً[٢١] :

جلبنا الخيلَ من أكنافِ فَلْجٍ ... ترى فيها من الغَزْو اقورارا
بكلِّ طِمِرَّةٍ وبكلِّ طِرْفٍ ... يَزينُ سوادُ مقلتهِ العِذَارا
حَواليْ عاصبٍ بالتَّاجِ مِنَّا ... جبينَ أَغَرَّ يستلبُ الدُّوارا
رئيسٌ ما ينازِعُهُ رئيسٌ ... سوى ضربِ القِداحِ إذا استثارا

ولذلك فإن العرب إذا سودوا رجلاً (جعلوه سيداً) ألبسوه عمامة حمراء ، فهي تاج أو عصابة ولذلك قالوا : رجل معصب ومعمم أي مسود ، قال عمرو بن كلثوم[٢٢] :

وسيِّدِ مَعْشَرٍ قد عَصَّبوهُ ... بتاجِ المُلْكِ يحمي المحجرينا

قال ابن منظور : جعل الملك معصباً أيضاً : لأن التاج أحاط برأسه كالعصابة التي عصبت برأس لابسها . ويقال : اعتصب التاج على رأسه إذا

(١٩) اللسان : توج .
(٢٠) اللسان : توج .
(٢١) البيان والتبيين ٣/١٠٤ ، والعقد الفريد ٥/٢٠٤ ، والمؤتلف ص ١٤١ .
(٢٢) اللسان : عصب ، الدعامة في أحكام سنة العمامة ص ٤ ، وانظر العمامة ـ بدري محمد فهد ص ٥ .

استكف به ، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات[٢٣] :

يعتصِبُ التَّـاجُ فـوق مَفْـرِقِـهِ   عـلى جبـينٍ كَـأَنَّـهُ الـذَّهـبُ

وفي الحديث : « أنه شكا إلى سعد بن عبادة عبد الله بن أُبَيّ ، فقال : اعفُ عنه يا رسول الله ، فقد كان اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يعصبوه بالعصابة ، فلما جاء الله بالإسلام شَرِق لذلك »[٢٤] ، يعصبوه : أي يسودوه ويملكوه ، وكانوا يسمون السيد المطاع معصباً لأنه يعصب بالتاج ، أو تعصب به أمور الناس ، أي ترد إليه وتدار به ، والعمائم تيجان العرب وتسمى العصائب واحدتها عصابة[٢٥] .

وقد لبس بعض زعماء العرب في الجاهلية التاج ، منهم الأشعث بن قيس ملك كندة الذي كان يُحيًّا بتحية الملك ، فلما أسلم بعد ارتداده ، زوَّجه أبو بكر أخته أم فروة بنت أبي قحافة ، فتواضع بعد التكبر وتذلل بعد التجبر[٢٦] ، وكذلك ذو الكلاع ملك حِمْيَر ، قيل : إنه قدم على أبي بكر الصديق في عشيرته وقومه وعليه التاج . . . فلما رأى لباس أبي بكر قال : ما ينبغي لنا أن نفعل بخلاف ما عليه خليفة رسول الله ﷺ ، فنزع لباسه الأول وتشبه بأبي بكر[٢٧] .

وسمي غير واحد في الجاهلية بـ (ذو التاج) ، منهم : أبو أحيحة

---

(٢٣) اللســان : عصب .

(٢٤) بخاري : تفسير سورة آل عمران ١٥/٣ ، مرضى ١٥ ، مسلم : جهاد ١١٦ ، اللسان : عصب .

(٢٥) اللســان : عصب .

(٢٦) مشاكلة الناس لزمانهم ـ اليعقوبي ص ١٠ .

(٢٧) الســابق : ص ١٠ .

سعيد بن العاص بن عبد شمس[٢٨] ، وكان إذا اعتم لم يعتم معه أحد ، وقيل في عمته[٢٩] :

وكان أبو أُحَيْحَةَ قد علمتْ ... بمكة غيرَ مهتضمٍ ذميمِ
إذا شَدَّ العِصابَةَ ذاتَ يومٍ ... وقامَ إلى المجالِسِ والخصومِ
فقد حَرُمَتْ على من كان يمشي ... بمكة غيرَ مُدَّخلٍ سقيمِ

وحارثة بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان ، كان على بني بكر يوم أوراة إذ قتلوا المنذر بن ماء السماء ، ومن ولده هانيء بن مسعود الشيباني صاحب يوم ذي قار[٢٩ب] ، ولقيط بن مالك ، وهو لقيط بن الحارث بن مالك بن فهم[٣٠] ، وهوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزى الحنفي ، قاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ ، وفيه يقول أوس بن حجر[٣١] :

أُنبِئْتُ أنَّ دَماً حَراماً نِلْتَهُ ... وهُرِيقَ في بُرْدٍ عليك مُحَبَّرُ

ومالك بن خالد بن صخر بن الشريد المسمىٰ بذي التاج من بني سُليم ، توَّجه بنو سليم ، وقتله عبد الله بن جذل الطعان الكناني[٣٢] ، وكذلك توّج معبد بن عمرو وغيرهم .

كانت العمامة من لباس الأشراف في الجاهلية ، لبسها سادتهم وفرسانهم وخطباؤهم ، وبخاصة حين يحضرون الأسواق كعكاظ والمجنة

---

(٢٨) القاموس والتاج : توج ، جمهرة الأنساب ص ٨٠ .
(٢٩) البيان والتبيين ٣/٩٧ ، الروض الأنف ١/٢٠٥ .
(٢٩ب) جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .
(٣٠) جمهرة أنساب العرب ص ٣٨٠ .
(٣١) المصدر السابق ص ٣١٠ ـ ٣١١ .
(٣٢) السابق ص ٢٦١ .

وذي المجاز ، وكانت العمامة من سمات الخطيب ، فكان الخطيب فيهم يلبس ملحفة ورداء وقميصاً وعمامة ، ويحمل عصا بيده ، وقد يستغنى عن بعض هذه الملابس غير العصا والعمامة[٣٣] ، ولمكانة العمامة في نفوسهم ، فإن الشعراء يمدحون لابسها على أنه من ذوي الشرف والسماحة والنجدة ، يقول الشاعر الكناني[٣٤] :

تنخَّبْتُهـا للنَّسْـلِ وهي غـريبـةٌ فجاءتْ به كالبدرِ خِرْقاً مُعَمَّمـا
فلو شاتَمَ الفتيانَ في الحيِّ ظالماً لما وجدوا غير التكَذُّبِ مَشْتَمـا

ولذلك فقد اتجهت عنايتهم بالاهتمام بالعمامة ، ونظافتها ، وكيفية لوثها ، وكان من أشد ما يشتم به الرجل الانتقاص من عمامته ، يكنى الفرزدق عن الدنس والانتقاص من مكانة القوم بأنهم (دُسْم العمائم)[٣٥] :

بني عاصمٍ ان تُلجِئوهـا فإنَّكُم ملاجِىءُ للسَّوءاتِ دُسْمُ العَمائِمِ

في الإســـلام :

والعمامة زينة للرجل وجمال لمظهره وهيبته ووقاره ، أثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : « جمال الرجل في عِمَّته وجمال المرأة في خفها »[٣٦] ، وفي الأمثال : « أجمل من ذي العمامة »[٣٧] ، وهو من أمثال مكة ، قيل في سعيد بن العاص بن أمية المعروف بـ (ذي العمامة) ، وكان إذا لبس العمامة في الجاهلية لا تلبس قريش عمامة على لونها ، وقيل : إنه

---

(٣٣) البيان والتبيين ٣/٩٢ .
(٣٤) البيان والتبيين ٣/٩٩ .
(٣٥) البيان والتبيين ٣/١٠٦ ولم يرد البيت في ديوان الفرزدق .
(٣٦) البيان والتبيين ٢/٨٨ .
(٣٧) مجمع الأمثـال ١/١٩٧ .

كناية عن السيادة ، وذلك لأن العرب تقول : سيد معمم ، يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من القبيلة ، فهي معصوبة برأسه ، وإلى مثل هذا ذهبوا في تسميتهم سعيد بن العاص : ذا العمامة ، وذا العصابة[٣٨] .

لبس رسول الله ﷺ العمامة ، وكانت له عمامة تسمى السَّحاب كساها علياً ، وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة ، وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ، ويلبس العمامة بغير قلنسوة ، وكان إذا اعتم أرخىٰ عمامته بين كتفيه ، روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال : « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه »[٣٩] .

وعُرف النبي ﷺ بـ (صاحب العمامة) ، لأن العمامة من صفات العرب ، وخاصة أشرافهم ورؤساؤهم ، وقد جعل بعض العلماء لبسه العمامة من علامات النبوة التي يعرف بها عند بعثته[٤٠] ، وقد نسب إليه عليه السلام قوله : (العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوا العمائم وضع الله عزهم) ، وقوله : (اعتموا تزدادوا حلماً)[٤١] .

ولمكانة العمامة في الإسلام وصفت بأنها من لباس الملائكة ، ففي خبر يوم بدر : أن الله سبحانه وتعالى عزز المسلمين بملائكة ، عليهم عمائم بيض[٤٢] ، وقيل عمائم صفر ، وقيل سود[٤٣] ، وقال بعضهم وقد وفق بين

---

(٣٨) مجمع الأمثال ١/١٩٧ ، جواد علي ٥/٥١ .

(٣٩) زاد المعاد ١/١٣٥ وما بعدها ، فصل في ملابسه ، والوفا بأحوال المصطفى ٢/٥٦٧ ، جامع الأصول ١٠/٦٣٢ .

(٤٠) الدعامــة ص ١٨ .

(٤١) جامع الأصول ١٠/٦٣١ ، مكارم الأخلاق ص ١٣٧ .

(٤٢) مكارم الأخلاق ص ١٣٧ .

(٤٣) الدعامــة ص ٨٤ .

هذه الروايات : إن الملائكة يوم بدر كانوا بعمائم صفر ، وبعضهم بعمائم بيض ، وبعضهم بعمائم سود ، وبعضهم بعمائم حمر[٤٤] ، وقيل إن الملائكة أُرسلت أيضاً يوم حنين وعليها العمائم[٤٥] .

وأصبح التعمم في الإسلام سنَّة ، جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب فقال : « يا أبا عبد الرحمن ، العمامة سنة ، فقال نعم ، قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن عوف : اذهب فاسدل عليك ثيابك والبس سلاحك ، ففعل ثم أتى النبي ﷺ فقبض ما سدل بنفسه ، ثم عممه فسدل من بين يديه ومن خلفه »[٤٦] وكان رسول الله ﷺ قد عمم نفراً من أصحابه منهم علي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكان لا يولِّي والياً حتى يعممه ، وقال مالك : « العمة والاحتباء والانتعال من عمل العرب »[٤٧] ، وصار الاعتمام في الإسلام مقروناً بالحلم ففي حديث أبي مُليح عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : (اعتمّوا تزدادوا حلماً)[٤٨] .

ولأهمية العمامة في الحياة الإسلامية فقد جاءت أحاديث صحيحة وأخرىٰ يشوبها الوضع ، فمن الأحاديث المقبولة حديث ركانة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (فرق ما بيننا وبين المشركين . العمائم على القلانس)[٤٩] ، ويروى أن رسول الله ﷺ ، دعا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم غدير خم فعممه وأرخى عذبة العمامة من خلفه ، ثم قال :

---

(٤٤) الدعامة ص ٦٧ .

(٤٥) الدعامة ص ٦ .

(٤٦) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ باب العمائم .

(٤٧) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .

(٤٨) جامع الأصول ٦٣١/١٠ .

(٤٩) جامع الأصول ٦٣٠/١٠ .

(هكذا فاعتموا فإن العمائم سيماء الإسلام ، وهي الحاجز بين المسلمين والمشركين)[٥٠] ، وهناك أحاديث أخرى لم أجدها في كتب الحديث المعتمدة بل جاءت في الكتب المتأخرة من مثل كتاب (الدعامة في أحكام سنة العمامة) من مثل : (عليكم بالعمائم فإنها سيماء الملائكة وأرخوا لها خلف ظهوركم) ، و (ركعتان بعمامة خير من سبعين بلا عمامة) و (إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة) ، ولا شك أن هذه الروايات سواء أصحت أم لم تصح ، فيها دلالة على أهمية العمامة في الحياة الإسلامية ، واهتمام المسلمين بلبسها والتجمل بها ، وخاصة في المناسبات الإسلامية ، كالأعياد وصلاة الجماعة وغيرها[٥١] ، ومن صور هذه المكانة الكبيرة للعمامة في نفوس المسلمين منذ عهد مبكر ، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم إليه رجل يشكو إليه عدي بن أرطاة في أرضه ، فقال عمر : « قاتله الله ، أما والله ما غرنا إلّا بعمامته السوداء »[٥٢] .

مكانة العمامة وفوائدها :

مر بنا أن للعمامة مكانة كبيرة في نفوس العرب ، فهي رمز الشرف والرفعة فإذا أهينت لحق الذل بصاحبها ، وإذا هضم الرجل وأهين ألقى بعمامته على الأرض ، وطالب بإنصافه ، ولهذه المكانة الرفيعة التي تحتلها العمامة في نفوسهم ، اتخذوها لواء في الحرب ، فينزع سيد القوم عمامته ويعقدها لواء ، لما في ذلك من معاني التبجيل والاحترام لأنها عمامة سيد القوم ، وكذلك فعل الأحنف بن قيس سيد تميم في البصرة ، حين قامت الحرب بين تميم والأزد ، فقد خلع عمامته وعقدها لواء على رمح ، ثم دفعها

(٥٠) عمدة القارىء ٣٠٨/٢١ .
(٥١) الدعامة في أحكام سنة العمامة ص ٦ ـ ١٤ .
(٥٢) المحاسن والمساوي ـ البيهقي ٥٢٦/٢ ـ ٥٢٧ .

لعبس بن طلق بن ربيعة[٥٣] ، ويمدح زيد بن كثوة العنبري رجلاً ، فيشبه عمامته بلواء فوق الرجال ، لما لها من مكانة وشرف وتميز[٥٤] :

فجاءتْ بِهِ عَبْلَ القَوامِ كأنَّما عمامتُه فوق الرجالِ لواءُ

ويعلق الجاحظ قائلاً : « لأن العمامة ربما جعلوها لواء » وكانوا يلبسون العمامة في الحرب ويضعونها في السلم ، أما بيت سحيم بن وثيل الرياحي الذي استشهد به الحجاج وطار صيته ، وهو مطلع قصيدة[٥٥] :

أنا ابنُ جَلا وطلَّاعُ الثَّنايا متى أضعُ العِمامَةَ تعرفوني

فأراد به : متى أسفر وأحدر اللثام عن وجهي ، تنظروا إلى فتعرفوني .

وكانوا يتخذون من العمامة قناعاً عند حضورهم المواسم والأسواق ، إذا كانوا مطلوبين لئلا يتعرف عليهم أعداؤهم ، فيثأروا منهم ، وكان منهم من يترفع عن التستر بالعمامة فيسفر تحدياً لأعدائه ، مثل أبي سليط طريف بن تميم ، وكان يسمى لذلك (ملقي القناع) وقد رآه أعداؤه في سوق عكاظ ، فكانوا يتفرسون في وجهه إدراكاً لطلبتهم ، فقال في ذلك[٥٦] :

أَوَكُلَّما وردتْ عكاظَ قبيلةٌ بعثوا إليَّ عريفَهم يتوسَّمُ
فتوسَّموني إنَّني أنا ذاكمُ شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعْلَمُ
تحتي الأغَرُّ وفوق جلدي نَثْرةٌ زَغْف تردُّ السَّيْفَ وهو مثلَّمُ
ولكلِّ بكريٍّ إليَّ عداوةٌ وأبو ربيعةَ شانِيءٌ ومُحَلِّمُ

وكان من نتيجة هذا التكشف والتحدي ، أن ظفر به خصومه فقتلوه .

(٥٣) تاريخ الطبري ٢٧/٧ ط الحسينية .
(٥٤) البيان والتبيين ١٠٤/٣ ـ ١٠٥ .
(٥٥) انظر القصيدة في الأصمعيات ص ٣ .
(٥٦) البيان والتبيين ١٠٠/٣ ـ ١٠١ .

وسئل أبو الأسود الدؤلي عن العمامة وفوائدها ، فأجملها في قولة : « جُنَّة في الحرب ، وَمَكَنَّة من الحر ، ومدفأة من القُرّ ، وَقَار في النَّدِيّ ، وواقية من الأحداث ، وزيادة في القامة ، وهي بعد عادة من عادات العرب »[٥٧] ، وقد سئل أعرابي : إنك لتكثر لبس العمامة ، فقال : إن شيئاً فيه السمع والبصر ، لجدير أن يوقى من الحر والقر[٥٨] ، ويذكر الجاحظ فائدة أخرىٰ للعمامة ، ما تزال تستعمل حتى الوقت الحاضر ، وهي ان الأعراب كانوا يشدون بها أوساطهم عند المجهدة ، وإذا طالت العُقْبة ، والعُقْبة مقدار السير عند السفر[٥٩] ، وفي خبر مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أنه حين طعن ، عصبت بطنه بعمامة سوداء[٦٠] ، ويقول مصعب بن عمير الليثي في سياق هجائه ، انهم يشدون عمائمهم على أكبادهم من شدة الجوع[٦١] :

فســيروا فقد جَنَّ الظَّــلامُ عليــكُمُ
فباســتِ امريء يرجو القِــرىٰ عند عاصــمِ

دَفَعنا إليه وهـو كالـذَّيخ خـاظيا
نَشـدُّ على أكبـادنـا بـالعمـائم

وقال شاعر آخر وقد بلغ به الجهد مبلغاً[٦٢] :

خليلي شُدَّا لي بفضل عمامتي
على كَبِـدٍ لم يبقَ إلاَّ صميمُها

وكانت العمامة كذلك شعاراً للعرب ورمزاً لعروبتهم ، سأل غيلان بن

(٥٧) البيان والتبيين ٣/١٠٠ ، عيون الأخبار ١/٣٠٠ .
(٥٨) البيان والتبيين ٣/١٠٠ .
(٥٩) الســابق ٣/١٠٥ .
(٦٠) مسند أحمد بن حنبل ١/٥١ ، وانظر في مقتل عمر كتاب المحن ص ٤٨ ـ ٦٢ .
(٦١) البيان والتبيين ٣/١٠٥ والبخلاء ص ١٨٥ ، وبلوغ الارب ٣/٤١٢ .
(٦٢) البيان والتبيين ٣/١٠٦ .

خرشة الأحنف بن قيس : « يا أبا بحر ، ما بقاء ما فيه العرب ، قال : إذا تقلدوا السيوف ، وشدوا العمائم ، واستجادوا النعال ، ولم تأخذهم حمية الأوغاد »[٦٣] .

وقد مر في الخبر : « أن العمائم تيجان العرب ، فإذا وضعوها وضع الله عزهم » ، وقيل : اختصت العرب بالعمائم وبالدروع وبالشعر[٦٤] .

وقد تستعمل العمامة لأغراض أخرى غير التي ذكرت ، وقد جمع المستشرق « دوزي » طرائف من العصور المتأخرة نقتطف بعضاً منها :

صارت العمامة في العصور المتأخرة كبيرة وكثيرة الطيات ، فاستعملها الناس في حفظ نقودهم ، أو بعض ما يحرصون عليه ، ففي خبر القاضي عبد الباسط ، أنه وشى به عتد السلطان بتهمة حيازته السحر ، فلما فتشوا عمامته ، وجدوا فيها قطعة من أديم ، ووجدوا أوراقاً فيها أدعية جليلة ، وخواتم فضة ، فسأله السلطان عن تلك القطعة من الأديم فقال : « هذه من نعل النبي ﷺ ، فقبَّلها السلطان ووضعها على عينيه ، وأعاد إليه ثيابه »[٦٥] . ويقول دوزي[٦٦] : ونجد في كتاب ألف ليلة وليلة : « فأخذ الكتاب نور الدين وباسه وحطه في عمامته ، وكثيراً ما توضع حافظة النقود في العمامة ، ولهذه العلة يحرص اللصوص في الشرق على اختطاف عمائم السابلة فوق كل حرص » ، ويستنتج من خلال كتاب ألف ليلة وليلة ، أن العمامة ، وهي قطعة قماش فارعة الطول ، يلفها المتعممون حول الرأس ،

---

(٦٣) البيان والتبيين ٣/٩٨ وفسر حمية الأوغاد : بأن يعدوا التواهب ذلاً .
(٦٤) ثمار القلوب ص ١٥٩ .
(٦٥) عن كتاب تاريخ مصر لابن إياس ، انظر المعجم المفصل ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ .
(٦٦) المعجم المفصل ص ٢٥٣ .

كانت تستعمل لتكتيف سجين أو أسير ، أو لشد الإنسان نفسه فوق شيء توقياً من السقوط ، ففي رحلة ابن بطوطة نقرأ قوله : « فكنت أشدّ نفسي بعمامة فوق السرج خوف السقوط بسبب الضعف »[٦٧] . وقد تستعمل العمامة لخنق الإنسان نفسه أو لخنق سواه ، ففي رحلة ابن بطوطة نقرأ محاولة انتحار : « فدخل إلى بيته وربط عمامة بسقف البيت ، وأراد أن يخنق نفسه » ، أو عملية إعدام : « فجعلوا عمامته فوق عنقه وشنقوه بها » ، وقد يكون في وضع العمائم في أعناق الخيل ، دلالة على الرغبة في الموت : « وجعلوا العمائم في أعناق خيلهم ، وهي عادة أهل الهند إذا أرادوا الموت » ، وعند الموت توضع عمامة الرجل على الجزء البارز من النعش ، وينحت كذلك شكل عمامة على شاهدة القبر حين يكون الميت ذكراً ، وبهذا يمكن تمييز قبور الرجال عن قبور النساء ، لأن قبور النساء ينحت لها إكليل امرأة[٦٨] .

وبقيت العمامة موضع عناية واهتمام وإجلال المسلمين حتى العصور المتأخرة ، ففي القرن التاسع عشر الميلادي ، يعتني المصريون بالعمامة بأن يخصصوا لها كرسياً يعرف بـ (كرسي العمامة) توضع عليه ليلاً ، ولا يستعمل إلاّ لهذا الغرض ، وكثيراً ما يعد هذا الكرسي في جهاز العروس ، كما كان من المعتاد أيضاً أن يكون للمرأة كرسي آخر لغطاء رأسها[٦٩] ، ويروي أدوارد لين حكاية ، تبين مقدار ما يكنه الناس من احترام للعمامة ، وانها رمز الإسلام ، فيقول : « رووا أن عالماً سقط من فوق

---

(٦٧) السابق نفسه .

(٦٨) المعجم المفصل ص ٢٥٤ .

(٦٩) المصريون المحدثون ص ٣٧ ـ ٣٨ .

حماره في شارع من شوارع المدينة ، فتدحرجت مُقْلته (عمامته) بعيداً عنه ، فتجمع المارون وأخذوا يجرون وراء العمامة صائحين : ارفعوا تاج الإسلام ، ارفعوا تاج الإسلام ، بينما كان العالم المسكين طريح الأرض يناديهم مغتاظاً : انهضوا أولاً شيخ الإسلام »[٧٠] .

أسماء العمامة :

للعمامة أسماء كثيرة ذكرها الشعر الجاهلي ، وهذه الأسماء مستمدة من شكلها وهيئتها ، فمن أسمائها :

السـب :

السب في الأصل شقة كتان رقيقة ، والسب : الستر ، والخمار ، والعمامة ، والسب الثوب الرقيق[٧١] ، وكانوا يصبغون عمائمهم بصفرة ويعصفرونها بالعصفر ، وذلك ما كان يفعله الزبرقان بن بدر ، وإلى ذلك يشير المخبل السعدي وذكر (سِبّ) الزبرقان أي عمامته[٧٢] :

ألم تعلمي يـا أمَّ عَمْـرةَ أنَّني تخـاطأني رَيْبُ الـزمـانِ لأكبـرا
وأشهـدُ من عوفٍ حُلولا كثيـرةً يحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرقانِ المزعفرا

أراد بقوله (يحجون) يطلبون الاختلاف إليه لينظروه ، يعني عمامته[٧٣] .

---

(٧٠) المصريون المحدثون ص ٣٨ .
(٧١) اللســان : سبب .
(٧٢) اللسان والتاج : سبب ، المخصص ٨٢/٤ ويروى : المعصفرا .
(٧٣) اللســان : سبب .

العصابة :

يقول الجاحظ : العصابة والعمامة سواء ، وإذا قالوا : سيد معمم فإنما يريدون أن كل جناية يجنيها الجاني من تلك العشيرة فهي معصوبة برأسه[٧٤] ، قال دريد بن الصمة[٧٥] :

أبلِغْ نُعيماً وعوفاً إنْ لقيتَهما إنْ لم يكن في سمعيهما صَمَمُ
فلا يزالُ شهابٌ يستضاءُ بِهِ يهدي المقَانِبَ ما لم تهلك الصِّمَمُ
عاري الأشاجِعِ معصوبٌ بلمَّتهِ أمرُ الزَّعامةِ في عِرنينهِ شَمَمُ

وقال ابن منظور : والعمائم تيجان العرب وتسمى العصائب واحدتها عصابة ، وقال المخبل السعدي في الزبرقان[٧٦] :

رأيتُكَ هَرَّيْتَ العِمَامَةَ بعدَما أراكَ زماناً حاسراً لم تعصَّبِ

قال : وهو مأخوذ من العصابة وهي العمامة ، وكانت التيجان للملوك والعمائم الحمر للسادة من العرب ، قال الأزهري : « وكان يحمل إلى البادية من هراة عمائم حمر يلبسها أشرافهم ، ويقال : رجل معصب ومعمم أي مسود ، « قال عمرو بن كلثوم »[٧٧] :

وسيِّدِ مَعْشَرٍ قد عَصَّبُوهُ بتاجِ المُلْكِ يحمي المُحْجَرينا

(٧٤) البيان والتبيين ٣/٩٩ .
(٧٥) البيان والتبيين ٣/٩٩ ، وديوان دريد ص ١١٠ وفي الرواية خلاف .
(٧٦) اللسان : عصب .
(٧٧) اللسان : عصب .

ويقال اعتصب التاج على رأسه إذا استكفَّ به ، ومنه قول عبيد الله بن قيس الرقيات[٧٨] :

يَعْتَصِبُ التَّاجُ فَوْقَ مَفْرِقِهِ   على جبينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ

وفي اللسان : العصابة العمامة وكل ما يعصب به الرأس ، والعمائم يقال لها العصائب ، قال الفرزدق[٧٩] :

وَركبٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تطلبُ منهمُ   لها سَلَباً من جذبِها بالعَصائِبِ

أي تنفض لَيَّ عمائمهم من شدتها ، فكأنها تسلبهم إياها ، وقد اعتصب بها . وفي الحديث أنه عليه السلام : « رخص في المسح على العصائب والتساخين » قيل : هي كل ما عصبت به رأسك من عمامة أو منديل أو خرقة[٨٠] .

و (ذو العصابة) لقب سعيد بن العاص ، وهو حفيد أبي أُحيجة سعيد بن العاص بن أميَّة الملقب بـ (ذو التاج) ، وفيهم يقول الشاعر خالد بن يزيد[٨١] :

كَعَابٌ أبوها ذو العِصابَةِ وابنُه   وعثمانُ ما أكفاؤها بكثيرِ

---

(٧٨) اللسان : عصب .

(٧٩) اللسان : عصب .

(٨٠) أبو داود : طهارة ٥٨ ، أحمد بن حنبل : ٢٧٧/٥ ، المخصص ٨٢/٤ ، اللسان : عصب .

(٨١) البيان والتبيين ٩٩/٣ .

المِكْـور :

ومن أسماء العمامة المِكْوَر والمِكْوَرة والكوَّارة ، والتسمية مستمدة من طريقة لف العمامة ، قال الليث : الكَوْر لوث العمامة ، يعني إدارتها على الرأس ، وقال النضر : كل دارة من العمامة كَوْر ، وكل دَوْر كور ، وكار العمامة على الرأس يكورها كوراً : لاثها عليه وأدارها ، قال أبو ذؤيب[٨٢] :

وصُـــرَّادُ غَيْمٍ لا يـزالُ كَـأَنَّـهُ   مُـلاءٌ بـأشـرافِ الجبـال مَكُـورُ

وقد سميت العمامة المِكْوَر والمِكْورة والكوارة ، وقولهم : (نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر) ، قيل : الحور النقصان والرجوع ، والكور الزيادة ، أخذ من كور العمامة ، وفي الحديث : « أن رسول الله ﷺ كان يتعوَّذ من الحَوْر بعد الكَوْر »[٨٣] أي من النقصان بعد الزيادة ، وهو من تكوير العمامة أي لفها وجمعها لأن الكور تكوير العمامة والحور نقصها ، وفي تكوير العمامة دلالة على النعمة والرخاء ، ولم يكن في وسع الفقير شراء قماش يعمم به رأسه على سنة الأغنياء[٨٤] .

والكوارة أيضاً : خرقة تجعلها المرأة على رأسها ، قال ابن سـيده : الكوارة لوث تلتاثه المرأة على رأسها بخمارها ، وهو ضرب من الخمرة ، وأنشد[٨٥] :

عسراءُ حين تردَّىٰ من تَفَحُّشهـا   وفي كِـوارَتِهـا من بغيهـا مَيَـلُ

وقولــه أنشده الأصمعي لبعض الأغفال[٨٦] :

جافيـــة مَعْوىٰ مـلاث الكَـــوْرِ

---

(٨٢) اللسان : كور .

(٨٣) مسلم : حج ٤٢٦ ، ترمذي : دعوات ٤١ ، ابن ماجة : دعاء ٢٠ .

(٨٤) اللسان : كور ، جواد علي ٥/٤٩ .

(٨٥) اللسان : كور .   (٨٦) اللســان : كور .

قال ابن سيده : يجوز أن يعني موضع كور العمامة . ويقول عنترة إن عمامته بيضة حرب وليست عمامة مكورة الأطراف[87] :

وما الفخرُ إلاَّ أَن تَكُونَ عِمَامتي   مكورةَ الأطرافِ بالصَّارِمِ الهندي

الخمـار :

وتطلق كلمة (الخِمَـــــار) على العمامة مجازاً ، ففي حديث أم سَلَمة : « انه كان يمسح على الخف والخمار »[88] أرادت بالخمار العمامة ، لأن الرجل يغطي بها رأسه ، كما أن المرأة تغطيه بخمارها ، وذلك إذا كان قد اعتم عمة العرب ، فأدارها تحت الحنك ، فلا يستطيع نزعها في كل وقت ، فتصير كالخفين ، غير انه يحتاج إلى مسح القليل من الرأس ثم يمسح على العمامة بدل الاستيعاب[89] .

وجاء اسم الخمار من التغطية ، فكل مغطى مخمر ، وسميت الشاة السوداء ورأسها أبيض مخمرة على التشبيه بلبس الخمار ، وكان الخمار أبيض[90] ، ومنه أيضاً قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمعاوية : « ما أشبه عينك بخِمْرة هند » الخِمْرة : هيئة الاختمار ، وكل مغطى مخمر ، روي عن النبي ﷺ قوله : (خمروا آنيتكم)[91] ، قال أبو عمرو : التخمير التغطية .

وسمي غير واحد من الجاهليين بذي الخمار ، منهم الأسود العنسي (عبهلة بن كعب) ، وذو الخمار عوف بن الربيع بن ذي الرمحين ، سمي

(٨٧) ديوان عنترة ص ١٢٩ ط صادر .

(٨٨) بخاري : وضوء ٣٥ ، ٤٨ ، مسلم : طهارة ٧٢ ، ٧٣ .

(٨٩) اللســان : خمــر .

(٩٠) اللســان : خمر .

(٩١) بخاري : بدء الخلق ١٦ ، أشربة ٢٢ ، مسلم : أشربة ٩٧ .

بذي الخمار لأنه قاتل في خمار امرأته وطعن كثيرين ، فإذا سئل أحدهم : من طعنك ، قال : ذو الخمار[٩٢] .

وجعل الأعشى الشيب للمرء كالخمار ، فهو يتبدل به بعد الصبى حكمة[٩٣] :

وإنَّ أخاكِ الذي تعلمينْ ليالِيَنا إذْ نَحُلُّ الجِفَارا
تَبَدَّلَ بَعْدَ الصِّبَىٰ حكمةً وقنَّعهُ الشيبُ منه خِمَارا

المعجر :

أصل المِعْجَر والعِجار : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ، ثم تجلبب فوقه بجلبابها ، والجمع معاجر ، ومنه أخذ الاعتجار وهو لَيّ الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك ، والاعتجار : لف العمامة دون التلحي[٩٤] ، والاعتجار : لبسة كالالتحاف ، قال الشاعر :[٩٥]

فما ليلي بناشِزَةِ القُصَيرَى وَلَا وَقْصاءَ لِبْسَتُها اعتِجَارُ

المقعطة :

المِقْعَطة : العمامة ، والتقعيط : شد العمامة[٩٦] ، وقعط عمامته يقعطها قعطاً ، واقتعطها : أدارها على رأسه ولم يتلح بها[٩٧] ، وقد نهي عنه ، وقيل إن رسول الله ﷺ أمر المتعمم بالتلحي ونهى عن الاقتعاط ، وهو

(٩٢) القاموس المحيط : خمر .
(٩٣) ديوان الأعشى ص ٩٥ .
(٩٤) اللسان : عجر .
(٩٥) اللسان : عجر ، فقه اللغة ص ٦٤ و ص ٢٤٥ : المعجر بين المقنعة والرداء ، والمخصص ٤/٣٨ .
(٩٦) القاموس المحيط : قعط .
(٩٧) المخصص ٤/٨٢ ، اللسان : قعط .

شد العمامة من غير إدارة تحت الحنك[٩٨] ، وقال ابن الأثير : الاقتعاط هو أن يعتم بالعمامة ولا يجعل منها شيئاً تحت ذقنه ، وقال الزمخشري : المقعطة والمقعط ما تعصب به رأسك ، والمقعطة العمامة منه ، وجاء فلان مقتعطاً إذا جاء متعمماً طابقياً ، وقد نهي عنها ، ونحو ذلك قال الليث ، ويقال : قعطه قعطاً ، وأنشـــد[٩٩] :

طُهَيَّـــــــةُ مَقْعُـــوطٌ عليهـــا العَمائِمُ

المشـوذ :

ومن أسماء العمامة (المِشْوَذ) ، قال ابن الأعرابي : يقال للعمامة المشوذ والعمامة ، ويقال : فلان حسن الشيذة ، أي حسن العمة[١٠٠] ، وأنشد ابن الأعرابي للوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط ، وقد كان ولي صدقات تغلب[١٠١] :

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مني بِمِشْوَذٍ فغَيَّـــكِ مني تغلِبُ ابنةَ وائِـــلِ

يريـــد : غيا لك ما أطوله مني ، وفي الحديث أن النبي ﷺ : بعث سرية فأمرهم أن يمسحوا على المشاوذ والتساخين[١٠٢] ، وقال أبو بكر : المشاوذ والعمائم واحدها مشوذ والميم زائدة ، وقال أبو منصور في أصل معنى مشوذ : أحســـبه أخذ من قولك شوذت الشمس إذا مالت للمغيب ، وذلك

(٩٨) اللســـان : قعط .

(٩٩) اللســـان : قعط .

(١٠٠) اللسان : شوذ ، المخصص ٨٢/٤ ، التلخيص ص ٢٠١ .

(١٠١) اللسان : شوذ .

(١٠٢) اللسان : شوذ ، التساخين : الخفاف .

أنها كانت غطيت بهذا الغيم ، قال الشاعر[١٠٣] :

لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى إذا الشَّمسُ شوَّذَتْ ... لـذي سَـوْرةٍ مخشيَّـةٍ وحـذارِ

وتشوذ الرجل واشتاذ أي تعمم ، وجاء في شعر أمية بن أبي الصلت : شوذت الشمس ، قال أبو حنيفة : أي عممت بالسحاب ، قال أمية[١٠٤] :

وشـوَّذتْ شمسُـهم إذا طـلعتْ ... بـالـخُلْبِ هِـفَّـاً كَـأَنَّـهُ كَتَـمُ

قال الأزهري : أراد أن الشمس طلعت في قتمة كأنها عممت بالغبرة التي تضرب إلى الصفرة ، وذلك في سنة الجدب والقحط ، أي صار حولها خلب سحاب رقيق لا ماء فيه ، وفيه صفرة ، وكذلك تطلع الشمس في الجدب وقلة المطر ، والكتم نبات يخلط مع الوسمة يختضب به .

المدماجـة :

وسميت العمامة مِدْمَاجة لانطوائها والتفافها ، جمعها مداميج ، والمدمج المحكم[١٠٥] .

العمار والعميرة :

وقد تسمى العمامة عَمَاراً ، والعَمَار : كل شيء على الرأس من عمامة أو قلنسوة أو غير ذلك ، ومنه قيل للمعتم معتمر ، وقال ابن جني : وهي العميرة[١٠٦] .

وفسروا (العمار) في قول الأعشى بالعمامة ، يقول الأعشى[١٠٧] :

---

(١٠٣) اللسان : شوذ .

(١٠٤) اللسان : شوذ ، والمخصص ٤/٨٢ وانظر التلخيص ص ٢٠٢ .

(١٠٥) اللسان والقاموس : دمج .

(١٠٦) المخصص ٤/٨٢ .

(١٠٧) ديوان الأعشى ص ١٠١ ، الصحاح واللسان : عمر .

فلمـا أتـانـا بُعيـدَ الكَـرَىٰ   سجـدنـا لـه ورفعنـا عَمَـارا

ويروى (ووضعنا العمارا) ، قيل : يريد وضعنا العمامة عن رأسنا إعظاماً للقادم ، وجاءت بلفظة (معتمر) في قول أعشى باهلة[١٠٨] :

وجاشتْ النفسُ لمَّا جاءَ جمعُهمُ   وراكب جاءَ من تَثليثَ معتمرُ

ويروى (معتمرا) بالنصب ، فسروا المعتمر بالمتعمم بالعمار وهي العمامة ، قال أبو عبيدة : « في هذا البيت : هو المعتم بالعمامة ، والاسم منه العمار ، وكل شيء جعلته على رأسك ، من عمامة أو قلنسوة أو تاج أو إكليل أو غير ذلك فهو عمار ، ومنه قول الأعشى : فلما أتانا بعيد الكرىٰ . . . . »[١٠٩] ، وفسر آخرون قوله (معتمرا) أي زائراً لمكان العمرة ، وقيل في بيت الأعشى أيضاً (ورفعنا عمارا) أي رفعنا الريحان تحية للقادم .

ولا شك أن هذه الأسماء إنْ هي إلَّا صفات للعمامة ، مستمدة من هيئتها وطريقة لبسها وقد ظهرت أسماء أخرىٰ للعمامة في العصور المتأخرة وهي أسماء مرتبطة في بيئة معينة وزمن بعينه مثل (المُقْلة) في مصر ، و (الكَشْطة) و (الملوسة) و (الزِمالة) في تونس والمغرب ، و (الكَشِيدة) و (الجَراويَّة) في العراق وغير ذلك ، أما الاسم العام الشائع في مختلف العصور فهو العمامة أو العمــة .

كيفيــة لبس العمامــة :

وردتنا من العصور الجاهلية والإسلامية أسماء تدل على كيفية لبس العمامة منها ، السدل والإرخاء والاعتجار والاحتناك والتلثم . . . وغير

(١٠٨) الأصمعيات ص ٨٨ ، كتاب الأمثال ـ القاسم بن سلام ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ .
(١٠٩) كتاب الأمثال ص ٣٨٠ .

ذلك . ونستطيع من خلال أوصاف عمامة الرسول ﷺ أن نتعرف على عمائم الصدر الأول في الجاهلية والإسلام ، ولا شك أن لبس العمائم وهيئاتها في العصور المتأخرة قد استمر على ما هو عليه في العصور الأولى مع تغيير بسيط تبعاً للتغير الطارىء على حجم العمامة وشكلها ومادة صنعها .

قيل : « كانت عمائم العرب محنكة » أي طرف منها تحت الحنك[١١٠] ، وما يكون منها تحت الحنك يسمى (الحنكة) ، أما ما أرسل منها على الظهر فهو (الذؤابة) ، ويسمى أعلى العمامة (القفدة) ، وإذا كانت العمامة ضخمة فهي (العجراء) ، وفي العمامة (الكور) وهي الطرائق التي يعصب بها الرأس[١١١] ، وقد جرت العادة أن ترخى العذبة ، وقد يزيدون في ذلك دلالة على الوجاهة والغنى[١١٢] ، وأهم طرائق الاعتمام المعروفة هي :

الاعتجار :

كانوا يلبسون العمامة إما (احتناكاً) أو (اعتجاراً) ، والاعتجار : لف العمامة دون التلحي ، وقد تلحَّىٰ الرجل إذا جعلها تحت ذقنه ، واقتطعها إذا لم يتلح بها بل لواها على رأسه ولم يسدلها[١١٣] ، وروي أن النبي ﷺ : « دخل مكة يوم الفتح معتجراً بعمامة سوداء » أي أنه لفها على رأسه ولم يلتح بها[١١٤] .

والعجرة نوع من العمة ، يقال : فلان حسن العجرة ، وفي حديث

---

(١١٠) بلوغ الارب ٣/٤٠٨ .

(١١١) بلوغ الارب ٣/٤١٢ .

(١١٢) إرشاد الساري ٨/٤٢٠ .

(١١٣) التلخيص ص ٢٠٢ .

(١١٤) زاد المعاد ١/١٣٦ ، جامع الأصول ١٠/٦٣٢ ، اللسان : عجر .

عبيد الله بن الخيار : وجاء وهو معتجر بعمامته ما يرى وحشى منه إلاَّ عينيه ورجليه ، والاعتجار بالعمامة : أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ، ولا يعمل منها شيئاً تحت ذقنه ، والاعتجار لبسة كالالتحاف ، قال الشاعر[١١٥] :

فما ليلى بِنَاشِزةِ القُصيرىٰ ولا وَقْصَاءَ لِبْسَتُها اعتجارُ

إرخاء العمامة :

وكانوا يرخون عمائمهم ، والإرخاء في الأصل : التوسيع والرفاه وعدم التضييق ، وكانوا يكنون عن الرخاء والرفاه بإرخاء العمامة ، لأن الرجل إنما يرخي عمامته عند الرخاء ، وأرخى عمامته ، أي أمن وترفه لأنه يرخي عمامته إذا أيسر وطابت نفسه ، والمراد بإرخاء العمامة أن يرسل طرفها ، أي لا يعقد ولا يعقف طرفها[١١٦] ، يقولون في الآمن المطمئن : أرخى عمامته لأنه لا ترخى العمائم في الشدة[١١٧] ، وقد جرت العادة أن ترخى العذبة ، وقد يزيدون في ذلك دلالة على الوجاهة والغنى[١١٨] ، وأنشد ثعلب[١١٩] :

ألقىٰ عصاهُ وأرخَىٰ من عِمَامَتـِهِ وقال ضيفٌ فقلت الشيبُ قال أجلْ

أراد : وقلت الشيب هذا الذي حل ، وقد عبر جرير عن هذا المعنى حين خاطب عون بن عبيد الله ، يريد أن يعينه على الدخول على الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي لم يقبل على الشعراء[١٢٠] :

---

(١١٥) اللسان : عجر ، المخصص ٨٢/٤ .

(١١٦) اللسان : سدل .

(١١٧) اللسان : رخا .

(١١٨) إرشاد الساري ٨/٤٢٠ .

(١١٩) اللسان : عمم ، فقه اللغة ص ٢٤٣ ، باختلاف عجز البيت .

(١٢٠) ديوان جرير ص ٤٨٦ ط صادر .

يٰا أيها الرَّجلُ المرخي عمامتَـهُ   هٰذا زمانُك إني قد مَضَىٰ زمني

أبلغْ خليفَتَنَـا إن كنـتَ لاقيَــهُ   أنِّي لدَىٰ البابِ كالمصفودِ في قَرَنِ

وقد جرت العادة أن ترخى العمامة من جانب واحد ، وقد ترخى من جانبين أيضاً ، من أمام ومن خلف ، ففي رواية في طبقات ابن سعد : « رأيت علياً متعصباً بعصابة سوداء ، ما أدري أي طرفيها أطول ، الذي قدامه أو الذي خلفه ، يعني عمامته »[121] ، وكذلك فعل الشعبي[122] . وكان رسول الله ﷺ يرخي طرف عمامته بين كتفيه ، ففي حديث الحَسن بن علي رضي الله عنهما قال : « رأيت النبي ﷺ على المنبر ، وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه »[123] ، وفي حديث عمرو بن أمية : « كأني أنظر الساعة إلى رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء ، أرخى طرفها بين كتفيه »[124] ، ووصف ابن عمر عِمَّة رسول الله ﷺ بقوله : « كان يدير كور العمامة على رأسه ، ويغرزها من ورائه ، ويرخي له ذؤابة بين كتفيه »[125] ، وقد يرخيها عليه الصلاة والسلام من بين يديه ومن خلفه ، ففي حديث ثوبان : « أن النبي ﷺ كان إذا اعتم أرخى عمامته بين يديه ومن خلفه »[126] .

وكان رسول الله ﷺ يعمم أصحابه ويرخي لهم عذبة من خلفهم ، عمم علي بن أبي طالب يوم غدير خم ، وأرخى عذبة العمامة من خلفه[127] ،

---

(١٢١) طبقات ابن سعد ١٨/٣ .

(١٢٢) السابق ١٧٦/٦ .

(١٢٣) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .

(١٢٤) أخرجه النسائي ٢١١/٨ في الزينة باب إرخاء طرف العمامة بين الكتفين ، وجامع الأصول ٦٣٢/١٠ .

(١٢٥) عمدة القارىء ٣٠٨/٢١ .

(١٢٦) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .

(١٢٧) السابق نفسه والصفحة .

وكذلك عمم عبد الرحمن بن عوف ، فعن ابن عمر قال : « عمم رسول الله ﷺ ابن عوف بعمامة سوداء كرابيس ، وأرخاها من خلفه قدر أربع أصابع ، وقال : هكذا فاعتم »[١٢٨]، ولذلك ما كان المسلمون يرون في إرخاء العمامة بأساً ، وإن كان السدل أحسن ، سئل مالك عن إرخاء العمامة بين الكتفين فقال : « لم أر أحداً ممن أدركته يرخي بين كتفيه ، إلاَّ عامر بن عبد الله بن الزبير ، وليس ذلك بحرام ، ولكن يرسلها بين يديه ، وهو أكمل »[١٢٩] .

وكانوا يرخون العمامة من الخلف أو من الأمام ، وكانوا يرخونها أكثر من شبر ، وكان ممن أرخى عمامته من الخلف من أصحاب رسول الله ﷺ ، علي بن أبي طالب[١٣٠] ، وعمر بن الخطاب[١٣١] ، وسعيد بن المسيب ، وكان يرخي عمامته من الخلف شبراً[١٣٢] ، وشريح[١٣٣] ، وسعيد بن جبير[١٣٤] ، وعلي بن الحسين[١٣٥] ، وسالم بن عبد الله[١٣٦] ، وعبيد الله بن عبد الله[١٣٧] ، والقاسم بن محمد[١٣٨] .

---

(١٢٨) عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .
(١٢٩) السابق نفســه .
(١٣٠) طبقات ابن سعد ١٩/٣ ط ليدن .
(١٣١) السابق ١٢٨/٤ - ١٢٩ .
(١٣٢) السابق ١٠٢/٥ .
(١٣٣) السابق ٩٦/٦ .
(١٣٤) السابق ١٨٢/٦ .
(١٣٥) السابق ١٦١/٥ .
(١٣٦) السابق ١٤٦/٥ .
(١٣٧) السابق ١٥٠/٥ .
(١٣٨) السابق ١٤٣/٥ .

السدل :

المراد بسدل العمامة إرسال العذبة إلى الأمام أو الخلف ، وأصل السدل : الإرخاء والإرسال ، يقال : سدل الشعر والثوب والستر أرخاه وأرسله[١٣٩] ، والإسدال في الملابس مكروه في الصلاة ، ففي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « أنه خرج فرأىٰ قوماً يصلون قد سدلوا ثيابهم ، فقال : كأنهم اليهود خرجوا من فهرهم »[١٤٠] ، قال أبو عبيد : السدل هو إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضم جانبيه بين يديه ، فإن ضمه فليس بسدل ، وقد رويت فيه الكراهة عن النبي ﷺ[١٤١] ، وفي الحديث : « نُهي عن السدل في الصلاة »[١٤٢] ، هو أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد وهو كذلك ، وكانت اليهود تفعله فنهوا عنه ، وهذا مطرد في القميص وغيره من الثياب ، وقيل : هو أن يضع وسط الإزار على رأسه ، ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله ، من غير أن يجعلهما على كتفيه[١٤٣] .

أما بالنسبة للعمامة ، فالسدل هو سدل العَذَبة ، وهي طرف العمامة ، والأصل فيها أن ترسل على الكتفين[١٤٤] ، أما السدل المنهي عنه في العمامة فهو إطالة العذبة ومجاوزتها الحد المألوف[١٤٥] ، وذهب بعض العلماء إلى أن

---

(١٣٩) اللســان : سدل .
(١٤٠) اللســان : سدل .
(١٤١) الدارمي : صلاة ١٠٤ ، اللسان : سدل .
(١٤٢) الترمذي : صلاة ١٦١ ، أبو داود : صلاة ٨٥ .
(١٤٣) اللســان : سدل .
(١٤٤) اللســان : عذب .
(١٤٥) نيل الأوطار ـ الشوكاني ١/ ٤١٠ ـ ٤١١ .

الكراهة في إطالة العذبة ، أو سدل الثياب ، لما فيه من دلالة على الخيلاء ، وهذا هو المنهي عنه[١٤٦] .

وكان رسول الله ﷺ يسدل عمامته ، وكذلك كان يفعل الصحابة رضوان الله عنهم ، وكانت عمة النبي ﷺ على الوجه الآتي : « كان حين يعتم يدير كور العمامة على رأسه ويغرزها من ورائه ، ويرخي لها ذؤابة بين كتفيه »[١٤٧] ، وعن نافع عن ابن عمر : « أن رسول الله ﷺ ، كان إذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه »[١٤٨] ، قال نافع : « وكان ابن عمر يفعل ذلك »[١٤٩] ، قال أبو عبيد : « ورأيت القاسم وسالماً يفعلان ذلك »[١٥٠] ، وأخرج أبو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال : « لقد عممني رسول الله ﷺ بعمامة فسدلها من بين يدي ومن خلفي أصابع »[١٥١] ، ويروى أن رسول الله ﷺ ، عمم علياً فسدلها بين يديه ، وقصرها من خلفه قدر أربع أصابع ، ثم قال : « أدبر ، فأدبر ، ثم قال له : أقبل فأقبل ، ثم قال : هكذا يكون تيجان الملائكة »[١٥٢] .

وسدل بعض الصحابة عمامته على وجهه لعلة إصابته ، فقد كان عمر بن الخطاب يسدل عمامته على طرف عينيه بسبب إصابة ، فقد قيل : « اطلع

---

(١٤٦) الدعامة في أحكام سنة العمامة ـ الكناني ص ٦١ وما بعدها .

(١٤٧) عمدة القارىء ٣٠٨/٢١ ، الوفا بأحوال المصطفى ٥٦٧/٢ .

(١٤٨) جامع الأصول ٦٣١/١٠ .

(١٤٩) الوفا ٥٦٧/٢ ، جامع الأصول ٦٣١/١٠ .

(١٥٠) جامع الأصول ٦٣١/١٠ وأخرجه الترمذي في اللباس ١٢ .

(١٥١) الترمذي : لباس ، باب العمائم ، جامع الأصول ٦٣١/١٠ ، عمدة القارىء ٣٠٧/٢١ .

(١٥٢) مكارم الأخلاق ـ الطبرسي ص ١٣٨ .

عمر في بئر بالأبواء فأصابته لقوة ، فأعلم بعمامة سوداء ، وسدلها على الشق الذي أصيب به »[153] ، أما معاوية فقد سدل عمامته على فمه ، ففي رواية : « رأيت معاوية على المنبر معتماً بعمامة سوداء فسدلها على فيه »[154] .

العذبة والذؤابة :

العذبة أو الذؤابة طرف العمامة المسدل من الخلف أو من أمام ، وعذبة كل شيء طرفه ، واعتبر السدل في العمامة هو سدل العذبة وهو طرف العمامة ، والأصل فيها أن ترسل بين الكتفين[155] ، واعتبر إطالة العذبة من دلائل الخيلاء ، وهو المنهي عنه[156] ، وقد مر بنا أن مقدار العذبة هو شبر أو أكثر قليلاً ، وقد كان بعض الصحابة يعتم القفداء ، وهو أن يعقد العمامة في القفا من غير أن يرسل لها عذبة ، كما كان يفعل مصعب بن الزبير[157] ، وحصل في العصور المتأخرة أن صارت العذبة منفصلة عن العمامة ، فكان يؤتى بقطعة قماش وتغرز من الخلف في العمامة بدلاً من إرسال طرفها[158] ، وصارت العذبة فيما بعد من شعار الصوفية ، وعد من أرسلها من غيرهم آثماً وكذاباً[159] ، وبلغ من تمسكهم بها وجعلها شعاراً لهم ، أنهم حددوا الجهة التي يجب أن ترسل فيها العذبة ، وهي الجهة اليسرى[160] وليس من أية جهة كانت ، كما هو الحال عند بقية المسلمين .

---

(153) عيون الأخبار ٣/٤٦ .

(154) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٨٤ .

(155) اللسان والتاج : سدل .

(156) الدعامة ص ٦١ ـ ٦٢ .

(157) البيان والتبيين ٣/١٠٣ ، اللسان والتاج : قفد .

(158) الدعامة ص ٤٤ .

(159) الدعامة ص ٥٥ .

(160) الدعامة ص ٤٨ .

القفـداء :

القفداء لبســة ، وهي أن يعقد العمامة في القفا من غير أن يرسل لها عذبة[161] ، وفي اللسان : القَفَد (بالتحريك) جنس من العِمَّـة ، واعتم القفد والقفداء إذا لوىٰ عمامته على رأسه ولم يسدلها ، وقال ثعلب : هو أن يعتم على قفد رأسه ، ولم يفسر القفد[162] ، وفي التهذيب : والعمة القفداء معروفة وهي غير الميلاء ، قال أبوعمرو : كان مصعب بن الزبير يعتم القفداء ، وهو أن يعقد العمامة في القفا ، وكان محمد بن سعد بن أبي وقاص ، الذي قتله الحجاج يعتم الميلاء ، قال الفرزدق[163] :

ولو شَهِد الخيلَ ابنُ سعدٍ لقنَّعُوا عِمـامَتَـه المَيْـلاءَ عَضْبـاً مهنَّـدَا

ويرد تعبير : (اعتم القفداء واشتمل الصماء) في العصر العباسي في مقامات الحريري ، في وصف أبي زيد السروجي[164] . والمراد بالميلاء ضرب من الاعتمام ، حكى ثعلب : هو يعتم الميلاء أي يميل العمامة[165] .

الاقتعـاط :

أصل الإقعاط : الشدة والتضييق ، وقعط عمامته قعطاً واقتعطها : أدارها على رأسه ولم يتلح بها ، وقد نهي عنه ، وفي الحديث : « أنه أمر المتعمم بالتلحي ونهى عن الاقتعاط »[166] ، وهو شد العمامة من غير إدارة تحت الحنك ، قال ابن الأثير : الاقتعاط هو أن يعتم بالعمامة ولا يجعل منها شيئاً

---

(١٦١) البيان والتبيين ١٠٣/٣ ، اللسان : قفد .

(١٦٢) اللسان : قفد .

(١٦٣) البيان والتبيين ١٠٣/٣ ، اللسان : قفد ، والبيت مما لم يرو في ديوانه .

(١٦٤) شرح مقامات الحريري ٣٩/٤ .

(١٦٥) اللســان : ميل .

(١٦٦) و (١٦٧) اللســان : قعط .

تحت ذقنه[١٦٧] . وقال الزمخشري : المقعطة والمقعط ما تعصب به رأسك ، والمقعطة العمامة منه ، وجاء فلان مقتعطاً إذا جاء متعمماً طابقياً ، وقد نهي عنها ، وأنشـــد[١٦٨] :

طُهَيَّــــةُ مَقْعُوطٌ عليهـــا العَمَـــائِمُ

التخمر والتلثم :

يقال تخمرت المرأة بالخمار واختمرت : لبسته ، وخمرت به رأسها غطته ، وسميت العمامة خماراً لأن الرجل يغطي بها رأسه ، كما أن المرأة تغطيه بخمارها ، ومنه حديث أم سلمة : « أنه كان يمسح على الخف والخمار »[١٦٩] ، وذلك إذا كان قد اعتم (عمة العرب) فأدارها تحت الحنك فلا يستطيع نزعها في كل وقت فتصير كالخفين غير أنه يحتاج إلى مسح القليل من الرأس ثم يمسح على العمامة بدل الاستيعاب .

والتخمر بالعمامة إدارتها تحت الحنك ، ثم تغطية الفم أو الوجه بجزء منها ، فتكون لثاماً أو قناعاً ، وقد مر بنا أن بعض فرسان العرب كانوا يحضرون المواسم والأسواق متقنعين بالعمامة أو متلثمين بها ، لئلا يعرفهم أعداؤ هم فيثأروا منهم[١٧٠] ، وفي خبر كعب بن زهير عند إسلامه ، أنه أتى رسول الله ﷺ عند صلاة الصبح وهو متلثم بعمامته ، فقال : « يا رسول الله ، رجل يبايعك على الإسلام ، وبسط يده وحسر عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هذا مكان العائذ بك أنا كعب بن زهير . . . . »[١٧١] .

---

(١٦٨) اللســـان : قعط .

(١٦٩) مسلم : طهارة ٨٤ ، ترمذي : طهارة ٧٥ ، النسائي : طهارة ٨٥ ، اللسان : خمر .

(١٧٠) البيان والتبيين ٣/١٠٠ .

(١٧١) طبقات الشعراء ١/١٠٠ ، وانظر شعر المخضرمين ص ٢٢٢ ، والعمامة لبدري فهد ص ١٦ وقد جاء اسم الشاعر : كعب بن مالك ، وهما .

وقد بقي التلثم بالعمامة لدى العرب وبخاصة سكان البادية ، ولا شك أن لهذا صلة بحياتهم وبيئتهم ، فهم يتعرضون لوهج الشمس وريح السموم والغبار ، وشدة البرد في الشتاء ، فهم يتقون كل ذلك بالتلثم ، أما سكان المدن فلم تحوجهم بيئتهم إلى ذلك .

التحنك والتلحي :

التَّحَنُّــك أو التلحي : وهو أن تدير العمامة من تحت الحَنَك[١٧٢] ، وفي الحديث : « كانت عمائم العرب محنكة » أي طرف منها تحت الحنك[١٧٣] ، وما يكون منها تحت الحنك يسمى (الحَنَكة) ، ويقال : تلحى الرجل إذا جعلها تحت ذقنه ، واقتعطها إذا لم يتلح بها بل لواها على رأسه ولم يسدلها[١٧٤] .

وقد أُثر عن رسول الله ﷺ ، أنه لبس العمامة متحنكاً وغير متحنك ، ومرخياً طرف العمامة وغير مرخ لها[١٧٥] ، ويبدو أن فريقاً من المتأخرين اعتبروا التحنك سنّة ، وعدم التحنك بدعة منكرة[١٧٦] ، وقد تشدد بعض رجال الحنفية في أمر التحنك ، وجعلوا من يستخف بذلك كافراً ، لأنه يستخف بالسنة النبوية ، من ذلك ما ورد عن الكمال بن الهمام ، أحد أئمة الحنفية ، في كتابه المسامرة : « أن من استقبح من آخر جعل العمامة تحت حَلْقه كفر »[١٧٧] .

(١٧٢) الصحاح واللسان : حنــك .
(١٧٣) بلوغ الارب ٤٠٨/٣ .
(١٧٤) التلخيص ص ٢٠٢ .
(١٧٥) الدعامة في أحكام سنة العمامة ص ٧١ ـ ٧٣ .
(١٧٦) الدعامــة ص ٦٨ .
(١٧٧) الدعامــة ص ١٨ .

تسميات أُخَر :

وهناك ألفاظ ـ غير ما مر ـ تدل على التعمم وهيئته ، ذكرتها كتب اللغة ، من ذلك :

الزوقلـة : يقال زوقل عمامته إذا أرخىٰ طرفيها من ناحيتي رأسه ، قال ابن دريد : فإذا لاثها على رأسه ولم يسدلها على ظهره ، ولم يرددها تحت حنكه ، فهي القفداء[178] .

الجلـه : يقال جَلَهْتُ العمامة أجلَهُها جَلْهاً ، إذا رفعتها مع طيها عن جبينك ومقدم رأسك[179] .

التختـم : وقد يسمى التعمم التختم ، قال الزجاجي : جاء (متختماً) أي متعمماً ، وما أحسن تختمه أي تعممه[180] .

ألـوان العمائـم :

نعرف من ألوان العمائم لدى عرب الجاهلية جملة ألوان ، منها : الأبيض ، والأسود ، والأصفر ، والأحمر ، ولكن هناك لونين متميزين ، هما اللون الأصفر واللون الأحمر ، فاللون الأصفر كان يميز عمائم السادة ، فهم يلبسون العمائم المهراة ، وهي الصفرة لباس سادة العرب[181] ، فكانوا يصبغون عمائمهم بصُفرة ويعصفرونها بالعصفر ، وذلك ما كان يفعله

(١٧٨) المخصص ٤/٨٢ .

(١٧٩) المخصص ٤/٨٣ .

(١٨٠) السابق ٤/٨٣ .

(١٨١) فقه اللغة ص ٢٤٢ .

الزبرقان بن بدر ، وإلى ذلك يشير الشاعر ، وذكر (ســب) الزبرقان ، والسب العمامة[١٨٢] :

وأشهـدُ من عوفٍ حُلولا كثيـرةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرقان المُعَصْفَرا

أما اللون الأحمر في العمامة فكان شعار الفرسان ، وعمامة الحرب حمراء ، وكذلك إذا سودوا شخصاً (جعلوه سيداً عليهم) عمموه بعمامة حمراء[١٨٣] .

وفي الإسلام نجد ألوان العمائم الجاهلية نفسها ، والألوان الشائعة هي : الأبيض والأسود والأصفر والأحمر ، وأُثر عن رسول الله ﷺ ، أنه كانت له عمامة بيضاء تسمى (السَّحــاب) ، كساها علي بن أبي طالب ، وكان يلبسها ويلبس تحتها قلنسوة ، وكان النبي ﷺ يعتم بعمامة سوداء أيضاً ، روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال : « رأيت رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء ، وقد أرخى طرفيها بين كتفيه »[١٨٤] ، وعند الفتح دخل مكة وعليه عمامة سوداء[١٨٥] ، وكانت له عمامة حرقانية أيضاً ، وتطلق كلمة (حرقانية) على ضرب من الوشي فيه لون كأنه محترق[١٨٦] .

---

(١٨٢) اللسان والتاج : سبب ، المخصص ٨٢/٤ .

(١٨٣) اللسان : عمم ، جواد علي ٥٠/٥ .

(١٨٤) صحيح مسلم ٥٠٩/٣ حج ، باب جواز دخول مكة بغير إحرام ، أبو داود : اللباس باب في العمائم ، زاد المعاد ١٣٥/١ ، الوفا ٥٦٧/٢ ، جامع الأصول ٦٣٢/١٠ .

(١٨٥) زاد المعاد ١٣٦/١ ، جامع الأصول ٦٣٢/١٠ ، الوفا ٥٦٧/٢ .

(١٨٦) المخصص ٨٣/٤ .

العمائم الصفر :

أما الصحابة ومن بعدهم فقد لبسوا العمائم البيض والسود والصفر ، وكانت العمائم الصفر تأتيهم من هراة ، ولذلك يقال لمن لبسها (هَرَّىٰ عمامته)[187] ، وهي كما سبق من عمائم السادة ، قال الشاعر[188] :

رأيتُكَ هَرَّيْتَ العِمَامَةَ بعدما   عَمرتَ زماناً حاسِراً لم تعَمَّمِ

وكانوا يصبغون العمائم بالزعفران فتسمى (المزبرقة) ، ويقال إن سبب تسمة الحصين بن بدر بالزبرقان ، هو لبسه عمامة مزبرقة بالزعفران[189] ، وفي العصر العباسي كانت عمائم أولاد الأنصار ذات لون أصفر[190] ، وربما لبسها بعض الخطباء ، ففي النجوم الزاهرة[191] : كان أحد خطباء الموصل يرتدي عمامة صفراء .

العمائم الحمر :

ولبسوا العمائم الحمر ، وممن لبسها الشعبي[192] ، وكان بعضهم يجعل لعمامته علماً أحمر ، إذا كان لونها أبيض ، وقد عرف عن حمزة بن عبد المطلب أنه وضع في عمامته يوم بدر ريشة حمراء من ريش النعام[193] ، ومن الذين أعلموا عمامتهم بعلم أحمر كذلك : سعيد بن العاص[194] ،

---

(١٨٧) عيون الأخبار ٢٩٨/١ .

(١٨٨) فقه اللغة ص ٢٤٣ .

(١٨٩) طبقات ابن سعد ١٧٦/٦ .

(١٩٠) رسوم دار الخلافة ـ الصابي ص ٩١ ـ ٩٢ .

(١٩١) ابن تغري بردي حوادث سنة ٤١١هـ .

(١٩٢) طبقات ابن سعد ١٠٢/٥ ، ١٧٦/٦ .

(١٩٣) البيان والتبيين ١٠١/٣ .

(١٩٤) طبقات ابن سعد ١٠٢/٥ .

ومحمد بن علي[195] ، ويرد ذكر العمائم الحمر في العصر العباسي على أنه من لباس الخدم ، ففي بعض المراجع ورد هذا البيت[196] :

رأيت بـاب الـدارين أسـودين ذي عـمـامـتـين حـمـراويـن

العمائم السود :

على أن السود والبيض هي الأكثر شيوعاً ، وكان رسول الله ﷺ يعتم بعمامة سوداء ، ففي حديث الحسن بن علي قال : « رأيت النبي ﷺ على المنبر ، وعليه عمامة سوداء ، قد أرخى طرفها بين كتفيه »[197] ، وفي الحديث : أن رسول الله ﷺ ، كان قد عمم عبد الرحمن بن عوف بعمامة سوداء كرابيس ، وأرخاها من خلفه قدر أربع أصابع »[198] ، وممن لبس العمائم السود من الصحابة والتابعين : علي بن أبي طالب[199] ، وعمر بن الخطاب[200] ، ومعاوية بن أبي سفيان[201] ، وعبد الرحمن بن عوف[202] ، وسعيد بن المسيب[203] ، ومحمد بن الحنفية[204] ، وأبو موسى

(١٩٥) السابق ٥/٢٣٧

(١٩٦) الملابس العربية الإسلامية ص ١١٧ يحيل على معجم الأدباء ٦/٢٩١ ولم أجد البيت فيه .

(١٩٧) عمدة القارىء ٢١/٣٠٧ .

(١٩٨) السابق والصفحة ، والكرابيس : القطن .

(١٩٩) طبقات ابن سعد ٣/١٨ .

(٢٠٠) عيون الأخبار ٣/٤٦ .

(٢٠١) طبقات ابن سعد ٤/٨٣ ، تاريخ اليعقوبي ٢/٢٧٤ .

(٢٠٢) طبقات ابن سعد ٣/٩٣ .

(٢٠٣) طبقات ابن سعد ٥/١٠٢ .

(٢٠٤) ابن سعد ٥/٨٤ .

الأشعري[٢٠٥] ، وعبد الرحمن بن يزيد[٢٠٦] ، والأسود بن يزيد[٢٠٧] .

وقد صار اللون الأسود فيما بعد شعار العباسيين ، ويقال إن سبب اتخاذهم السواد شعاراً لهم ، يرجع إلى ما روي : أن رسول الله ﷺ عقد يوم حنين للعباس بن عبد المطلب راية سوداء[٢٠٨] ، وصار لباس الدولة الرسمي هو السواد ، فكان أرباب الدولة ، من وزراء وقواد وأمراء وموظفين وقضاة وأدباء وفقهاء وغيرهم ، يضعون على رؤوسهم العمائم السود[٢٠٩] ، وكان حاجب الحجَّاب ، إذا سار في موكب لبس القباء الأسود ، والعمامة السوداء ، والسيف والمنطقة ، وقدامه الحجاب وخلفاؤهم[٢١٠] ، وكانت خلع التقليد والولاية والتشريف للأمراء وأصحاب الجيوش وولاة الحرب ، العمائم المصمتة السوداء ، أي الخالصة السواد[٢١١] ، وأما خلع المنادمة ، فكانت عمائم الوشي المذهبة[٢١٢] ، وكان العاملون في دار الخلافة ملزمين بلبس العمائم السود ، فإذا أخلُّوا بذلك عوقبوا[٢١٣] ، ومن جانب آخر فإن لبس السواد والعمائم السود كان محظوراً على العامة[٢١٤] .

---

(٢٠٥) ابن سعد ٤/٨٣ .
(٢٠٦) ابن سعد ٦/٨٣ .
(٢٠٧) ابن سعد ٦/٤٩ .
(٢٠٨) صبح الأعشى ٣/٢٧٤ .
(٢٠٩) رسوم دار الخلافة ص ٩٢ .
(٢١٠) السابق ص ٧٨ .
(٢١١) السابق ص ٩٦ .
(٢١٢) السابق ص ٩٦ .
(٢١٣) السابق ص ٧٢ .
(٢١٤) رسوم دار الخلافة ص ٩٢ .

العمائم البيض :

أما العمائم البيض فقد كانت شائعة في الجاهلية وصدر الإسلام ، وكانت الملابس البيض بعامة مرغوباً فيها في الإسلام ، لما روي في الحديث عن سَمُرة بن جُنْدب قال : « قال رسول الله ﷺ : البسوا البياض ، فإنها أطهر وأطيب ، وكفنوا فيها موتاكم »[٢١٥] ، وقد لبس كثير من الصحابة العمائم البيض ، تأسياً برسول الله ﷺ ، وذكر ابن سعد في طبقاته جريدة بأسماء الصحابة الذين لبسوا العمائم البيض فمنهم : سعيد بن المسيب[٢١٦] ، وسالم بن عبد الله[٢١٧] ، والقاسم بن محمد[٢١٨] ، ونافع بن جبير[٢١٩] ، وعلي بن الحسين[٢٢٠] ، وأبو هريرة[٢٢١] ، وسعيد بن جبير[٢٢٢] ، والشعبي[٢٢٣] ، وخارجة بن زيد[٢٢٤] ، وغيرهم .

العمائم الخضر :

أما العمائم الخضر فلم يرد لها ذكر في العصور الأولى ، ولكن الملابس الخضر كانت مألوفة ، وكان بعض الناس يعتقد أن لباس أهل الجنة الأخضر ، وأن عمائمهم خضر[٢٢٥] ، وقد لبس رسول الله ﷺ الملابس

(٢١٥) تحفة الأحوذي ٩٤/٨ .
(٢١٦) طبقات ابن سعد ١٠٢/٥ .
(٢١٧) السابق ١٤٢/٥ .
(٢١٨) السابق ١٤٣/٥ .
(٢١٩) السابق ١٠٢/٥ ، ١٥٢ .
(٢٢٠) السابق ١٦١/٥ .
(٢٢١) السابق ٥٨/٢ .
(٢٢٢) السابق ١٨٦/٦ .
(٢٢٣) السابق ١٧٦/٦ .
(٢٢٤) السابق ١٩٤/٥ .
(٢٢٥) مرآة الزمان ـ سبط ابن الجوزي ٥٨٨/٨ سنة ٦١٤هـ ، العمامة ص ٢٦ .

الخضر ، ففي حديث أبي رمثة قال : « رأيت رسول الله ﷺ وعليه بردين أخضرين »[٢٢٦] ، ولكننا لم نقف على أنه لبس العمامة الخضراء ، ولم تظهر العمائم الخضر في العصور الإسلامية إلاَّ في عهد المأمون ، فإنه حين اختلف مع أخيه الأمين ، عمد إلى التقرب إلى العلويين ، فأعطى ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا ، وتزيًّا بالخضرة شعار العلويين سنة ٢٠١هـ ، وأمر أرباب دولته باتباع سنته ، ثم ما لبث أن دبر قتل ولي عهده العلوي ، وخلع الخضرة ولبس السواد شعار العباسيين . وفي سنة ٧٧٣هـ في العهد المملوكي في مصر والشام ، يأمر السلطان شعبان بن حسن أن يجعل الأشراف في عمائمهم علامة خضراء بارزة ، وذلك فيما يرىٰ : « تعظيماً لقدرهم ، وليقابلوا بالقبول والإقبال ، ويمتازوا عن غيرهم في هذا المنوال »[٢٢٧] ، وقد سجل الشعر هذه الظاهرة ، فقال محمد بن جابر الأندلسي الأعمى[٢٢٨] :

جعلوا لأبناءِ النَّبيِّ علامةً ... إنَّ العلامةَ شأنُ من لم يشهرِ
نورُ النبوةِ في كريمِ وجوهِهِمْ ... يُغْني الشَّريفَ عن الطِّرازِ الأخْضَرِ

وقال شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي[٢٢٩] :

أطرافُ تيجانٍ أتتْ من سندسٍ ... خُضْرٍ بأعلامٍ على الأشْرافِ
والأشرفُ السلطانُ خَصَّهمُ بها ... شَرَفاً ليفرِقَهمْ من الأطرافِ

---

(٢٢٦) تيسير الوصول ٤/١٤٤ .
(٢٢٧) الدعامة ص ٩٥ ـ ٩٧ .
(٢٢٨) الدعامة ص ٩٧ .
(٢٢٩) السابق نفسه .

ثم أمرهم السيد محمد الشريف المتولي ، باشا مصر ، سنة ١٠٠٤هـ ، أن يجعلوا العمامة كلها خضراء[٢٣٠] ، من هذا يتضح أن العمائم الخضر متأخرة ، ليس لها ذكر في العصور الأولى فيما نعلم .

وقد لبس الفلاحون والمتصوفة العمائم الملونة[٢٣١] ، أما العمائم التي تجمع بين ألوان مختلفة فهي عمائم بعض المتصوفة ، وهذه الألوان متأتية ، من رقع بعض الخرق بعضها ببعض ، يكونون منها عمامة بسيطة يلبسونها ، ومن الدراويش الرفاعيين من يلبسون عمامة من الصوف الأسود ، أو من الموصلي الزيتوني القاتم ، أما عمائم الأقباط واليهود وغيرهم فهي عامة من الموصلي أو الكتان الأسود أو الأزرق[٢٣٢] .

تطور العمامة في العصور العباسية :

كانت العمامة في الجاهلية وصدر الإسلام بسيطة لا تعقيد فيها ، صغيرة ليست ضخمة ، وقلما يكون فيها وشي أو زينة ، وكانت عمامة النبي ﷺ نموذجاً لعمائم أصحابه ، كانت عمامته عليه السلام وسطاً لا كبيرة ولا صغيرة ، قال القسطلاني :

« لم تكن عمامته ﷺ بالكبيرة التي تؤذي حاملها ، ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية الرأس من الحر والبرد ، بل وسطاً بين ذلك »[٢٣٣] ، وبمرور الزمن زادت العمامة مهابة ، وصارت تراثاً مقدساً ، على أنها من سنن النبي ﷺ ، وزادت حجماً ، فكثرت طياتها ، وكثر وشيها وزينتها ، وصار

---

(٢٣٠) السابق ص ٩٨ .

(٢٣١) تلبيس إبليس ص ٨٦ .

(٢٣٢) المصريون المحدثون ص ٣٧ .

(٢٣٣) الدين الخالص ٢١٨/٦ ، واللباس والزينة ص ٢٦١ .

لبسها من تمام التقوىٰ والمروءة ، ولذلك أصبح المجتمع لا يستسيغ خلع العمامة ، بل يعد ذلك إخلالاً بالآداب العامة ، وانتقاصاً من المروءة ، وما كانت تخلع العمامة إلاّ في مناسك الحج ، تعبداً لله وذلاً له ، وكانت تخلع أيضاً عند المصائب ، إظهاراً للحزن ، أو تعزية بفقد عظيم ، فكانوا يخلعونها عند وفاة خليفة أو أمير ، جاء في الأغاني : « قال محمد بن عباد المهلبي : لما مات أبو عيسى بن الرشيد ، دخلت إلى المأمون وعمامتي علي ، فخلعت عمامتي ونبذتها وراء ظهري ـ والخلفاء لا تعزى في العمائم ـ ودنوت ، فقال لي : يا محمد ، حال القدر دون الوطر ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كل مصيبة أخطأتك تهون ، فجعل الله الحزن لك لا عليك »[٢٣٤] ، وكانوا كذلك يخلعون العمامة عن رأس صاحبها عند إنزال العقوبة به ، إذلالاً له .

وكان لا بد لموظفي الدولة ، وحاشية السلطان ، والداخلين إليه ، من لبس العمامة ، وكان خلعها في دار الخلافة لأي سبب كان ، يعد جناية يعاقب عليها أشد العقاب ، روى الصابي : أن بعض أولاد الأمراء والقواد العاملين في دار الخلافة ، زمن المعتضد ، كانوا يجتمعون في حجرة ، يستريحون بها بعد انتهاء الخدمة وانصراف الموكب ، فيتخففون من ملابسهم ، فيخلعون خفافهم ، ويضعون عمائمهم عن رؤوسهم ، ويلعبون بالشطرنج والنرد ، فاطّلع عليهم ذات يوم رجل من أصحاب الأخبار[٢٣٥] ، فكتب إلى الخليفة المعتضد بالله يخبره بحالهم ، فأمر الخليفة أن يضربوا ، فضرب كل واحد منهم عدة مقارع ، قال : « فما رئي بعد ذلك

(٢٣٤) الأغاني ١٠/١٩٠ .

(٢٣٥) أي من رجال الشرطة السرية .

إلاّ لازم للتوفر على الخدمة متجنب للتبذل »[٢٣٦] .

ويروي الصابي رواية أخرىٰ زمن عضد الدولة البويهي ، أن رجلاً يدعى أبا المثنى ، دخل دار الخلافة وخلع عمامته من رأسه ، ووضعها بين يديه ، فرآه بعض أصحاب الأخبار ، فكتب بذلك إلى أستاذ الدار ، فخرج أستاذ الدار وشتمه ، وأخذ عمامته وضرب بها رأسه ، حتى تقطعت قطعاً ، واعتقله ، ولم يطلق سراحه إلاّ بعد أن تُوسط لدى عضد الدولة ، واعتذر عنه بأن الرجل محرور الرأس ولا يستطيع ترك عمامته على رأسه ، وأنه لم يخلع العمامة لجهل بالآداب المتبعة ، وإنما لذلك السبب[٢٣٧] .

ودخل العماني الراجز على الرشيد لينشده شعراً ، وعليه قلنسوة طويلة ، وخف ساذج ، فقال له الرشيد : « إيَّاك أن تنشدني إلاَّ وعليك عمامة عظيمة الكورة ، وخفان دُمَالقان »[٢٣٨] .

وصار لكل فئة ـ في العصر العباسي ـ عمائم متميزة من حيث الحجم والوشي واللون ، تبين مكانتهم الاجتماعية ، وصارت العمامة تكبر وتتعقد وتتضخم ، وارتبط عظم العمامة وتطويل عذبتها بمكانة الشخص الاجتماعية ، ولها دلالة على هيبته ووقاره ، يقول الجاحظ متحدثاً عن الاستعانة بالأشياء في إظهار الهيبة : « وهل ذلك إلاّ كتعظيم كور العمامة ،

---

(٢٣٦) رسوم دار الخلافة ص ٧٢ . وانظر : العمائم رسوم لبسها ونزعها ، ميخائيل عواد ، مجلة الثقافة ص ١٦ ـ ١٩ العدد ٢٨٥ سنة ١٩٤٤م ، وكذلك : نزع العمائم في دور الخلفاء والأمراء والسلاطين وبحضرتهم ، تعليق في مجلة الرسالة ص ٣١٠ ـ ٣١١ العدد ٤٥٣ سنة ١٩٤٢م .

(٢٣٧) رسوم دار الخلافة ص ٧٧ .

(٢٣٨) البيان والتبيين ٩٥/١ ، الدمالق : الخف المستدير الأملس .

واتخاذ القضاة القلانس العظام في حمّارة القيظ ، واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ، فإذا كانت القلانس مكشوفة زادوا في طولها وحدة رؤوسها ، حتى تكون فوق قلانس جميع الأمة »[٢٣٩] .

وصارت العمامة تقاس بالأذرع بعد أن كانت بضعة أشبار ، فقد روى عن الحسن بن أحمد الهمداني المقرىء (٥٩٦هـ) : أنه كان يلبس عمامة طولها سبعة أذرع[٢٤٠] ، وقيل إن بعض العمائم بلغت ثلاثين ذراعاً ، وقيل مائة[٢٤١] ، والرقم الأخير مجاوز للمعقول ، وكان عمارة اليمني قد مدح محمد بن شمس الخلافة ، وهو بدمياط ، وطلب في قصيدته أن يهديه عمامة شرب جديدة وطويلة جداً ، يقول[٢٤٢] :

فأنفذْ لي بأطولَ من حسابي ... إذا أُحضرتُ في يومِ القيامهْ
ولا تَكُ يا خَطيرُ فدْتْكَ نفسي ... قديمةَ مدةٍ لحقت قُدامهْ
وأرسلْها وختم الشِّربِ فيها ... كخَوْدٍ فوقَ وجنتِها عرامهْ
كأنَّ بياضَها وجهٌ نقيٌّ ... وحسنُ الرقمِ فوقَ الخدِّ شامهْ

وأكبر عمامة سجلها التاريخ الإسلامي ، تلك التي شهدها ابن بطوطة ، ففي رحلته إلى الاسكندرية ، رأى فيها القاضي عماد الدين الكندي ، وكان إماماً من أئمة علم اللسان ، وانه كان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم ، وعجب ابن بطوطة لما رأىٰ فقال : إنه لم ير في مشارق الأرض ومغاربها أعظم منها ، وذلك أنه رأى القاضي في صدر محراب ، وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب[٢٤٣] .

---

(٢٣٩) البيان والتبيين ١١٧/٣ .

(٢٤٠) ذيل طبقات الحنابلة ـ ابن رجب ٣٢٧/١ .

(٢٤١) النكت العصرية ص ١٢٩ ، العمامة ص٢٢ .

(٢٤٢) النكت العصرية ص ١٣٩ ، العمامة ص ٢٢ .

(٢٤٣) الرحلة ص ٢٣ .

وقد ذهب بعض العلماء إلى استحباب تكبير العمائم لتكون سبباً في معرفة لابسها ، وهي شعار للعلماء ، فقد سئل الفقيه عـز الدين بن عبد السلام عن ذلك ، فأجاب : إنه لا بأس بلبس شعار العلماء من أهل الدين ، ليعرفوا بذلك فيسئلوا ، وجاء بمثل عن نفسه فقال : إنه كان يرى الناس في الطواف حول الكعبة يخلون بأصوله وآدابه ، فكان يرشدهم إلى الصواب ، إلاَّ أنهم لا يقبلون منه لجهلهم بشخصه ، فلما لبس شعار الفقهاء ، وأخذ ينكر على الناس جهلهم بآداب الطواف ، سمعوا منه[٢٤٤] ، وقد صارت المبالغة في تطويل العمامة ، والمبالغة في تكبير دورتها ، وكثرة طياتها على الرأس ، سمة من سمات العصر ، وبخاصة لدى العلماء والأدباء والظرفاء ، وربما عزز بعض المغرمين بضخامة العمامة رأيهم ، بأن نسبوا كبر العمامة إلى عمامة رسول الله ﷺ[٢٤٥] ، واستندوا إلى ما جاء عن النووي ، من أنه كان للنبي ﷺ عمامة قصيرة سبعة أذرع ، وعمامة طويلة اثنا عشر ذراعاً[٢٤٦] ، ولم يصح شيء من ذلك ، قال ابن الجزري في تصحيح المصابيح : « تتبعت الكتب لأقف على قدر عمامة النبي ﷺ ، فلم أقف على شيء »[٢٤٧] .

ولا شك أن كثيراً من الناس ، ما كانوا يستطيعون اقتناء ولبس العمائم الكبار ، وكانوا يعمدون إلى التخفيف ، ويكتفون بعمامة صغيرة ، وإن كان المجتمع ينظر إلى لابس العمامة الصغيرة ، على أنه خارج على السلوك العام ، ومخل بالوقار ، وكان بعض الزاهدين يرون اطراح الكلفة في

---

(٢٤٤) الدعامة ص ٧٦ ـ ٧٨ .

(٢٤٥) الدعامة ص ٨٠ وما بعدها .

(٢٤٦) تحفة الأحوذي ٥/٤١٤ والدعامة ص ٨٠ .

(٢٤٧) الدين الخالص ٦/٢١٨ ، اللباس والزينة ص ٢٦٢ .

الملابس فصغروا عمائمهم[248] ، روى عن أبي جعفر النحاس أنه كان مقتراً على نفسه ، فإذا أهديت له عمامة قطعها إلى ثلاث عمائم[249] ، ومن غير شك أن العمائم الصغيرة ، كانت لباس الفلاحين والعامة والمتصوفة ، إذ أن البساطة والفقر سمة هذه الطبقات الاجتماعية .

ويصف ادوارد لين عمائم القرن الماضي ، فيقول : والعمائم الغالبة الآن في مصر ، لا تختلف أشكالها كثيراً ، فعمائم الخدم معقدة ذات تلافيف حلزونية مدرجة ، وكذلك عمائم كبار التجار والمتوسطين منهم ، وغيرهم من سكان العاصمة والمدن الكبيرة ، إلاَّ أنها أقل حجماً منها ، والعمامة التركية في مصر أكثر أناقة ، والعمامة السورية تمتاز بسعتها ، وكان العلماء ورجال الدين والأدب يلبسون العمائم الواسعة الكبيرة ، ويسمونها (مقلة) ، والعمامة موضع الاهتمام والإجلال ، ولها في منزل الموسرين كرسي يسمى (كرسي العمامة) ، توضع عليه ليلاً ولا يستعمل لغير هذا الغرض ، وكثيراً ما يعد هذا الكرسي في جهاز العروس ، كما كان من المعتاد أيضاً ، أن يكون للمرأة كرسي آخر لغطاء رأسها[250] .

وقد كان للحفاظ على هذا الوقار بلبس العمائم الضخام الكبار ، سلبيات ، منها غلاء هذه العمائم التي لا يستطيع اقتناءها إلاَّ الموسرون ، وان هذه العمائم ثقيلة ترهق لابسها ، وقد تسبب آفات في الرأس ، كما مر في رواية أبي المثنى[251] ، ومن هذه الآفات : الصلع والبثور والدمامل التي تكون في الرأس أو الوجه ، في أوقات الحر خاصة ، لما تسببه العمامة من

---

(٢٤٨) الدعامة ص ٥٣ ، ٩٢ .

(٢٤٩) بغية الوعاة ص ٦ .

(٢٥٠) المصريون المحدثون ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢٥١) رسوم دار الخلافة ص ١٠٥ .

عرق ، وعدم دخول الهواء إلى الرأس[٢٥٢] .

وقد كان لهذا الاهتمام بلبس العمامة ، والعناية بها ، أن صار الناس والموسرون خاصة ، يحتفظون بأعداد كبيرة منها ، وكان الخلفاء والولاة يخلعون على الناس ـ في المناسبات ـ خلع التقليد والولاية والتشريف والمنادمة ، ومن هذه الخلع العمائم ، وقد خلف بعض الخلفاء أعداداً كبيرة جداً من العمائم ، فقد خلف هارون الرشيد أربعة آلاف عمامة[٢٥٣] ، وان الوزير ابن الفرات علي بن محمد حين صرف من وزارته الأولى سنة ٢٩٩هـ ، أخذ متاعه جملة ملابس ، كان فيها ألف ومائتا عمامة[٢٥٤] . ويذكر الثعالبي : أنهم وجدوا في خزانة كسوة الصاحب بن عباد ثلثمائة وعشرة آلاف عمامة[٢٥٥] ، ويروى عن المسترشد سنة ٢٩٥هـ ، حين ذهب للقاء مسعود ، كان الرحيل على خمسمائة جمل ، وكان معه عشرة آلاف عمامة من فاخر الثياب ، قد أعدها للتشريفات عند الظفر[٢٥٦] .

وبقي للعمامة أثرها ومكانتها في نفوس المسلمين حتى عصور متأخرة ، إلَّا أنها صارت تختفي بالتدريج ، على أثر اجتياح المدنية الأوربية ، وتغير لباس الناس واتخاذ البدلة الافرنجية لباس الدولة الرسمي ، في بعض الأقطار العربية ، فهجرت الألبسة العربية إلى الزي الأوربي ، وصارت العمامة غريبة في أوطانها ، وبقيت لباس العلماء والقضاة وجمهور أهل الريف والبادية ، ومن فترة متقدمة أيضاً زاحمت العمامة ألبسة الرأس الأخرىٰ ، مثل القلنسوة والشاشية والغفارة ، وقد شاعت هذه في أقطار

---

(٢٥٢) الدعامة ص ٨٠ .

(٢٥٣) الذخائر والتحف ص ٢١٥ .

(٢٥٤) الذخائر والتحف ص ٢٢٩ . (٢٥٥) لطائف المعارف ص ١١٩ .

(٢٥٦) الفخري في الآداب السلطانية ص ٢٣٩ .

المغرب والأندلس ، وشاعت الكوفية والعقال في العراق وسورية والجزيرة العربية وأقطار الخليج العربي ، أما في مصر فبقيت العمة الأزهرية وبجانبها الطربوش ، ثم صار الناس بأخرة يميلون إلى أن يكونوا حاسري الرأس ، إلاّ في المناطق الحارة أو الشديدة البرودة ، وكانت وما زالت هذه الألبسة جميعاً متعاصرة ، فقد تشهد في مجتمع واحد ، الرأس الحاسر ، والمعتم بعمامة ، أو قلنسوة (عرقية) ، أو كوفية وعقال ، ويلاحظ في هذا العصر ، اختفاء الطربوش من مصر ، والسيدارة من العراق ، وما زالت العمائم والكوفية والعقال ، في بيئات عربية كثيرة ، تغالب الأزياء الأوربية .

أنواع العمائم ومادة صنعها :

يذكر الجاحظ أنواع العمائم فيصنفها حسب المكانة الاجتماعية فيقول : « وللخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، وللأعراب عمة ، وللصوص عمة ، وللأبناء[٢٥٧] عمة ، وللروم والنصارىٰ عمة ، ولأصحاب التشاجي عمة »[٢٥٨] . ويتضح التفاوت في لبس العمائم ومادة صنعها كلما امتد الزمن وابتعدنا عن فترة صدر الإسلام ، فقد بدأ الترف يغزو العمامة الأموية والعباسية ، فعمائم الخلفاء في العصر الأموي والعباسي ، وكذلك عمائم الحاشية من الوزراء والتجار والموسرين كانت من الوشي المطرزة ، أو من الديباج ، أو من الخز الذي ينسج من الصوف والحرير ، وقد تكون العمامة من الحرير الخالص وحده ، وقد تكون من الوبر ، وقد تكون مرصعة

(٢٥٧) الأبناء : هم أبناء قوم من فارس أرسلهم كسرىٰ مع سيف بن ذي يزن لما جاء يستنجدهم على الحبشة ، فنصروه وملكوا اليمن ، وتزوجوا من العرب ، فقيل لأولادهم الأبناء وغلب عليهم هذا الاسم ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم (اللسان : بنو) .

(٢٥٨) التشاجي : التمنع والتحازن ، من الشجى وهو الحزن (اللسان : شجى) ، البيان والتبيين ٣/١١٤ .

بالذهب ، روى عن الأمين أنه طرب يوماً لسماع صوت غناه إياه مخارق المغني فخلع عليه « جبة وشي كانت عليه ودراعة مثلها وعمامة تكاد تعشي البصر من كثرة الذهب »[٢٥٩] ، ونعرف من العمائم المترفة في العصر العباسي التي تنسج من القز وتطرز بالذهب عمامة أرسلها رومانس ملك الروم هدية مع وفد إلى الخليفة الراضي بالله سنة ٣٢٦هـ ، وفي سنة ٤٢٧هـ أهدى قسطنطين ملك الروم إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ، نوعاً من العمائم ، وصفت بـ (الطلى المرتفع) ، وكانت مطرزة بالذهب[٢٦٠] ، وعرفت أصناف من هذه العمائم بأسماء خاصة منهـا :

الرصافيـة :

والرصافية ضرب من العمائم نسبة إلى رصافة بغداد[٢٦١] ، وهي من عمائم الخلفاء وأولياء العهد والحاشية والموسرين ، ذُكر أن إبراهيم بن المهدي دخل على القاضي أحمد بن أبي دؤاد « وقد اعتم على رأسه رصافية بعمامة خز أسود لها طرفان من خلفه وأمامه »[٢٦٢] ، ونقل ابن الجوزي : « أن المسترشد جلس في قبة على سدة وعليه الثوب المصمت والعمامة الرصافية »[٢٦٣] .

الحرقانيـة :

تطلق تسمية الحرقانية على العمامة التي فيها ضرب من الوشي لونه كأنه محترق[٢٦٤] ، وروي أن النبي ﷺ لبس عمامة حرقانية ، ففي روايـة

---

(٢٥٩) الأغاني ٢٣٩/٢١ ـ ٢٤٠ ط ليدن .

(٢٦٠) الذخائر والتحف ص ٦٢ ، ٧٥ .

(٢٦١) المنتظم ١٣٦/٨ ، رسوم دار الخلافة ص ٩٠ .

(٢٦٢) المستجاد ـ التنوخي ص ٥٣ ، رسوم دار الخلافة ص ٨١ ، ٩٠ .

(٢٦٣) المنتظم ٩٢/٢ ، ٢٢٥/٨ . (٢٦٤) المخصص ٨٣/٤ .

النسائي : « رأيت على النبي ﷺ عمامة حرقانية »[٢٦٥] ، ولبس بعض الصحابة عمامة حرقانية ، مثل عبد الله بن عمر[٢٦٦] ، ومحمد بن الحنفية[٢٦٧] .

الشِّرْب :

وهي عمائم من رقيق الكتان الغالية الثمن عرفت بعمائم الشِّرْب[٢٦٨] ، والشرب قماش يصنع من الكتان الرقيق الأبيض أو الملون ، وقد عرف العراقيون بلبس هذا النوع من العمائم ، يقول البشاري المقدسي : « إقليم العراق من رسومهم التجمل والتطيلس ولبس الشِّرب »[٢٦٩] ، وقد اشتهرت ديبق من قرى دمياط بصناعة هذه العمائم الملونة المذهبة ، قيل إنها تبلغ من الذهب خمسمائة دينار سوى الحرير والغزل ، وعرفت هذه العمائم زمن العزيز بالله الفاطمي سنة ٣٦٥هـ المتوفى سنة ٣٨٦هـ[٢٧٠] ، ويصف ابن جبير في رحلته إلى مكة عمامة أميرها : « عمامة شرب رقيقة سحابية اللون ، قد علا كعبها على رأسه كأنها سحابة مركومة ، وهي مصفحة بالذهب »[٢٧١] ، وقيل إن برجوان الخادم ، وكان خصياً أبيض ربي في دار العزيز بالله « وجد الحاكم في تركته مائة منديل ، يعني عمامة ، كلها شروب ملونة معممة على مائة شاشية »[٢٧٢] .

---

(٢٦٥) النسائي ٢١١/٨ باب لبس العمائم الحرقانية ، جامع الأصول ٦٣٢/١٠ .
(٢٦٦) طبقات ابن سعد ١١/٤ .
(٢٦٧) ابن سعد ٨٤/٥ .
(٢٦٨) فقه اللغة ـ الثعالبي ص ٣٥٩ .
(٢٦٩) أحسن التقاسيم ص ١٢٩ .
(٢٧٠) الخطط ـ المقريزي ٣٦٥/١ .
(٢٧١) رحلة ابن جبير ص ٢٧١ .
(٢٧٢) الخطط ٥/٣ .

عمائم الغزاة :

سميت عمائم المعتصم التي لبسها عند توجهه لغزو عمورية[٢٧٣] ، ولعل الناس صاروا يقلدونها فعرفت بعمائم الغزاة .

العمائم الثغرية :

نسبة إلى الثغور وهي مدن الحدود الإسلامية التي سكنها المجاهدون ، ورد ذكرها في خبر أحمد بن علي البستي (٤٠٣هـ) ، كان في بدء أمره يلبس الطيلسان ويسمع الحديث ويقرأ القرآن على شيوخ عصره ، ثم لبس بعد ذلك الدراعة ، وسلك في لبسه مذاهب الكتاب القدماء ، وكان يلبس الخفين والمبطنة ، ويتعمم العمة الثغرية[٢٧٤] .

وهناك عمائم أخرىٰ شاعت في العصر العباسي مثل عمائم (القصب) ، وهي نوع من العمائم الجيدة المصنوعة من الكتان ، وتكون رقيقة ناعمة[٢٧٥] ، وعرفت العمائم (الرومي) في القرن السادس الهجري وكانت غالية الثمن[٢٧٦] .

وقد تقدمت صناعة العمائم في بعض المدن الإسلامية ، وشهرت مدن بعينها في صناعة عمائم معينة ، وقد اشتهرت بغداد بصنع العمائم الجيدة وتصديرها[٢٧٧] ، وفي مصر عرفت دبيق ومدينة بورة على ساحل البحر قرب دمياط ، وتنسب إليها العمائم البورية[٢٧٨] ، وعرفت العمائم الحلبية

---

(٢٧٣) مروج الذهب ٣/٤٧٢ .

(٢٧٤) معجم الأدباء ١/٢٣٤ .

(٢٧٥) العمامة ص ١٤٤ .

(٢٧٦) تلبيس إبليس ص ١٨١ .

(٢٧٧) مرآة الزمان ٨/٥٦٢ .

(٢٧٨) معجم البلدان : بورة .

المشقوقة في الشام ، أما في خراسان فاشتهرت مدينة شهرستان بنوع من العمائم نسبت إليها ووصفت بأنها رفيعة وطويلة ، وان أهل شهرستان بارعون في صناعتها[٢٧٩] ، واشتهرت جنزة من مدن إيران على البحر الأسود وبحر الخزر بعمائم الخز ، وكانت تصدر عمائمها إلى البلاد الإسلامية[٢٨٠] ، وفي تستر وهي أعظم مدينة بخوزستان ، كانت تصنع عمائم فائقة وثياب جيدة[٢٨١] ، ولبس يوماً الصاحب بن عباد عمامة بطراز عريض من عمل تستر ، فجعل بعض جلسائه يتأملها ويطيل النظر إليها ، فقال الصاحب : ما عملت بتستر لتستر[٢٨٢] .

وإذا وقفنا عند العمائم في القرن الماضي في مصر ، نجد أن عمائم الموسرين على الشكل الآتي كما يصفها إدوارد لين : « أما غطاء الرأس فيتكون من قلنسوة (طاقية) قطنية صغيرة مطابقة للرأس تماماً ، ثم يوضع (الطربوش) وهو غطاء من الجوخ الأحمر محكم على الرأس أيضاً ، يتدلى من قمته شرّابة من الحرير الأزرق القاتم ، وأخيراً يلف على الطربوش قطعة طويلة من الحرير الموصلي الأبيض المصور ، أو شال كشمير ، وهذه هي العمامة »[٢٨٣] ، وتكون عمامة الشريف الذي له نسب برسول الله ﷺ خضراء ، وله وحده هذا الامتياز ، كما أنه ليس من المعتاد أن يلبس أحد غير الأشراف ثياباً خضراً ناضرة[٢٨٤] .

أما عمائم العامة فهي شال من الصوف أبيض أو أحمر أو أصفر ، أو قطعة

---

(٢٧٩) آثار البلاد ص ٣٩٨ .

(٢٨٠) آثار البلاد ص ٥٢٣ .

(٢٨١) معجم البلدان : تستر .

(٢٨٢) معجم البلدان : تستر .

(٢٨٣) المصريون المحدثون ص ٣٤ . (٢٨٤) السابق ص ٣٥ .

من غليظ القطن أو الحرير الموصلي ، تلف حول طربوش تحته لبدة بيضاء أو سمراء ، وبعض الفقراء لا يملكون غير اللبدة ، فلا عمامة ولا سراويل ولا نعل[٢٨٥] .

عمـــائم أهـــل الذمـــة :

ينسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أهل الذمة من النصارىٰ واليهود أن يلبسوا الغيار ، وهي الملابس التي تغاير ملابس المسلمين في العمائم والزنانير والأخفاف ، وعرفت فيما بعد بالشروط العمرية[٢٨٦] ، وألزم النصارىٰ في العصور التالية بلبس العمائم الزرق ، واليهود بلبس العمائم الصفر أو الحمر ، تفريقاً لهم عن المسلمين الذين كانوا يلبسون العمائم السود أو البيض ، وتفاوت الخلفاء فيما بعد في التشدد في الغيار أو التسامح فيه ، ونعرف ممن تشددوا في العصر العباسي الخليفة هارون الرشيد ، فقد أمر سنة ١٩١هـ بأن يؤخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم لهيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم ، وأن تكون قلانسهم مضربة[٢٨٧] .

وفي عام ٢٣٥هـ أمر المتوكل بإلزام النصارىٰ وأهل الذمة بلبس الطيالس العسلية . . . ومن أراد لبس قلنسوة فليجعل لها زرين[٢٨٨] ، وقد تمر فترات تسامح وتراخ ، رصدها آدم متز وأثنى عليها[٢٨٩] ، وفي القرن الخامس يصدر الخليفة سنة ٤٢٩هـ أمراً بإلزام أهل الذمة بلبس ملابس يعرفون بها عند المشاهدة[٢٩٠] ، وفي عام ٤٤٨هـ يصدر المحتسب أبو منصور بن ناصر

---

(٢٨٥) السابق ص ٣٦ .
(٢٨٦) السلوك ١/ ٩١٠ .
(٢٨٧) تاريخ الطبري ٣/٧١٣ ط أوربا ، الخراج ـ أبو يوسف ص ١٢٧ .
(٢٨٨) تاريخ الطبري ٣/١٣٨٩ .
(٢٨٩) الحضارة الإسلامية ١/ ٨٥
(٢٩٠) المنتظم ٨/ ٩٦ .

السياري أمره بأن يلبس أهل الذمة العمائم المصبوغات ، إلَّا أن خاتون (زوجة الخليفة) منعت المحتسب من إمضاء هذا الأمر[٢٩١] .

وقد لبس النصارىٰ في العصر الفاطمي العمائم السود ، في عهد الحاكم بأمر الله وعهد خلفه ، ولبس أهل السامرة بفلسطين اللباس الأحمر ، وفي العصر المملوكي ، أمر السلطان الناصر قلاوون سنة ٧٠٠هـ أن يلبس النصارىٰ العمائم الزرق ، واليهود العمائم الصفر ، والسامرة العمائم الحمر ، فالتزموا بذلك في سائر بلاد مصر والشام أما في المناطق التي يكون فيها النصارىٰ وحدهم ، كما في منطقة الكرك والشُّوْبَك (في جنوب شرق فلسطين) ، فإنهم يتركون على حالتهم يرتدون العمائم البيض[٢٩٢] .

ولا شك أن أهل الذمة كانوا ساخطين على هذا الإلزام ، وكانوا متمسكين بلبس العمائم البيض ، ولذلك فقد لجأ بعض النصارىٰ إلى إعلان إسلامهم ، وبخاصة أولٰئك الذين كانوا يعملون في دواوين الدولة ، مثل أمين الملك عبد الله بن العنام مستوفي الصحبة ، وخلق كثير « حرصاً منهم على بقاء رياستهم وأنفة من لبس العمائم الزرق »[٢٩٣] .

وقد تمر فترات يظهر فيها النصارىٰ أنفتهم من لبس العمائم الزرق فيعودون إلى لبس العمائم البيض ، فيثور المسلمون وتحدث اضرابات بينهم ، مما حدى بالسلطة في مصر أن تصدر أمراً سنة ٧٢١هـ مفاده : « من وجد من النصارىٰ بعمامة بيضاء حل دمه . . . »[٢٩٤] ، فلم يجرؤ نصراني بعد ذلك أن يخرج من بيته في زيه المعلوم ، وكان النصراني يكتري عمامة

---

(٢٩١) المنتظم ١٧١/٨ .
(٢٩٢) السلوك ٩١٢/١ العمامة ص ٣٠ .
(٢٩٣) السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي ٩١١/١ .
(٢٩٤) السلوك ٢٢٧/٢ ـ ٢٢٨ ، ٢٥٣ .

صفراء من يهودي ليخرج بها متنكراً[٢٩٥] ، ولعل هذا التشدد كان من أثر الحروب الصليبية التي حصلت في هذه الفترة ، وأن المماليك هم الذين واصلوا الجهاد بعد صلاح الدين الأيوبي[٢٩٦] ، وقد تابعت بغداد مصر في هذه السياسة ، ففي عام ٧٣٤هـ ألزم صاحب بغداد النصارىٰ بلبس العمائم الزرق ، وألزم اليهود بلبس العمائم الصفر ، اقتداء بالسلطان الملك الناصر[٢٩٧] ، وكانت الأوامر التي تصدر إلى أهل الذمة بلبس الغيار المعلوم تحدد في بعض الأحيان أطوال العمائم ، ففي سنة ٧٥٥هـ في مصر حددت أطوال العمائم لأهل الذمة بعشرة أذرع فما دون[٢٩٨] . وفي القرن الماضي في مصر كانت عمائم المسلمين تمتاز بلونها الأبيض ، أما الأقباط واليهود فعمائمهم سود ، أو زرق ، أو رمادية ، أو ذات لون أسمر خفيف[٢٩٩] .

عمـــائم النســـاء :

العمامة في الأصل من لباس الرجال ، ولا يجوز أن تلبسها المرأة ، إذ أن في ذلك تشبهاً بالرجال ، وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال[٣٠٠] ، هذا هو الأصل ، ولكن هل هناك عمائم خاصة بالنساء ؟ نعم ، لقد ظهرت في العصر العباسي هذه العمائم ، وفي البداية ، كانت بعض المتظرفات يلبسن عمامة تظرفاً ، ثم

(٢٩٥) السلوك ٢/٢٢٧ .

(٢٩٦) العمامــة ص ٣٠ .

(٢٩٧) السلوك ٢/٣٧٥ .

(٢٩٨) السلوك ٢/٩٢٣ - ٩٢٤ .

(٢٩٩) المصريون المحدثون ص ٣٧ .

(٣٠٠) بخاري : لباس ٦١ ، ٦٢ ، عمدة القارىء ٢٢/٤١ .

صارت للنساء عمائم خاصة بهن[٣٠١] ، وينفي دوزي أن تكون المرأة قد لبست العمامة ، ويستدل بذلك على أن قبور المسلمين ينحت عليها شكل عمامة على شاهدة القبر ، وبها يعرف أن الميت ذكر ، أما النساء فينحت على قبورهن إكليل امرأة[٣٠٢] . ولدينا صور أثرية فيها النساء يلبسن العمائم ، ففي تصويرة مخطوط مقامات الحريري سنة ٦٣٤هـ المحفوظ في المكتبة الأهلية بباريس ، صور نساء يلبسن العمائم ، وكذلك في متحف اللوفر بباريس صحن من الخزف يعود إلى القرن السادس الهجري ، فيه رسم امرأة على رأسها عمامة[٣٠٣] .

ويرد في القرن السابع خبر طريف عن عمائم النساء في انطاكية ، ففي سنة ٦٤١هـ مر محيي الدين يوسف بن الجوزي بمدينة انطاكية ، فشاهد فيها النساء يتعممن كالرجال ، وعمائمهن تختلف في الكبر حسب عدد الأولاد ، إذ هي تبدأ بعمامة طولها ستة أذرع عند ولادتها الأولى ، فإذا أنجبت مرة أخرى زادت عمامتها ستة أذرع أخرى ، وهكذا[٣٠٤] .

وفي العصور المتأخرة بالغت النساء في تكبير عمائمهن ، واتخذت البدويات خاصة عمامة الرأس زياً ما يزال حتى الآن في بعض المناطق العربية ، ويذكر المقريزي[٣٠٥] أن النساء اتخذن الشنابر[٣٠٦] لفة للرأس ، وهي مكونة من شريط من الحرير الأسود ، أو الأحمر القاتم ، عرضه شبران وطوله نحو سبعة أذرع ، تلفه النساء على رؤوسهن فوق العصابة ، بحيث

(٣٠١) الموشى ص ١١٦ .
(٣٠٢) المعجم المفصل ص ٢٥٤ .
(٣٠٣) الملابس العربية الإسلامية ص ١٦٩ .
(٣٠٤) الحوادث الجامعة ص ١٨٥ ـ ١٨٦ ، العمامة ص ٣١ .
(٣٠٥) السلوك ٥٢٨/٢ .
(٣٠٦) جمع شنبر وهي كلمة فارسية معربة .

يتدلى أحد طرفيه من مقدم الرأس والثاني من مؤخره[٣٠٧] .

ويصف ادوارد لين عمائم النساء في مصر في القرن الماضي ، فنجدها لا تختلف كثيراً عن عمائم الرجال ، فيقول : « يتكون غطاء الرأس من طاقية وطربوش ، ثم منديل مربع يسمى (فارودية) ، من الموصلي ، الموشى أو المطبوع ، أو من الكريب يلف حولهما بقوة ، ويسمى هذا (ربطة) ، وكانت هذه المناديل تستعمل منذ قريب ، وما زالت تستعمل أحياناً لربط عمائم النساء ، التي تكون مرتفعة مستوية بخلاف عمائم الرجال . وهناك نوع من التيجان يسمى (قرصاً) ، وبعض الحلي الأخرى توضع على غطاء الرأس »[٣٠٨] ، وكان هناك كرسي خاص لعمامة المرأة توضع عليه ليلاً ، ولا يستعمل هذا الكرسي إلاّ لوضع العمامة ، ويكون جزءاً من جهاز العروس[٣٠٩] .

وما زالت النساء في بعض مناطق العراق يلبسن العمامة ، ولبسهن لها هو امتداد لتراث قديم ، ففي جنوب العراق في منطقة البطائح (الأهوار) تلبس المرأة عمامة سوداء كبيرة نسبياً ، تتكون من قماش قطني أو صوفي خفيف يبلغ سبعة أذرع وتسمى العصابة في بعض المناطق ، والعمامة في مناطق أخرى[٣١٠] ، وفي شمالي العراق تلبس النساء عمائم من قماش ملون ومزين بقطع الذهب (ليرات عثمانية) ، أما المرأة اليزيدية في شمالي العراق فتعمم بقطعة قماش أحمر أو أسود ، فإذا تزوجت لبست العمامة البيضاء ، والمرأة اليزيدية في منطقة سنجار تكبر من عمامتها[٣١١] .

---

(٣٠٧) الأزياء الشعبية في العراق - وليد الجادر ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣٠٨) المصريون المحدثون ص ٤٣ .

(٣٠٩) المصريون المحدثون ص ٣٧ - ٣٨ .

(٣١٠) العمامـة ص ٣٢ .

(٣١١) الأزياء الشعبية في العراق ص ١٠٩ .

تذييل فيما أُلِّف في العمامة :

الكتب والرسائل التي تناولت العمامة بالذكر كثيرة ، منها كتب الحديث واللغة والمعجمات وكتب البلدان والحضارة والتاريخ والأدب وغيرها ، وهناك مؤلفات خصت العمامة بالتأليف ، منها المخطوط ، ومنها الذي أشارت إليه فهارس الكتب ، ومنها المطبوع الذي وقفنا عليه ، ولا شك أن هناك مؤلفات لم يسعدنا الحظ بالعلم بها أو الوقوف عليها :

(أ) المخطـوط :

أزهار الكمامة في أخبار العمامة ، ونبذة في ملابس المخصوص بأسرار الإمامة ﷺ لأبي العباس أحمد بن محمد المقرىء المغربي المالكي البغدادي .

(إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ١/٦٧) منه نسخة مصورة في دار الكتب المصرية .

رسالة في العمامة ـ لعلي القارى ، مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد مجموعة رقم ١٣٨١٣/١٢٥ .

رسالة في العمامة والطيلسان المربع ـ مجهولة المؤلف ، مكتبة أسعد أفندي ـ استانبول ، مجموعة رقم ٦٩٦ .

المقالة العذبة في العمامة ـ لمجهول ، مخطوط في مكتبة حميدية باستانبول ، مجموعة رقم ١٤٣٩ .

(ب) ما ذكرته الكتب :

تحفة الأمة بأحكام العمة ـ للشيخ أبي الفضل محمد بن أحمد المعروف بالإمام (كشف الظنون ١/٣٦٣) .

در الغمامة في در الطيلسان والعذبة والعمامة ـ لشهاب الدين

أحمد بن حجر الهيثمي المكي البغدادي (إيضاح المكنون ٤٤٦/١) .
شارح الشفا الثمامة في صفة العمامة ـ لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (عن مقدمة كتاب الدعامة في أحكام سنة العمامة) .
صوب الغمامة في إرسال طرف العمامة ـ لكمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي (كشف الظنون ١٠٨٣/٢) .
الموارد المستعذبة بمصادر العمامة والعذبة ـ للواعظ محمد بن عبد الله حجازي القلقشندي البغدادي (إيضاح المكنون ٥٩٩/٢) .
فضل لباس العمائم ـ لابن وضاح الأندلسي المالكي .

(ج) المطبوع :

الدعامة في أحكام سنة العمامة ـ لمحمد بن جعفر الكناني الحسني ، طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق ١٣٤٢هـ/١٩٢٥م .
العمامة ـ لبدري محمد فهد ، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٦٨م .
العمامة تاريخها وتقاليد لباسها عند العرب ـ لأبي بكر عبد الكافي ، مقالة في مجلة الفكر التونسية العدد الخامس الصفحات ٣٨ ـ ٤٤ ، تونس ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

مصادر البحث ومراجعه

آثار البلاد وأخبار العباد ـ القزويني : أبو عبد الله زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ) ط صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ـ المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد البشاري (ت٣٧٥هـ) ، ط ليدن ١٩٠٦م .

إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ـ القسطلاني : أحمد بن محمد (ت٩٣٣هـ) ط دار الكتاب العربي ، بيروت ، مصورة عن ط بولاق ١٣٢٣هـ .

الأزياء الشعبية في العراق ـ وليد الجادر ، ط بغداد ١٩٧٩م .

الأصمعيات ـ الأصمعي : عبد الملك بن قريب (ت٢١٦هـ) ، تحقيق شاكر وهارون ، ط دار المعارف مصر ١٩٧٩م .

الأغاني ـ أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، ط دار الكتب المصرية ، و ط ليدن .

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ـ إسماعيل بن محمد أمين البغدادي (ت١٣٣٩هـ) ، ط وكالة المعارف الجليلة ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧م .

البخــلاء ـ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ) ، تحقيق طه الحاجري ، ط دار المعارف مصر ١٩٧١م .

بغيــة الوعاة ـ السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ) ، ط الحلبي مصر ١٩٦٥م .

بلوغ الارب ـ الألوسي : محمود شكري (ت١٣٤٢هـ) ، تصحيح محمد بهجة الأثري ، ط دار الكتاب العربي ـ مصر ١٣٤٢هـ .

البيان والتبيين ـ الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الخانجي مصر ١٩٧٥م .

التاج في أخلاق الملوك ـ الجاحظ ، تحقيق أحمد زكي ، ط الأميرية مصر ١٩١٤م .

تاج العــروس ـ الزبيدي : محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ) ، ط الخيرية مصر ١٣٠٦هـ .

تاريخ التمدن الإسلامي ـ جرجي زيدان ، ط القاهرة ١٩٣٥م .

تاريخ الطبري ـ الطبري : محمد بن جرير (ت٣١٠هـ) ، ط الحسينية ، و ط أوربا .

تاريخ اليعقوبي ـ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٩٢هـ) ، ط هوتسمان ، ليدن ١٨٨٣م ، و ط بيروت ١٩٦٠م .

تحفة الأحــوذي بشرح جـامع التـرمذي ـ محمـد عبد الـرحمن المباركفوري (ت١٣٥٣هـ) ، ط دار الفكر بيروت ١٩٧٩م .

تلبيس إبليس أو نقد العلم والعلماء ـ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) ، صححه محمد منير الدمشقي ، ط النهضة ، مصر ١٩٢٨م .

التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ـ أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق عزة حسن ، ط دمشق ١٩٦٩م .

تهذيب الألفـــاظ ـ ابن السكيت : يعقوب بن إسحاق (ت٢٤٤هـ) ، تحقيق لويس شيخو ، ط الكاثوليكية ، بيروت ١٨٩٥م .

تيسير الوصول إلى جامع الأصول ـ ابن الديبع : عبد الرحمن بن علي الشيباني ، ط الجمالية ، مصر ١٣٣٠هـ .

ثمـار القلوب في المضـاف والمنسـوب ـ الثعـالبي : أبـو منصـور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت٤٢٩هـ) ، ط الاتحاد ، مصر .

جامع الأصــول في أحاديث الرسـول ـ ابن الأثير : مجـد الدين المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤ وط ، ط دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم : علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت٤٥٦هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط دار المعارف ، مصـر ١٩٧٧م .

الحضـــارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ـ آدم متز ، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة ، ط لجنة التأليف والتـرجمة والنشـر ، القاهـرة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م .

الخـــراج ـ أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ) ، ط السلفية ، مصر ١٣٨٢هـ .

الخـطط ـ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ) ، ط القاهرة ١٣٢٤هـ .

الدعامــة في أحكام سنة العمـامة ـ محمـد بن جعفر الكتـاني (ت١٣٤٥هـ) ، ط الفيحاء ، دمشق ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٥م .

الدين الخالص ـ السبكي : الشيخ محمود محمد خطاب ، ط السلفية ، مصر ١٩٧٠م .

ديوان الأعشى ـ تحقيق محمد محمد حسين ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

ديــوان جرير ـ ط صادر ، بيروت .

ديوان دريد بن الصمة ـ تحقيق محمد خير البقاعي ، ط دار قتيبة ، دمشق ١٩٨١م .

ديــوان عنترة ـ ط صــادر ، بيروت .

ديوان الفرزدق ـ ط صــادر بيروت ، و ط الصاوي .

الذخائر والتحف ـ القاضي الرشيد بن الزبير (ت ق٥هـ) ، تحقيق محمد حميد الله ، الكويت ١٩٥٩م .

ذيل طبقــات الحنابلة ـ ابن رجب : عبد الرحمن بن شهاب الدين (ت٧٩٥هـ) ، ط السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م .

رحلة ابن بطوطة ـ ابن بطوطة : محمد بن عبد الله (ت٧٧٩هـ) ، ط بيروت .

رحلة ابن جبير ـ ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير (ت٦١٤هـ) ، ط بيروت ١٩٦٤م .

رسوم دار الخلافـة ـ الصابىء : أبـو الحسين هلال بن المحسن (ت٤٤٨هـ) ، تحقيق ميخائيل عواد ، بغداد ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م .

الروض الأنـف ـ السهيلي : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت٥٨١هـ) ، ط الجمالية ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م .

زاد المعـاد في هدي خير العباد ـ ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، ط بيروت ١٩٧٩م .

السـلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ) ، تحقيق مصطفى زيادة ، ط دار الكتب ، ولجنة التأليف ١٩٣٤ ـ ١٩٥٨م .

سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ـ الترمذي (ت٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ، ط القاهرة ١٩٣٧م .

سنن أبي داود ـ أبو داود : سليمان بن الأشعث الأزدي (ت٢٧٥هـ) ، ط محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٣٦م .

سنن ابن ماجة ـ ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط الحلبي مصر ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م .

سنن النسائي ـ النسائي : أبو عبد الرحمن بن شعيب (ت٣٠٣هـ) ، ط الحلبي مصر ١٣١٢هـ .

شرح مقامات الحريري ـ الشريشي : أحمد بن عبد المؤمن القيسي (ت٦٢٠هـ) ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، ط المدني ، مصر ١٩٧٣م .

شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ـ يحيى الجبوري ، ط مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٣١هـ) ط الأميرية ، القاهرة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م .

الصحـــاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ـ الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، ط دار الكتاب العربي مصر ١٣٧٧هـ .

صحيح مسلم (الجامع الصحيح) ـ مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) ، ط بولاق ١٣٢٩هـ .

صحيح مسلم بشرح النووي ـ يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) ، بعناية عبد الله أحمد أبو زينة ، ط الشعب ، مصر ١٩٧٣م .

طبقـــات ابن سعد (الطبقات الكبرىٰ) ـ محمد بن سعد كاتب الواقدي (ت٢٣٠هـ) ، بعناية سخاو ، ليدن ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م .

طبقات الشعراء ـ ابن سلام : محمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) ، تحقيق محمود شاكر ، ط المدني مصر ١٩٧٢م .

العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري ـ بدري محمد فهد ، ط بغداد ١٩٦٧م .

العقـــد الفريد ـ ابن عبد ربه : أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٧هـ) ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٦م .

العمامـــة ـ بدري محمد فهد ، ط الحكومة بغداد ١٩٦٨م .

العمامـــة تاريخها وتقاليد لباسها عند العرب ـ أبو بكر عبد الكافِي ، مجلة الفكر التونسية عدد ٥ ، سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

عمدة القاري شرح صحيح البخاري ـ البدر العيني : محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ) ، ط دار الفكر ، بيروت ، دون تاريخ .

عيـــون الأخبـــار ـ ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم الدينوري (ت٢٧٦هـ) ،

ط دار الكتب المصرية ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠م .

الفخري في الآداب السلطانية ـ ابن الطقطقي : محمد بن علي بن طباطبا (ت٧٠٩هـ) ، ط الرحمانية ، القاهرة ١٩٤٠م .

فقه اللغة وسر العربية ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت٤٣٠هـ) ، طبعة مصورة الدار العربية للكتاب تونس ١٩٨١م .

القاموس المحيط ـ الفيروزابادي : مجد الدين محمد بن يعقوب (ت٨١٦هـ) ، ط الحلبي مصر ١٩٥٣م .

كتاب الأمثال ـ القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ) ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، ط دار المأمون ، بيروت ، دمشق ١٩٨٠م .

كتاب المحن ـ أبو العرب : محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت٣٣٣هـ) ، تحقيق يحيى الجبوري ، ط دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ـ حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) ، ط استانبول ١٩٤١م .

اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ـ محمد عبد العزيز عمرو ، ط دار العرفان ومؤسسة الرسالة ، بيروت ، عمان ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

لسان العرب ـ ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت٧١١هـ) ، ط بولاق ١٣٠٠هـ .

لطائف المعارف ـ الثعالبي : أبو منصور عبد الملك بن محمد

النيسابوري (ت٤٣٠هـ) ، تحقيق الابياري والصيرفي ، ط القاهرة ١٣٧٩هـ .

مجمع الأمثال ـ الميداني : أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري (ت٥١٨هـ) ، ط محي الدين عبد الحميد ، مصر ١٩٥٩م .

المحاسن والمساوىء ـ البيهقي : إبراهيم بن محمد (ت٣٢٠هـ) ، تحقيق أبي الفضل إبراهيم ، ط مصر ١٩٦١م .

المخصص ـ ابن سيده : علي بن إسماعيل الأندلسي (ت٤٥٨هـ) ، ط المكتب التجاري بيروت .

مرآة الزمان ـ سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ) مخطوط في المكتبة الوطنية باريس ٢١٣١ .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي : أبو الحسن علي بن أبي الحسين (ت٣٤٦هـ) ، ط محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .

المستجاد من فعلات الأجواد ـ التنوخي : أبو علي المحسن بن علي القاضي (ت٣٨٤هـ) ، تحقيق محمد كرد علي ، ط دمشق ١٩٤٦م .

مسند أحمد بن حنبل ـ ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) ، ط الحلبي ١٣١٣هـ .

المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ـ إدوارد لين ، ترجمة عدلي طاهر نور ، ط القاهرة ١٩٧٥م .

معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) ـ ياقوت : بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ) ، تصحيح مرجليوث ، ط القاهرة ١٩٢٣ ـ ١٩٣٠م .

معجم البلدان ـ ياقوت الرومي ، ط صادر ، بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م .

المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية ـ رينهارت دوزي ، ترجمة أكرم فاضل ، ط بغداد ١٩٧١م .

المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ـ فنسنك ، ط ليدن ٣٦ ـ ١٩٦٩م .

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ـ جواد علي (يشار إليه في البحث باسم المؤلف اختصاراً) ط دار العلم للملايين ، بيروت ٧٦ ـ ١٩٧٨م .

مكارم الأخلاق ـ الطبرسي : أبو نصر الحسن بن الفضل (ت٥٤٧هـ) ، ط طهران ١٣٧٦هـ .

الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني ـ صلاح العبيدي ، ط بغداد ١٩٨٠م .

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) ، ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدراباد ١٣٥٧ ـ ١٣٦٠هـ .

المؤتلف والمختلف ـ الآمدي : أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط الحلبي مصر ١٩٦١م .

الموشى ـ الوَشاء : أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى (ت٣٢٥هـ) ط ليدن ١٣٠٢هـ .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ ابن تغري بردي : أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ) ، ط دار الكتب المصرية ١٩٣٠م .

نهاية الارب في فنون الأدب ـ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٢هـ) ، ط دار الكتب المصرية ١٩٢٩ ـ ١٩٥٥م .

الوفا بأحوال المصطفى ـ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ) ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، ط دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

مجلة الثقافة ـ العدد ٢٨٥ سنة ١٩٤٤م .

مجلة الرســالة ـ العدد ٤٥٣ سنة ١٩٤٢م .

أفدنا في إخراج رسوم (العمامة) من كتاب (المصريون المحدثون) لإدوارد لين و (الأزياء الشعبية في العراق) للجادر و (الملابس الإسلامية) للعبيدي .



عمامة وعذبة لتلميذ
في تصويرة من مخطوط كتاب (خواص العقاقير)
متحف طوبقبوسراي - تركية



لثام
في تصويرة من مخطوط مقامات الحريري
المكتبة الوطنية - باريس



عمامـــة الطبقة الدنيا في مصـــر
عن كتاب (المصريون المحدثون) ـ ادوارد لين



عمـــائم الطبقتين العليـــا والوسطى في مصر
عن كتـــاب (المصريون المحدثون) ـ ادوارد لين



عمـــائم

في تصويرة من مخطوط مقامات الحريري

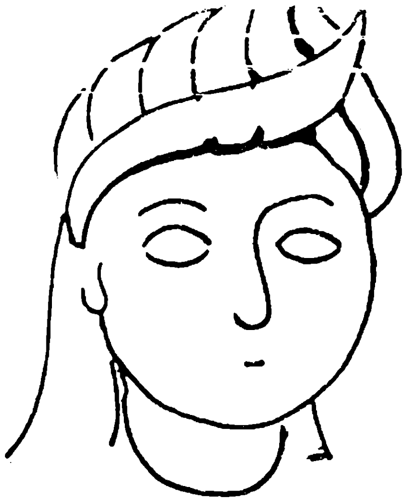
المكتبة الوطنية ـ باريس



عمامـــة وعذبـــة لعـــالم

في تصويرة من مخطوط كتاب خواص العقاقير

متحف طوبقبوسراي ـ تركية



عمامـــة امـــرأة
في حشوة من العـــاج ـ المتحف البريطـــاني



عمامـــة امـــرأة
في صحن من الخزف ، من مجموعة باريس واطسن



عمامـــة والي مـــرو

في تصويرة من مخطوط مقامات الحريرى ـ المكتبة الوطنية ـ باريس



عمامـــة طبيب

في تصويرة من مخطوط الترياق ـ المكتبة الوطنية ـ باريس



المقلـــــة

عن كتاب (المصريون المحدثون) ـ ادوارد لين



عمامـــة قفـــداء

في تصويرة من مخطوط مقامات الحريري ـ المكتبة الوطنية ـ باريس



عمائم

في تصوير من مخطوط مقامات الحريري ـ المكتبة الوطنية باريس .



عمائم

في تصوير من مخطوط مقامات الحريري ـ المكتبة الوطنية باريس .



عمامـــة قفــداء
في صحن من الخـــزف ـ متحف المتروبوليتـــان ـ نيويورك



سيدة متحليــة بالقرص والصفـــا
عن كتاب (المصريون المحدثون) ـ ادوارد لين



عمامـــة طبيب
في قطعة من الخـــزف ـ متحف برلين الغربيـــة

كشاف مقالات حولية :

كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

الأعداد من ١ - ٧

إعداد :
عبدالحي صالح ، صلاح حجازي
إدارة المكتبات الجامعية

مقـــــــدمة

لم يعد هناك خلاف حول القيمة الوثائقية والعلمية للدوريات - بوجه عام كمصدر من مصادر البحث العلمي وروافده . . ولا سيما الدوريات العلمية المتخصصة باعتبارها الوعاء الذي يحوى أحدث الوسائل والنظريات والأساليب العلمية الحديثة والتي يحتاج الباحث إلى الوقوف عليها لتلبية احتياجات بحثه أو تتبع موضوع بالذات أو نشاط معين .

كما أن الزيادة المستمرة في الوقت الحاضر للأنتاج البشري العلمي في كثير من المجالات المختلفة وصدور كثير من الدوريات العلمية في شتى فروع المعرفة إلى جانب تعدد طرق صدور تلك الدوريات ومجالات تغطيتها أدى إلى ابراز أهمية خدمة التكشيف والاستخلاص بأعتبار أن الكشافات والمستخلصات هى أسرع وسيلة للوصول للموضوعات المختلفة والمقالات المتعددة في الكم الهائل من الدوريات التي تصدر في العالم بمختلف اللغات .

ومن هذا المنطلق بدأنا في تكشيف حولية كلية الانسانيات بجامعة قطر بأعتبارها دورية متخصصة مر على صدورها ست سنوات . وتحوى العديد من المقالات التي تخدم القارىء والباحث وعضو هيئة التدريس لذا لابد من وجود أداة ببليوجرافية تؤدي إلى الوصول للمعلومات بأسرع وقت بأقل جهد ممكن .

الخطة المتبعة في ترتيب القائمة :

١ ـ قسمت القائمة إلى قسمين :

١ ــ مقالات منشورة باللغة العربية .

٢ ـ مقالات منشورة باللغة الانجليزية .

٢ ـ رتبت القائمة ترتيباً هجائياً بأسماء المؤلفين طبقاً لما يلي :

أ ـ المدخل

«اسم الكاتب أو المترجم أو من قام باعداد المقال» .

ب ـ عنوان المقاله .

جـ ـ رقم العدد ويرمز له بالحرف (ع) ورقم السنه ويرمز له بالحرف س ثم السنه .

د ـ رقم الصفحات . .

ويرمز لها بالحرفين (ص ص)

٣ ـ كشــافات هجائية . .

أ ـ كشاف هجائي بعناوين المقالات الواردة بالحولية .

ب ـ كشاف هجائي برؤ وس الموضوعات .

ملاحظة : ـ روعى في ترتيب مداخل المؤلفين بالقائمة ما يلي :ـ

أ ـ المدخل الرئيسي بأسم المؤلف مباشرة بدون اتباع نظام قلب الأسماء وذلك لوجود شيء من الالتباس في القواعد الخاصة بمداخل المؤلفين بالنسبة للأسماء العربية (انظر : أحمد بدر . ـ دليل المكتبة . ـ القاهرة : جامعة القاهرة) .

ب ـ بالنسبة للاسماء غير العربية تم اتباع «القواعد الانجلوامريكية للفهرسة «وهي بأختصار وضع اسم العائلة أولا ثم (و) اسم الشخص .

□ □

إبراهيم السـامرائي .

الخيل في الأدب القديم . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤

ص ص ١٧٥ ـ ١٨٥ .

١ ـ الخيل ـ الأدب العربي . ٢ ـ الأدب العربي ـ العصر الجاهلي

(١)

أحمـد بدر .

دور الأندلس في نقل الحضارة العربية الاسلامية إلى أوروبا والعالم .

ـ س ٥ ، ع ٦ ، ١٩٨٣ .

ص ص ١٠٥ ـ ١٣٤ .

١ ـ الأندلس ـ تاريخ ٢ ـ الحضارة العربية

(٢)

اسـحاق يعقوب القطب .

الاثار الاجتماعية والنفسية للتحضر . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤

ص ص ٢٣٧ ـ ٢٦٠ .

١ ـ التحضـر ٢ ـ التحضر (علم اجتماع)

٣ ـ التحضر (علم نفس)

(٣)

اسحاق يعقوب القطب .

استخدام المؤشرات الاجتماعية في نظام النقل العام في المجتمع الكويتي المعاصر . ـ س ٤ ، ع ٥ ، ١٩٨٢ .

ص ص ١٠١ ـ ١٢٥

١ ـ النقل ـ الكويت　　　٢ ـ الكويت ـ المشاكل الاجتماعية

(٤)

أمين محمد فاخر .

نظريات ابن جنى في دلالة الألفاظ وموقف المحدثين . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ١٨٥ ـ ٢١٩ .

١ ـ اللغة العربية ـ الدلالة　　　٢ ـ اللغة العربية ـ الألفاظ

٣ ـ فقه اللغة المقارن .　　　٤ ـ ابن جنى ، أبو الفتح عثمان الموصلى البغدادي (٣٣٠ ـ ٣٩٢هـ)

(٥)

جلال شوقي

منظومات العلم الرياضي . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤ .

ص ص ١٨٧ ـ ٢٣٥ .

١ ـ الرياضيات ـ تاريخ　　　٢ ـ الحضارة العربية

(٦)

جهينة سلطان سيف العيسى

الاتجاهات والقيم المرتبطة بالزواج لدى الشباب القطري .

- س ٣ ، ع ٣ ، ١٩٨١

ص ص ٣٩ - ٠٦٦

١ - الزواج - قطر   ٢ - التغير الاجتماعي

٣ - الأسرة

(٧)

جهينة سلطان سيف العيسى

تعاطي المشروبات الروحية ، واتجاهاته لدى عينه من الشباب .

- س ٥ ، ع ٦ ، ١٩٨٣

ص ص ٧٧ - ١٠٤

١ - ادمان المشروبات الروحية   ٢ - المشروبات الروحية (اجتماع) .

(٨)

جهينة سلطان سيف العيسى

قضية التحديث في ضوء الاتجاهات المعاصرة لعلم الاجتماع .

- س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩

ص ص ١٣٥ - ١٥٠ .

١ - التغير الاجتماعي   ٢ - الاجتماع ، علم

(٩)

جهينة سلطان سيف العيسى

المجتمع القطري ومؤشرات التنمية . ـ س ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٠ .
ص ص ٣٥ ـ ٤٩ .

١ ـ قطر ـ التنمية الاجتماعية ٢ ـ التنمية الاجتماعية

١٠

حسن الخياط

الوطن العربي : دراسة في السكان والأرض والغذاء . ـ س ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٠ .
ص ص ١٥١ ـ ١٨٥ .

١ ـ العالم العربي ـ السكان ٢ ـ السكان ، علم

(١١)

حياة ناصر الحجى

المجاعة والطاعون وأثرهما على سلطنة المماليك في الفترة ما بين عامى ٦٩٤ ـ ٦٩٥هـ ، ١٢٩٤ ـ ١٢٩٥م . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤ .
ص ص ١٤٩ ـ ١٧٤ .

١ ـ العالم العربي ـ تاريخ ـ عصر المماليك .

(١٢)

رأفت غنيمى الشيخ

هيلاسلاسى والحبشة . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ١٢٣ ـ ١٣١ .

١ ـ الحبشة ـ تاريخ ٢ ـ هيلاسلاسى (تراجم)

(١٣)

زيهر ، اجنتس جولد

وجهة نظر في المراثي العربية/ ترجمة عبد الله أحمد المهنا . ـ

س ٤ ، ع ٥ ، ١٩٨٢ .

ص ص ١٥٣ ـ ١٨٨

١ ـ الشعر العربي ـ الرثاء ٢ ـ شعر الرثاء

(١٤)

سعيد حسين منصور

العقل في أدب ابن المقفع كما يمثله كتاب الأدب الصغير . ـ

س ٥ ، ع ٦ ، ١٩٨٣

ص ص ١٣٥ ـ ١٦٥ .

١ ـ ابن المقفع ، أبو محمد عبد الله (١٠٦ ـ ١٤٢هـ)

٢ ـ الأدب العربي ـ العصر الأموي

(١٥)

سعيد محمد الحفار

دراسة حول مشكلة التصحر في الوطن العربي . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ٢٩ ـ ٤٩

١ ـ البيئة والانسان   ٢ ـ الصحاري (العالم العربي)

(١٦)

سليمان الخضري الشيخ

التعليم الذاتي طريقة للتعليم في الجامعة . ـ س ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٠ .

ص ص ١٨٧ ـ ٢١٦ .

١ ـ التعليم الجامعي

(١٧)

عادل حسن غنيم

حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي . ـ س ٣ ، ع ٣ ، ١٩٨١ .

ص ص ٦٧ ـ ١٠٨ .

١ ـ فلسطين ـ تاريخ   ٢ ـ القضية الفلسطينية

(١٨)

عادل حسن غنيم

الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م . ـ س ٣ ، ع ٤ ، ١٩٨١

ص ص ١٠٩ ـ ١٣٨

١ ـ القضية الفلسطينية ٢ ـ فلسطين ـ تاريخ

(١٩)

عبد الله أحمد المهنا (مترجم)

وجهة نظر في المراثي العربية ، تأليف أجنتس جولدزيهر . ـ س ٤ ـ ع ٥ ، ١٩٨٢ .

ص ص ١٥٣ ـ ١٨٨ .

١ ـ الشعر العربي ـ الرثاء ٢ ـ شعر الرثاء .

(٢٠)

عبد الرحيم عبد الرحمن

البحرين والقوى المتنافسة في الخليج ١٨٠٠ ـ ١٨٤٣م . ـ س ٥ ، ع ٦ ، ١٩٨٣ .

ص ص ٢٣ ـ ٦٣ .

١ ـ البحرين ـ تاريخ ٢ ـ الخليج العربي ـ تاريخ

(٢١)

عبد الرحيم عبد الرحمن

دور البصرة في أحداث نجد وشرقي شبة الجزيرة العربية في عهد محمد على ١٨١٩ ـ ١٨٤٠م من خلال الوثائق المصرية . ـ س ٣ ، ع ٤ ، ١٩٨١ .

ص ص ٦١ ـ ٨٨ .

١ ـ الخليج العربي ـ تاريخ ٢ـ السعودية ـ تاريخ

(٢٢)

عبد الشافي غنيـــم

البحر الأحمر طريقاً للدعوة الاسلامية . ـ س ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٠ .

ص ص ١٥١ ـ ١٧٦ .

١ ـ الاسلام ـ تاريخ ٢ ـ البحر الأحمر (التاريخ الاسلامي)

(٢٣)

عثمـان مـوافي

اتجاه الجرجاني في دراسة الصور البيانية . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ١٥١ ـ ١٧٦ .

١ ـ الجرجاني ـ عبد القاهر (تراجم) ٢ ـ البلاغة العربية .

(٢٤)

غســـان زكي بدر

الموضوعية في أبحاث علم الاجتماع . ـ س ٣ ، ع ٤ ، ١٩٨١ .

ص ص ٨٩ ـ ١٠٨ .

١ ـ الاجتماع ، علـم .

(٢٥)

فاروق محمد العادلي

التنشئة الاجتماعية الأسرية للطفل القطري . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤ .

ص ص ٢٩ ـ ٦٦ .

١ ـ الأطفال في قطر . ٢ ـ البناء الاجتماعي

(٢٦)

فاروق محمد العادلى

الثبات والتغير في عادات القطريين . ـ س ٤ ، ع ٥ ، ١٩٨٢ .

ص ص ٧ ـ ٣٥ .

١ ـ قطر ـ العادات والتقاليد ٢ ـ العادات والتقاليد

(٢٧)

فاروق محمد العادلى

الرعاية الاجتماعية العمالية ومشكلاتها في الوطن العربي . ـ س ٣ ، ع ٤ ، ١٩٨١ .

ص ص ٣١ ـ ٥٩ .

١ ـ العمل والعمال ـ خدمة إجتماعية . ٢ ـ الخدمة الاجتماعية .

٣ ـ الاجتماع الصناعي ، علم . ٤ ـ العالم العربي ـ العمل والعمال .

(٢٨)

فاروق محمد العادلي

المقومات الفنية والاقتصادية للتنمية الصناعية في المجتمعات النامية . ـ
س ٣ ، ع٣ ، ١٩٨١ .

١ ـ التنمية الصناعية . ٢ ـ التخطيط الصناعي .

٣ ـ الدول النامية ـ التنمية الصناعية .

(٢٩)

فتحي عفيفي بدوي

دراسة عن النقوش الصخرية في قطر . ـ س ٦ ، ع٧ ، ١٩٨٤ .
ص ص ٨٧ ـ ١٠٨ .

١ ـ النقوش الصخرية . ٢ ـ قطر ـ الاثار .

(٣٠)

فوزي أحمد زاهر

الكفاءات اللازمة للمعلم في قطر . ـ س ٣ ، ع ٣ ، ١٩٨١ .
ص ص ١٤٧ ـ ١٧٨ .

١ ـ المدرسون ـ اعداد . ٢ ـ المدرسون ـ تدريب .

٣ ـ المدرسون ـ قطر .

(٣١)

كستر ، م . ج

مكة وتميم/ ترجمة يحيى الجبورى . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ٧٣ ـ ١٢١ .

١ ـ مكه ـ تاريخ   ٢ ـ تميم ـ تاريخ

٣ ـ مكه ـ الشعر العربي .   ٤ ـ تميم ـ الشعر العربي

(٣٢)

كمال الدين البتانوني

أشكال الأرض وحياة النباتات في قطر : دراسة تفصيلية للنظم الجيومورفولوجية من وجهة البيئة النباتية . ـ س ٣ ، ع ٣ ، ١٩٨١ .

ص ص ٧ ـ ٣٧ .

١ ـ الجيومورفولوجية   ٢ ـ النباتات الصحراوية

٣ ـ النباتات الصحراوية (قطر)

(٣٣)

ماهر حسن فهمي

الرسول في الأدب العربي الحديث . ـ س ٤ ، ع ٥ ، ١٩٨٢ .

ص ص ٣٧ ـ ٦٧ .

١ ـ الأدب العربي ـ العصر الحديث

(٣٤)

ماهـر حسن فهمـي

رؤ ية فنية في دراسة النص الأدبي . ـ س ٣ ، ع ٤ ، ١٩٨١ .

ص ص ٧ ـ ٢٩ .

١ ـ الأدب العربي ـ نقد .

(٣٥)

ماهر حســن فهمي

ظاهرة الأنا في شعر المتنبي ، بين النظرية والتطبيق . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤ .

ص ص ٦٧ ـ ٨٦ .

١ ـ الشعر العربي ـ العصر العباسي ٢ ـ المتنبي ، أبو الطيب (تراجم)

٣ ـ شعر الفخر والمديح .

(٣٦)

ماهر حســـن فهمي

مريود أو هموم المثقفين للطيب صالح . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ٧ ـ ٢٧ .

١ ـ القصة العربية ـ نقد ٢ ـ القصة العربية ـ السودان

(٣٧)

ماهـر حسـن فهمـي

ملامح الشخصية الخليجية : دراسة في التحليل الاجتماعي للأدب . ـ س ٢ ، ع ٢ ١٩٨٠ .

ص ص ٩ ـ ٣٤ .

١ ـ الأدب العربي ـ الخليج العربي ٢ ـ علم النفس الأدبي .

(٣٨)

ماهـر حسـن فهمـي

ملامح القصة القصيرة في الأدب القطري . ـ س ٥ ، ع ٦ ، ١٩٨٣ .

ص ص ٧ ـ ٢٢

١ ـ القصة القصيرة ـ قطر ٢ ـ القصة العربية ـ نقد

(٣٩)

ماهـر حسـن فهمـي

موقف الأديب بين الحرية والالتزام . ـ س ٣ ، ع ٣ ، ١٩٨١ .

ص ص ١٣١ ـ ١٤٥ .

١ ـ الأدب العربي ـ نقد .

(٤٠)

مجيـد إبراهيم دمعـه

تقويم المعلم والوسائل المستخدمة في تقويمه . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ٥١ ـ ٧١.

١ ـ المدرسون (تقييم) ٢ ـ المدرسون ـ اعداد

(٤١)

محمد إبراهيم الفيومي

ملاحظات حول قضية التوفيق بين الدين والفلسفة . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ١٧٧ ـ ١٨٣ .

١ ـ الفلسفة الاسلامية .

(٤٢)

محمد إبراهيم كاظم

الحاجة إلى تصورات وتوجيهات جديدة ومتوائمة في التعليم العالي والجامعي . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤ .

ص ص ١١ ـ ٢٨ .

١ ـ التعليم الجامعي .

(٤٣)

محمد أحمد سلامه

مشكلة نمو المواهب الابداعية عند الأطفال . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤ .

ص ص ٢٦١ ـ ٢٩١ .

١ ـ الأطفال الموهبون . ٢ ـ الابداع (علم نفس)

٣ ـ الأطفال ـ علم نفس .

(٤٤)

محمد رياض

مدن الخليج : تطورها ومشكلاتها المعاصرة . ـ س ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٠ .
ص ص ٧٧ ـ ١١٥ .
١ ـ المدن العربية ـ الخليج العربي ٢ ـ تخطيط المدن .

(٤٥)

محمد عبد الرحيم كافود

الحركة الأدبية والفكرية في قطر . ـ س ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٠ .
ص ص ٢٥٥ ـ ٢٧٤ .
١ ـ الأدب العربي ـ قطر

(٤٦)

محمد عبد الرحيم كافود .

الشكل والمضمون . . وجهة نظر في النقد الخليجي . ـ س ٤ ، ع ٥ ، ١٩٨٢ .
ص ص ٦٩ ـ ٩٩.
١ ـ الأدب العربي ـ نقد ٢ ـ الأدب العربي ـ الخليج العربي

(٤٧)

محمد المعتصم

المدينة الاسلامية وخصائصها . ـ س ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٠ .
ص ص ٢١٧ ـ ٢٥٤ .
١ ـ تخطيط المدن ٢ ـ المدن (في الاسلام) .

(٤٨)

محمود عباس حموده

المفهوم العلمي للوثائق والتوثيق . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ٢٢١ ـ ٢٣٣ .

١ ـ الوثائق ، علم .

(٤٩)

محمود فهمي حجـازي

تيسير الكتابة العربية . ـ س ٤ ، ع ٥ ، ١٩٨٢ .

ص ص ١٢٧ ـ ١٥٢ .

١ ـ الكتابة العربية ، علم

(٥٠)

محمود فهمـي الكردي

الجوانب الاجتماعية والايكولوجية للتكامل الاداري والتنظيمي بين المدن العربية المعاصرة . ـ س ٥ ، ع ٦ ، ١٩٨٣ .

ص ص ١٦٧ ـ ٢٠٠ .

١ ـ المدن العربية　　　　٢ ـ المدن العربية ـ تقييم الادارة

٣ ـ المدن العربية ـ المشاكل الاجتماعية .

(٥١)

نبيل سيد أمبابي

الخرائط في دولة قطر . ـ س ٥ ، ع ٦ ، ١٩٨٣ .

ص ص ٦٥ ـ ٧٥ .

١ ـ قطر ـ خرائط

(٥٢)

نجلة اسماعيل العربي

اللؤلؤ القطري . ـ س ٣ ، ع ٤ ، ١٩٨١ .

ص ص ١٨٧ ـ ٢١٦ .

١ ـ اللؤلؤ .   ٢ ـ اللؤلؤ ـ قطر .

(٥٣)

هـــلال ناجـي

ديوان ابزون العماني . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤ .

ص ص ١٠٩ ـ ١٤٨ .

١ ـ الشعر العربي ـ دواوين   ٢ ـ ابزون العماني (تراجم)

٣ ـ الشعر العربي ـ عمان

(٥٤)

يحيى الجبـوري

تميم : تحركها وسياستها في العراق والخليج العربي في العصر الجاهلي

ـ س ٢ ، ع ٢ ، ١٩٨٠ .

ص ص ١١٧ ـ ١٤٩ .

١ ـ العراق ـ تاريخ   ٢ ـ تميم ـ تاريخ

(٥٥)

يحيى الجبوري

تميم في الاسلام . ـ س ٣ ، ع٣ ، ١٩٨١ .

ص ص ١٧٩ ـ ٢٠٢ .

١ ـ تميم ـ تاريخ ـ عصر الخلفاء الراشدين .

(٥٦)

يحيى الجبوري

الزينة في الشعر الجاهلي : زينة الشعر والخضاب . ـ س ٤ ، ع٥ ، ١٩٨٢ .

ص ص ١٨٩ ـ ٢٢٢ .

١ ـ الشعر العربي ـ العصر الجاهلي ٢ ـ الزينة ـ الشعر العربي ـ العصر الجاهلي .

(٥٧)

يحيى الجبوري

الزينة في الشعر الجاهلي : التزين بالحلى . ـ س ٣ ، ع ٤ ، ١٩٨١ .

ص ص ١٣٩ ـ ١٨٥ .

١ ـ الشعر العربي ـ العصر الجاهلي ٢ ـ الزينة ـ الشعر العربي ـ العصر الجاهلي .

(٥٨)

يحيى الجبوري

الزينة في الشعر الجاهلي : زينة الطيب والعطور . ـ س ٥ ، ع ٦ ، ١٩٨٣ .

ص ص ٢٠١ ـ ٢٦٧ ؛ ايض .

١ ـ الشعر العربي ـ العصر الجاهلي ٢ ـ الزينة ـ الشعر العربي ـ العصر الجاهلي

(٥٩)

يحيى الجبوري

مكه تميم/ تأليف م . ج . كستر . ـ س ١ ، ع ١ ، ١٩٧٩ .

ص ص ٧٣ ـ ١٢١ .

١ ـ مكه ـ تاريخ . ٢ ـ تميم ـ تاريخ .

٣ ـ مكه ـ الشعر العربي . ٤ ـ تميم ـ الشعر العربي .

(٦٠)

يحيى الجبوري

المنسوجات العربية في الشعر الجاهلي . ـ س ٦ ، ع ٧ ، ١٩٨٤ .

ص ص ٢٩٣ ـ ٣٣٤ .

١ ـ الشعر العربي ـ العصر الجاهلي ٢ ـ المنسوجات ـ الشعر العربي ـ العصر الجاهلي .

(٦١)

كشـــاف العنـــوان

- د -

- ر -

- ز -

- ش -

كشـــاف الموضوعـات

(أ)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

******

"Trust not Trebonius" -- "Gentlemen all" in *Julius Caesar*

by

A. M. Kinghorn

Although **Julius Caesar** is in respect of theme, political and human relations and emphases on class differences a "modern" play, mediaeval Church doctrine regarding rebellion lurks behind some of the arguments, at least implicitly. The Church stated that rebellion was wrong because it upset divine order, so that it constituted an evil act to rise up against a ruler, no matter how unjust he might be. Sixteenth-century playwrights were inclined to accept this dogma, which was the basis of a strong desire for dependable civil authority. Hatred of civil unrest united the majority of renaissance authors and although it may now seem un-necessary to establish grounds for such an attitude outside those suggested by common sense, Tudor theologians called upon a trio of weighty authorities to explain the necessity for order. These were the Scriptures, the Church Fathers and the Roman Law of Nations as it was deemed to have evolved out of Natural Law.[1]

Shakespeare was certainly a strong believer in good order as the basis of a virtuous life but he was no blind follower of doctrinal authority and he never failed to examine the human point of view. In **Julius Caesar** he asks if, under certain circumstances, it might not be right to rebel, to kill the tyrant. Brutus suggests that the tyrant must be killed even before he becomes one. The soliloquy beginning "it must be by his death" (II, i, 10-34) takes the metaphor of the ladder of ambition, "the base degrees" which the climber scorns once he has reached the top, and, Brutus argues, "So Caesar may; then, lest he may, prevent". At the end of the scene he completes his private musings:

Between the acting of a dreadful thing
And the first motion, all the interim is
Like a phantasma, or a hideous dream:
The genius and the mortal instruments
Are then in council; and the state of man,
Like to a little kingdom, suffers then
The nature of an insurrection.

(*sc.cit.* 63-9)

The characterisation of Brutus is conditioned by inherited teaching.[2] In the scene following the conspirators come to try to enlist him in their scheme and Brutus equates it with evil:

O conspiracy,
Sham'st thou to show thy dangerous brew by night,
When evils are most free? O, then by day
Where wilt thou find a cavern dark enough
To mask thy monstrous visage?

(II,i, 77-81)

Later he overcomes some of his scruples and rationalizes his own position. By rejecting the swearing of a formal oath of mutual allegiance, he suggests that contemporary conditions -- "the sufferance of our souls, the time's abuse" -- ought to justify action against "highsighted tyranny". After further discussion he is ready to admit the killing of Caesar as a solution but wishes the deed refined - not the elimination of Caeser's supporters as well but only of Caesar himself, for the conspirators should not allow themselves to be reviled as murderers but praised as purgers. Brutus, the realist, sees only extremes but the choice, stated in practical terms, is not necessarily between monarchy and tyranny. The humanists saw it as agreement between rulers and ruled.

The conventional word to describe political murder is now "assassination", a word derived from the name of a group of fanatical Moslem killers, the Assassins, active in the 12th century.[3] **Julius Caesar** is a trenchant analysis of this "extraordinary" type of murder. The assassin must not seem hostile if he is to get close to his victim without being detected. In real life such subterfuge may be of very short duration, a matter of seconds only so far as the target is concerned, but in the realm of dramatic art the time-span may be expanded to attract the interest of the audience. Thus **Julius Caesar** takes in the growth of the conspiracy, events immediately preceding the act itself and the unforeseen results. The actual deed is as quickly performed on the stage as in real life. Shakespeare followed Plutarch's account[4] closely but by turning it into an original play exploring human tendencies to fall short of realising the noblest aims he found a means of uttering some general observations about human nature as a tragic entity trapped by its own limitations. Each assassin exposes natural flaws, deriving from the contemporary view of man as an aspiring failure.

Though the dramatic outcome is in accord with the Christian tradition of religious pessimism inherited from St. Paul and Augustine of Hippo,[5] **Julius Caesar** is not in the least moralistic and for this reason it suits modern tastes. All that can be commonly said about political murder and its consequences may be extracted from this play and though the characters are historical in origin **Julius Caesar** is not historical drama in the category of *Henry V* or other nationalistic pageants about the kings of England. Henry V may be the playwright's ideal monarch, just as Richard III is his idealized king-villain, but neither is a historically accurate reconstruction, w hereas his Caesar, together with the conspirators, seems a more earthy, more credible and far more complex personality.

The play derives its unity from a single theme -- concealment of true beliefs, of actual motives, of true knowledge of possibilities, of authentic information, of considered opinion and its corollary, isolation and ignorance. The patricians show contempt for the commoners in the very first scene and the ensuing exchanges make it clear that neither class ever arrives at intellectual or emotional truth. The commoners are celebrating Caesar's triumph which for them is a holiday, a display of public-spirited allegiance. The patricians, sympathetic to Pompey, see things in a different light, as an occasion for tears, not rejoicing. Neither understands the other. The puns with which the cobbler replies to Marcellus's abrupt questions convey the **motif** which is to run throughout four acts of the play, namely, dissembling, whether naively, as in this opening scene, or with darker motives. The all-pervasive atmosphere is one of mistrust and furtiveness, of cloaked collusion as summed up in the personage of older morality plays.[6] The conspirators, arriving in the middle of the night, are described by Lucius as having

> *....their hats... pluck'd about their ears,*
> *And half their faces buried in their cloaks.*

(II,i, 73-4)

They talk in whispers, and hatch their plot. Brutus conceals his plans from Portia his wife but she insists that he reveal them to her

You have some sick offence within your mind,
Which, by the right and virtue of my place,
I ought to know of; and upon my knees,
I charm you, by my once commended beauty,
By all your vows of love, and that great vow
Which did incorporate and make us one,
That you unfold to me, your self, your half,
Why you are heavy, and what men to-night
Have had resort to you; for here have been
Some six or seven, who did hide their faces
Even from darkness.

(**ibid.,** 268-77)

This he does, thus laying a heavy burden on her conscience and her capacity to dissimulate.

Ay me, how weak a thing
The heart of woman is!

(**ibid.**, iv. 39-40)

a sentiment voiced in **Twelfth Night** and in **Hamlet.**[7] Portia eventually commits suicide, faithful to the end, one outstanding example of fidelity in a world of treachery and double-dealing. Calphurnia, Caesar's wife, is another, though slighter, figure whose great love for her vaunting husband is shown as she urges him to stay at home and send Mark Antony to the Senate House in his place but the intrusion of Decius makes Caesar decide to ignore her advice, which he had previously agreed to take.

How foolish do your fears seem now, Calphurnia!
I am ashamed I did yield to them

*(**ibid.**, II. 105-7)*

These two are the only female characters in the play, both taken from Plutarch's account, and they serve to promote uneasiness -- Portia because she shares her husband's terrible secret, Calphurnia because she has had an insight into the future. Caesar has heard her call out three times in her sleep "they murther Caesar" and yet disregards her advice not to go forth from the house, which is based on omens and portents. Caesar is here the complete fatalist -- why should men fear death the inevitable? His attitude, expressed in the lines

It seems to me most strange that men should fear,
Seeing that death, a necessary end,
Will come when it will come

(**ibid.,** 35-7)

looks forward to **Hamlet** and **King Lear.**[8] Confirmation from the augurers is still insufficient to make him change his mind, but he suddenly agrees to take his wife's advice. To Decius he reveals that he has done this to humour her fears, based on her dream, but Decius places a favourable interpretation on the vision, concluding by informing Caesar that the Senate intended to give him a crown. It is this which finally makes up his mind for him.

In the following short scene Artemidorus the Sophist reads out a list of the conspirators:

> *Caesar, beware of Brutus; take heed of Cassius; come not near Casca; have an eye to Cinna; trust not Trebonius; mark well Metellus Cimber; Decius Brutus loves thee not; thou hast wrong'd Caius Ligurius. There is but one mind in all these men, and it is bent against Caesar.*

(**ibid.,** iii, 1-5)

Artemidorus is mentioned in Plutarch as one "very familiar with certain of Brutus's confederates, and (who) therefore knew the most part of all their practices against Caesar". The soothsayer with his "Beware the ides of March" warning (in I,ii,18,23) appears before Portia in II,iv and repeats his warning at the beginning of III,i. Artemidorus tries to present his paper but Decius interposes his word;

> *Trebonius doth desire you to o'er-read*
> *At your best-leisure, this his humble suit*

(**ibid., III, i,** 4-5)

and effectively blocks Artemidorus's intention -- Cassius tells them to present their petitions at the proper place, in the Capitol, not in the street.

Trebonius, one of the more shadowy of the eight named conspirators, appears in three scenes of the play and is mentioned in Plutarch as the conspirator entrusted with the task of holding Antony in conversation outside the Senate-house while the assassination is being carried out. Trebonius is not therefore one of the actual murderers, but instead an accessory before and after the fact and as such as culpable in law as the others. We never learn what his "suit" was about, but the few lines given to him make him appear a temperate member of the group for he supports Brutus when Cassius recommends Antony's death along with Caesar's.

There is no fear in him; let him not die;
For he will live, and laugh at this hereafter

(ibid., II, i, 190-1)

However, his words to Caesar in the scene following put him clearly in the team of assassins, for although he does not stab the victim himself he is obviously as ready to participate as any of the others:

Caes. *Now, Cinna; now Metellus; what, Trebonius:*
I have an hour's talk in store for you;
Remember that you call on me to-day;
Be near me, that I may remember you.

Treb. *Caesar, I will:* ***(Aside.)*** *and so near will I be,*
That your best friends shall wish I had been further.

(II ii,120-5)

He appears on the scene immediately after the assassination, his part completed, and answers Cassius's question "Where is Antony?" with the intelligence:

Fled to his house amaz'd.
Men, wives, and children stare, cry out, and run,
As it were doomsday.

(III, i, 97-8)

We come across his name once more in the play, when Antony, having recovered himself, makes his first move towards vengeance and shakes all the conspirators by the hand -- his **bloody** hand -- as he puts it.

First, Marcus Brutus, will I shake with you;
Next Caius Cassius, do I take your hand;
Now, Decius Brutus, yours; now yours, Metellus;
Yours, Cinna; and my valiant Casca, yours;
Though last, not least in love, yours, good Trebonius.
Gentlemen all --

(ibid., 185-90)

Antony's ironic approach to the group collectively and individually is not understood by Brutus, though Cassius, who had wanted Antony killed and feared him as a "shrewd contriver" (II, i, 158) has no doubts as to how Antony's demeanour ought to be interpreted and urges Brutus not to allow the funeral oration. Antony's following soliloquy tells the audience what his real feelings are:

O, pardon me, thou bleeding piece of earth,
That I am meek and gentle with these butchers.
Thou art the ruins of the noblest man
That ever lived in the tide of times.
Woe to the hand that shed this costly blood!

(III,i,254-8)

The play is called **The Tragedy of Julius Caesar** but the accepted tragic figure is Brutus, whose decline parallels Caesar's ascent. Posthumously Caesar's spirit dominates the action as the idealistic sentiments expressed by the conspirators before the assassination are gradually revealed in a different light. The ironic treatment of the words "honour" and "honourable" succeeds Shakespeare's use of it to denote a virtue. Brutus uses it first when he contrasts honour with death:

Set honour in one eye, and death i' th'other,
And I will look on both indifferently;
For let the gods so speed me as I love
The name of honour more than I fear death

(I,ii,85-9)

and Cassius agrees with his estimate of himself. Later in the same scene, however, when Brutus is not present, Cassius has another interpretation:

Well, Brutus, thou art noble; yet I see
Thy honourable mettle may be wrought
From that it is dispos'd; therefore 'tis meet
That noble minds keep ever with their likes:
For who so firm that cannot be seduc'd?

(**ibid.**, 306-9)

Cassius is Brutus's Iago, except that he does not accomplish his end by lying or by preying on his subject's gullibility. Othello too is obsessed by the abstract concept of honour for which he sacrifices love in return for death. Brutus's sacrifice is of honour itself and even from the start of Cassius' seduction he shows himself willing to be persuaded. "What you would work me to, I have some aim", he admits (161) and Cassius immediately knows that his hook has bitten:

I am glad
That my weak words have struck but thus much show
Of fire from Brutus.

(ibid., 173-5)

Cassius is careful to associate his "honourable-dangerous" scheme with noble sentiments. He tells Casca at the end of the Act that "three parts of him (Brutus) is sure already" (153-4) and both extol the man's worth. Casca's alchemical simile is presumably not spoken with ironic intent but the audience may so interpret it, since the transmutation of base metal into gold had never yet been accomplished. By the same token, the ideals of the conspirators, including Brutus, were unlikely to bring good results from an evil means. As several commentators have pointed out, this is one of the play's main themes. Henri Fluchère sums up its implications thus:

> *In this play what is involved is not merely a problem of Roman politics, the Roman character of which is merely accidental, it is, once more (though with what profound resources in Brutus), the theme of the conflict between order and disorder, good and evil, presented as a struggle between the sentiment of honour and the attraction of a crime committed for a 'noble reason'. It is mere chance that brings the words 'honour', 'honest', 'honourable' as often to the lips of the characters, sometimes in their positive meaning, sometimes negatively and steeped in accumulated and destructive irony... The whole tragedy is nothing but the slow degradation of Brutus's conscience, before and after the crime, although he does not forfeit our esteem and admiration.'*[9]

The concept of honour looms large in each of the major tragedies, most specifically, in **Othello,** where it is associated with marriage and duty against a domestic background. In **Hamlet** the hero's honour is linked with his vendetta and the necessity to exact retribution; in **Macbeth** and **King Lear** it is weakened by stronger forces but never entirely destroyed. **Julius Caesar**, however, makes of honour an isolated, pure conception, reposing in the person of Brutus, whose individual tragedy this play portrays. Yet Brutus is torn by conflict fom the start. His first speech explains his predicament:

Vexed I am
Of late with passions of some difference,
Conceptions only proper to myself

(I,ii,38-40)

and he goes on to tell the watchful Cassius that he is "with himself at war", meaning that he is caught between his feelings for Caesar and his attachment to political freedom. Fluchère's view of Brutus is the conventional one though an Elizabethan audience would probably have seen him in a different and less flattering light, tempted by morally objectionable means to achieve morally desirable ends. Caesar is a man and his nature is therefore flawed, something Brutus cannot accept.

To overcome his scruples, Brutus begins to dignify the proposed act and elevate it to a level where he can rationally accept it. Holding back at first he gradually enters more and more into the conspiratorial process. Shakespeare uses the metaphor of insurrection to describe this internal turmoil, which he likens to "a phantasma or a hideous dream" (II,i,65). Athough cast as a man of disinterested "honour" and of the best motives, Brutus is tainted by politics and reduced to the level of the other conspirators--a shrinking which is illuminated in Antony's funeral oration in the lines:

(For Brutus is an honourable man,
So are they all, all honourable men).

(III,ii,84-5)

Elyot's reference to the motives of this league of gentlemen is direct. In **The Book Named The Governor,** he observes:

> *Example we have of Brutus and Cassius, two noble Romans, and men of excellent virtues, which pretending an honourable zeal to the liberty and common weal of their city, slew Julius Caesar (who trusted them most of any other) for that he usurped to have the perpetual dominion of the Empire, supposing thereby to have brought the Senate and people to their pristine liberty. But it did not so succeed to their purpose. But by the death of so noble a prince happened confusion and civil battles. And both Brutus and Cassius, after long wars vanquished by Octavian, nephew and heir unto Caesar, at the last falling into extreme desperation, slew themselves. A worthy and convenient vengeance for the murder of so noble and valiant a prince.* [10]

The author of this paragraph was in no doubt as to the justice of the outcome, which Antony had desired. Elyot cited this example as an illustration of "disloyalty or treason" in a section titled "Of faith or fidelity ... which is the foundation of justice".[11] He attributes the vengeance visited on the conspirators to "the just providence of God" in accordance with his introductory statement about order in the public weal reflecting divine order. In a later section Elyot describes "another vice following magnanimity, called ambition", which he says is a "vain and superfluous appetite"[12] Caesar is again cited as an example of this undesirable quality to curb which Romans promulgated specific laws. Brutus talks of "young ambition's ladder" (II,i,22) and accounts for his part in the assassination by accusing Caesar of having been "ambitious" --

As Caesar loved me, I weep for him; as he was fortunate, I rejoice at it; as he was valiant, I honour him; but, as he was ambitious, I slew him. There is tears, for his love; joy, for his fortune; honour, for his valour; and death, for his ambition.

(III,ii,25-9)

It is this self-justification which Antony uses as the ground of his denunciation of Brutus and so to plant the seeds of rebellion in the fickle Plebeians who, in a few minutes, shift from support of Brutus to violent opposition:

4. Pleb. They were traitors. Honourable men!
All The will! - The testament!

(**ibid.,** 155-6)

The detailed terms of Caesar's will he leaves to the very last, after their fury has reached a high pitch. With consummate skill he delays unleashing the mob, exciting them, tempting them to revenge and then calming them in alternating waves. Finally, he reminds them of the bequest -- seventy-five drachmas to each Roman citizen and private gardens for their recreation. Shakespeare shows his cynical contempt for the mass mind in this scene, which denotes how easily it may be controlled and bribed into employment as an instrument of destruction. Antony's purpose is clearly revealed in his aside after the Plebeians have gone out to "fire traitors' houses":

Now let it work. Mischief, thou art afoot,
Take thou what course thou wilt!

(**ibid.,** 262-3)

Brutus and Cassius flee Rome but Cinna the poet, who bears the same name as Cinna the conspirator, is caught by the mob and torn to pieces, protesting his innocence:[13]

3. Pleb *Tear him, tear him! Come, brands, ho! fire brands! To Brutus', to Cassius'; burn all! Some to Decius' house, and some to Casca's, some to Ligarius'. Away! Go!*

(**ibid.,** iii,35-8)

The conspirator Cinna, as well as Metellus Cimber and Trebonius, is not threatened here. Cinna was one of the knife-wielders, Metellus Cimber occupied Caesar's attention while the others were making ready to stab him -- according to Plutarch it was Cimber who gave the agreed sign for the assault. As we have noted, Trebonius was not present when the crime was actually being committed but since Antony had himself met all the conspirators we are not to suppose that any one of them escaped identification and ultimate retribution.

Retribution is the theme of the rest of the play. Shakespeare is answering his implied question, suggested in the character of Brutus, regarding the rightness or wrongness of political assassination, but with no unqualified yes or no. Caesar is no tyrant -- Antony's summation of his qualities does not make him ambitious though by repeating **ad nauseam** the word "honourable" so that it comes to mean its opposite, he does accuse Brutus. Elyot's **Governor** allows Caesar many virtues:

> *Among the virtues which abounded in Julius Caesar, none was accounted more excellent than that in his counsels, affairs and exploitures, he omitted no time nor forsook any pain; wherefore soonest of any man he achieved and brought to good pass all things that he enterprised..after that he has the entire governance and dominion of the Empire of Rome, he therefore never omitted labour and diligence, as well in common causes as private, concerning the defence and assistance of innocents. Also he laboriously and studiously discussed controversies, which he almost daily heard in his own person*[14].

and Plutarch makes of him a man of more favours than faults, though with his share of enemies both public and private. They regretted that they had allowed him to grow too strong, to ascend "ambition's ladder" until he had climbed beyond their reach, particularly now that he wished to be called king -- a title which was anathema to republican sentiments.

Antony offers him the crown in symbol -- not an actual crown but a coronet and he thrice refuses it, both in Plutarch's account and in Shakespeare's play. At the funeral oration Antony tells the crowd that it was a "kingly crown". Plutarch had described it as "a laurel crown... having a royal band or diadem wreathed about it, which in old times was the ancient mark and token of king"[15]. Though Caesar really wants it, he makes a show of refusal and it is then evident that he will not always reject such an offer. In the play, Decius tells him he is indeed going to receive the crown, according to a decision by Senate, and it is this intelligence which tips the scales in favour of his leaving his house, in spite of Calphurnia's dream. Caesar is determined not to risk missing an opportunity which may not be repeated and he at once accepts Decius's optimistic interpretation of the bleeding statue and reacts against the latter's suggestion that absence might be construed as fear. Caesar is very anxious not to be thought fearful -- as we know from his earlier discussion of Cassius's character with Antony:

Ant. *Fear him not, Caesar, he's not dangerous.*
He is a noble Roman, and well given.

Caes *Would he were fatter! But I fear him not:*
Yet if my name were liable to fear,
I do not know the man I should avoid
So soon as that spare Cassius

and *I rather tell thee what is to be fear'd*
Than what I fear; for always I am Caesar.

(I,ii,193-8, 208-9)

Caesar again distinguishes himself from ordinary men when he observes to his wife Calphurnia in the lines previously quoted:

Of all the wonder that I yet have heard
It seems to me most strange that men should fear,
Seeing that death, a necessary end,
Will come when it will come

(II,ii,34-7)

and his dismissal of Metellus Cimber's suit bears the same imprint of arrogance, designed by Shakespeare to increase his audience's support for the conspirators' cause. Plutarch notes that Caesar denied these final petitions, one after the other. The high point of the drama, the actual killing of Caesar, is reached very suddenly when Casca, shown to be the most blatantly treacherous of the conspirators, a

frustrated malcontent whose character is at various times clearly delineated by Antony, calls "Speak hands for me" (III,i,76) whereupon they all stab their victim. Plutarch provides a mere detailed description of the action, saying that "it was agreed among them that every man should give him a wound, because all their parts should be in this murther".[16] Plutarch reports that the conspirators crowded in on one another in their eagerness to have a cut at Caesar and refers to twenty-three wounds on the body. Display of the violated body in the market-place helped to inflame the crowd present at Antony's funeral oration:

Ant. *Look, in this place ran Cassius' dagger through;*
See what a rent the envious Casca made:
Through this the well-beloved Brutus stabb'd

(III,ii,176-8)

and this, observed Antony, "was the most unkindest cut of all" (185).

It is this line which marks the alienation of Brutus from the others and from the audience. "Caesar's angel"[17] had fallen and become a devil. Antony focusses his scorn on him and when he points at Caesar's wounds the 1st Plebeian urges the burning of Brutus's house (233).

Having reduced Brutus, Shakespeare now has to re-engage the audience's sympathy for him. The minor conspirators have served their dramatic purpose and are not seen again, though Antony reminds Brutus of their villainy and insincerity as they prepared to kill Caesar:

You show'd your teeth like apes, and fawn'd like hounds,
And bow'd like bondmen, kissing Caesar's feet;
Whilst damned Casca, like a cur, behind
Struck Caesar on the neck.

(V,i,41-4)

Of the original band, only Brutus and Cassius are left in focus. Shakespeare skilfully builds up Cassius in the quarrel-scene in IV,iii and for a short period he commands our respect even as Brutus forfeits it. Cassius's description of himself "I am a soldier, I" (30) brings Brutus to employ childish abuse and trivial insult, suggesting envy of the theorist for the practical man of action and revealing Brutus, near the end of his tether, descending to a new low level. This is Brutus's nadir, marked by Cassius's amazement at 1.50, when he responds to Brutus's attack with "Is it come to this ?" When Cassius later offers his naked breast to Brutus's dagger and tells him to "Strike, as thou dids't at Caesar" (104) Brutus recovers himself. Cassius generously attri-

butes his fellow's uncharacteristic behaviour to his recent bereavement though the fatalistic manner in which he comments on Portia's death to Messala who announces it at 1.188 separates his public from his private image.

After this, the play comes to concentrate more and more on Brutus's inevitable progress towards death. His fatalistic speech is self-justifying:

There is a tide in the affairs of men,
Which, taken at the flood, leads on to fortune:
Omitted, all the voyage of their life
Is bound in shallows and in miseries.

(IV,iii,217-20)

sentiments which reject the comfortable Senecan Stoicism, that untragic view of life which encouraged resignation to whatever the gods happened to put in a man's way -- good fortune or bad. At this point Brutus shows his tragic dimension -- rather late in the play it is true and with no heroic potential. Brutus is not a "hero" in the sense that Macbeth, with whom he may be directly compared, shows himself in every way to be. He keeps up a front, remains proud, defiant, prepared for the worst and open to whatever is in store:

O, that a man might know
The end of this day's business ere it come!
But it sufficeth that the day will end,
And then the end is known.

(V,i,123-6)

When he hears of Cassius's death he calls him and Titinius "the last of all the Romans", elevating them to a high place in his own estimation and immediately addressing himself to the next battle, the result of which he leaves to Fortune (*ibid.* iii. 110). In sc. V he has given up hope; he tells Volumnius:

The ghost of Caesar hath appear'd to me
Two several times by night: at Sardis once,
And this last night, here in Philippi fields,
I know my hour is come....

(18-21)

and, in response to Volumnius's reassurances:

Our enemies have beat us to the pit.
It is more worthy to leap in ourselves
Than tarry till they push us.

(23-5)

His suicide, Roman-fashion, by running on his sword, is Brutus's dignified exit from his own idealistic world, prefaced by his own idealistic observations:

My heart doth joy that yet in all my life
I found no man but he was true to me.
I shall have glory by this losing day
More than Octavius and Mark Antony
By this vile conquest shall attain unto.

(34-8)

Strato refers to his master as free from bondage and as self-conquered:

...Brutus only overcame himself
And no man else hath honour by his death,

(56-7)

a statement consistent with Brutus 's description of the enemy's victory as "vile", showing that he still considered Caesar's death to have been necessary in order to preserve freedom, now to be destroyed by the new regime. Antony has the last word and separates Brutus from the other conspirators:

This was the noblest Roman of them all.
All the conspirators save only he
Did that they did in envy of great Caesar;
He only, in a general honest thought
And common good to all, made one of them.
His life was gentle, and the elements
So mix'd in him, that Nature might stand up
And say to all the world, "This was a man"!

(68-75)

and Octavius orders him to be buried like a soldier "honourably" (79) as befits his virtue.

Antony's statement is apparently magnanimous. Shakespeare based it on Plutarch but, in terms of the play, it may be read as somewhat disingenuous, since Brutus is not a wholly admirable character, and

Antony's earlier estimate of this self-appointed chief conspirator has already reduced him for it is obvious that after the assassination Antony never thought Brutus truly "honourable". Nor is it true that "all conspirators save only he" were motivated by envy of their proposed victim. Casca falls into that category but Cassius is a hater who according to Plutarch "even from his cradle could not abide any manner of tyrants" and in the play his envy is subordinate to his hate, as is Iago's.

Octavius's "according to his virtue let us use him" may be compared to the Octavius of **Antony and Cleopatra** tidying up loose ends at the end of that play. "His virtue", in Octavius's view, is that of the soldier, which Brutus himself would have acknowledged. In Octavius's eyes, this is a quality for which he can be forgiven -- witness his testimonial to Lepidus, whom Antony calls a "slight unmeritable man" (IV,i,12).

Shakespeare's creation of Brutus endows him with the upright virtues and with the vanity that goes with them in such a character. His tragedy is that of a rebellious man, a repetition of the myth of the Fall, in which Adam and Eve's rejection of tyrannical commands led to banishment from paradise. Brutus too is betrayed by Cassius's flattery, in I,ii, into thinking that his own logic and judgement are infallible and his rationalization in II, i, 10ff marks him with the stigma of pride, the first of the Deadly Sins.

NOTES

All quotations and textual references to **Julius Caesar** relate to the Arden edition, ed. T.S. Dorsch (London 1955: edn 1965).

1. Strongly emphasised by Richard Hooker in **The Laws of Ecclesiastical Polity** (1594-7). Hooker stated that the Law of Nature required "some kind of regiment" (**op. cit.**, I,x) if the collapse of government were to be avoided. **Troilus and Cressida,** I,iii, contains Ulysses' famous speech on "degree" (rank, order of precedence) which reflects contemporary, conservative opinion. It was accepted by humanists that failure to establish the support of the divine order produced disorder arising out of the loss of man's free will. See the chapter "Degree, High and Base" in B.L. Joseph, **Shakespeare's Eden** (London 1971). Shakespeare's Richard II maintains the order in practice although his own sanction is limited and temporary because not absolute. (cf. M.M. Reese, **The Lease of Majesty** (London 1961), viii & passim.

2. Plutarch's historical Brutus is kept apart from the atmosphere of moral turpitude that surrounds the other conspirators. Shakespeare did not have Plutarch's perspective but the Renaissance tradition of Christian humanism in which he worked influenced him to seek a balanced assessment and probe his subject's complex motives in terms of coherent human experience. Brutus as a "tragic figure" draws far less sympathy from modern critics who are more inclined to concentrate on the inevitable irony which his dilemma involves. (cf. J. L. Simmons, **Shakespeare's Pagan World: the Roman Tragedies** (Virginia University Press 1973, 66).

3. **Assassinate** - to kill by treacherous violence (1618), a word derived from the Arabic for a hashish-eater and applied to the Ismaeli sectarians. First recorded 1259 (cf. **Macbeth,** I, vii, 2 and see **OED).**

4. **Lives** of Caesar, Brutus and Mark Antony (Plutarch's **Lives of the Noble Grecians and Romans,** trans. Sir Thomas North (1579)).

5. In England traceable more directly to St. Thomas Aquinas and shown in the writings of all the English reformers from Langland to Tyndale.

6. e.g. Skelton's **Magnyfycence** (1516), wherein Cloaked Collusion is one of the four tempters who cause the central character to fall from prosperity to adversity.

7. c.f. **Twelfth Night,** II,ii, 30-1; **Hamlet,** I, ii, 146.

8. cf. **Hamlet,** V, ii, 218-2), **King Lear,** V, ii, 9.11, **First Folio** (1623).

9. Henri Fluchère, **Shakespeare: dramaturge élisabéthain,** trans. Guy Hamilton (5th impression, London 1967) 206-7.

10. **op. cit.,** ed S.E. Lehmberg (Everyman's Library edn 1962), 178-9 (Book iii, vi).

11. Shakespeare knew Sir Thomas Elyot's **The Book Named the Governor,** Cato's biography of Cicero, Kyd's **Cornelia** and **Caesar's Revenges** and "university" plays such as North and Sackville's **Mirrour for Magistrates** (11.401-08). Relevant extracts are printed in G. Bullough, **Narrative and Dramatic Sources of Shakespeare** (8 vols, London and New York, 1957), V, 25;33-5). Plays about Caesar were not composed before Shakespeare's lifetime.

12. **ibid.,** 198 (Book III, xvi)

13. Though painful in the extreme, this scene is too often insensitively played as a knockabout comedy. It is fully reported in Plutarch.

14. **ed. cit.** 188 (Book III, x).

15 " Caesar", a proper noun used 211 times in the play, does not mean "emperor" as in Kaiser or Tsar, though these latter titles are derived from it. **Caesar**= Lat. **imperator** or military leader. It was a surname of the early Roman emperors which, after the reign of Hadrian in the 2nd century AD, became the title of the junior emperor as distinct from his senior colleague the Augustus. Octavian, Julius Caesar's adopted son, took the name Augustus after 44 BC, the year of his father's assassination. The name of Caesar is itself of Etruscan origin and thus of undetermined linguistic affiliation. Confusion as to its meaning is of long standing and may be traced back to a repeated error in translation first credited to Thomas Platter in the 18th century. "King" is in any case less powerful than "emperor". Shakespeare does not try to bring out a strong republicanism which indeed did not exist at that time. His scene is based on Plutarch.

16. Dorsch's edition (Appendix A) reprints the relevant passages of Plutarch where the assassination is described in detail. Bullough's **Narrative and Dramatic Sources of Shakespeare,** V also contains a reprint. Appian, **Civil Wars** II, 118-48 contains the fullest account of events after the murder. He states that only one of the wounds was mortal.

17. A phrase from Plutarch.

AN ANALYSIS OF TALCOTT PARSONS' MODERN SOCIAL THEORY APPLIED TO ORGANIZATIONS

By
Farouk El-Adly,

Who is Talcott Parsons ?

Talcott Parsons is Professor of Sociology at Harvard University. He has also served as visiting professor of Social Theory at the University of Cambridge (1953-54) and as a Fellow of the Centre for Advanced Study in the Behavioural Science (1957-58). He is a past president of the Eastern Sociology Society and of the American Sociological Association, a fellow of the American Academy of arts and Science and a member of the American Philosophical Society. His Publications include the Structure of Social Action (1937), Essays in The Sociological Theory (1949), a revised ed. (1955), Towards a General Theory of Action (with E.A. shils and Others, 1951), The Social System (1951), Economy and Society (with Smelser, 1956), and Structure and processes in Modern Societies (1960), social structure and personality (1964).

In the introduction to structure and Process in Modern Societies, Parsons observes that one of the most salient features of modern society is'....the prominence in it relatively large scale organization with specialized functions, what rather loosley tend to be called bureaucracies'. 3:2.

It is toward this recent and relaitively specific concern of Parsons, i.e., large scale organizations, that this paper will be directed. More specifically it will deal with one of Parsons initial statements of 'A Sociological Approach to a Theory of Organization.'3

The Parsonian intellectul heritage, with respect to organizational theory, has been notably influenced by the works of Max Weber. More reecently, Parsons' interests and writings on organization must pay tribute to the works of Elton Mayo, Roethelisberger and Dickson, the

very pervasive influence of Chester Barnard's work, The Functions of the Executive, and Herbert Simon's Administrative Behaviour.

In approaching a theory of organizations, Parsons sets forth three aims to be accomplished: 1) a balance between the 'formal analysis' of organizations represented in the work of Weber and Barnard, and the 'informal' organization approach which has been so characteristic of industrial sociology; 2) attempt to analyze the full range of formal organization on an extensive basis; and 3) to relate the study of social organization and analytically to his more general systems analysis.

What is organization but the connection of parts in and for a whole so that each part is at once an end and means.

If a thumbnail abstraction of Parson's systematic theory of social organization could be made the above would be likely a candidate. The adequacy of such a statement will be left to the reader's discretion at the end of the paper. With preliminaries behind, let us turn to a consideration of the Parsonian approach to a theory of organization.

Due to their widespread existance and similarity, Parsons maintains the study of bureaucracies should cut across disciplinary lines. He cogently observes that something is lost when political scientists study government organizations and educationists study educational organizations. He proposes the study of organizations as parts of what sociologists refer to as the social structure.

The Concept Of Organization. The distributing characteristic of an organization vis-a-vis other types of social systems is its primacy of orientation to the attainment of a specific goals. (3:13) For Parsons, "the attainment of a goal is defined as a relation between a system and the relevant parts of the external situation in which it acts or operates", (3:17).

'An organization is a system which, as the attainment of its goal, 'produces' and indentifiable something which can be utilized in some way by another system: that is, the output of the organization (e.g., a class of goods or service) is for some other systems, an input. (3:17) The recipient system or organization, in turn 'pays' for the products or services and in doing so according to some type of agreement or contract, fulfills the 'goal' of the initiating organization. That payment enables the initiating organization to maintain its rates of prodction, etc, "The exchange of output for input at the boundary defined by the attainment of the goal of an organization need not be the only important boundary-exchange of the organization as a system". (3:18) It is,

however, the most important one in terms of defining the primary characteristics of the organization.

The existence of a variety of organizations, noted above, is the result of the division of labour, i.e., specialized output of various organizations in response to the specialized "input" demands of other organizations maintains systemic equilibrium and continuity. Therefore, self-sufficient, primitive units in primitive societies do not have the well-delineated organizations to which Parsons refers. These preceeding statements describe the general external reference of organizations.

Internally, those processes which are most significantly related to the success failure of obtaining the specified goal of the organization are given top priority; e.g., decision-making processes in relation to utilization and mobilization of resources toward accomplishing the goal have top priority. "These mechanisms of mobilization constitute what we ordinarily think of as the development of power in a political sense." (3:19)

Just as output for the smaller organization is input for another organization or the total system, so the specified goal of a particular organization is, "from the point of view of the larger system of which it is a differentiated part or sub-system, a specialized or differentiated function", (3:19). For Parsons this is the primary link between the organization and the larger system of which it is a part and it also provides a basis for the classification of types of organizations. (3:19) From this relatiosnhip Parsons takes the step of departure to consider the organization as a social system. As the systemic approach is familiar to the reader it is worthy of note in passing to repeat that for Parsons this requires that: the organization is treated as a system with essential systemic properties: a functionally differentiated sub-system of a larger system with concomitant systemic goals; and, is characterized by the type of situation in which it operates, including the relationship to the other specialized sub-systems of the larger system, i.e., society, of which it is part.

Organizations can be analyzed from two points of view: "cultural-institutional" or "group" or "role". The latter approach "takes suborganizations and the roles of individuals participating in the functioning of the organization as the point of departure." (3:20) Parsons discusses organizations within both frameworks but concentrates on the former approach. Therein such an analysis must include an outline of the system of values which define the organizations' functions and the

"main institutional patterns which spell out these values in the more concrete functional context of goal-attainment itself, adaptation to the organizations" situations, and integration of the system." (3:20)

The Value System

The main analytical point of reference is the value system. It defines the basic orientation of the system to the situation in which it operates as well as regulating and guiding the behaviour of the individuals involved. In reference to the Parsonian conceptualization of an organization, the value system, in turn is a sub-value system of the larger value system orientation of the overall or superordinate system. Therefore, the organizational value system must basically accept and conform to the general value orientation of the superordinate system.

The most important aspect of the organizational value system... is the evaluative legitimation of its place or "role" in the superordinate system. (3:20) Certain justification for its goals and role must be explicitly stated in relationship to the goals and values of the superordinate system. Also, due to the fact that organizations are defined by primacy of a specific goal, this primary must be justified over and above other goals and values of the constituent members of the organization. For example, in a business firm in American society the predominant value is 'economic rationality' and therefore, "devotion of the organization (and hence the resources it controls) to production is legitimized as is the maintainance of the primacy of this goals over other functional interest which may arise the organization.' (31:21) This is what Barnard calls "organization purpose.")

It is important to distinguish primacy of goals here. Parsons notice out that monetary return and profit making are primary measures of a successful business organization in American society and thus are part of the values and goal structure of that organization. They are not, or rather cannot be, the primary goal of the business due to the fact that profit-making, per se, is not a function for an out-put which is in behalf of the society as a system.

ADAPTIVE MECHANISMS: The Mobilization Of Fluid Resources. All organizations utilize that factors of production of economic theory, i.e., land, labour, capital, and (organization). The first, land, does not warrant comparable extended treatment with the latter three. Most organizations, as established on going concerns, have control of or ownership of land, physical plant facilities, etc.

The two most fluid factors in an economic sense are labour and capital. Most personal service must be contracted for, via the labour market, between the management of the incumbent of the service position. It is a matter of contractual vis-a-vis as-descriptive relationship. There are many types of contracting arrangements but the labour market never approaches the 'perfect market' relationship due to the services rendered - remuneration' relationship. The relationship varies with the type of management organization and services rendered. 'Here the essential point is that which the differentiation of functionally specified organizations from the matrix of diffuse social groupings such organizations become increasingly dependent on explicit contracts of employment for their human services. (3:24)

Parsons differentiates between the manufacturing industry and personal services relationship along the dimension of customer contract. In the former the organization product need never meet the customer unless it is through a representative. Where the product is a personal service the customer-producer relationship is different as neither party belongs to an organization. He lists three ways in which the better type can be organized: 1) where the doctor and patient constitute a small, solidary collectivity of their own and a sliding scale is the basis for remuneration; 2) Where the customer pays on a strict value of-service basis and the price is determined by commercial competition, e.g., barbering, 3) Where the recipient member becomes an operative member of the service organization, e.g., school, university, hospital.

Capital resources for most organizations are met by means of financing. Adequate financing is thus always a vital problem for all organizations from churches to industries. The means obtaining finances are variable. Most are based on the returns received for providing either a commodity or a service. This also varies, e.g., business firms hope that sales will eventually finance operations but this is usually only in the long run. Therefore, investment of capital is an extremely important mechanism in our society.

Two other important finance mechanisms are taxation and voluntary contributions. Organizations may be financed by these if a service is important and needed but a private enterprise cannot handle it on a large scale basis and make it a paying proposition. Likewise, if services by private enterprise might jeopardize public freedom or interest, taxation may finance government operation of that service. An example of the former is medical services for lower income groups; for the latter, a public rather privately contracted air force or army. The finance

mechanism of the American Red Cross is based on voluntary contributions.

Financing of organizations usually has a 'public interest' and thereby involves political power. Parsons notes that because the organization is a goal directed social system, 'every subgoal within the society must to some degree be integrated with the goal structure of the society as a whole and it is with this social goal-structure that political institutions are above all concerned.' (3:26-27).

The Concept of "Organization"

The fourth resource, "organization" is a term adopted from Alfred Marshall. In this manner it 'refers to the function of combining the factors of production in such ways as to facilities the effective attainment of the organization's goal.. it concerns readjustment in the patterns of organization itself..significant in long range perspective, and it is involved in processes of structural change in the organization". (3:27) This is what Schumpeter refers to as "enterpreneurship" in business organizations although for Parsons it is an essential factor in all organizational functioning. It plays a central part in the founding of any organization as well as on-going change, adjustment, etc. Significant change in the organization demands the "input" of this factor.

The Operative Code: Mechanisms of Implementation

One of the most demanding problems of the external relations of an organizaion is the mobilization of its fluid resources in order to maximise the goal attainment process. Parsons delineates two facts of this process: 1) "..the set of relations to the external situation centering around the "disposal" of the "products" of the organization's activities." (3:28) This is referred to as marketing in the business world but, again in the Parsonian framework, involves the distribution of products whether they are sold or not : e.g., products of military organizations move through the executive and legislative branches of the government and then to the public and yet these products are not "sold" to the public. 2) "..The internal mechanisms of the mobilization of resources for the implication of the goal." (3:29) Both of the above facts are governed by the "operative code" of the organization. This code is based on the organizational value system in respect to the "claims of the organization to the resources it needs and hence the settlement of the terms on which they would be available to it." (3:29) Consequently,

carrying these out requires authorizaton and decision making. Parsons discusses three different types of decision making; policy, allocative, and coordinative decisions, (Barnard refers to the first two decisions as related to the problem of "effectiveness" and to the last as a problem of "efficiency").

Policy Decision

This is the most important set of decisions concerning how to obtain the desired goal. These decisions commit the Organization as a whole to the primary functions of goal attainment. They invlove decisions in relation to: 1) the nature and quality standards of the product, 2) changes in operations, 3) realitionshp between product and consumer, and 4) "organization wide problems of internal operation." (3:30) There are different levels of policy decision, e.g., to form or to liquidate, to merge, to change, prducts or operations, etc. The order of importance is directly related to the time span of significance to the organization: e.g., long range planning involves serious consideration and commitment and thus is made at the top echelon. "An important task for the theory of organization is a systematic classification of the levels of generality of decision." (3:30)

Because policy decisions commit an organization as a whole they involves a serious degree of responsibility. Therefore, authorization is extremely important in policy making and is significant interrelated with the value system and the question of legitimacy. It is not only a question of what the decisions are, but more so of "right" to make them. Due to their complexity, policy decisions may be allocated in a hierarchy of responsibility with a board of directors at the top succeeded by a management level, production level and distribution level, etc.

Allocative Decisions

These concern implementations and decisions regarding the utilization of available resources. Whereas the acquisition of resources and personnel are policy decision, utilization of those resources requires decision by "..Some allocative organization by which resources are distributed within the organization and responsibility for their utilization in the various necessary operative tasks is assigned" (3:32). There are two aspects to this delegation of authority: 1) personnel - the allocation of responsibility, i.e., Barnards "decision of who should decide". "Allocation of responsibility is definition of the functions of humanly organised subsystems of personnel." (3:33): and 2) financial distribution of fluid resources for the acquisition of physical facilities and

personnel. "Budget allocation is giving these suborganization access to the necessary means of carrying out their assignment." (3:33).

Coordinative Decisions

These are operative decisions concerned with the integration of the organization as a system. Money and other physical resources do not have to be motivated towards performance in order to achieve adequate performance for realization of organizational goals, personnel. However, do have to be so "motivated" "what is coordination from the point of view of the operation of the organization is "cooperation" from the point of view of the personnel." (3:34) Management must be aware and be able to control the consequences of the power of labour in a free labour market by coordinating the labour force focus on organization goals. Three ways of accomplishing this task include; coercion by means of penalies, inducement through rewards, and therapy.

Integrative Measures: Institutional Factors in the Structure of Organization's

Under this general rubric Parsons delas with "...the mechanism by which the organization is integrated with as distinguished from "adapted to" other organization and other types collectivity in the total social system." (3:35).

The problem is not one of pragmatic instrumentality but rather concerns "the institutional patters under which the organization operates with those of other organizations and social units, as related to the integrative exigencies of the society as a whole (or of subsystems wider than the organization in question.)" (3:36) For example, do all firms in a similar industry fire and hire on the same basis if one firm intitiates a certain criteria or process with all the others be allowed to follow suit or will there be on-going conflict).

The salient integrative problems has to do with personnel and their commitment to organizational policy. Most individuals have multiple value commitments and role positions. Thus it is necessary to learn the loyalties of organization personnel, the bases of those loyalties, and the relationship of same loyalties to the larger specturm of loyalties and role expectations. Again Parsons emphasizes the relationship of values to these loyalties and notes values other than those of the organization are involved, i.e., those of a higher level value system. (Note: the exceptional case where a totalitarian state enforces the calim to absolute loyality).

Parsons lists three primary complexes of integrative rules which are hierarchically arranged in a similar manner as the preceding decision types.

This is the main integrative institution in achievement oriented societes. For organizations this involves the contract of employment which includes explicit terms and implicit understanding, i.e., Durkheim's "non-contractual elements." I questioned or dubious performance in relation to expected obligations occurs, the problem of loyalty rises. The conflict of loyalties may involve the individual's values or his other role obligations, i.e. family commitments. These conflicts are in part regulated by the contractual agreement. In order to regulate conflict via patterns which are applicable to and cognizant of the organization in question as well as the other role complexes of the individual involved, the contractual agreement cannot be defined in terms of the prerogative of one organization. Parsons observes; "clearly on the inter - organization level these contractual patterns cannot be left to the discretion of a particular organization but must be institutionalized on a wider basis." (3:38).

Institutionalization of Authority

This is quite similar, as an organizational function making on the inter-organizational level. "The institutionalization of authority defines, on a basis broader than of the rules and practices of the organization itself, the ways and their limits in which any given actor, individual or collective can in a given status in the organization bind others by his decisions and, conversely, the ways and limits in which his action can be bound by the decision of others (3:39) For example, in a free-contract oriented society, the individual can quit if organization pressure are too demanding. This serves as a balance of power against the authority of the organization. This right is obviously limited in military organizations. Landsberger suggests that it is limited where the labour market is over-crowded i.e., where a surplus of labour exists. (1)

The above two insitutions, "contract" and "institutionalization of authority", (a... define the obligations specific to the role in the particular organization which come into force only so far as the incumbent accepts a relation to the organization." (3:40)

Universalistic Definitions of Conduct

This third set of rules or norms is universally defined for all sectors of society. These definitions include; prohibitions of outright fraud the use of force in human relations, and personal freedom. A person is

prohibited, regardless of the voluntary nature of a contract, to sell himself into slaver. "The essential point here is that the conduct of the affairs of an organization must in general conform with the norms of 'good conduct' as recognized and institutionalized in the society... no one may legitimately contract to violate these norms, nor may authority be used to coerce people into their violation." (3:40-41)

The Problem of Power

Organizations in our complex, heterogeneous society have become the principle mechanism "to achieve goals beyond the reach of the individual and under conditions which provide a relative maximization of effectiveness." (3:41) The salient feature of organization".. is the mobilization of power for the attainment of the goals of the organization." (3:41) While values legitimize the goals, they can only led affectivity realized through the utilization of power.

Power, then, is the generalized capacity to mobilize resources in the interest of attainment of a system goal. Its creation and use are functional requirements and it is caught up in a special set of mechanisms. These mechanisms, as sub-systematic components of a society, form what Parsons calls the 'ploity', or the system oriented to the generation and allocation of power.

"Power exercised in and by an organization is generated both outside and within the organization, Every organization...is part of the polity and a generator of power, but is also recipient of the power generated at higher echelons in the polity". (3:42) The generation of power at any level is cntingent on four fundamental pre-requisties 1) '..the institutionalization of a value system which legitimizes both the goal of the organization and the principal patterns by which it functions in the attainment of that goal'. (8:45) This condition is usually operationalized through the privilege and practice of incorporation and thus links the government with the legal system in a positive manner. 2... the regulation of the organizations procurement and decision-making processes through adherence to universalistic rules and to such institutions as authotirty and contract." (3:43) This is expedited via the legal regulations on organization practices and the organization's own informal reqtation of ethical integrity. 3) "... the command of the more detailed and day-to-day support of the persons whose cooperation is needed." (3:43) 4) "... the command of necessary facilities e.g. finances. Conditions three and four are expedited by "...the operative mechanisms of procurement of resources and the operative code previously described." (3:43)

Although the central operative focus of organizations is the acquisition and allocation of power, organizations, as social systems are dependently interrelated to other systemic requirements, e.g., value orientation, economic resources (financing) and the 'command of loyalties' or efficiency. Power directs these exigencies but their availability is even more contingent upon the inter-play of organizational activities with the millieu in which it operates and functions, e.g., the production and marketing of a product and the informal organization of personnel loyalties in relation to the situation, form quite essential conditions for the function of the organization.

Therefore, Parsons' scheme follows the following formal symmetry:

The value system of the organization is treated as defining and legitimizing its goal. Each of the other three aspects, the adaptive mechanisms and those mechanisms of operative goal - attainment and the integration of the organization, is regulated by sub-values governing each of these three aspects of organizational functioning. Each primary type of resource input is regulated by a type of contractual pattern, e.g., employment and investment. Each part of the operative code is governed in turn by an aspect of authority, and finally each context of institutionalization is a way of defining, for those participating, the extent of "loyalty" owing to the organization as compared with other commitments. (3:44)

Classification of Types of Organization

Parsons classifies organizations in relation to the type of goal or function they seek and/or serve in relation to society as a system. Thus he uses the functional types of a social system; adaptive, implementive, integrative and pattern, maintenance goals.

Organizations Oriented to Economic Production

Production here means "adding value to the system". All organizations contribute something. But, in the sense above, Parsons is referring to the primary of economic production.

Organization Related to Political Goals

Those organization which are oriented toward the realization of value goals and the development and distribution of power within a society. This would always include the government but also would include, in our society, banking system (credit power) and the corporate aspect of normal organization (as considered in its political aspect) (2), (3).

Integrative Organizations

These contribute to efficiency not effectiveness. They work toward the adjustment of conflicts and towards motivating the actualization of institutionalized expectations, e.g., the courts, the legal profession, political parties, interest groups, etc. Parsons also includes herein those organizations directed toward social conrol in a more limited sense; e.g., hospitals, which he classifies as primarilly integrative. (2), (3).

Pattern Maintenance Organizations

These organizations fulfill cultural educational and expressive functions. Churches, schools, research organizations, the arts, and in many respects the nuclear family. (2), (3).

These classifications can be further broken down into subcategories, e.g., economic organization can be broken down by specialization: adaptive function; e.g., financing, and goal attainment; e.g., prodcution and marketing. In all cases, "a primary determinant of the type of organization is the kind of boundary - interchange operating between the social system in which the organization is primarilly anchored and the contiguous subsystem." (3:36).

Bibliography

1. Landsberger, Henry A. (Parsons Theory of organizations", in Max black (ed.) The social Theories of Talcott Parsons, Prentice - Hall, 1961, pp. 214-249.

2. Loomis, C.P., and Zona K. Modern social Theories, Van Nostrand, 1961, pp. 327-441.

3. Parsons, Talcott. Structure and Process in Modern Societies, Free Press, 1960.

4. Whyte, William Foote. "Parsons Theory Applied to Organizations." in Max Balck (ed.) Theories of Talcott Parsons, pp. 250-267.

THE COSMOLOGY OF H. P. LOVECRAFT*

by
Marcia G. Kutrieh

In addition to treatment of matters of existence on conscious and unconscious levels, H.P. Lovecraft presents in his short novels and stories an imaginative interpretation of unseen phenomena and the total cosmic universe which his fictional characters view primarily through dreams. Through this approach, Lovecraft creates his own special brand of literature, neither weird nor scientific but rather cosmic in nature, an occult fantasy of sorts. The manner in which Lovecraft manifests his expanded cosmic order throughout his work has proved to be a fascinating study.

In abstract terms, Lovecraft describes the state of harmony which encompasses his total cosmology as "an All-in-One and One-in-All" of limitless being and self, not merely a state of one time-space continuum, but one allied to the ultimate animating essence of existence's whole unbounded sweep. This last utter sweep has no confines and it outreaches fancy and mathematics alike ("Through the Gates of the Silver Key," 1939; p. 193).[1] Yet, for Lovecraft, even this description provides a concept which is still only a fraction of the wholeness of this state of being. One may conceive infinity in the vast number of dimensions which this state holds. Time is motionless and without beginning or end but the axiom that time has motion and is the cause of change is for this author an illusion.

In fact time is itself an illusion, for except to the narrow sight of beings moving in limited dimensions, there is no past, present or future. Men think of time only because of what they call change, yet that too is an illusion, says Lovecraft. All that was, and is, and is to be, exists simultaneously ("Through the Gates of the Silver Key," 1939; p. 198). Consequently, all descended lines of beings in the finite dimensions and all stages of growth in each being are merely manifestations of what Lovecraft sees as "one archetypal and eternal being in the space outside dimensions." Thus each local being -- son, father, grandfather -- and each stage of being -- child, boy, man -- is merely one of the infinite phases of that same archetypal and eternal being. The changes in the local beings are caused by a variation in the angle of a type of consciousness-plane which cuts the phase. Each person and his

ancestors become part of an ultimate eternal self: phantom-type projections differentiated by the angle of plane of consciousness which cuts or slices the eternal archetype. Thus, a change of angle could turn the student of today into the child of yesterday. And these projections are not restrained to one consciousness-type. Perhaps the archetype has at one time had a four-dimensional consciousness, for example. If life and the brain become some sort of energy or energy level, then asks Lovecraft, why restrict thought to essentially mythological and poetical images that are in essence a product of allegory and what Lovecraft terms absolute metaphysics? Perhaps, suggests Lovecraft, the most rational and God-like of all beings is an invisible gas (Letter of August 8, 1916; p. 24).[2] In fact, if energy is being then all energy could possess consciousness.

Consequently, in this state of harmony, should a person choose to enter by whatever means possible, he can be automatically carried to a time eons ago when he was the same spirit, or to a time far in the future. He will then, in his transfers, be in the mainstream of the universe. This transfer permeates nearly all of Lovecraft's work. In **The Case of Charles Dexter Ward**, for example, the main character apparently achieves the spirit of an ancestor through the use of black magic and the strange mystical writings and rites within the **Necronomicon** and other books. In "The Shadow Out of Time," and "The Whisperer in Darkness," men also experiment in travelling into the All-in-One state. In "The Shadow Out of Time," for example, the main character becomes aware that he has had other "identities." In the course of the story he sets out to discern the whereabouts of his true self during the years that another consciousness had held his body. Through his dreams and nightmares he discovers that the other entities had demonstrated the same preoccupations he had for knowledge in science, history, art and anthropology . As his dreams progress, he finds visions of stone corridors and visions from great round windows that view long, barren stretches of land. Finally, through these visions, the main character finds the cult of the Great Ones. He manages to eradicate memories so as to be carried back to the time of the first encounter with these beings. Through his dreams, and the great freedom of wandering, he sees the horror beyond the "mountains of madness:" those entities with consciousness that consist of gas or strange figures and proportions. In the "disembodied" state of consciousness which left him free to wander, the character begins to resent the ordinary confines of movement. He submerses his waking state and enters dreams and fears which wend in and out of Lovecraft's writing.

In considering the All-in-One state and the characters who drift in and out of the state, it is important to each character that he knows how to go about this strange movement. It is necessary, for example, that the characters are able to return from the state. Here is a good example of the duality of Lovecraft's actuality and essence. Within what is envisioned in the dreams is a state of being that is "seen" only because the mind chooses to record some sort of sensory data on the brain. What is seen may be seen because the mind chooses to do so, or what is seen does exist outside the brain and must be interpreted within the experiences, brain waves or whatever constitutes thought. Thus one may become lost in nightmares, crawling to climb out of the abysses of sleep into waking reality, **or** one may actually encounter "outside" forces within the state. Either way, one must know **how** to return. Charles Dexter Ward is constantly being warned not to bring up something he cannot put down and in the story of the silver key, the user is not to handle the key unless he has all the answers.

This return may be interpreted differently. As one enters the state, he is in a timeless, dimension-ful existence. Thus perhaps he must know how to regain the essence of the mind's existence, or thought patterns, in the time-space continuum. But he is also in a state where he can find the projections of all the archetypal patterns cut merely by differences in consciousness. Thus this state may be one which cannot be held by the body that houses the mind -- in other words, the man may find he is locked within his dreams because when he returns to waking he has exceeded the time-space limitations and need no longer cope with them. Or, he may be unable to fit the dregs of the dream-consciousness into waking. Either way, he may go "mad." Perhaps from choice many of Lovecraft's characters find themselves in a state of madness for one or other of these reasons: either from the dissatisfaction with the waking or the inability to return from the dream-reality.

There are several examples of the strange consequences and states of movement in and out of the dream state. In "The Horror in Clay," the principal character states he will never again sleep calmly thinking of the horrors that lurk ceaselessly behind life in time and space that are inherent in his dreams or nightmares ("The Horror in Clay," 1927; p. 28). This is only one mild consequence. In **The Lurker in the Threshold,** the writer comes in contact with the same evil that had destroyed his cousin. As he attempts to discern the evil, he feels the force as a tangible power infiltrating the nethermost chasms of the soul with loathsomeness ("Manuscript of Stephen Bates," 1945; p. 73). The oppression and fear within the mind of the character become a tangible

net of evil which encircles his "dwelling." Consequently, his struggle comes up against something invisible which in his perception had twice the force of a physical opponent ("Manuscript of Stephen Bates," 1945; p. 73). Most significant, because of Lovecraft's view of dreams, the character fears this evil most of all in sleep.

In the "Manuscript of Stephen Bates," Lovecraft presents the theory of psychic residue, or the lingering of evil in places where evil flourished. In this view, the evil of the cousin from **The Lurker at the Threshold** could have manifested itself to enter the soul of the other man. Here, in a form termed "evil," is the energy Lovecraft describes which has consciousness. The view of good and evil will be discussed later. The significant view here is that not only does the energy enter the soul of the character through dreams, and becomè a reality, but the character is dealing with some apparently external force from within.

Within "The Dreams in the Witch-House" from **At the Mountains of Madness,** the subject of probes into the Einsteinian space-time continuum is brought up. Lovecraft shows that a step from earth to any other celestial body, including transatlantic gulfs, would involve two stages. First, there would be a passage out of the three-dimensional sphere we know: and, second, passage back into the same sphere but at another point, perhaps of infinite remoteness. The secret of this motion, derived in close and thorough analysis, in brief consists of a mutation from dimension to dimension. The knowledge of this mutation would come from a human or pre-human consciousness whose knowledge of the cosmos is greater than our own.

The consciousness of this human or pre-human creation manifests itself in various ways throughout Lovecraft's writing. One of the ways in which one can be certain of the existence of this consciousness is through an acceleration of sound that leaves no doubt as to its existence. The sound carries with it a monstrous burst of rhythm that contains such a cosmic timbre one is certain, says Lovecraft, that it concentrates all the primal space-time seethings behind the spheres of matter which we know. These rhythms sometimes break forth in reverberations that penetrate to every layer of entity of which we are aware. And, these sounds give significance and meaning to consciousness beyond that of waking man. One particularly good example of the manifestation of this sound is to be found in "The Dreams in the Witch-House," from **At the Mountains of Madness.**

The external phenomena usually coincide with the facts of movement in and out of the state of harmony. When Billington, the principal

character in "The Narrative of Winfield Phillips," goes into his circle of stones, and opens the "door" to his travels, his body always disappears. Weeks or months later, according to the tale, he reappears under strange, but repetitive conditions. Upon his return he is apparently possessed by some strange influence gathered in the course of his dreams ("Narrative of Winfield Phillips," 1945; p. 145).

Through his letters Lovecraft reflects the same thoughts that are within his fiction. He states that he has travelled to strange places which are not upon the earth or any known planet. Rather, says Lovecraft, these worlds are beyond the "rim of Space" which no man has seen in waking (Letter of May 21, 1920; p. 115). These worlds, in the description Lovecraft gives, are not round or of any shape, but rather **alive.** As discussed earlier, Lovecraft believes harmony to be found in merging with dreams and illusions. He does not stop, though, with this concept. He states that nightmares are the punishment meted out to the soul for sins committed in previous incarnations, perhaps millions of years ago (Letter of November 8, 1917; p. 51).

Lovecraft's aspirations exceed the desire for oblivion; he also wishes to become as he was in the eternity before he was born (Letter of June 1, 1921; p. 134). These feelings are throughout his letters and reflect his desire to travel into the timeless dimension-filled existence beyond consciousness.

As Lovecraft looks with his readers and his characters through the round rose-coloured windows, he discerns the abstract notion of a state of being, and also the various manifestations of energy. He reflects that the view to be seen may be splendid or it may be horrible. Within these splendid and horrible views, Lovecraft often has given names, illustrations and feelings emanating from the manifestations inherent in his visions. In creating his visions, then, Lovecraft has established the Cthylu legends, one of the best-known and most popular of his imaginative creations. This basic mythic pattern gives concrete manifestations to the reader, provides a pantheon of gods, various creatures and some basic explanations for his various phenomena.

Lovecraft gave the Cthylu Mythos substance, form, and meaning, but he did not invent the basic premise. Lovecraft says that he gleaned the idea of the artificial pantheon and myth background from Lord Dunsany (Letter of July 30, 1923; p. 243).

Yet, none of the major Lovecraftian deities exists in Dunsany's writing. August Derleth believes the roots for the Cthulhu Mythos are four in number: Poe's **Narrative of A. Gordon Pym,** the "Yellow Sign"

in **The King in Yellow** by Robert W. Chambers, Ambrose Bierce's **An Inhabitant of Carcosa** and Arthur Machen's **The White People.**[3]

One of the earlier published tales, "The Nameless City," written in January, 1921, and published sometime later mentions the mad Arab, Abdul Alhazred ("The Doom that Came to Sarnath," 1920; p. 121). The "Call of Cthulhu" seems to have been the real beginning of the Mythos, published February, 1928, in **Weird Tales.** The primary stories in the Cthulhu Mythos are "The Nameless City," "The Call of Cthulhu," "The Colour out of Space," "The Dunwich Horror," "The Whisperer in Darkness," "The Dreams in the Witch-House," "The Haunter in the Dark," "The Shadow Over Innsmouth," "The Shadow out of Time," "At the Mountains of Madness," "The Festival," "Lurker at the Threshold," "The Thing at the Doorstep," and **The Case of Charles Dexter Ward.** The primary Dunsany-type stories are "The Statement of Randolph Carter," "The Silver Key," "Through the Gates of the Silver Key," although the dream fantasies permeate many of Lovecraft's stories including **The Case of Charles Dexter Ward** and "At the Mountains of Madness."

The myth, first of all, provides a pattern of good and evil. Logically, within a total state, if one sees the illusion of good, one must also see the illusion of evil. Evil and good for the most part are dependent on the definitions attached to actions. Every event in the cosmos, says Lovecraft, is caused by the action of antecedent and circumjacent-type forces, so that whatever we do is unconsciously the inevitable product of Nature rather than of our own volition (Letter of June 1, 1921; p. 132). Morality, then, or more precisely decisions concerning good and evil, is the adjustment of matter to its environment, or the natural arrangement of molecules, and cannot be considered the essence of any sort or religion, however religion may be defined (Letter of May 15, 1918; p. 64). Yet some of Lovecraft's created mythological gods are reminiscent of popular myths. For example, in **The Dream-Quest of Unknown Kadath,** the character Carter sees his first image of a god, in the mind of Carter, surely fashioned and chiselled by the hands of a god. The god with long narrow eyes, and long-lobed ears and pointed chin all reflected a race not of men, but of gods ("Dream-Quest of Unknown Kadath," 1939; p. 39). Such an image gives the picture Christians usually give to the devil, connoting evil. Later, Carter finds that this god, Azathoth, is indeed an evil god.

At the top of the pantheon are the Other Gods (mentioned, for example, in **The Dream-Quest of Unknown Kadath).** These gods, representing the good or benign forces, are located somewhere in the

constellation of Orion ("Dream-Quest of Unknown Kadath," 1939; p. 9). The Other Ones very rarely come forth to enter in the affairs of men. The powers of evil are known as the Ancient Ones (mentioned in "Celephais," **The Dream-Quest of Unknown Kadath,** "Through the Gates of the Silver Key," "The Silver Key," and others). Some of these gods are named and appear in the stories. In general, the blind idiot god, Azathoth, described before, is described as "an amorphous blight of nethermost confusion, which bubbles and blasphemes at the center of all infinity ("The White Ship," 1939; p. 223). Yog-Sothoth, also briefly mentioned earlier, the manifestation of the "One-in-All and All-in-One," shares the dominion of Azathoth. Yog-Sothoth is not subject to laws of time and space, being co-existent with time and space. Nyarlathatop, the "horror of infinite shapes, and dread soul, and messenger of the Other Gods," ("Dream-Quest of Unknown Kadath," 1939; p. 128) represents an earth elemental; Great Cthulu dwelling in R'lyeh under the sea, represents a water elemental; Hastur, the Unspeakable, occupying the air and intersteller spaces, and half brother to Cthulhu, represents an air elemental ("In the Vault," 1932; p. 28).

Within his writing, Lovecraft has created an entire history of the pantheon to explain its existence. The Elder Gods, according to mythology, expelled the primal inhabitants of the earth and sealed them away in time and space, since they were not subject to laws of time and space and could move to other dimensions. These other primal beings, despite being expelled and sealed away, live on "outside" and frequently manifest themselves in attempts to regain control over the earth and the "inferior" beings who inhabit it. The beings are "inferior" presumably because of their subjection to the lesser laws (mostly of time, space, morality, perception and thought in general). One name given to the outside forces is the "Great Old Ones," described as such in the **Necronomicon.** The Great Old Ones, explains Abdul Alhazred, have correspondence to the elements of earth, water, fire and air. These elementals consist of their own media, over and above any interdependence. This existence renders them insensible to the effects of time and space and consequently an ever-present menace to people on earth.

Among the Great Old Ones, continues Abdul Alhazred, are certain inferior beings who are, nonetheless, in numerical superiority. Some are even subject to the laws governing mankind. One of these is Cthulhu who lies dead but dreaming in the unknown city of R'lyeh; some writers, claims Lovecraft's legends, place this city in Atlantis, others place R'lyeh off the coast of Massachusetts. Another lesser

Great Old One is Hastur (allegedly borrowed from the work of Robert W. Chambers, in **The King in Yellow).** Hastur is sometimes called "Him Who Is Not to be Named" and "Hastur the Unspeakable," who allegedly resides in Hali in the Hyades. Another is Shub-Niggurath, who is for Lovecraft a travesty on a god or goddess of fertility. Nyarlathotep remains the messenger of the gods throughout the stories. Nyarlathotep is often accompanied in his faceless manifestations by creatures described as idiot flute players. Such creatures perhaps could provide the sound for the external manifestations accompanying the gods.

The Old Ones were, the Old Ones are and someday the Old Ones shall be the last of the Masters of earth. They walk calm and primal and unseen to man. Yog-Sothoth, according to legend, knows the gate for he is the key and guardian as well as the gate itself. The All-in-One knows where the Old Ones broke through before and where they shall come again until the cycle is complete. Sometimes these gods can be smelled in Lovecraft's vision, sometimes they can be heard, and sometimes even seen. They wait patiently to rule the earth again. In returning to earth, the Old Ones will defy the Elder Gods and this time banish them and man as well. All these legends inherent in Lovecraft's writing were planned and executed. He himself stated that all his stories, unconnected as they might seem, are based on the fundamental lore and legend that this world was inhabited at one time by another race, who in practising Black Magic lost their foothold and were expelled, yet live on outside, ever-ready to take possession of the earth again (Letter of April 3, 1923; p. 209).

Besides the pantheon of gods which Lovecraft uses, he also presents various other supernatural creatures, or simply creatures of horror. Ghouls run through most of the stories. Werewolves are suggested in the end of **The Case of Charles Dexter Ward,** with hairy wolf-like creatures found in the caverns. Vampires are suggested in the "lean, lithe, leaping monsters with burning eyes which fastened its [sic] teeth in the throat or upper arm and feasted ravenously" **(The Case of Charles Dexter Ward,** 1941; p. 78). The strange Zoogs in **The Dream-Quest of Unknown Kadath,** eat cats. There are Gogs and Dholes in the **Dream-Quest,** as well as dozens of other supernatural creatures. Sometimes it is difficult to distinguish the supernatural creatures from the horrifying ones. Usually, though, the horrible beings live like the animals found on earth, dwelling in caves and eating other animals and humans to live. Usually the supernatural creatures are the gods, having more abstract qualities. Yog-Sothoth, a state as well as a

god, is a good example of this.

Place-names used in Lovecraft's fiction provide yet another manifestation of his mythology. Some names are mythical only, such as the Plateau of Lang. Some have actual existence, including Aldebaran and the Hyades. Others are villages corresponding to actual places: Arkham corresponds to Salem; Kingsport to Marblehead; Dunwich to the county around Wilbraham, Monson and Hampden. Often the place-names are based on relation to magic or concerns with magic from the past. Salem and Providence are often the scenes of characters seeking magic formulas or books dealing with magic. Characters also write frequently to towns associated with the supernatural -- Charles Dexter Ward, for example, has connections in Transylvania, the alleged home of Frankenstein (**The Case of Charles Dexter Ward,** 1941; p. 63). The use of Transylvania gives Lovecraft 's reader not only a sense of commonality to legends of horror, but also a sense of familiarity to the events Lovecraft describes. Charles Dexter Ward also writes to men in Salem who can provide him with secret formulas having to do with witchcraft (**The Case of Charles Dexter Ward,** 1941; p. 97). The creatures commonly associated with horror or with supernatural occurrences (involving ghouls and werewolves), and the settings for his stories both contribute to the stories in terms of explaining various phenomena. The very setting of Salem, for example, provides an explanation of where magic formulas could be derived. The use of ghouls hints at the disappearance of men who may have been eaten, and the connections with other legends, including that of Frankenstein, provide an explanation as to how Ward was able to obtain not only magical but all secret formulas.

Lovecraft's view of the cosmos, philosophicaly and imaginatively, brings up various questions and considerations closely tied to the implications of the work. First, the question of good and evil relates to his view of actuality and essence. If the mind defines and delineates, then evil is a reaction of that mind either intrinsically or to some outside stimulus. This in turn means that evil becomes a projection of each person -- something emanating from within to be projected on an "outside" actual-type consciousness existence. If this be true, then the reader of Lovecraft has to discover some way to correlate the actuality and essence. In one sense, the actuality becomes a projection of the essence, if one considers all manifestations as projections of one mind or imagination. Yet, at the same time, if the actuality exists independent of essence, then the mind becomes merely an interpreter; the actuality becomes the equivalent of essence in that essence can interpret and

shape actuality but not create it.

Lovecraft presents both these issues yet never seems to reach a choice. He shows energy as eternal essences shaped by differing consciousness. Yet he shows actuality as both a type of consciousness and something to be interpreted. He shows, for example, his pantheon of gods as beings for the most part controlled by some unexplained force while at the same time these gods are found in the thoughts and dreams of man and consequently shaped by the mind of the dreamer. It is difficult at first to correlate these ideas. One may consider various alternatives. If the actuality of the unknown is realized within the mind of the dreamer, then the dreamer **is** creating the scene and yet the scene is intrinsic and does stand alone. In other words, there has to be essence or energy or the mind could not shape it. In a sense, the dream becomes both: the projection that is created and yet exists apart in some energy form as a part of the whole (the total consciousness of the dreamer). This dream becomes individual for the dreamer. He can find his totality only within, only through his own imagination, with the single "external" view that reality or actuality of consciousness is shaped within and without. This reality is defined by the mind yet must exist without the mind to be defined. Thus, it becomes an external manifestation, perhaps good, perhaps evil, yet all part of a projection.

To be able to measure Lovecraft's own thought-progressions then becomes a matter of consistent or inconsistent development within thought. The Cthylu Mythos, for example, is very consistent in development. As it emerges from "The Call of Cthulhu" (1926) onward, the gods remain the same, as well as the images, descriptions and manifestations.

Consistency also involves the reader and his interpretation of the work and author. To assess the work critically, one must consider what the author's intended purpose is and how well he measures up to the purpose, as involving the reader. Lovecraft has established certain criteria as to what emotions he would like to see evoked, and some criteria as to how a reader can judge what he intended. First of all, each person must come to a complete awareness of the unknown and accept the fact that the usual response to the unknown is fear. Two things put a barrier in the way of the mind wishing to penetrate the unknown : material sophistication or the clinging to frequently-felt emotions and external events and the naively inspired idealism deprecating aesthetic motives and attempts to leap into the unknown. Both these barriers were discussed earlier. The important consideration is that the reader himself must come to these realizations before

attempting to probe Lovecraft 's work; the sensitive mind must sooner or later realize its short-sighted existence.

The response of fear must be accepted as a pre-requisite to probes into the unknown. Just as children will fear the dark, so the sensitive mind will feel some kindred emotion involving the black abysses of space and the unconscious. Out of this emotion, says Lovecraft, will grow "weird" literature, and even more exactly, cosmic literature. It is essential that the reader of Lovecraft be aware of the distinctions he makes in literary forms (**Supernatural Horror in Literature,** 1945; p. 15). Mere physical fear and gruesomeness are **not** what constitutes horror for Lovecraft. The true weird tale has more than secret murder, bloody bones or clanking chains. A certain atmosphere of breathless and unexplainable dread of outer, unknown forces must be present; there **must** be a hint of the most terrible conceptions of the human brain, moreover, there must be a suspension or defeat of the fixed laws of Nature which are man's only real safeguard against assaults of chaos and whatever forces may exist in space. The author must be judged also as to how well he achieves these aims.

Atmosphere by all rights must not dovetail the plot but rather create a given sensation. True supernatural-horror literature must, logically, leave some residue of lack of knowledge; if all the plot can be explained away by natural forces, then there is no cosmic literature. This statement is obviously somewhat irritating and incomplete; most readers desire a plot to be stated, unravelled and explained. Lovecraft makes it clear from the beginning that he will not do this. The judgment of the reader, consequently, must not rest with the author's intent alone nor with the mechanics of the plot but with the emotional level of the work. If the proper sensations are evoked, this must be admitted by the reader and added to his judgment on the merits of weird "supernatural" literature. The final test of the reader may be said to question whether or not the reader feels a profound sense of dread, or whether or not he achieves a subtle attitude of awed listening as if for scratchings of outside shapes and entities on the utmost rim of the universe and consciousness. In the final analysis, interpretation and judgment is left to the individual reader. What for one may be successful and prompt feelings of dread, for another may be excessively fantastic or unrealistic.

Lovecraft does, however, bring up questions that are significant if one is to understand one's own essence and form an estimate of man's place in the cosmic order. He shows that there is an unknown factor of the brain that, in his view, may be detected through dreams, visions or

other psychic manifestations. Whether or not one accepts his imaginative interpretations, he still presents an imaginative approach to both philosophic and real visions of what is to be seen beyond the wall of sleep. This approach imaginatively presents the supernormal vastness of the human mind.

*The fiction of H. P. Lovecraft (1890-1937), a twentieth-century Edgar Allan Poe, keeps gaining in popularity, being reissued constantly in new editions and adapted to the screen. Most of his work was published originally in **Weird Tales.** Ardently pro-British, he considered himself an "anglophile" and an eighteenth-century man. In this tradition he wrote voluminous letters. His interest in Egyptian, Hindu and Teutonic myths, astronomy, oriental art and poetry, his love of the unknown, and his preoccupation with dreams all permeate his work.

Notes

[1]All references to Lovecraft's stories or novels will be included in the text with original dates of publication and page numbers.

[2]August Derleth and Donald Wandrei, eds., **H. P. Lovecraft: Selected Letters** (Sauk City, Wisconsin, 1965). All references to the letters of Lovecraft are taken from this book unless otherwise noted. The dates of each letter and page numbers from this book will be incorporated into the text throughout the rest of the paper.

[3]August Derleth, **H. P. L.: A Memoir** (New York, 1945), p. 74.

Various of Lovecraft's characters shout "tekelili, Tekeli-li" in the "mirage" of **At the Mountains of Madness.** This is a reflection of the same words in Poe's **Narrative of A. Gordon Pym.**

"Carcosa" of Bierce's works is also reflected in Lovecraft's mythos and will be discussed later in the paper.

Certain supernatural creatures and names in Lovecraft are very similar to the creatures in Machen. "Dols" in Machen, for example, become "Dholes" in **The Dream-Quest of the Unknown Kadath.**

Selected Bibliography

Anonymous. "H. P. Lovecraft," **Publisher's Weekly.** 24 February 1940, pp. 890-891.

Bailey, James Osler. **Pilgrims Through Space and Time.** (New York, 1947).

Carter, Lin, "Introduction and Notes." **The Doom that Came to Sarnath.** (New York, 1971, pp. ix-xiv).

———. "Introduction," **The Dream-Quest of Unknown Kadath.** (New York, 1970). pp vii-xi.

Cook, W. Paul. **In Memorium: Howard Phillips Lovecraft.** (Sauk City, Wisconsin, n.d.).

Derleth, August. "H. P. Lovecraft and His Work," **The Dunwich Horror.** (New York, 1969), pp. 7-23.

———. **H. P. L.: A Memoir.** (New York, 1945).

Grant, Donald M. and Thomas P. Hadley, eds. **Rhode Island on Lovecraft.** (Providence, 1945).

Scheville, James Erwin. "Lovecraft's Follies," **(Saturday Review).** 28 May 1970, p. 24.

Walter, Dorothy Charlotte. **Lovecraft and Benefit Street.** (North Montpellier, Vermont. 1943).

Wetzel, George, ed. **Howard Phillips Lovecraft: Memories, Critiques and Bibliographies.** (North Tonawanda, New York, 1955).

Wilson, Edmund, "Tales of the Marvelous and the Ridiculous," **(The New Yorker,** 24 November 1945), pp 100-110.

INDEX TO ARTICLES IN THE BULLETIN OF THE FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

VOLUME 1 TO 7

Compiled by:
ABDULA HAY SALEH & SALAH HEGAZI

1. Ahmed, Ahmed Abdalla.
   vegetation changes in the long farms in Qatar. - Vol. 7., 1984.
   pp. 23-36
   1 - Botany - (QATAR)

2. Al-Hajji, Hayaat Nasser.
   The Crusading plans during the Fourteenth and Fifteenth Century. - Vol. 5, 1982.
   pp. 23-59
   1 - Crusades - Later 14th and 16th Centuries.

3. Al-Salem, Faisal S.A.
   Agents of socialzation among the Gulf Arab Youth. - Vol. 4, 1981.
   pp. 45-61
   1 - Political socialization 2. - Youth - Arabian Gulf.

4. Begai, Moinuddin.
   Monetary and financial aspects of the new international economic order. - Vol. 1, 1979.
   pp. 46-54
   1 - Economc development. 2. - Monetary policy.

5. Christophersen, Paul.
   Linguistics pure and applied. - Vol. 1, 1979.
   pp. 3-13
   1 - Linguistic analysis (Linguistics)

6. El-Adly, Farouk.
   Culture and industrialization with an examination of the Japanese work situation. Vol. 6, 1983.
   pp. 17-24
   1 - Japan - Culture 2. - Japan - Industrialization.

7. Embabi, Nabil S.
   Solutional landforms of Gabal Al-Qaraha: the Oasis of Al-Hasa, Saudi Arabia. - Vol. 3, 1981.
   pp. 25-41
   1 - Geology - Saudi Arabia - Surveys.

8. Kazem, Mohamed Ibrahim.
   Universities as guardians of man's cultural heritage, leaders in cultural development. - Vol. 3, 1981.
   pp. 5-8
   1 - Universities and Colleges

9. Kinghorn, A.M.
"All Joy ò, the worm" - the ironic tragedy of Antony and Cleopatra. - Vol. 3, 1981.
pp. 9-23
1 - Shakespeare, William, 1564 - 1616 - Tragedies.

10. Kinghorn, A.M.
At last we'll die with harness on our back : Triumph of the will in Macbeth. - Vol. 5, 1982.
pp. 7-22
1 - Shakespeare, William, 1564 - 1616 - Knowledge - Literature

11. Kinghorn, A.M.
Is Ripeness all? Shakespeare's Tragic Vision in King Lear. - Vol. 2, 1980.
pp. 5-22
1 - Shakespeare, William, 1564-1616 - Tragedies

12. Kinghorn, A.M.
"Nothing extenuate": Othello, a super-subtle tragedy. - Vol. 4, 1981.
pp. 25-43
1 - Shakespeare, William, 1564-1616 - Tragedies

13. Kinghorn, A.M.
"Now might I do it Pat": Hamlet's failure of reason, the Instant and the leap. - Vol. 1, 1979.
pp. 14-31
1 - Shakespeare, William, 1564-1616 - Knowledge - Literature

14. Kinghorn, A.M.
There's something, in't that is deceivable, "Present mirth" and what's to me in Twelfth Night. - Vol. 7, 1984.
pp. 7 - 22.
1 - Shakespeare, William, 1564-1616 - Knowledge - Literature

15. Kinghorn, A.M.
You take my life: tragic-comic rivalry in 'The Merchant of Venice'. - Vol. 6, 1983.
pp. 7-16
1 - Shakespeare, William, 1564-1616 - Tragic-comedies.

16. Logan, Frances W.
Social change: its problems and rewards. - Vol. 4, 1981.
pp. 62-71
1 - Social change

17. McCarthy, Shaun.
The pulse of colour in Vitginia woolf's to the lighthouse. - Vol. 1, 1979.
pp. 32-45
1 - English Literature - History and Criticism

18. McCarthy, Shaun.
Tonal and structural symbols in modern fiction : analysis and interpretation. - Vol. 3, 1981.
pp. 55-66
1 - Fiction - History and Criticism 2. - Fiction - 20th Century.

19. McCarthy, Shaun.
William Lithgow: the Sinai peninsula and the search for paradise. - Vol. 2, 1980.
pp. 23-37
1 - Travel in literature

20. McEwan, Neil.
Lives of Dickens. - Vol. 7, 1984.
pp. 37-48
1 - English Literature - History and Criticism

21. Riad, M.
Some aspects of petro-urbanism in the Arab Gulf States. - Vol. 4, 1981.
pp. 7-24
1 - Cities and towns - Economic aspects. 2 - Arabian Gulf - Economic conditions.

22. Scott, P.J.M.
Mansfield park: A flawless masterpiece. - Vol. 2, 1980.
pp. 39-73
1 - English Literature - History and Criticism

23. Saleh, T.A.
The reception of the quiet American in the late Fifties. - Vol. 3, 1981.
pp. 43-53
1 - American Literature - History and Criticism.

24. Tardus, Fawzi M.
Printing in the Arab World with emphasis on the Bulaq press in Egypt. - Vol. 5, 1982.
pp. 61-77
1 - Printing - Histrory. 2 - Printing - Arab countries.
3 - Printing - Egypt.

25. Walton, David J.A.
Some theoretical aspects of the reading process - Vol. 1. 1979.
pp. 55-68
1 - Reading - Theoretical aspects.

26. Walton, David J.A.
When in Rome .... Aspects of cross-cultural communication. - Vol. 5, 1982.
pp. 79-90
1 - Cross-cultural studies. 2 - Cross-cultural communication.

SUBJECT INDEX

SUBJECT INDEX

TITLE INDEX

TITLE INDEX